



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

المطبعة

البيان  
في تفسير القرآن

تأليف  
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن  
الطوسي

المجلد ٨

دار الكتب والوثائق  
بمطبعة - طهران

المطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التبيان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد بن حسن طوسى

نشرت فى الطباعة:

موسسه النشر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	..... الفهرس
١٤	..... التبيان فى تفسير القرآن المجلد ٨
١٤	..... اشارة
١٥	..... المجلد الثامن
١٥	..... سورة الشعراء ..... ص : ٣
١٥	..... اشارة
١٥	..... [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١ الى ٣] ..... ص : ٣
١٦	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤ الى ٥] ..... ص : ٥
١٧	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٦ الى ٩] ..... ص : ٧
١٧	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠ الى ١٤] ..... ص : ٨
١٨	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥ الى ٢٠] ..... ص : ١٠
١٩	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ١٢
٢٠	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ١٥
٢١	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ص : ١٦
٢٢	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ١٩
٢٣	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤٦ الى ٥١] ..... ص : ٢١
٢٤	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٥٢ الى ٦٠] ..... ص : ٢٢
٢٥	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ص : ٢٦
٢٧	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٣٠
٢٨	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٨١ الى ٨٩] ..... ص : ٣٢
٢٩	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ٩٥] ..... ص : ٣٥
٣٠	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٦ الى ١٠٤] ..... ص : ٣٦
٣١	..... قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١١٠] ..... ص : ٣٩

- ٣٢ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١١١ الى ١٢٢] ..... ص : ٤٠ .....
- ٣٣ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ الى ١٣١] ..... ص : ٤٣ .....
- ٣٤ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٣٢ الى ١٤٠] ..... ص : ٤٥ .....
- ٣٥ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٤١ الى ١٥٠] ..... ص : ٤٨ .....
- ٣٦ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥١ الى ١٥٩] ..... ص : ٥٠ .....
- ٣٨ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥] ..... ص : ٥٢ .....
- ٣٩ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ الى ١٩١] ..... ص : ٥٦ .....
- ٤١ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٩٢ الى ٢٠٧] ..... ص : ٦٠ .....
- ٤٣ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٠٨ الى ٢٢٠] ..... ص : ٦٥ .....
- ٤٥ ..... قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧] ..... ص : ٦٩ .....
- ٤٦ ..... ٢٧-سورة النمل ..... ص : ٧٣ .....
- ٤٦ ..... اشارة .....
- ٤٦ ..... [سورة النمل (٢٧): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٧٣ .....
- ٤٧ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦ الى ١١] ..... ص : ٧٥ .....
- ٤٩ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ١٢ الى ١٥] ..... ص : ٧٩ .....
- ٥١ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ١٦ الى ١٩] ..... ص : ٨٢ .....
- ٥٢ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦] ..... ص : ٨٥ .....
- ٥٥ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١] ..... ص : ٩٠ .....
- ٥٦ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٥] ..... ص : ٩٢ .....
- ٥٦ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٩٤ .....
- ٥٨ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٩٧ .....
- ٥٩ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ١٠٠ .....
- ٦١ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ١٠٣ .....
- ٦١ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ١٠٥ .....

- ٦٣ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ١٠٨ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ١١١ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ١١٣ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص : ١١٥ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٨١ الى ٨٥] ..... ص : ١١٨ ..... قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٨٦ الى ٩٣] ..... ص : ١٢١ ..... قوله تعالى: [سورة القصص ..... ص : ١٢٧] ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ١٢٧ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ١٣٠ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ١٣٣ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ١٣٦ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ١٣٩ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ١٤٣ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ١٤٧ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ١٥١ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ١٥٤ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ١٥٦ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ١٦٠ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ١٦٣ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ١٦٦ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ١٦٩ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ١٧١ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص : ١٧٤

- ٩٤ ..... قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٨١ الى ٨٨] ..... ص : ١٧٩
- ٩٤ ..... ٢٩-سورة العنكبوت ..... ص : ١٨٥
- ٩٤ ..... اشارة
- ٩٤ ..... [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ١٨٥
- ٩٨ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ١٨٨
- ٩٩ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ١٩٠
- ١٠٠ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ١٩٢
- ١٠١ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ١٩٦
- ١٠٣ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٢٠٠
- ١٠٤ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٢٠٣
- ١٠٦ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٢٠٧
- ١٠٧ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٢١٠
- ١٠٩ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٢١٣
- ١١١ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٢١٧
- ١١٢ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٢٢٠
- ١١٣ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٦] ..... ص : ٢٢٢
- ١١٥ ..... قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦٧ الى ٦٩] ..... ص : ٢٢٥
- ١١٥ ..... ٣٠- سورة الروم ..... ص : ٢٢٧
- ١١٥ ..... اشارة
- ١١٥ ..... [سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٢٧
- ١١٦ ..... قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٢٣٠
- ١١٨ ..... قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص : ٢٣٣
- ١٢٠ ..... قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٢٣٩
- ١٢٣ ..... قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٢٤٤



- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٢٤٨ ----- ١٢٤
- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٢٥١ ----- ١٢٦
- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٢٥٥ ----- ١٢٨
- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٢٥٩ ----- ١٢٩
- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٢٦٢ ----- ١٣١
- قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٢٦٥ ----- ١٣٢
- ٣١-سورة لقمان ..... ص : ٢٦٨ ----- ١٣٣
- اشارة ..... ١٣٣
- [سورة لقمان (٣١): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٦٨ ----- ١٣٣
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٢٧٠ ----- ١٣٤
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٢٧٣ ----- ١٣٥
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٢٧٧ ----- ١٣٧
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٢٨١ ----- ١٣٩
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٢٨٣ ----- ١٤٠
- قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤] ..... ص : ٢٨٦ ----- ١٤١
- ٣٢-سورة السجدة ..... ص : ٢٩١ ----- ١٤٢
- اشارة ..... ١٤٢
- [سورة السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٩١ ----- ١٤٣
- قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٢٩٥ ----- ١٤٤
- قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٢٩٨ ----- ١٤٦
- قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٣٠٢ ----- ١٤٨
- قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٣٠٥ ----- ١٤٩
- قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٣٠٨ ----- ١٥٠
- ٣٣-سورة الأحزاب ..... ص : ٣١١ ----- ١٥٢

- ١٥٢ ..... اشارة
- ١٥٢ ..... [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٣١١
- ١٥٤ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٣١٦
- ١٥٦ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٣٢١
- ١٥٧ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٣٢٤
- ١٥٩ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٣٢٧
- ١٦١ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٣٣١
- ١٦٣ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٣٣٦
- ١٦٥ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٣٤٢
- ١٦٨ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨] ..... ص : ٣٤٦
- ١٦٩ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٥٠] ..... ص : ٣٥٠
- ١٧٠ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٣٥٣
- ١٧٣ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٣٥٩
- ١٧٤ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ٣٦١
- ١٧٥ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٦ الى ٦٩] ..... ص : ٣٦٣
- ١٧٦ ..... قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣] ..... ص : ٣٦٥
- ١٧٨ ..... ٣٤- سورة سبأ ..... ص : ٣٧٢
- ١٧٨ ..... اشارة
- ١٧٩ ..... [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٣٧٢
- ١٨٠ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٦ الى ١١] ..... ص : ٣٧٥
- ١٨٣ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٢ الى ١٥] ..... ص : ٣٨١
- ١٨٥ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٣٨٥
- ١٨٧ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٣٩٠
- ١٩٠ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٣٩٥

- ١٩٠ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٣٩٦
- ١٩١ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٣٩٩
- ١٩٣ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٤٠٢
- ١٩٤ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٤٠٥
- ١٩٥ ..... قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤] ..... ص : ٤٠٧
- ١٩٦ ..... ٣٥-سورة فاطر ..... ص : ٤١٠
- ١٩٦ ..... اشارة
- ١٩٦ ..... [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٤١٠
- ١٩٨ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٤١٤
- ١٩٩ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧] ..... ص : ٤١٧
- ٢٠١ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١٨ الى ٢٣] ..... ص : ٤٢١
- ٢٠٢ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٤ الى ٢٦] ..... ص : ٤٢٤
- ٢٠٣ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠] ..... ص : ٤٢٥
- ٢٠٤ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٤٢٨
- ٢٠٦ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٤٣٢
- ٢٠٧ ..... قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٤٣٦
- ٢٠٩ ..... ٣٦-سورة يس ..... ص : ٤٤٠
- ٢٠٩ ..... اشارة
- ٢٠٩ ..... [سورة يس (٣٦): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص : ٤٤٠
- ٢١٢ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٤٤٦
- ٢١٣ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٤٤٩
- ٢١٤ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٢١ الى ٣٠] ..... ص : ٤٥١
- ٢١٥ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٤٥٤
- ٢١٧ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٤٥٧

- ٢١٨ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٤٦٠ .....  
 ٢١٩ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٤٦٢ .....  
 ٢٢٠ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ص : ٤٦٥ .....  
 ٢٢٢ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ٤٦٩ .....  
 ٢٢٣ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ٤٧١ .....  
 ٢٢٤ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ٤٧٤ .....  
 ٢٢٥ ..... قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٧٦ الى ٨٣] ..... ص : ٤٧٦ .....  
 ٢٢٧ ..... ٣٧-سورة الصافات ..... ص : ٤٨٠ .....  
 ٢٢٧ ..... اشارة .....  
 ٢٢٧ ..... [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص : ٤٨٠ .....  
 ٢٢٩ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص : ٤٨٤ .....  
 ٢٣١ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٢١ الى ٣٠] ..... ص : ٤٨٨ .....  
 ٢٣٣ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ص : ٤٩٢ .....  
 ٢٣٤ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠] ..... ص : ٤٩٤ .....  
 ٢٣٥ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ص : ٤٩٧ .....  
 ٢٣٧ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ص : ٥٠٠ .....  
 ٢٣٨ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٥٠٤ .....  
 ٢٤٠ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٨١ الى ٩٠] ..... ص : ٥٠٦ .....  
 ٢٤٢ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٩١ الى ١٠١] ..... ص : ٥١٠ .....  
 ٢٤٤ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٠٢ الى ١١١] ..... ص : ٥١٥ .....  
 ٢٤٧ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١٢ الى ١٢٢] ..... ص : ٥٢١ .....  
 ٢٤٨ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٣٢] ..... ص : ٥٢٣ .....  
 ٢٤٩ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨] ..... ص : ٥٢٦ .....  
 ٢٥٢ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠] ..... ص : ٥٣١ .....

- ٢٥٣ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠] ..... ص : ٥٣٤ ..... ٢٥٣
- ٢٥٤ ..... قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢] ..... ص : ٥٣٦ ..... ٢٥٤
- ٢٥٥ ..... ٣٨-سورة ص ..... ص : ٥٤٠ ..... ٢٥٥
- ٢٥٥ ..... اشارة ..... ٢٥٥
- ٢٥٥ ..... [سورة ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٥٤٠ ..... ٢٥٥
- ٢٥٧ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٥٤٤ ..... ٢٥٧
- ٢٥٨ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٥٤٦ ..... ٢٥٨
- ٢٥٩ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٥٤٨ ..... ٢٥٩
- ٢٦٠ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٥٥٠ ..... ٢٦٠
- ٢٦٢ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩] ..... ص : ٥٥٥ ..... ٢٦٢
- ٢٦٣ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠] ..... ص : ٥٥٨ ..... ٢٦٣
- ٢٦٧ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٤] ..... ص : ٥٦٦ ..... ٢٦٧
- ٢٦٨ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٤٥ الى ٥٤] ..... ص : ٥٦٩ ..... ٢٦٨
- ٢٧١ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦٠] ..... ص : ٥٧٤ ..... ٢٧١
- ٢٧٢ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ٥٧٦ ..... ٢٧٢
- ٢٧٣ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ٥٧٨ ..... ٢٧٣
- ٢٧٤ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ٥٨٠ ..... ٢٧٤
- ٢٧٥ ..... قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٧٦ الى ٨٨] ..... ص : ٥٨٢ ..... ٢٧٥
- ٢٧٦ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ..... ٢٧٦

## التبيان في تفسير القرآن المجلد ٨

## اشاره

شماره بازيابي: ٥-٧-١٤٦-١

سرشناسه: طوسی محمد بن حسن ٣٨٥-٤٦٠ ق

عنوان و نام پديدآور: التبيان في تفسير القرآن [نسخه خطي] / محمد بن الحسن الطوسي  
وضعت استنساخ:، صفر ٥٩٥ ق.

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: بسملة الحمد لله الواحد... سوره و الصافات. مكيه في قول قتاده و مجاهد و... ليس فيها ناسخ و لا منسوخ...  
انجام:.... و لو كان مامورا... دون التلاوه لما وجب ان ياتي بلفظه قل في هذه المواضع كلها. تم الكتاب و الحمد لله رب العالمين.  
انجامه: فرغ الحسين بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن الوكيل المعروف بابن الطو... من كتابه هذا الجزء  
الخامس لنفسه... عشر صفر من سنه خمس و تسعين و خمس مائه و صلى الله على سيدنا محمد النبي و اهل بيته الطاهرين و سلم  
تسليما كثيرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابي يزيد و ان محمد و علي سعيد.

مشخصات ظاهري: گ ٤٠٠ - ٧٣١، ٢٧ سطری

يادداشت مشخصات ظاهري: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوين و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود: امتیاز: ابتدای کتابت این نسخه ربیع الآخر ٥٩٤ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ٥٩٥ ق. است.

حواشی اوراق: اندکی تصحیح با نشان " صح " دارد.

يادداشت های مربوط به نسخه: يادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین  
تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است: " فافهم ان هذا الكتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجيهه لمذهبه " در برگ  
٤٠٠ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات  
دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرين و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت  
قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد  
٥ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ١٤٦، از نسخه های اهدایی " دایره المعارف  
بزرگ اسلامی " است که از " کتابخانه های یمن " تهیه شده است.

يادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ٤٠٤ دارد. مهر بیضی دیگری  
با سجع " جمال الدين الحسيني " (؟) در برگ ٤٠٠ دارد.

توضیحات نسخه: نسخه بررسی شده. اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه،  
رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ١-٣٢٨ دارد.

يادداشت کلی: زبان: عربی

عنوانهای دیگر: تفسیر تبيان

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٥ ق.

شناسه افزوده:حسين بن محمد، قرن ٦ق. كاتب

## المجلد الثامن

### سورة الشعراء ..... ص : ٣

#### إشارة

قال قتادة هي مكية. وقيل أربع آيات منها مدنية من قوله «و الشعراء الى آخرها» و هي مائتان و سبع و عشرون آية في الكوفي و المدني الاول و ست في البصرى و المدني الآخر

### [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١ الى ٣] ..... ص : ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)

ثلاث آيات في الكوفي خاصة. و اثنتان في الباقي. و لم يعد «طسم» آية إلا أهل الكوفة.

قرأ حمزة و الكسائي و خلف و يحيى و العليمي «طسم، و طس» بامالة الطاء فيهما. الباقي بالتفخيم، و أظهر- النون من هجاء سين عند الميم- حمزة و أبو جعفر إلا أن أبا جعفر يقطع الحروف. الباقي يخفونها قال أبو على الفارسي:

تبيين النون من (طسم) على قراءة حمزة هو الوجه، لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال و الانقطاع مما بعدها، و إذا ثبت ذلك وجب أن تبيين النون التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤

لأنها تخفي إذا اتصلت بحرف من حروف الفم، فإذا لم يتصل بها، لم يكن هناك ما يوجب إخفاؤها. و وجه إخفائها مع هذه الحروف أن حمزة الوصل قد وصلت و لم تقطع، و حمزة الوصل إنما تذهب في الدرج فكما سقطت حمزة الوصل، و هي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في (الف لام ميم) الله، كذلك لا تبيين النون، و يقدر فيها الاتصال بما قبلها، و لا يقدر الانفصال. قيل إنما عد (طسم) آية، و لم يعد (طس) لأن (طس) تشبه الاسم المنفرد، نحو (قاييل، و هاييل) و ليس كذلك (طسم). و وجه الشبه بالزنة أن أوله لا يشبه حروف الزيادة التي هي حروف المد و اللين، نحو (يس).

و ليس شيء على وزن المفرد يعد إلا- (ياسين) لان الياء تشبه حروف الزيادة فقد رجع الى انه ليس على زنة المفرد. و قد بينا فيما مضى معاني هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة، فلا- نطول باعاده. و قد بينا قول من قال. إنها اسماء السور. و قال قتادة و الضحاك: ان (طسم، و طس) اسم من اسماء القرآن.

و قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» انما أشار ب (تلك) الى ما ليس بحاضر لأنه متوقع، فهو كالحاضر بحضور المعنى للنفس، و تقديره: تلك الآيات آيات الكتاب. و قيل: تلك الآيات التي وعدتم بها هي القرآن. و قيل: ان «تلك» بمعنى (هذا) و معنى (الكتاب) القرآن، و وصفه بأنه (المبين) لأن به تبيين الأحكام، لأن البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره، و هو مأخوذ من البينونة، و هي التفرقة بين الشيء و غيره. فالمبين الذي يبين الحق من الباطل.

و سمي أيضاً فرقاناً، لأنه يفرق بين الحق و الباطل.

و قوله «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» قيل فيه قولاً: الأول- قال ابن عباس و قتادة: معناه لعلك قاتل نفسك. و الثاني قال ابن

زيد: مخرج التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥

نفسك من جسدك. و البخع القتل، قال ذو الرمة:

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشىء نحتة عن يديه المقادر «١»

وقال ابن عباس معنى «أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» فيه أى فى القرآن و قال الفراء موضع (أن) نصب ب (باخع)، لان (أن) جزاء، كأنه قال: ان لم يكونوا مؤمنين فأنت قاتل نفسك، فلما كان ماضياً نصب (ان) كما تقول:  
اتيك (أن) تأتيني، و لو لم يكن ماضياً لقلت: آتيك ان تأتني، و لو كانت مجزومة مع كسر (ان) كان جائزاً، و مثله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ) «٢» بالفتح و الكسر.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤ الى ٥] ..... ص : ٥

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)  
آيتان بلا خلاف.

لما بين الله تعالى حرص النبي (ص) على إيمان قومه، و اجتهاده بهم حتى كاد أن يقتل نفسه تأسفاً على تركهم الايمان، أخبره بأنه قادر على أن ينزل عليهم آية و دلالة من السماء تظل أعناقهم لها خاضعة بأن تلجئهم الى الايمان، لكن ذلك نقيض الغرض بالتكليف، لأنه تعالى لو فعل ذلك، لما استحقوا ثواباً و لا مدحاً، لأن الملجأ لا يستحق الثواب و المدح على فعله، لأنه بحكم المفعول فيه. و قيل: المراد بالأعناق الرؤساء. و قال قتادة: المعنى لا يلوى أحد منهم

(١) شرح ألفية بن مالك (المنادى) ٢٢٤

(٢) سورة ٥ المائدة آية ٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦

عنقه الى معصية. و قيل فى وجه جمع «خاضعين» بالياء و النون و هو صفة (الاعناق) و الاعناق لا تعقل، و هذا الجمع يختص بمن يعقل قيل فيه أربعة اقوال:

أحدها- فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين، و حذف المضاف، و اقام المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثانى- أنه أراد بالأعناق الرؤساء و الجماعات، كما يقال جاءه عنق من الناس أى جماعة.

الثالث- ان يكون على الاقحام. قال ابو عبيدة، و المبرد «خاضعين» من صفة الهاء و الميم، فى قوله «أعناقهم» كما قال جرير:

أرى مَرَّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال «١»

فعلى هذا يكون ترك الاعناق و أخبر عن الهاء و الميم، و تقديره فظلوا خاضعين لها و الاعناق مقحمة.

الرابع- أنها ذكرت بصفة من يعقل لما نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمزرتها و الديك يدعو صباحه إذا ما بنوا نعش دنوا فتصوبوا «٢»

و يروى نادى صباحه. ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار الذين تأسف النبي (ص) على عدولهم عن ايمانهم انه ليس يأتيهم ذكر من

الرحمن يعنى القرآن، كما قال تعالى «إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» «٣» و قال

(١) ديوانه «دار بيروت» ٣٤١

(٢) قائله النابغة الجعدى. اللسان (نعش) [.....]

(٣) سورة ١٥ الحجر آية ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧



«إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ» (١) و وصفه بأنه محدث، و لذلك جره، لأنه صفة ل (ذكر). و قوله «إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» أى يتولون عنه و لا ينظرون فيه.

قال الفراء: انما قال «فظلت» و لم يقل «فتظل» لأنه يجوز أن يعطف على مجزوم الجزاء ب (فعل) لان الجزاء يصلح فى موضع (فعل)، (يفعل) و فى موضع (يفعل، فعل) لأنك تقول: إن زرتنى زرتك و إن تررتنى أزرك، و المعنى واحد

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٦ الى ٩] ..... ص : ٧

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم كذبوا بآيات الله و جحدوا رسوله و أنه سيأتيهم فيما بعد، يعنى يوم القيامة «أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و إنما خص المكذب بإتيان الأنباء، مع أنها تأتي المصدق و المكذب، من حيث أن المكذب يعلم بها بعد أن كان جاهلاً، و المصدق كان عالماً بها، فلذلك حسن و عيد المكذب بها، لان حاله يتغير الى الحسرة و الندم. و الاستهزاء السخرية، و هو طلب الله و بما عند الطالب صغير القدر.

ثم قال «أَوْ لَمْ يَرَوْا» هؤلاء الكفار «إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» من أنواع النبات، فيستدلوا على توحيد، بأن يعلموا أن ذلك

(١) سورة ٣٦ يس آية ٦٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص : ٨

لا يقدر عليه غيره، و لا يتأتى من سواه، ممن هو قادر بقدره. لأنه لو تأتى من غيره لتأتى منا لأننا قادرون أيضاً بقدره، فلما استحال منا علمنا استحالة ذلك ممن يجرى مجرانا، فإذا الفاعل لذلك مخالف لنا، و انه قادر لنفسه.

ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره من إنبات النبات من كل زوج كريم، لدلالة لمن يستدل بها، و من يتمكن من ذلك، و إن اكثر الكفار لا يصدقون بذلك، و لا يعترفون به عناداً و تقليداً لاسلافهم، و حباً للراحة، و هرباً من مشقة التكليف و معنى «كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» يعنى مما يأكل الناس و الانعام، فى قول مجاهد. و قيل:

من الشىء و مشاكله فى الانتفاع به. و قيل: من كل زوج كريم من انواع تكرم عند أهلها. و قيل: من كل نوع معه قرينه من أبيض و أحمر و أصفر. و حلو و حامض، و روائح و غير ذلك مختلفة. ثم قال «وَإِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» الغنى القادر الذى لا يعجز و لا يغلب «الرَّحِيمُ» أى المنعم على عباده بأنواع النعم التى ذكرها.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠ الى ١٤] ..... ص : ٨

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «وَ يَضِيقُ صَدْرِي، وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي» بالنصب يعقوب، عطفاً على «أَنْ يُكَذِّبُونِ» الباقون - بالرفع - عطفاً على (أخاف) و يجوز أن يكون على التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص : ٩

الاستئناف. و المعنى: و انى يضيق صدرى.

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) و اذكر يا محمد الوقت الذى نادى فيه ربك- الذى خلقك- موسى، و معناه قال له: يا موسى، بأن اتت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى. ثم بين: من القوم الموصوفون بهذه الصفة؟

بان قال (قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ) و هو عطف بيان (ألا- يتقون) و إنما قال بالياء، لأنه على الحكاية. و تقديره: فقل لهم: ألا تتقون، و مثله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ) «١» بالياء و التاء. و لو قرى بالتاء كان جائزاً، و التقوى مجانبه القباح بفعل المحاسن: اتقى الله يتقيه اتقاء أى اتقى عقابه بطاعته بدلا من معصيته، و أصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف و بينه.

ثم حكى ما قال موسى و جوابه، فانه قال يا (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) و لا يقبلون منى. و الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر، و نقيضه الامن و هو سكون النفس الى خلوص النفع، و نظير الخوف الفرع و الذعر و الجزع.

و التكذيب تصيير المخبر كاذباً باضافة الكذب اليه، كذبه تكذيباً و أكذبه إكذاباً و الكذب نقيض الصدق، و الكذب كله قبيح، و التكذيب على وجهين: فتكذيب الصادق قبيح، و تكذيب الكاذب حسن.

و قوله (وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) حكاية أيضاً عما قال موسى، و ضيق الصدر غم يمنع من سلوك المعانى فى النفس، لأنه يمنع منه كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه. و قوله (وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) أى لا ينبعث بالكلام

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠

و قد يتعذر ذلك لآفة فى اللسان، و قد يتعذر لضيق الصدر، و غروب المعانى التى تطلب الكلام. و قوله «فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ» يعنى لمعاونتى، كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليك أى لتعيننا. و قيل: انما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة. «وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي» للعقدة التى كانت فيه. قال الجبائى: لم يسأل موسى ذلك إلا بعد أن أذن الله تعالى له فى ذلك، لان الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم فى مسألته.

و قوله (وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى حين استصرخ به واحد من أصحابه من بنى إسرائيل- ذكره مجاهد و قتاده- و قوله «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بدل ذلك المقتول.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥ الى ٢٠] ..... ص: ١٠**

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَ لَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ أَوْ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠)

ست آيات.

هذا خطاب من الله تعالى جواباً لموسى عما حكاه عنه (قال كلاً) لا يقتلونك (فاذهبا) و معنى (كلا) زجر أى لا يكون ذلك، و لا

يقتلونك (فاذهبا) أمر لموسى و هارون على ما اقترحه موسى فأجيب اليه (فاذهبا بآياتنا) أى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١ بأدلتنا و معجزاتنا التى خصكما الله بها، و (إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) أى نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجرى بينكم، فهو (مستمع) فى موضع (سامع) لأن الاستماع طلب السمع بالاصغاء اليه، و ذلك لا يجوز عليه تعالى، و انما قال بهذا اللفظ، لأنه أبلغ فى الصفة، و أشد فى التعظيم- و الله تعالى سامع بما يغنى عن مذكر مستمع- لينبئ عن هذا المعنى، و وصفه بسامع يغنى عن سماع الجماعة التى يقع سماعهم معاونة و إنما قال (مستمعون) بلفظ الجمع بناء على قوله (إننا) و أمرهما بأن يأتيا فرعون و أن يقولوا له نأ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أرسلنا الله اليك لندعوك الى عبادته، و ترك الاشراك به، و انما قال (رسول) على التوحيد، و هو للثنتين، لأن المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين، و قد يكون الرسول في معنى الجمع قال الهذلي:

الكنى اليها و خير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر «١»

أى و خير الرسل. و قيل: إنه فى موضع رسالته، فكما يقع المصدر موقع الصفة كذلك تقع الصفة موقع المصدر. و الإرسال جعل الشئ ماضياً فى الامر، و مثله الإطلاق و البعث، و انشد فى ذلك:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول «٢»

أى برسالته، و قال الآخر:

ألا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها «٣»

فانته تأنيث الرسالة. و قوله «أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أمرك الله بأن تطلق صراح بنى إسرائيل ليجيئوا معنا، و فى الكلام حذف و تقديره: إنهما مضيا الى فرعون، و قالوا له ما أمرهم الله به

(١) تفسير القرطبي ٩٣ / ١٣

(٢) مر هذا البيت فى ٣٦٨ / ١

(٣) قاله عباس بن مرداس تفسير الطبرى ٣٨ / ١٩ و القرطبي ٩٤ / ١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢

فقال فرعون لموسى «أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيداً» فالتربية تنشئه الشئ حالا بعد حال: رباه بربيه، و مثله نماء ينميه نماء. و قوله «وليداً» أى حين كنت طفلاً صغيراً «وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» أى أقمت سنين كثيرة عندنا، و مكثت.

و فى (عمر) ثلاث لغات - ضم الميم و إسكانها مع ضم العين، و فتح العين و سكون الميم. و منه قوله «العمر ك» «١»، و عمر الإنسان بالفتح لا غير، و فى القسم أيضاً بالفتح لا غير.

و قوله «وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ» يعنى قتلك القبطى. و قرأ الشعبي «فعلتك» بكسر الفاء مثل الجلسة و الركبة، و هو شاذ لا يقرأ به.

و قوله «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قيل فى معناه قولان: أحدهما - قال بن زيد أنت من الجاحدين لنعمتنا.

الثانى - قال السدى أراد كنت على ديننا هذا الذى تعيبه كافرأ بالله.

و قال الحسن: و أنت من الكافرين أى فى أنى إلهك. و قيل: من الكافرين لحق تربيتى، فقال له موسى (ع) فى الجواب عن ذلك «فعلتها» يعنى قتل القبطى «وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» قال قوم: يعنى من الضالين أى من الجاهلين بأنها تبلغ القتل. و قال الجبائى «وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن العلم بان ذلك يؤدى الى قتله.

و قال قوم: معناه «وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن طريق الصواب، لأنى ما تعمدهته.

و انما وقع منى خطأ، كما يرمى انسان طائراً فيصيب إنساناً.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ١٢**

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مَوْقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى حاكياً عن موسى أنه قال لفرعون: إني فررت منكم لما خفتكم، فالفرار الذهاب على وجه التحرز من الإدراك، ومثله الهرب: فر يفر فراراً، ومنه يفتر أى يضحك، لأنه يباعد بين شفثيه مباعده الفرار.

وقوله «فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا» فالهبة الصلة بالنائل. وهب له يهب هبةً فهو واهب، واستوهبه كذا إذا سأله هبته، وتواهبوا ما بينهم إذا أسقطوها عنهم على جهة الهبة. والحكم العلم بما تدعو اليه الحكمة، وهو الذى وهبه الله تعالى لموسى من التوراة. والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام. والخبر عما يدعو اليه الحكم ايضاً يسمى حكماً. والحكم - هاهنا - أراد به النبوة - فى قول جماعة من المفسرين - وقوله «وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ» أى جعلنى الله نبياً من جملة الأنبياء.

وقوله «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما - ان اتخاذك بنى إسرائيل عبيداً قد أحبط ذلك، وإن كانت نعمه على.

الثانى - إنك لما ظلمت بنى إسرائيل. ولم تظلمنى عددها نعمه على؟! التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤

وقيل قول ثالث - انه لا يوثق بأنها نعمه منك مع ظلمك بنى إسرائيل فى تعبيدهم، وفى كل ذلك دلالة وحجة عليه، و تقرع له.

و يجوز فى (أن) النصب بمعنى لتعييدك بنى إسرائيل، والرفع بالرد على النعمة أى على تعبيدك بنى إسرائيل. والتعييد اتخاذا الإنسان أو غيره عبداً تقول عبده وأعبده بمعنى واحد، قال الشاعر:

علام يعبد فى قومى وقد كثرت فيهم أباعر ما شاءوا و عبدان (١)

وقال الجبائى بين أنه ليس لفرعون عليه نعمة، لان الذى تولى تربيته أمه و غيرها من بنى إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم. وقال الحسن: أراد أخذت أموال بنى إسرائيل، واتخذتهم عبيداً فأنفقت على من أموالهم. فأراد أن لا يسوغه ما امتن به عليه. وقال قوم: أراد أو تلك نعمة! مستفهماً واسقط حرف الاستفهام.

وقوله تعالى (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) حكاية من الله أن فرعون قال لموسى أى شىء رب العالمين الذى تدعونى الى عبادته، لان هذا القول من فرعون يدل على ان موسى كان دعاه الى طاعة الله و عبادته. وقيل: ان فرعون عجب من حوله من جواب موسى، لأنه طلب منه أى أجناس الأجسام هو؟ جهلا منه بما ينبغى أن يسأل عنه، فقال موسى فى جوابه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» أى رب العالمين هو الذى اخترع السموات والأرض و خلقهما، و خلق ما بينهما من الحيوان والجماد والنبات «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» بذلك مصدقين به فقال فرعون - عند ذلك - لمن حوله من أصحابه «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» أى ألا تصغون اليه، و تفهمون ما يقول معجباً لهم من قوله، حين عجز عن محاورته و مجاوبته

(١) تفسير القرطبي ٩٦ / ١٣ و الطبرى ٤٣ / ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ١٥**

قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْتَلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قال لما قال فرعون لمن حوله «أَلَا تَسْتَمْعُونَ» الى قول موسى فانه يقول ربه رب العالمين الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما! معجباً لهم من قوله، قال موسى «ربكم» الذى خلقكم و يملك تدبيركم و خلق آباءكم الأولين، و ملك تدبيرهم، و تدبير جميع الخلق. و الاول الكائن قبل غيره و الآخر الكائن بعد غيره، و الكائن على صفة أول فى كونه على تلك الصفة، نحو الاول فى دخول الدار، فقال فرعون- عند ذلك حين لم يجد جواباً لكلام موسى- لقومه «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» يموه عليهم، انى أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك، كما يفعل المجنون. و الجنون داء يعترى النفس يغطى على العقل، و أصله الستر من قولهم: جنه الليل و أجنه إذا ستره بظلمته و الجنه البستان الذى يجنه الشجر، فقال موسى عند ذلك ان الذى ذكرته انه «رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ» ... «هو رب المشرق و المغرب» فالمشرق الموضع الذى تطلع منه الشمس، و المغرب الموضع الذى تغرب فيه الشمس يقال: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦

شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت، و أشرقت إشراقاً إذا أضاءت و صفت.

«وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» ذلك و تتدبرونه، فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى تهدده «قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي» يعنى معبوداً سواى «لَأَجْعَلَنَّكَ» من المسجونين أى محبوساً من جملة المحبسين، فقال له موسى «أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ» يعنى بمعجزة تدل على صحته ما ادعيته تبيننى من غيرى و المعنى ان جئتك بشيء يدل على صدقى تحبسنى؟!!

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ص : ١٦

قَالَ فَاتِّبِعْ بِهٖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا نُتُوكَ بِكُلِّ سَيِّحَارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) عشر آيات بلا خلاف.

لما قال موسى لفرعون «أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ» فرعون «فَاتِّبِعْ بِهٖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أى هات ما ادعيته من المعجزة إن كنت صادقاً التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧

«فَأَلْقَى عَصَاهُ» حينئذ موسى «فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ» و هى الحية العظيمة، و منه المثعب و هو المجرى الواسع، و انثعب الماء انثعباً إذا جرى باتساع، و منه الثعبان لأنه يجرى باتساع لعظمه. و فى قلب العصا حية دلالتان:

إحداهما- دلالة على الله تعالى، لأنه مما لا يقدر عليه إلا هو، و ليس مما يلتبس بإيجاب الطباع، لأنه اختراع، للانقلاب فى الحال.

و الثانى- دلالة على النبوة بموافقته الدعوة مع رجوعها الى حالتها الاولى لما قبض عليها. و قيل: الثعبان الحية الذكر، و وصفه تعالى العصا- هاهنا- بأنها صارت مثل الثعبان، لا ينافى قوله «كَأَنَّهَا جَانٌّ» من وجوه:

أحدها- انه تعالى لم يقل، فإذا هى جان، كما وصفها بأنها ثعبان، و انما شبهها بالجان، و لا يجوز أن تكون مثله على كل حال.

و الثانى- انه وصفها بالثعبان فى عظمتها، و بالجان فى سرعة حركتها، فكأنها مع كبرها فى صفة الجان لسرعة الحركة، و ذلك أبلغ فى الاعجاز.

و ثالثها- انه أراد أنها صارت مثل الجان فى أول حالها، ثم تدرجت الى ان صارت مثل الثعبان، و ذلك أيضاً أبلغ فى باب الاعجاز.

و رابعها- ان الحالين مختلفان، لأن إحداهما كانت حين ألقى موسى فصارت العصا كالثعبان، و الحالة الأخرى حين أوحى الله اليه و ناداه من الشجرة.

و معنى (مبين) قال ابن عباس: انه ثعبان لا شبهة فيه. و قيل: معناه مبين وجه الحجة به. و

روى أنها غرزت ذنبيها في الأرض و رفعت رأسها نحو الميل الى السماء، ثم انحطت فجعلت رأس فرعون بين نايبيها، و جعلت تقول: مرني بما شئت، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨

فناداه فرعون أسألك بالذي أرسلك لما أخذتها، فأخذها، فعادت عصاً ، كما كانت- ذكره ابن عباس، و المنهال-.

و قوله «وَنَزَعَ يَدَهُ» أى أخرجها من جيبه أو من كفه على ما روى.

و يجوز أن يكون المراد حسر عن ذراعه. و المعنى أنه نزعها عن اللباس التي كان عليها. و النزع إخراج الشيء مما كان متصلاً به، و ملابساً له.

و قوله «فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ» يعنى بياضاً نورياً كالشمس في إشراقها (للناظرين) اليها من غير برص، فقال فرعون عند ذلك لأشراف قومه الذين حوله (إن هذا) يعنى موسى (لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) أى عالم بالسحر و الحيل (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) قيل معناه يريد أن يخرج عبيدكم بنى إسرائيل قهراً. و يحتمل أن يكون أراد يخرجكم من دياركم و يتغلب عليكم (فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ) فى تأديبه، و انما شاور قومه فى ذلك مع أنه كان يقول لهم: انه إله، لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه و على قومه أن الاله لا يجوز أن يشاور غيره، كما ذهب عليهم أن الاله لا يكون جسماً محتاجاً، فاعتقدوا إلهيته لما دعاهم اليها مع ظهور حاجته التي لا اشكال فيها، فقال لفرعون اشراف قومه الذين استشارهم «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» أى أخزهما، فالارجاء التأخير، تقول: ارجأت الأمر ارجئه إرجاء، و هم المرجئه، لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق فى لزوم العقاب. و قيل:

انما أشاروا بتأخيره و لم يشيروا بقتله، لأنهم رأوا أن الناس يفتنون به ان قتل، و إن السحرة إذا قاومته زال ذلك الافتتان، و كان له حينئذ عذر فى قتله أو حبسه بحسب ما يراه.

و قوله (وَأَبَعْتُ فِي الْمِدَائِنِ حَاشِرِينَ) أى أرسل حاشرين يحشرون الناس من جميع البلدان. فالحشر السوق من جهات مختلفه الى مكان واحد، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩

حشره يحشره حشراً، فهو حاشر و الشيء محشور، و انحشر الناس إلى مكان إذا اجتمعوا اليه. و السحر لطف الحيلة حتى يتوهم المموه عليه أنه حقيقه. و قوله (يَأْتُوكَ) أى يجيئك (بكل سحار) مبالغة فيمن يعمل بالسحر (عليم) أى عالم بالسحر، و فى الكلام حذف، لان تقديره إنه انفذ الحاشرين فى المدائن و انهم حشروهم (فَجَمَعَ السَّحْرَةَ) على ما قالوه (لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) لوقت يوم بعينه اختاروه و عينوه (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ) ان غلبوا موسى، فالغلبة الاستعلاء بالقوة: غلبه يغلبه غلبه إذا قهره، و تغلب تغليباً و غالبه مغالبه و تغالباً تغالباً، و قد يوصف المستعلى على غيره بالحجة بأنه غلبه.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص: ١٩

فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)

آيات بلا خلاف.

قرأ حفص «تلقف» بتخفيف القاف، الباقون- بتشديدها- إلا أن البرزى و ابن فليح و قبل شددوا التاء. قال ابو على: من خفف القاف، فهو الوجه، لأن من شددها يريد تتلقف، فأدغم، و انما أدغم، لأنه يلزمه إذا ابتدأ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠

على هذه القراءة أن يجتلب همزة الوصل، و همزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة، كما لا تدخل على اسماء الفاعلين.

حكى الله تعالى أن السحرة لما حشروهم الى فرعون و حضروا بين يديه قالوا له «أَإِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ» أى هل لنا أجر



جزاء على غلبنا إياه ان غلبناه. و من قرأ على الخبر «إن لنا» أراد انهم لتيقنهم بالأجر أخبروا بذلك. و الاول أقوى لقوله «قال نعم» و ذلك جواب الاستفهام. و الأجر الجزاء على العمل بالخير. و الجزاء على الشر يسمى عقاباً، و لذلك إذا دعى لإنسان قيل: آجرك الله. و المعنى أئن لنا لأجراً عند الملك؟ و الغالب الذى يعلو على غيره الذى يمنع فى نفسه بما يصير اليه فى قبضه، فالله غالب كل شىء بمعنى أنه عال عليه لدخوله فى مقدوره، لا يمكنه الخروج منه، فقال لهم فرعون فى جواب ذلك: «نعم» لكم على ذلك الأجر الجزيل «و انكم» مع ما تعطون من الجزاء «إِذَا لَمِنَ الْمُتَّقِينَ». و المقرب المدنى من مجلس الكرامة، و اختصاصه بها.

ثم حكى ما قال موسى للسحرة، فانه قال لهم «أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و هذا بصورة الأمر و المراد به التحدى، و المعنى اطرحوا ما أنتم ملقوه «فَأَلْقَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّتَهُمْ» أى طرحت السحرة ما كان معهم من السحر من الحبال و العصى التى سحروها و موهوا بأنها تسعى و تتحرك. و قيل: انهم جعلوا فيها زيبقاً، و طرحوها فى الشمس، فلما حميت بالشمس تحرك الزيبق، لأنه إذا حمى من شأنه أن يصعد فتحركت لذلك الحبال و العصى، فظن الناظرون أنها تتحرك. و قالوا حين طرحوا ما معهم «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ» و العزة القوة التى يمتنع بها من لحاق الضيم بعلو منزلتها، و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور «إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ» لموسى فيما أتى به «فالقى» عند ذلك «مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١

أى تناولت العصا ما موهوا به فى ادنى مدة من الزمان، و التلقف تناول الشىء بالفم بسرعة، تقول: تلقف تلقفاً و التقف التقفاً و استلقف استلقفاً. و معنى (ما يافكون) ما يوهمون الانقلاب زوراً و بهتاناً. و قيل كان عدد السحرة اثنى عشر ألفاً و كلهم أقر بالحق عند آية موسى.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٤٦ الى ٥١] ..... ص: ٢١

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)

ست آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً و روح «أأمنتهم» بهمزيين مخففتين على الاستفهام. و روى حفص و ورش و رويس بهمزة واحدة على الخبر. الباقون بهمزيين الأولى مخففة و الثانية ملينة. و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف. و قد بينا نظائره فيما تقدم فى الاعراف. حكى الله تعالى أن السحرة لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حية و تلقفها جميع ما اتبعوا نفوسهم فيه علموا أن ذلك من فعل الله، و أن احداً من البشر لا يقدر عليه فآمنوا عند ذلك، و أذعنوا للحق و خروا ساجدين لله شكراً على ما أنعم به عليهم و وفقهم للايمان، و أنهم قالوا عند ذلك «آمنا» و صدقنا «بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» الذى خلق الخلق كلهم، الذى هو «رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ» و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢

خص رب موسى و هارون بالذكر دون غيرهما، و ان كان رب كل شىء، للبيان عن المعنى الذى دعا الى ربوبيته موسى و هارون، لأن الجهال كانوا يعتقدون ربوبية فرعون، فكان إخلاصهم على خلاف ما يقوله الأعياء، و المعنى الذى ألقاهم ساجدين قيل فيه قولان: أحدهما- إن الحق الذى عرفوه ألقاهم ساجدين.

الثانى- انهم ألقوا نفوسهم ساجدين لما عرفوا من صحة الدعاء الى الدين.

فقال عند ذلك فرعون مهدداً لهم «أأمنتهم له» أى صدقتم له فيما يدعو اليه منكرأ عليهم «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» فى تصديقكم. ثم قال «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ» أى أستاذكم و عالمكم «الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيما بعد ما افعله بكم جزاء على تصديقكم إياه، و دخلت اللام فى الكلام تأكيداً، ثم فسر ذلك، فقال «لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ» يعنى قطع اليد من جانب، و الرجل من الجانب

الآخر كقطع الرجل اليسرى و اليد اليمنى «و لأصلبنكم» مع ذلك «أجمعين» على الجذوع، و لا أترك واحداً منكم، لا تتناله عقوبتي، فقالوا له فى الجواب عن ذلك «لا ضير» أى لا ضرر علينا بما تفعله يقال: ضره يضره ضراراً، و ضاره يضير ضيراً، و ضاره يضره ضوراً لغه قليلة. و قوله «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ» أى مصيرنا إلى ثواب الله لا يضرنا ما تفعله بنا. و قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان للإنسان أن يظهر الحق و إن خاف القتل. و قال الحسن: لم يصل فرعون إلى قتل أحد منهم و لا قطعه. و قال قوم: أول من قطع الايدي و الأرجل فرعون.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٥٢ الى ٦٠] ..... ص: ٢٢

وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ (٥٦)  
فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَ كُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)  
التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣  
عشر آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و ابن عامر إلا الحلوانى «حاذرون» بألف، الباقون بغير ألف. من قرأ بالألف قال: هو مثل شرب، فهو شارب، و حذر فهو حاذر. و قيل: رجل حاذر فيما يستقبل، و ليس حاذراً فى الوقت، فإذا كان الحذر له لازماً قيل رجل حذر مثل سؤل و سائل، و طمع و طامع، و كان يجوز ضم الذال لأنهم يقولون: حذر و حذر- بكسر الذال و ضمها- مثل يقظ و يقظ و فطن و فطن.  
و قرأ عبد الله بن السائب «حاذرون» بالذال- المهملة- بمعنى نحن أقوياء غلاظ الأجسام، يقولون: رجل حادر أى سمين، و عين حدره بدره إذا كانت واسعة عظيمة المقله، قال امرؤ القيس:  
و عين لها حدره بدره شقت مآقيهما من آخر (١)  
و قيل الفرق بين الحاذر و الحذر أن الحاذر الفاعل للحذر، أن يناله مكروه و الحذر

(١) ديوانه ٩٩ و تفسير القرطبي ١٣/١٠٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤

المطبوع على الحذر و قيل. «حاذرون» مؤدون فى السلاح أى ذووا أداة من السلاح المستعدون للحروب من عدو، و الحذر اجتناب الشىء خوفاً منه، حذر حذراً، فهو حاذر و حذره تحذيراً، و تحذر تحذراً و حاذره محاذرة و حذاراً.  
اخبار الله تعالى عن السحرة انهم حين آمنوا و قالوا لفرعون: لا- ضرر علينا بما تفعل بنا، لأننا منقلبتنا الى الله و ثوابه، قالوا «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا» أى ما فعلنا من السحر و غيره، لأننا كنا أول من صدق بموسى و أقر بنبوته، و بما دعا اليه من توحيد الله و نفى التشبيه عنه ممن كان يعمل بالسحر.

و قيل: انهم أول من آمن عند تلك الآية. و من قال: هم أول من آمن من قومه فقد غلط، لأن بنى إسرائيل كانوا آمنوا به. و لو كسرت الهمزة من (إن) على الشرط كان جائزاً. و الطمع طلب النفس للخير الذى يقدر فيها انه يكون.

و مثله الأمل و الرجاء و الخطايا جمع خطيئته، و هى الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب.

ثم حكى تعالى انه أوحى الى موسى، و أمره بأن يسرى بعباد الله الذين آمنوا به، و يخرجوا من بلد فرعون، و هم بنو إسرائيل المقرون بنبوته، يقال سرى و أسرى لغتان، فمن قطع الهمزة قال: هو من اسرى يسرى، و من وصلها فمن سرى يسرى، و أعلمهم أن فرعون و جنوده يتبعونهم، و يخرجون فى طلبهم و تبع و اتبع لغتان.



ثم حكى أيضاً أن فرعون أرسل برسله في المدائن حاشرين يحشرون الناس اليه الذين هم جنوده، وقيل: انه حشر جنده من المدائن التي حوله ليقبضوا على موسى وقومه، لما ساروا بأمر الله (عز و جل) فلما حضروا عنده، قال لهم «إِنَّ هَؤُلَاءِ» يعنى أصحاب موسى «لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ» و الشرذمة العصبه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥

الباقي من عصب كثيرة، و شرذمة كل شىء بقيته القليله، و منه قول الراجز:

جاء الشتاء و قميصى اخلاق شرادم يضحك منه التواق «١»

و قال عبد الله بن مسعود: الشرذمة الذين قللهم فرعون من بنى إسرائيل كانوا ستمائة ألف و سبعين ألفاً، و انما استقلهم، لأنه كان على مقدمته سبعة آلاف على ما قال بعض المفسرين. ثم قال «و انهم» مع قلتهم «لَنَا لَعَائِظُونَ» أى يغيظونا بمخالفتهم إيانا، و يقال: جمع قليل و قليلون، كما يقال حى واحد، و واحدون.

ثم اخبر تعالى عن فرعون أنه قال لجنده «إِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ» منهم قد استعدنا لقتالهم.

ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم بأن قال «فَأَخْرَجْنَاهُمْ» يعنى فرعون و قومه «مِنْ جَنَّاتٍ» و هى البساتين التي تجنحها الأشجار «وَعُيُونٍ» جارية فيها «وَكُنُوزٍ» يعنى اموال لهم مخبئة بعضها على بعض فى مواضع غامضة من الأرض و منه كناز التمر و غيره مما يعبا بعضه على بعض «وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» فالمقام الموضع الذى يقيمون فيه. و يجوز أن يكون مصدراً و «الكريم» هو الحقيق يعطاء الخير الجزيل، لأنه اهل للكرم، و هى صفة تعظيم فى المدح: كرم كراماً و أكرمه إكراماً، و تكرم تكراً. و قيل: المقام الكريم المناير. و قيل مجالس الامراء و الرؤساء: التي كان يحف بها الاتباع.

ثم قال تعالى «كَذَلِكَ» أى مثل ذلك أى كما وصفنا لك اخبارهم «وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى نعم آل فرعون بأن أهلكنا آل فرعون و ملكنا ديارهم و املاكهم

(١) مر تخريجه فى ٦ / ٣٢٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦

لبنى إسرائيل. و الإرث تركه الماضى ممن هلك لمن بقى. و قيل صار ذلك فى ايدى بنى إسرائيل فى ايام داود و غيره. و قال الحسن: رجع بنو إسرائيل الى مصر بعد إهلاك فرعون و قومه.

و قوله «فَمَا تَبِعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» معناه تبعوا أثرهم وقت اشراق الشمس و ظهور ضوئها و صفائه. و قيل معناه مصبحين، و يقال: اتبع فلان فلاناً و تبعه إذا اقتفى اثره- لغتان-

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ص: ٢٦**

فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فُوْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَ أَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨) وَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ حفص «معى ربى» بفتح الياء، و كذلك فى جميع القرآن. الباكون بسكونها، فمن سكن ذهب الى التخفيف، و من فتح فعلى أصل الكلمة لان الاسم على حرف واحد، فقراءته- بالفتح- ان كان متصلاً بكلمة على حرفين. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧

و كان اصحاب موسى فزعوا من فرعون أن يلحقهم و حذروا موسى، فقالوا «إِنَّا لَمُدْرِكُونَ» فقال لهم موسى (ع)- ثقة بالله- «كلا»

ليس كما تقولون «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» وقرأ الأعرج «لمدركون» مفتعلون، من الإدراك وادغم التاء في الدال. قال الفراء: دركت ادراكاً و أدركت ادراكاً بمعنى واحد، مثل حفرت و أخفرت، بمعنى واحد، وقرأ حمزة وحده «تراء الجمعان» بالامالة. الباقون بالتفخيم على وزن (تراعى) لأنه تفاعل من الرؤية، و هو فعل ماضٍ موحد، و ليس مثنى، لأنه فعل متقدم على الاسم، و لو كان مثنى لقال تراءا و وقف حمزة «تراى» بكسر الراء ممدود قليلا لأن من شرطه ترك الهمزة في الوقف، فترك الهمزة التي آخر الألف، كأنه يريد لها، فلذلك مد قليلا. و وقف الكسائي «تراءى» اى بالامالة على وزن تراعى، و تنادى. الباقون وقفوا بألفين على الأصل. و كذلك جميع ما فى القرآن مثل «أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً» (١) و «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» (٢) كل ذلك يقفون بالمد بألفين. و حمزة يقف على الف واحدة. و إذا كانت الهمزة للتأنيث أسقطت الهمزة فى الوقف عند الجميع نحو (بيضاء) (٣)

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٣٥.

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢ و سورة ١٣ الرعد آية ١٩ و سورة ١٤ ابراهيم آية ٣٢ و سورة ١٦ النحل آية ٦٥ و سورة ٢٠ طه آية ٥٣ و سورة ٢٢ الحج آية ٦٣ و سورة ٣٥ فاطر آية ٢٧ و سورة ٣٩ الزمر آية ٢١.

(٣) سورة ٧ الاعراف آية ١٠٧ و سورة ٢٠ طه آية ٢٢ و سورة ٢٦ الشعراء آية ٣٣ و سورة ٢٧ النمل آية ١٢ و سورة ٢٨ القصص آية ٣٢ و سورة ٣٧ الصافات آية ٤٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨

و «إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ» (١) و «الأحلاء» (٢) فيشم الضمة فى موضع الرفع و لا يشم الفتحة فى موضع النصب.

اخبر الله تعالى انه (فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ) جمع فرعون و جمع موسى أى تقابلا- بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه. و يقال: تراءى نارهما أى تقابلا، و انما جاز تشبيه الجمع، لأنه يقع عليه صفة التوحيد، فتقول: هذا جمع واحد، و لا يجوز تشبيه مسلمين، لأنه لا يقع عليه صفة التوحيد، لأنه على خلاف صفة التوحيد.

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) أى لملحقون. فالادراك الإلحاق، و أدركته ببصرى إذا رأيت، و أدرك قتادة الحسن اى لحقه، و أدرك الزرع إذا لحق ببلوغه، و أدرك الغلام إذا بلغ، و أدركت القدر إذا نصجت، فقال لهم: موسى «كلا» ليس الامر على ذلك «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي» بنصره إياى «سَيَهْدِينِ» أى سيدلنى على طريق النجاة من فرعون و قومه كما وعدنى، لأن الأنبياء لا يخبرون بما لا دليل عليه من جهة العقل او السمع.

و قوله «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» اى أمرناه بضرب البحر بعصاه، و قيل: هو بحر فلزم الذى يسلك الناس فيه من اليمن و مكة الى مصر، و فيه حذف، لان تقديره فاضرب البحر «فانفلق» و قيل: انه صار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق «فَكَانَ كُلُّ فِزْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» فالطود الجبل، قال الأسود بن يعفر النهشلى: حلوا بانقرة يحيش عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد (٣)

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦٩ [.....]

(٢) سورة ٤٣ الزخرف آية ٦٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٠٧ و الطبرى ١٩/٤٦ و اللسان (نقر) و روايته

نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩

و قوله «وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخَرِينَ» قال ابن عباس و قتادة: معناه قربنا الى البحر فرعون، و منه قوله «وَأَرْزَلْنَا الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ» (١) أى قربت و

أذنت قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفاً فرلفاً

سمارة الهلال حتى احقوقفا «٢»

أى منزله يقرب من منزله، و منه قيل ليله المزدلفة. و قال ابو عبيدة:

معنى أزلفنا جمعنا، و ليله مزدلفة ليله جمع، و المعنى قربنا قوم فرعون الى البحر كما يسرنا لبني إسرائيل سلوك البحر و كان ذلك

سبب قربهم منهم حتى اقتحموه و قيل: معناه قربناهم الى المنية لمجىء وقت هلاكهم قال الشاعر:

و كل يوم مضى او ليله سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف «٣»

و أنجينا موسى و من معه يعنى بنى إسرائيل أنجيناهم جميعهم من الهلاك و الغرق «ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ» من فرعون و أصحابه. و قال

تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ» يعنى فى فلق البحر فرقا، و إنجاء موسى من البحر، و إغراق قوم فرعون، لدلالة واضحة على توحيد الله و صفاته

التي لا يشاركه فيها أحد.

ثم اخبر تعالى ان «أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» و لا يستدلون به بسوء اختيارهم كما يسبق فى علمه. فالآخر- بفتح الخاء- الثانى من اثنين قسيم

(احد) كقولك نجا الله أحدهما، و غرق الآخر، و الآخر- بكسر الخاء- هو الثانى قسيم الأول كقولك نجا الأول و هلك الآخر. و قيل:

معنى «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» ان الناس مع هذا البرهان الظاهر، و السلطان القاهر، بالأمر المعجز

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٩٠.

(٢) مر تخريجه فى ٧٩ / ٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٠٧ / ١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠

الذى لا يقدر عليه أحد غير الله، ما آمن أكثرهم، فلا تستنكر أيها المحق استنكار استيحاش من قعودهم عن الحق الذى تأتيمهم به، و

تدلهم عليه، فقد جروا على عادة أسلافهم، فى انكار الحق و قبول الباطل.

و قوله «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أى هو القادر الذى لا- يمكن معارضته فى أمره، و هو مع ذلك رحيم بخلقه. و فى ذلك غاية

الحث على طلب الخير من جهة الموصوف بهما. ثم قال لنبىه (ص) «وَأْتْلُ» يا محمد على قومك «نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ» أى خبره، حين «قَالَ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا الَّذِي تَعْبُدُونَ» من دون الله؟! يعنى أى شىء معبودكم على وجه الإنكار عليهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٣٠

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيْنَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَحَدَّثْنَا آبَاءَنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)

أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَ

إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)

تسع آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى ما أجاب به قوم ابراهيم حين قال لهم ابراهيم «ما تعبُدُونَ؟»

فإنهم «قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيْنَ» أى مقيمين مداومين على عبادتنا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١

يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، و اعتكف اعتكافاً. قال ابن عباس: معناه فنظل لها مصلين. و قيل: فى وجه دخول الشبهة عليهم فى

عبادة الأصنام أشياء:

أحدها- انهم اعتقدوا أنها تقربهم الى الله زلفى كما يتقرب بتقريب بساط الملك اليه.

و منها- أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحفظوا بتوجه العبادة الى هياكلها، كما يفعل بالهند.

و منها- ارتباط عبادة الله بصورة يرى منها.

و منها- انهم توهموا خاصية في عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية في حجر المغناطيس.

و الشبهة الكبرى العامة في ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، و لذلك «قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» و لم يحتجوا

بشيء سوى التقليد، الذى هو قبيح فى العقول. و العبادة خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم و بما

كان فى أعلى المراتب من الإنسان، فكل من عبد غير الله، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم الله، لان من حقه إخلاص العبادة له.

فقال لهم ابراهيم (ع) «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» هذه الأصنام التى تعبدونها إذا دعوتوها! أى هل يسمعون أصواتكم، لان أجسامهم لا تسمع

«أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ» بشيء من المنافع «أَوْ يَضُرُّونَ» بشيء من المضار!. و انما قال ذلك، لان من لا يملك النفع و الضر، لا تحسن عبادته،

لأنها ضرب من الشكر، و لا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، و من قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند

ذلك «وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» أحالوا على مجرد التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢

التقليد. فقال لهم ابراهيم منكرًا عليهم التقليد «أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ» من الأصنام «أَنْتُمْ» الآن «وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ» المتقدمون،

فالأقدم الموجود قبل غيره، و مثله الأول و الأسبق. و القدم وجود الشيء لا الى أول ثم قال ابراهيم «فإنهم» عدو لى يعنى الأصنام

جمعها جمع العقلاء، لما وصفها بالعداوة التى تكون من العقلاء، لان الأصنام كالعُدو فى الصورة بعبادتها، و يجوز أن يكون، لأنه كان

منهم من لا يعبد إلا الله مع عبادة الأصنام فغلب ما يعقل و لذلك استثناءه، فقال «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» لأنه استثناء من جميع المعبودين، و

على الوجه الأول يكون الاستثناء منقطعاً و تكون (إلا-) بمعنى لكن ثم وصف رب العالمين فقال: هو «الَّذِي خَلَقَنِي» و اخرجنى من

العدم الى الوجود «فَهُوَ يَهْدِينِ» لان هداية الخلق الى الرشاد أمر يجلب، فلا يكون إلا ممن خلق الخلق كأنه قيل من يهديك؟ و من يسد

خلتك بما يطعمك و يسقيك؟ و من إذا مرضت يشفيك؟ فقال- دالا بالمعلوم على المجهول «الَّذِي خَلَقَنِي، فَهُوَ يَهْدِينِ وَ الَّذِي هُوَ

يُطْعِمُنِي وَ يُشْقِيَنِي» بمعنى أنه يرزقنى ما يوصلنى الى ما فيه صلاحى «وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» بان يفعل ما يحفظ بدنى و يصح

جسمى و يرزقنى ما يوصلنى اليه.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٨١ الى ٨٩] ..... ص: ٣٢

وَ الَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ الْخَقِيئَةَ بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَ

اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)

وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣

تسع آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن ابراهيم (ع) أنه قال بعد قوله: إن الله الذى يشفيه إذا مرض «وَ الَّذِي يُمَيِّنُنِي» بعد أن كنت حياً «ثُمَّ يُحْيِينِ» أى

يحيى بعد أن أكون ميتاً يوم القيامة (وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أى يوم الجزاء و هذا انقطاع منه (ع) الى الله دون

أن يكون له خطيئة يحتاج ان تغفر له يوم القيامة، لان عندنا أن القبائح كلها لا تقع منهم (ع)، و عند المعتزلة الصغائر التى تقع منهم

محسبة، فليس شىء منها بمغفور يحتاج ان يغفر لهم يوم القيامة. و قيل: إن الطمع- هاهنا- بمعنى العلم دون الرجاء و كذلك فى قوله

(إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) «١» كما ان الظن يكون بمعنى العلم.

وقيل: ان ذلك خرج مخرج التلطف في الدعاء بذكر ما يتيقن انه كائن. كما انه إذا جاء العلم على المظاهرة في الحجاج و ذكر بالظن.

ثم حكى انه سأل الله تعالى فقال (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) و الحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة، فسأل ذلك ابراهيم، من حيث كان طريقاً للعلم بالأمور.

وقوله (وَ أَلْحِنِّي بِالصَّالِحِينَ) معناه افعل بي من اللطف ما يؤديني الى الصلاح. و الاجتماع مع النبيين في الثواب. و في ذلك دلالة على عظم شأن الصلاح و صلاح العبد هو الاستقامة على ما أمر الله به و دعا اليه. و قوله (وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) اي ثناء حسناً في آخر الأمم، فأجاب

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٥٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤

الله تعالى دعاءه، لان اليهود يقرون بنبوته، و كذلك النصارى، و اكثر الأمم.

وقيل: معنى «وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» أى اجعل من ولدى من يقوم بالحق، و يدعو الى الله، و هو محمد (ص) ثم سأله أن يجعله «مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» بأن يفعل معه من اللطاف ما يختار عنده الطاعات، لأن الجنة لا يثاب فيها إلا بالاستحقاق. ثم قال «وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» أى لا تفضحنى بذنوبى، و لا- تعيرنى يوم يحشر الخلائق. و (الخزى) الفضيحة و التعبير بالذنوب بما يردع النفس، يقال: خزى خزياً. و أخزاه الله إخزاء، و هذا موقف خزى.

و هذا الدعاء منه (ع) انقطاع منه الى الله تعالى، لأننا قد بينا أن القبائح لا تقع من الأنبياء على حال.

ثم وصف اليوم الذى يبعث فيه الخلائق بأنه «يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ» فيه «مَالٌ» فيفادى به الإنسان نفسه من العقاب «وَ لَا» ينفع «بُتُونٌ» ينصرونه «إِلَّا مَنْ أَتَى» أى و إنما ينفع من أتى «اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أى سليم من الفساد و المعاصى، إنما خص القلب بالسلامة، لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد، من حيث أن الفساد بالجراحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد فان اجتمع مع ذلك جهل، فقد عدم السلامة من جهتين، و قيل: سلامة القلب سلامة الجوارح، لأنه يكون خالياً من الإصرار على الذنب.

و حكى انه سأل الله تعالى أن يغفر لأبيه، و ذكر انه من الضالين، قالوا:

إنما سأل الله أن يغفر له يوم القيامة بشرط تقتضيه الحكمة. و هو أن يتوب قبل موته، فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه، و وصفه بأنه ضال يدل على أنه كافر، كفر جهل لا- كفر عناد. و قيل: انه إنما دعا لأبيه لموعده و عده بها، لأنه كان يطعمه سراً فى الايمان فوعده

بالاستغفار، فلما تبين انه كان عن نفاق تبرأ منه. و قال الحسن: عاب الله التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥

تعالى من فعل ابراهيم فى قوله «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» بعد قوله «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ»

و ليس الأمر على ما قاله. و نحن نبين الوجه فى هذه الآية إذا انتهينا إليها إن شاء الله. و عند أصحابنا ان أباه الذى استغفر له، كان جده لأمه، لان آباء النبي (ص) الى آدم كلهم مؤمنون موحدون- بأدله ليس هذا موضع ذكرها، و الدلالة عليها.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ٩٥] ..... ص: ٣٥**

وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَ بَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ (٩٣) فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ (٩٤)

وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

ست آيات.

معنى «وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّعِينَ» قربت لهم ليدخلوها «وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» أى أظهرت الجحيم للعاملين بالغواية و تركهم الرشاد، يقال: برز يبرز بروزاً، و أبرزه إبرازاً، و برزه تبريزاً، و بارزه مبارزةً، و تبارزا تبارزاً. و فى رؤية الإنسان آلات العذاب التى أعدت لهم عذاب عظيم، و ألم جسيم للقلب فبروز الجحيم للغاوين بهذه الصفة، و (الغاوى) العامل بما يوجب الخيبة من الثواب: غوى الرجل يغوى غياً و غوايه و أغواه غيره إغواءً، و استغواه استغواءً و أصله الخيبة قال الشاعر:

(١) سورة ٦٠ الممتحنة آية ٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائماً (١)

ثم اخبر أنه يقال لهم، يعنى للغاوين على وجه التوبيخ لهم و التقرير «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و إنما وبخوا بلفظ الاستفهام، لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، كقولك أينما كنت تعبد من دون الله؟! لا يخلصك من عقابه «هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ» و يدفعون عنكم العقاب فى هذا اليوم «أَوْ يَنْتَصِرُونَ» لكم إذا عوقبتم! فمن عبدها، فهو الغاوى فى عبادته، لا يملك رفع الضرر عن نفسه، و لا عن عابده مع أنه لاحق به. ثم قال «فَكَبِّبُوا فِيهَا» و معناه كبوا إلا انه ضوعف، كما قال «بِرِيحٍ صَارٍ» (٢) أى صر. و قيل: جمعوا بطرح بعضهم على بعض - عن ابن عباس - و قال مجاهد: هووا «هُمُ وَالْغَاوُونَ» أى و كب الغاؤون معهم، و كب معهم «جُنُودٌ إِبْلِيسَ» أى من اتبعه من ولده، و ولد آدم.

و قال ابو عبيدة (كبكبوا) معناه طرحوا فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة.

و قال المبرد: نكسوا فيها من قولهم: كبه الله لوجهه.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٦ الى ١٠٤] ..... ص: ٣٦**

قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠)

وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ إِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

(١) مر تخريجه فى ٢/ ٣١٢ و ٤/ ٣٩١ و ٥/ ٥٤٨ و ٦/ ٣٣٦.

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧

تسع آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار أنهم إذا حصلوا فى الجحيم «يَخْتَصِمُونَ» و الاختصام منازعة كل واحد منهم صاحبه بما فيه إنكار عليه و إغلاظ له: يقال: اختصما فى الامر اختصاماً، و تخاصما تخاصماً، و خاصمه مخاصمه، و يقول بعضهم لبعض «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» قال الزجاج: معناه ما كنا الا فى ضلال مبين. و قال غيره: اللام لام الابتداء التى تدخل فى خبر (ان) و (ان) هذه هى الخفيفة من الثقيلة، و يلزمها اللام فى خبرها، فرقاً بينها، و بين (ان) التى للجحد، و تقديره تالله ان كنا لفي ضلال مبين فى الحال التى سويناكم - يخاطبون كل معبود من دون الله - «بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» الذى خلق الخلق، فى توجيه العبادة إليكم. و التسوية إعطاء أحد الشيين مثل ما يعطى الآخر، و مثله المعادلة و الموازنة. و المراد - هاهنا - الشركة فى العبادة.



ثم قال (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) بأن دعونا الى الضلال فتبعناهم، و قبلنا منهم. ثم يقولون (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَٰدِقِي حَمِيمٍ) أى لو كان لنا شفيع لسأل فى أمرنا أو صديق لدفع عنا، فقد آيس الكفار من شافع، و انما يقولون ذلك إذا رأوا جماعة من فساق أهل الملة يشفع فيهم، و يسقط عنهم العقاب و يخرجون من النار، يتلهفون على مثل ذلك، و يتحسرون عليه. و الصديق هو صاحب الذى بصدق المودة و صدق المودة إخلاصها من شائب الفساد.

و (الحميم) القريب الذى يحمى بغضب صاحبه، و الحميم هو الحامى، و منه الحمى.

و أحمر الله ذلك من لقائه: أى أدناه، بمعنى جعله كالذى بلغ بنصحه إياه، و حم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨ كذا أى قدر.

ثم اخبر تعالى أنهم يتمنون فيقولون «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» أى رجعة الى دار التكليف «فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و انما جاز التمنى ب (لو)، لأنه للتقدير، كما أن التمنى ب (ليت) مثل ذلك لتقدير المعنى، إلا أن التقدير ب (لو) لموجب غيره و التقدير ب (ليت) للامتناع بالمقدر، و انما جاز جواب التمنى، لان المعنى متصور بالتمنى غير انه إذا كان بالفاء، فهو نصب، فلذلك نصب (فَنَكُونَ) لأن الفاء إذا صرفت عن العطف أضمر معها (ان) للاشعار بالصرف.

ثم قال تعالى «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً» أى ان فيما قصصناه، و ذكرناه لدلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يعتبرون بها، و لا يؤمنون بها، و أخبر «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و إنما جمع بين الصفتين: العزيز و الرحيم، ليرغب فى طلب ما عند الله أتم الترغيب من حيث هو عظيم الرحمة و واسع المقذور، منيع من معاجزة غيره. و قيل فى وجه اخبارهم بأنهم يكونون مؤمنين لو ردوا إلى دار التكليف قولان:

أحدهما- انهم يخبرون عن عزمهم، لان الله تعالى قد أخبر عنهم أنهم «لَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ» «١» و لا يجوز- ان يكونوا مع رفع التكليف و كمال عقولهم و حصول المعارف الضرورية- ان يكذبوا، لأنهم ملجئون الى ترك القبيح بأن يخلق الله فيهم العلم الضرورى، انهم لو راموا القبيح لمنعوا من ذلك، و لو لا ذلك لكانوا مغزين بالقبيح و ذلك لا يجوز. و الثانى- ان يكون ذلك القول منهم قبل دخولهم النار، و قيل ان يصيروا ملجئين. و الاول أقوى،

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١١٠] ..... ص: ٣٩

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٠٨) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١١٠)

ست آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبراً عن قوم نوح أنهم كذبوا الذين أرسلهم الله بالنبوة.

و انما كذبوهم جميعهم، لأنهم كذبوا كل من دعا الى توحيد الله، و خلع عبادة الأصنام ممن مضى من الرسل، و غيرهم ممن يأتى. و قال الحسن: لأنهم بتكذيبهم نوحاً مكذبون من جاء بعده من المرسلين. و لو لم يكن قبله نبي مرسل. و قال الجبائى: كذبوا من أرسل قبله. و انما قال «كذبت» بالتأنيث، و القوم مذكر لأنه بمعنى جماعة قوم نوح.

ثم بين انهم انما كذبوه حين «قَالَ لَهُمْ ... إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ» من قبل الله تعالى «أمين» على رسالته، و الأمين الذى يؤدى الأمانة و ضده

الخائن، وقد أدى نوح الأمانة في أداء الرسالة، و النصحية لهم، فلذلك وصفه الله بأنه (أمين).

و إنما سماه بأنه (أخوهم) لأنه كان منهم في النسب، و ذكر ذلك، لأنهم به آنس و الى إجابته أقرب فيما ينبغي أن يكونوا عليه، و هم قد صدفوا عنه «ألا تتقون» الله باجتناوب معاصيه منكرأ بهذا القول عليهم، و انما جاء الإنكار بحرف الاستفهام لأنهم لا جواب لهم عن ذلك إلا- بما فيه فضيحتهم، لأنهم: ان قالوا لا نتقى ما يؤدنا الى الهلاك هتكوا نفوسهم و خرجوا عن عداد العقلاء. و ان قالوا: بل نتقيه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠

لزمهم ترك عبادة الأصنام.

ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه و افعلوا طاعاته «وَ أَطِيعُوا» فيما أمركم به، و أدعوكم اليه. ثم قال لهم (وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على ما أدعوكم اليه. (من أجر) فيصرفكم ذلك عن الايمان، لأنه ليس أجرى، و ثوابى (إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) الذى خلق جميع الخلائق، ثم كرر عليهم قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا) لاختلاف المعنى فيه، لان التقدير، فاتقوا الله و اطيعونى لانى رسول أمين، و اتقوا الله و اطيعونى لانى لا أسألكم أجراً عليه فتخافون ثلم أموالكم. و الطاعة اجابة الداعى بموافقة ارادته مع كون الداعى فوقه، فالرتبة معتبرة.

#### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١١١ الى ١٢٢] ..... ص: ٤٠

قَالُوا أَوْ نُوْمُنْ لَكَ وَ أَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ (١١١) قَالَ وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥)  
قَالُوا لَيْتَ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَجِّنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانْجِنَا وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (١٢٠)  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

اثنتا عشرة آية بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١

قرأ يعقوب (و اتباعك) على الجمع. الباقون (و اتبعك) على الفعل الماضى قال الزجاج: من قرأ على الجمع فقراءته جيدة، لان الواو (واو) الحال، و اكثر ما يدخل على الأسماء. تقول جنتك و أصحابك بنو فلان، و قد يقولون: و صاحبك بنو فلان، و اكثر ما يستعملونه مع (قد) فى الفعل.

حكى الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم الى الله و خوفهم من معصيته: انصدقتك فيما تدعونا اليه و قد اتبعك الأردلون؟! يعنى السفلة و أوضاع الناس. و الرذل الوضع، و نقيض الرذيلة الفضيلة و جمعه الرذائل. و قيل: انهم نسبوهم الى صناعات دنيئة، كالحياكة و الحجامه. و انهم مع ذلك اهل نفاق و رذاله، فأنفوا من اتباعه لما اتبعوه هؤلاء، و لم يجز من نوح أن يقبل قول هؤلاء فيهم، لأنهم كفار يعادونهم، فلا تقبل شهادتهم. و يجوز أيضاً ان يكونوا لما آمنوا تابوا من قبيح ما عملوا، لأن الايمان يجب الخطايا، و يوجب الاقلاع عنها. و لم يجز استصلاح هؤلاء باقضاء من آمن، كما لا يجوز استصلاحهم بفعل الظلم، لان فى ذلك إذلالا للمؤمنين، و ذلك ظلم لهم، لا يجوز أن يفعل بأهل الايمان، لأنه قبيح.

و من قرأ- على الجمع- أراد ان الذين اتبعوك هم الأردلون.

و من قرأ على الفعل أراد: تبعك من هذه صفته.

فقال لهم نوح (ع): لم أطردهم «وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فيما مضى، لانى ما كلفت ذلك، و انما أمرت بأن ادعوه الى الله، و قد اجابونى اليه، و ليس حسابهم الا- على ربي الذى خلقنى و خلقهم لو علمتم ذلك و شعرتموه، و ليس أنا بطارد المؤمنين، لانى

لست الا نذيراً مخوفاً من معصية الله مبين لطاعته، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢



داع اليه.

و (الطرد) ابعاد الشيء على وجه التنفير، طرده يطرده، و اطرده جعله طريداً، و اطراد في الباب استمر في الذهاب كالطريد، و طارده مطاردة و طراداً.

فقال له قومه عند ذلك (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ) و ترجع عما تقوله، و تدعو اليه (يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بالحجارة، و قيل: من المرجومين بالشتم، فالرجم الرمي بالحجارة، و لا يقال للرمي بالقوس رجم، و يسمى المشتوم مرجوماً لأنه يرمى بما يذم به، و الانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي.

و أصل النهاية بلوغ الحد، و النهي الغدير، لانتهاء الماء اليه.

فقال نوح عند ذلك يا رب (إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ) و انما قال ذلك مع أن الله تعالى عالم بأنهم كذّبوه، لأنه كالعلة فيما جاء بعده، فكأنه قال (فَأَفْتِيحُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا) لأنهم كذبوني، إلا انه جاء بصيغة الخبر دون صيغة العلة. و إذا كان على معنى العلة حسن أن يأتي بما يعلمه المتكلم و المخاطب. و معنى (فَأَفْتِيحُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا) احكم بيننا بالفعل الذي فيه نجاتنا، و هلاك عدونا و عامل كل واحد منا بما يستحقه، يقال للحاكم: الفتح، لأنه يفتح وجه الأمر بالحكم الفصل، و يتقرر به الأمر على أداء الحق، فقال الله تعالى له مجيباً لدعائه (فَأَنْجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ) من المؤمنين (في الفلك) يعني السفن، يقال شحنه يشحنه فهو شاحن إذا ملأه بما يسد خلاءه، و شحن الثغر بالرجال. و منه الشحنة، قال الشاعر، في الفتح بمعنى الحكم:

ألا ابلغ بنى عصم رسولا فاني عن فتاحكم غنى «١»

و الفلك السفن يقع على الواحد و الجمع. ثم اخبر تعالى انه لما أنجى نوحاً

(١) مر تخريجه في ١/ ٣١٥، ٣٤٥ و ٤/ ٥٠٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣

و أصحابه أغرق الباقين من الكفار بعد ذلك، و اهلكهم.

ثم قال تعالى: إن فيما أخبرنا به من قصة نوح و إهلاك قومه لآية واضحة على توحيد الله، و إن كان أكثرهم لا يؤمنون، و لا يعتبرون به. و قيل: إن قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) في عدة مواضع ليس بتكرير و انما هو ذكر آية في قصة نوح، و ما كان من شأنه مع قومه بعد ذكر آية فيما كان من قصة ابراهيم و قومه، و ذكر قصة موسى و فرعون فيما مضى، فبين أنه إنما ذكر ذلك لما فيه من الآية الباهرة، و كرر (وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) لان المعنى انه (العزیز) في الانتقام من فرعون و قومه (الرحيم) في نجاة موسى و من معه من بنى إسرائيل، و ذكر- هاهنا- (العزیز) في إهلاك قوم نوح بالغرق الذي طبق الأرض (الرحيم) في إنجائه نوحاً و من معه في الفلك.

و العزيز القادر الذي تتعذر مما نعتة لعظم مقدراته، فصفه (عزیز) و إن رجعت الى معنى قادر، فمن هذا الوجه ترجع، و لا يوصف بالعزيز مطلقاً الا الله، لأنها تفيد معنى قادر، و لا يقدر أحد على ممانعته. و الله تعالى قادر أن يمنع كل قادر سواه. و معنى وصفه بانه عزيز مبالغة من ثلاثة أوجه: أحدها- لأنه بزنة (فعليل). و الثاني- انه لا يوصف به مطلقاً سواه. و الثالث- لما فيه من التعريف بالألف و الام.

قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ الى ١٣١] ..... ص: ٤٣

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٢٦) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

أَتَّبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٣١)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤

تسع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى عن عاد- وقيل: هم قبيلة- انهم كذبوا من أرسلهم الله حين قال لهم أخوهم هود. قال الحسن: كان أخاهم من النسب دون الدين (ألا تتقون) الله باجتنا ب معاصيه الى قوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ) وقد فسرنا نظائره.

وقوله «تَتَّبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً» فالبناء وضع ساف على ساف الى حيث ينتهى.

و الريح الارتفاع من الأرض، و جمعه أرياع و ريعه قال ذو الرمة:

طراق الخوافى مشرق فوق ريعه ندى ليلة فى ريشه يترقق «١»

و منه الريح فى الطعام، و هى الزيادة و النماء قال الأعشى:

و بهما قفر تجاوزتها إذا خب فى ريعها أألها

و فيه لغتان- فتح الراء، و كسرهما- بمعنى المكان المرتفع، قال الفراء فيه لغتان (ريع، و راع) مثل زير، و زار قال أبو عبيدة هو الطريق

بين الجبلين فى ارتفاع. و قيل: هو الفج الواسع، و قال قتادة: معناه بكل آية طريق أى علامة «تَعْبَثُونَ» تلعبون، فى قول ابن عباس. و قوله

«وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» قال المؤرج: لعلكم تخلصون: كأنكم تخلصون- بلغه قريش- و قال

(١) تفسير القرطبي ١٣/١٢٣ و الطبرى ١٩/٥٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥

الفراء: معناه كيما تخلصون. قال مجاهد: المصانع أراد بها حصوناً مشيدة. و قال قتادة: مأخذ للماء، و هو جمع مصنع، و يقال مصنعه لكل بناء. و قيل: إنهم كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالى، ليدلوا بذلك على أنفسهم، و زيادة قوتهم و ليفاخروا بذلك غيرهم

من الناس، و كانوا جاوزوا فى إيجاد المصانع إلى الأسواق فنهوا عن ذلك. و قال الزجاج: المصانع المباني «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» معناه تفعلون ذلك لكى تبقوا فيها مؤبدين «وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» فالبطش العسف قتلا بالسيف و ضرباً بالسوط- فى قول ابن عباس-

و الجبار العالى على غيره بعظم سلطانه، و هو فى صفة الله تعالى مدح، و فى صفة غيره ذم، فإذا قيل للعبد جبار فمعناه انه يتكلف الجبرية. و الجبار فى النحل ما فات اليد، و قال الحسن: بطش الجبرية هو المبارزة من غير ثبت و لا توقف، فذمهم الله بذلك، و نهاهم

هود فقال «فَاتَّقُوا اللَّهَ» باجتنا ب معاصيه «وَأَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أذعوكم اليه، و لم يكن هذا القول تكراراً من هود لأنه متعلق بغير ما تعلق به الأول، لانه الأول معناه، فاتقوا الله فى تكذيب الرسل، و اطيعوني فيما أذعوكم اليه من اخلاص عبادته، و الثانى فاتقوا الله فى ترك

معاصيه فى بطش الجبارين و عمل اللاهين و اطيعوني فى ذلك الأمر الذى دعوتكم اليه.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٣٢ الى ١٤٠] ..... ص: ٤٥**

وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنَ (١٣٣) وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦)

إِنَّ هَذَا إِلَّا الْخُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَ إِنَّ

رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦

تسع آيات بلا خلاف.

قرأ «خلق الأولين» - بفتح الخاء - ابن كثير و ابو عمرو و الكسائي و أبو جعفر. الباقون - بضم الخاء، و اللام - فمن قرأ - بفتح الخاء - أراد: ليس هذا إلا اختلاق الأولين - في قول ابن مسعود - و من ضم الخاء و اللام: أراد ليس هذا الاعادة الأولين، في أنهم كانوا يحيون و يموتون. و قال بعضهم: المعنى في «خُلِقَ الْأَوَّلِينَ» خلق أجسامهم، و أنكروا أن يكون المعنى إلا - كذب الأولين لأنهم يقولون «ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» (١). و ليس الامر على ما ظنه لأنهم قد سمعوا بالدعاء الى الدين، و كانوا عندهم كذابين، فلذلك قال «كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ» (٢) و قال «إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (٣) و انما قالوا «ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ» أى ما سمعنا أنهم صدقوا بشيء منه، أو ذكروا آية حق و صواب، بل قالوا باطل، و خطأ.

حكى الله تعالى عن هود أنه قال لقومه و اتقوا معاصي الله الذى أمدكم بالذى

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٤ و سورة ٢٨ القصص آية ٣٦.

(٢) آية ١٢٣ من هذه السورة. [.....]

(٣) سورة ٦ الانعام آية ٢٥ و سورة ٨ الانفال آية ٣١ و سورة ٢٣ المؤمنون آية ٨٤ و سورة ٢٧ النمل آية ٦٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧

تعلمون من انواع نعمه، فالامداد اتباع الثانى ما قبله شيئاً بعد شىء، على انتظام فهؤلاء أمدهم الله بالمال و بالبنيان، يعنى المذكور من الأولاد، و بالانعام من الإبل و البقر و الغنم، و البساتين التى فيها شجر تحتها عيون جارية فيها، فأتاهم رزقهم على إدرار. فالعيون ينباع ماء تخرج من باطن الأرض، ثم تجرى على ظاهرها و عين الماء مشبه بعين الحيوان فى استدارته و تردد الماء إلا انه جامد فى عيون الحيوان يتردد بالشعاع.

ثم قال لهم «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يعنى يوم القيامة، و العظيم هو الموصوف بالعظم، و فيه مبالغة مثل ما أعظمه لعظم ما فيه من الأهوال.

ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا له «سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ عَظَّتْ أُمٌّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» و إنما لم يقل سواء علينا أو عظت أم لم تعظ، ليتشاكل رؤس الآى، و معناه إنا لسنا نقبل منك ما تقول: سواء علينا وعظك و ارتفاعه و الوعظ حث بما فيه تليين القلب، للانقياد الى الحق، و الوعظ زجر عما لا يجوز فعله. و معنى «سواء» أى كل واحد من الأمرين مثل الآخر، حصول الوعظ و ارتفاعه.

ثم قالوا: ليس هذا الذى تدعوه «إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ» أى كذبهم، فيمن فتح الخاء. و الاعادة الأولين و خلقهم، و الخلق المصدر من قولك: خلق الله العباد خلقاً. و الخلق المخلوق من قولهم: يعلم هذا من خلق الناس. قال الفراء: يقولون هذه الأحاديث: خلق يعنون المختلقة. قال و القراءة بضم الخاء أحب إلى، لأنها تتضمن المعنيين. و الخلق الاختلاق، و هو افتعال الكذب على التقدير الذى يوهم الحق.

ثم أخبروا: إنا لسنا بمعذبين على خلاف ما تدعونا اليه، على ما تدعيه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨

«فَكَذَّبُوهُ» يعنى هوداً «فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» الى آخر القصة.

و قد فسرناه.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٤١ الى ١٥٠] ..... ص: ٤٨**

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (١٤٤) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

أَتْتَرُكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَ عَيْبُونَ (١٤٧) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعَتْ هَيْهْتُمْ (١٤٨) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ

(١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠)

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «فرهين» بغير الف. الباقون «فارهيين» بألف.

حكى الله تعالى عن قوم صالح، و هم (ثمود) أنهم كذبوا المرسلين، و لم يصدقوهم فيما دعوهم اليه من توحيد الله و خلع الأنداد و ترك عبادة الأصنام، حتى قال لهم أخوهم في النسب صالح، و هو النبي المبعوث اليهم «أَلَا تَتَّقُونَ» الله باجتنباب معصيته و ترك عبادة من سواه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» فالأمين هو الذى استودع الشىء على من أمن منه الخيانة، فالرسول بهذه الصفة، لأنه يؤدى الرسالة، كما حملها من غير تغيير لها، و لا زيادة، و لا نقصان. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩

ثم أمرهم فقال «فَاتَّقُوا» عقاب «الله» باجتنباب معاصيه «وَأَطِيعُوا» فيما أدعوكم اليه، و لست اسألكم على ما أدعوكم اليه اجراً فيصرفكم عن القبول لأنه ليس أجرى و ثوابى فى ذلك إلا على رب العالمين الذى خلق الخلق. ثم قال لهم يا قوم «أَتُتْرَكُونَ فى ما هَاهُنَا آمِنِينَ» منكرأ عليهم، فان ما هم فيه من النعم لا تبقى عليهم، و انها تزول عنهم و أن أمنهم سيؤول الى الخوف. و الامن سكون النفس الى السلامة، و هو نقيض الخوف. و قد يكون أمنأ مع العلم بالسلامة، و مع الظن القوى.

ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها، فقال أتم «فى جَنَاتٍ» و هى البساتين التى يسترها الشجر «وَأَعْيُونٍ» جاريه «وَزُرُوعٍ» و هو جمع زرع و هو نبات من الحب الذى يبذر فى الأرض: زرعه أى بذره فى الأرض كما يزرع البذر فالبذر المبدد فى الأرض على وجه مخصوص يسمى زرعاً «وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ» فالهضم اللطيف فى جسمه، و منه هضم الحشا أى لطيف الحشا، و منه هضمه حقه: إذا ما نقصه، لأنه لطف جسمه ينقصه، و منه هضم الطعام إذا لطف و استحال الى مشاكلة البدن. و قال ابن عباس: معنى «هضم» أى قد بلغ و ابع. و قال الضحاك: ضمير يزكون بعضه بعضاً. و قال عكرمة: هو الرطب اللين، و قال مجاهد: هو الذى إذا مس تفتت. و قال أبو عبيدة و الزجاج، و الفراء: هو المتداخل بعضه فى بعض.

و قوله «وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَارِهِينَ» قال ابن عباس: معناه حاذقين و قال ابن عباس ايضاً «فرهين» أشرين بطرين. و قال الضحاك: معناه عليين.

و قال ابن زيد: الفره القوى. و قيل: هو الفرح المرح، كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠

لا

أستكين إذا ما ازمه أزمته و لن ترانى بخير فاره اللب «١»

أى مرح اللب. و قيل: فاره و فره مثل حاذق و حذق، و الفاره النافذ فى الصنعة بين الفراهة كحاذق بين الحذق، و عبد فاره نافذ فى الأمور.

ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى ترك عبادته و الاشراك به و اجتنبوا معاصيه «وَأَطِيعُوا» فيما أدعوكم اليه

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥١ الى ١٥٩] ..... ص : ٥٠**

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

تسع آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى أن صالحاً قال لقومه «لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ» و هم الذين تجاوزوا الحد بالبعد من الحق. و قيل عنى بالمشرفين: تسعة

رھط من ثمود، كانوا

(١) اللسان (فره) و روايته (الطلب) بدل (اللب).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١

يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فنهاهم الله على لسان صالح عن اتباعهم.

وقال «الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» بان يفعلوا فيها المعاصي، و يرتكبوا القبائح «وَلَا يُصْلِحُونَ» أى لا يفعلون شيئاً من الافعال الحسنه. فقالوا له فى الجواب عن ذلك «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» و المسحر: هو الذى قد سحر مرة بعد مرة، حتى يختل عقله و يضطرب رأيه. و السحر حيلة توهم قلب الحقيقة، و قال مجاهد: معناه من المسحورين. و قال ابن عباس: من المخلوقين، لأنه يذهب الى انه يخترع على أمر يخفى كخفاء السحر. و قيل:

معناه انك ممن له سحر أى رثه، و منه قولهم انتفخ سحره قال لبيد:

فان تسلينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر «١»

أى المعلل بالطعام و الشراب، على أمر يخفى كخفاء السحر.

ثم قالوا له «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» أى ليس أنت إلا مخلوقاً مثلنا، فلن نتبعك و نقبل منك، و قالوا له «فَأْتِ بِآيَةٍ» أى معجزة تدل على صدقك «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى دعواك، فقال لهم «هَذِهِ نَاقَةٌ» و هى التى أخرجها الله من الصخرة عشراء ترعو على ما اقترحوا «لَهَا شِرْبٌ» أى حظ من الماء، قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة فى غصون ذات او قال «٢»

أى لم يمنع حظها من الماء و (الشرب) - بفتح الشين و ضمها و كسرهما - تكون مصداراً، على ما قاله الفراء و الزجاج، و كانوا سألوا أن يخرج لهم من

(١) مر تخريجه فى ١/ ٣٧٢ و ٦/ ٤٨٥.

(٢) السان (وقل) و روايته:

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت حمامة فى سحوق ذات أو قال.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢

الجيل ناقه عشراء فأخرجها الله حاملا كما سألوا، و وضعت بعد فصيلا، و كانت عظيمه الخلق جداً. ثم قال لهم صالح «وَلَا تَمْسُوها» يعنى الناقة «بِسُوءٍ» أى بضر تشعر به، فالسوء هو الضرر الذى يشعر به صاحبه، لأنه يسوء وقوعه، فإذا ضره من حيث لا يشعر به لم يكن قد ساءه، لكنه عرضه لما يسوؤه.

و قوله «فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ» معناه إن مسستم هذه بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم، أى الصيحة التى أخذتهم.

ثم اخبر فقال «فَعَقَّرُوها» أى انهم خالفوه و عقروا الناقة. فالعقر قطع الشيء من بدن الحى، فإذا كثر انتفت معه الحياة، و إن قل لم تنتف. و المراد - هاهنا - انهم نحروها. و قيل: انهم عقروها، لأنها كانت تضيق المرعى على مواشيههم. و قيل: كانت تضيق الماء عليهم، و لما عقروها رأوا آثار العذاب فيه جداً، و لم يتوبوا من كفرهم، و طلبوا صالحاً ليقتلوه، فنجاه الله و من معه من المؤمنين. ثم جاءتهم الصيحة بالعذاب، فوقع لجميعهم الإهلاك، و لو كانوا ندموا على الحقيقة، و اقلعوا عن الكفر، لما أهلكهم الله.

ثم قال تعالى إن فيما أخبرنا به و فعلناه بقوم صالح من إهلاكهم، لدلالة واضحة لمن اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يؤمنون «وَإِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى العزيز فى انتقامه «الرَّحِيمُ» بمن آمن من خلقه به.

## قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥] ..... ص: ٥٢

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (١٦٣) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِيَّاهُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)  
 أَ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِيَلَّيَنَّكُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)  
 فَنجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِيَّاهُ عَجَزْنَا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ (١٧٢) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ (١٧٣)  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤)  
 وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣

ست عشرة آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن قوم لوط أنهم كذبوا الرسل الذين بعثهم الله، بترك الاشراك به و إخلاص العبادة له، حين «قال لهم أخوهم لوط أَلَا تَتَّقُونَ» الله فتجنبوا معاصيه و الاشراك به، و انه قال لهم «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» و قد فسرناه. و اخباره عن نفسه بأنه رسول أمين مدح له، و ذلك جائز في الرسول كما يجوز أن يخبر عن نفسه بأنه رسول الله، و انما جاز أن يخبر بذلك لقيام الدلالة على عصمته من القبائح. و غيره لا يجوز أن يخبر بذلك عن نفسه لجواز التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤ الخطأ عليه.

و اخبر ايضاً انه قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و أدعوكم اليه و لست أسألكم على ما أوذيه إليكم و أدعوكم اليه، أجراً، و لا ثواباً، لأنه ليس أجرى إلا على الله الذي خلق العالمين، و انما حكى الله تعالى دعوة الأنبياء بصيغته واحدة، و لفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذي يأتي به الرسل، و يدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى و اجتناب معاصيه و اخلاص عبادته، و طاعة رسله، و أن أنبياء الله لا يكونون إلا أمناء لله، و انه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجر على رسالته، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم، و المصير اليه الى تصديقهم. ثم قال لهم منكرأ عليهم «أ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ؟!» يعنى من جملة الخلائق «وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» أى و تتركون ما خلقه لكم من الأزواج و النساء، و تذرُونَ استغنى في ماضيه ب (ترك) و لا يستعمل إلا في ضرورة الشعر. و الزوجة المرأة التى وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح، يقال: زوجة و زوج، قال الله تعالى «اشْكُرْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» (١).

ثم قال لهم منكرأ عليهم «يَلَّيَنَّكُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» أى خارجون عن الحق بعيدون عنه. و العادى و الظالم و الجائر نظائر، و العادى من العدوان.

وقد يكون من العدو، و هو الاسراع فى السعى، فقال له قومه فى جوابه «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ» و ترجع عما تقوله «يا لوط» و تدعونا اليه و تنهانا عنه «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» أى نخرجك من بيننا و عن بلدنا. فقال لهم لوط عند ذلك «إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ» يعنى من المبغضين: قلاه يقليه إذا أبغضه.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥

ثم دعا لوط ربه فقال «رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ» أى من عاقبه ما يعملونه، و هو العذاب النازل لهم فأجاب الله دعاءه و قال



«فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى من العذاب الذى وقع بهم. وقد يجوز أن يكون أراد النجاة من نفس عملهم، بأن يفعل لهم من اللطف ما يجتنبون مثل أفعالهم، وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك. واستثنى من جملة أهله الذين نجاهم «عجوزاً» فانه أهلكها. وقيل: انها كانت امرأة لوط تدل قومه على أضيافه «فى الغابرين» يعنى الباقين. فيمن هلك من قوم لوط، لأنه قيل: هلكت هى فيما بعد مع من خرج عن القرية بما أمطر الله عليهم من الحجارة. وقيل أهلكوا بالخسف، وقيل بالانتفاك وهو الانقلاب. ثم أمطر على من كان غائباً منهم عن القرية من السماء حجارة قال الشاعر فى الغابر:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الاله ما مضى و ما غبر «١»

وقال الشاعر:

لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدري من الناتج «٢»

فأغبارها بقيه لبها فى اخلافها، والغابر الباقي فى قله، كالتراب الذى يذهب بالكنس، و يبقى غباره: غبر يغبر، فهو غابر، و غبر الجص بقيته. و غبر من الغبار تغييراً، و تغبر تغبراً. و العجوز المرأة التى قد أعجزها الكبر عن أمور كثيرة، و مثله الكبيرة و المسنة. و قوله «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ» فالتدمير هو الإهلاك بأحوال الأمور، دمره تدميراً، و مثله تبره تبييراً، و دمر عليه يدمر دماً إذا هجم عليه بالمكروه

(١) مر تخريجه فى ٣٤٤ / ٦ و ١٧٥ / ٧

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ١٣٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦

و الدامر الهالك.

وقوله «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا» فالامطار الإتيان بالقطر العام من السماء، و شبه به امطار الحجارة، و الإهلاك بالامطار عقاب اتى الذكران من العالمين «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» سماه (سوء) و إن كان حسناً، لأنه كان فيه هلاك القوم ثم قال «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى دلالة «وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و قد فسرناه.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ الى ١٩١] ..... ص : ٥٦**

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٧٩) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْقِيمًا (١٨٢) وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأُولَى (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)

وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نُنْظِقُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠)

وَ إِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧

ست عشرة آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» على انه اسم المدينة معرفة لا ينصرف. قال ابو على الفارسي: الأجود أن يكون ذلك على تخفيف الهمزة، مثل لحم و نصبه يضعف، لأنه يكون نصب حرف الاعراب فى موضع الجر، مع لام التعريف، و ذلك لا يجوز.

و حجة من قرأ بذلك أنه في المصحف بلا ألف. و قالوا هو اسم المدينة بعينها. الباقون «أصحاب الأيكة» بالألف و اللام مطلقاً مضافاً. و مثله الخلاف في ص. و قرأ أبو حفص «كسفاً» بفتح السين - هاهنا - و في (سبأ). الباقون بإسكانها. حكى الله تعالى أن قوم شعيب، و هم أصحاب الأيكة كذبوا المرسلين في دعائهم الى خلع الأنداد و إخلاص العبادة لله. و الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف. و جمعه الأيكة، قال النابغة الذبياني:

تجلو بقادمتي حمامة أيكه برداً أسف لشاته بالإثم «١»

و قال ابن عباس و ابن زيد: اصحاب الأيكة هم أهل مدين. و انما قال «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» و لم يقل أخوهم كما قال في سائر من تقدم من الأنبياء لأنه لم يكن منهم في النسب، و سائر من تقدم كانوا منهم في النسب، إلا موسى

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨

فانه كان من بنى إسرائيل، و كانوا هم قبطاً و لم يسمه الله بأنه أخوهم. ثم حكى عن شعيب انه قال لقومه مثل ما قاله سائر الأنبياء و قد فسرناه.

ثم قال لهم «أَوْفُوا الْكَيْلَ» أى اعطوا الواجب و افيأ غير ناقص و يدخل الوفاء فى الكيل و الذرع و العدد، يقال: أوفى يوفى إيفاء و وفاء. و نهاهم أن يكونوا من المخسرين، فالمخسر المعرض للخسران فى رأس المال بالنقصان أخسر يخسر إخساراً إذا جعله يخسر فى ماله، و خسر هو يخسر خسراناً و اخسره نقيض أربحه. و أمرهم أن يزنوا بالقسطاس المستقيم، فالوزن وضع شى بإزاء المعيار، لما يظهر منزلته منه فى ثقل المقدار إما بالزيادة أو النقصان او التساوى. و القسطاس العدل فى التقويم على المقدار، و هو على وزن (قرطاط) و جمعه قساطيس. و قال الحسن: القسطاس القبان. و قال غيره هو الميزان. و قال قوم هو العدل و السواء. ذكره ابو عبيدة.

ثم قال لهم «وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» أى لا تنقصوها، «وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» قال قوم: لا تعثوا فيها بالمعاصى. و قال سعيد ابن المسيب: معناه لا تفسدوا فيها بعد إصلاحها. و قال ابو عبيدة: عثا يعثو عثواً و هو أشد الفساد بالخراب. و قال غيره: عثا يعثو عثواً، و عاث يعيث عيثاً.

ثم قال لهم «وَأَتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ» و أوجدكم بعد العدم «وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ» فالجبلة الخليفة التى طبع عليها الشىء - بكسر الجيم - و قيل أيضاً بضمها و يسقطون الهاء أيضاً فيخففون. و منه قوله «وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» «١» و قال ابو ذؤيب:

(١) سورة ٣٦ يس آية ٦٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٩

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهاراً و يستمتعن بالانس الجبل «١»

و معناه اتقوا خليفة الأولين فى عبادة غير الله و الاشراك معه، فهو عطف على (الذى) فيها، و لا يجوز أن يكون منصوباً ب «خلقكم» لأن الله تعالى لم يخلق كفرهم، و لا ضلالهم، و إن جعلته منصوباً ب «خلقكم» على أن يكون المعنى اتقوا الله الذى خلقكم و خلق الخلق الأولين، كان جائزاً، و أخلصوا العبادة لله. فقالوا فى الجواب له «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» و قد فسرناه.

«وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا» أى مخلوقاً من الناس مثلنا، و لست بملك حتى يكون لك فضل علينا. و البشر هو الإنسان، و الإنسان مشتق من الانس و وزنه (فعليان) و الأصل إنسيان غير أنه حذف منه الياء، فلما صغر رد الى أصله، فقيل: إنسيان. و البشر من البشرة الظاهرة. و المثل و الشبه واحد.

«وَإِنْ نَطُنُّكَ لِمَنْ الْكَاذِبِينَ» معناه إنا نحسبك كاذباً من جملة الكاذبين.



و (إن) هي المخففة من الثقيلة. و لذلك دخلت اللام في الخبر. ثم قالوا له: إن كنت صادقاً و محققاً في دعواك «فَأَسْرِقْ عَلَيْنَا كَسِيفاً مِّنَ السَّمَاءِ» أى قطعاً- في قول ابن عباس- و هو جمع كسفة، و مثله نمره و تمر، فقال لهم في الجواب عن ذلك «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» و معناه إنه إن كان في معلومه أنه: متى بقاكم انكم تتوبون أو يتوب تائب منكم، لم يفتنعكم بالعذاب، و إن كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم، فسيأتيكم عذاب الاستئصال.

ثم قال تعالى «فكذبوه» يعنى قوم شعيب كذبوا شعيباً، فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة، و هى سحابة رفعت لهم، فلما خرجوا اليها طلبا لبردها من شدة ما أصابهم من الحر مطرت عليهم ناراً فأحرقتهم، فهؤلاء أصحاب الظلة، و هم

(١) تفسير الطبرى ١٩ / ٦٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٠

غير أهل مدين- في قول قتادة- قال: أرسل شعيب الى أمّتين.

«إِنَّ فِي ذَلِكِ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و قد فسرناه و إنما كرر، «وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» للبيان عن انه رحيم بخلقه عزيز في انتقامه من الكفار.

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٩٢ الى ٢٠٧] ..... ص : ٦٠

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى (١٩٦)

أ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَ فِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (٢٠٧)

عشرة آية بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦١

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة الا حفصاً و يعقوب «نزل» به بتشديد الزاى و فتحها (الروح الأمين) بالنصب فيهما، الباقون بالتخفيف و الرفع فيهما.

و قرأ ابن عامر (أ و لم تكن) بالتاء (آية) بالرفع. الباقون بالياء و نصب (آية) من شدد الزاى، فلقوله «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (١) «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و من خفف، فلان التنزيل فعل الله، و هذا فعل جبرائيل، يقال: نزل الله جبرائيل، و نزل جبرائيل. فاما قوله «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا» بالتشديد، فلاجل حذف الباء، لأنك تقول نزلت به و أنزلته. و من شدد فانه أضاف الفعل الى الله.

و من خفف أضاف الفعل الى جبرائيل (ع) و من قرأ (أو لم تكن) بالتاء و رفع (آية) جعلها اسم (كان) و خبره (أن يعلمه) لأن (ان) مع الفعل بمنزلة المصدر، و تقديره: أو لم تكن لهم آية معجزة و دلالة ظاهرة علم بنى إسرائيل بمحمد فى الكتب. يعنى كتب الأنبياء (ع) قبله أنه نبي، و أن هذا القرآن من عند الله، لكنه لما جاءهم ما عرفوه على بصيرة كفروا به. و من قرأ بالياء و نصب (آية) جعلها خبر (كان) و اسمه (أن يعلمه) و هو الأقوى فى العريية، لان (آية) نكرة، و (أن يعلمه) معرفة، و إذا اجتمعت معرفة و نكرة اختير أن يكون المعرفة اسم (كان) و النكرة خبرها، و سبويه لا يجيز غير ذلك إلا فى ضرورة الشعر كقول حسان:

كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها غسل و ماء «٢»  
من بيت رأس معناه من بيت رئيس، فسمى السيد رأساً، قال عمرو ابن كلثوم.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩٧.

(٢) اللسان (رأس).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٢

برأس من بنى جشم بن عمرو «١»

و بيت رأس بيت بالشام، تتخذ فيه الخمر. و الهاء في قوله «نزله ... و انه لتنزيل» كناية عن القرآن في قول قتادة. وصفه الله تعالى أنه تنزيل من رب العالمين الذي خلق الخلائق. و وصفه بأنه تنزيل من رب العالمين، تشریف له و تعظيم لشأنه. ثم قال «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» من خفف أسند الفعل الى جبرائيل، و لذلك رفعه. و من ثقل أسنده الى الله تعالى، و نصب (الرُّوحُ الْأَمِينُ) على انه مفعول به. و الروح الأمين جبرائيل (ع). و انما قال (عَلَى قَلْبِكَ) لأنه بقلبه يحفظه فكأنه المنزل عليه. و (الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبرائيل (ع) في قول ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جريج.

و وصف بأنه (روح) من ثلاثة وجوه:

أحدها- انه تحيا به الأرواح بما ينزل من البركات.

الثاني- لان جسمه روحاني.

الثالث- ان الحياة عليه أغلب، فكأنه روح كله.

و قوله (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) أى انزل هذا القرآن على قلبك لتخوف به الناس و تنذرهم. ثم عاد الى وصفه فقال (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) و معناه إن ذكر القرآن فى كتب الأولين على وجه البشارة به، لا لأن الله أنزله على غير محمد (ص). و واحد (الزبر) زبور، و هى الكتب، تقول: زبرت الكتاب أزره زبراً إذا كتبه. و أصله الجمع، و منه الزبرة الكتبة، لأنها مجتمعة.  
ثم قال تعالى (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ) أى دلالة فى علم بنى إسرائيل واضحة

(١) ملحق ديوان امرئ القيس اخبار عمرو بن كلثوم: ٢٢٦ و روايته:

برأس من بنى جشم بن بكر ندق به السهولة و الحزونا.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٣

على صحة أمره. و من حيث أن مجيئه على ما تقدمت البشارة به بجميع أوصافه لا يكون إلا من جهة علام الغيوب. و قيل: من علماء بنى إسرائيل عبد الله ابن سلام- فى قول ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد- ثم قال «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ» يعنى القرآن «عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» قيل: معناه على أعجم من البهائم أو غيره ما آمنوا به- ذكره عبد الله بن مطيع- و قيل: معناه «لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى رَجُلٍ أَعْجَمِ اللِّسَانِ مَا آمَنُوا» به و لتكبروا عليه، لأنه من غيرهم، و أن المعجزة تفارقه، و فى ذلك تسلية للنبي (ص) حين لم يؤمنوا به، و لم يقبلوا منه. و نقيض الأعجم الفصيح، و الأعجم الذى يمتنع لسانه من العربية. و العجمى نقيض العربى، و هو نسبة الولادة، قال الشاعر:

من وائل لا حى يعدلهم من سوقه عرب و لا عجم «١»

و إذا قيل أعجمى، فهو منسوب الى أنه من الأعجمين الذين لا يفصحون كما قال العجاج:

و الدهر بالإنسان دوارى «٢»

فنسبه الى أنه من الدوارين بالإنسان.

وقوله «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» فالهاء كناية عن القرآن.

ومعناه أقررناه في قلوبهم باخطاره ببالهم لتقوم به الحجة عليهم، ولله لطف يوصل به المعنى في الدليل الى القلب، فمن فكر فيه أدرك الحق به. و من أعرض عنه كان كمن عرف الحق و ترك العمل به في لزوم الحجة عليه. و الفرق بين من أدرك الحق لسلكه في القلب، و بين من أدرك الحق بالاضطرار اليه في القلب، أن الاضطرار اليه يوجد الثقة به، فيكون صاحبه عالماً به. و اما

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٦٤ [.....]

(٢) مر تخريجه في ٤ / ٣٧٧، ٥٠٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٤

بسلكه، فيكون مع الشك فيه.

و قال الحسن و ابن جريج، و ابن زيد: كذلك «سلكناه» أي الكفر.

و لا وجه لذلك، لأنه لم يجر ذكره، و لا حجة فيه و انما الحجة في القرآن و اخطاره بالبال، فهو أحسن في التأويل.

وقوله «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْمَلِيمَ» اخبار منه تعالى عن قوم من الكفار أنهم يموتون على كفرهم بأنهم لا- يؤمنون حتى يشاهدوا العذاب المؤلم، فيصيرون عند ذلك ملجئين الى الايمان، و معنى «حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ» أي حتى يشاهدوا أسبابه من نيران مؤججة لهم يساقون اليها، لا يردّهم عنها شيء. و يحتمل حتى يعلموه في حال حلوله بهم علم ملابسته لهم.

ثم قال تعالى «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» و معناه: إن العذاب الذي يتوقعونه و يستعجلونه يجيئهم فجأة. و البغته حصول الأمر العظيم الشأن من غير توقع بتقديم الأسباب، و قيل البتة الفجأة. و البادرة، بغته الأمر بيغته بغتاً و بغته قال الشاعر:

و اضع شيء حين يفجؤك البغت «١»

و أتاه الامر بغته نقيض أتاه عن تقدمه «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أي لا يعلمون و الشعور هو العلم بما يلطف، لطف الشعر.

ثم اخبر تعالى انه إذا جاءهم العذاب بغته قالوا «هَيْلٌ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أي مؤخرون، فقال الله تعالى «أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» على وجه التوبيخ لهم و الإنكار عليهم. ثم قال لبيبة (ص) «أَفَرَأَيْتَ» يا محمد «إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِتِّينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ» به من العذاب «مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ» معناه

(١) مر تخريجه في ٤ / ١٢٢، ٥٠٧ و ٦ / ٢٠٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٥

انه لم يغن عنهم ما كانوا يمتعون، لازديادهم من الآثام، و اكتسابهم من الاجرام، أي أي شيء يغني عنهم ما يمتعون به من النعم، لأنه فان كله، و الإغناء عن الشيء صرف المكروه عنه بما يكفي عن غيره. و الغنى به نقيض الغنى عنه، فالإغناء عنه الصرف عنه، و الإغناء به الصرف به، و الامتاع إحضار النفس ما فيه اللذة بإدراك الحاسة، يقال: أمتعه بالرياحين و الطيب، و أمتعه بالنزه و البساتين، و أمتعه بالمال و البنين، و أمتعه بالحديث الطريف الطريف.

**قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٠٨ الى ٢٢٠] ..... ص: ٦٥**

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذُكِرَىٰ وَ مَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ (٢١٢)

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

اثنتا عشرة آية في المكي والمدني الآخر، و ثلاث عشرة آية فيما عداه. عدوا التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٦ «الشياطين» و لم يعدها الأول.

يقول الله تعالى «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ» بالعذاب الذي أنزلناه عليهم فيما مضى من الأمم السالفة (الا) و كان (لَهَا مُنْذِرُونَ) يخوفونهم بالله و يحذرونهم معاصيه. و قوله «ذَكَرَى وَ مَا كُنَّا ظَالِمِينَ» معناه ذاك الذي قصصناه من إنزال العذاب بالأمم الخالية «ذَكَرَى» لكم تتعظون بها. ثم بين أن ذلك كان عدلاً، ليكون أشد في الزجر، و إن الله تعالى لم يكن ظالماً لاحد.

و موضع «ذَكَرَى» يجوز أن يكون نصباً بالإنذار، و يجوز أن يكون رفعاً بالاستئناف على ذلك (ذَكَرَى). و الذَكَرَى: هو إظهار المعنى للنفس تقول:

ذَكَرْتَهُ ذَكَرَى.

و بين ان ذلك ليس مما ينزل به الشياطين و يغوون به الخلق، بل هو وحى من الله تعالى. ثم بين انه ليس ينبغي للشياطين إنزال ذلك. و انهم لا يستطيعون على ذلك. و معنى ينبغي لك كذا يطلب منك فعله في مقتضى العقل، فتقول:

ينبغي لك أن تختار الحسن على القبيح، و لا ينبغي لك أن تختار القبيح على الحسن. و أصله من البغية التي هي الطلب، و قرا الحسن و «ما تنزلت به الشياطين» بالواو، ظناً منه أنه مثل (المسلمين). و هذا لحن بلا خلاف، لأنه جمع تكسير شيطان و شياطين. و الاستطاعة هي القدرة التي ينطاع بها الفعل للجارحة. ثم قال: «إِنَّهُمْ» يعنى الشياطين «عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ» و قيل: معناه إنهم عن استراق السمع من السماء لمعزولون. و قيل: عن سمع القرآن- في قول قتادة- لمعزولون معناه منحون. فالعزل تحية الشيء عن الموضع الى خلافه، و هو ان يزيله عن أمر الى نقيضه، كما قال الشاعر: التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٧

عزل الأمير بالأمير المبدل (١)

و انما لم ينبغ لهم ذاك لحراسة المعجزة عن أن تتموه بالباطل، لأن الله إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسة، حتى تصح الدلالة.

ثم نهى نبيه (ص) و المراد به المكلفين، فقال «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ» و تقديره انك إن دعوت معه إلهاً آخر كنت من المعذبين.

ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين قيل: انما خص في الذكر إنذار عشيرته الأقربين، لأنه يبدأ بهم، ثم الذين يلونهم، كما قال تعالى «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» (٢) لان ذلك هو الذى يقتضيه حسن التدبير: الترتيب. و يحتمل أن يكون أنذرهم بالافصاح عن قبيح ما هم عليه و عظم ما يؤدي اليه من غير تليين بالقول يقتضى تسهيل الأمر لما يدعو اليه مقارنة العشيرة، بأن من نزل بهم الاغلاظ في هذا الباب أذلهم. و قيل: ذكر عشيرتك الأقربين أى عرفهم إنك لا- تغنى عنهم من الله شيئاً إن عصوه. و قيل: انما خص عشيرته الأقربين لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم، و قد فعل (ص) ذلك. و القصة بذلك مشهورة فانه

روى أنه أمر (ص) علياً بأن يصنع طعاماً ثم دعا عليه بنى عبد مناف و أطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرنى على هذا الأمر يكن وزيرى و أخى و وصيى، فلم يجبه أحد إلا على (ع)

و القصة في ذلك معروفة.

ثم أمره (ص) بأن يخفض جناحه للمؤمنين الذين اتبعوه، و معناه ألن جانبك و تواضع لهم، و حسن أخلاقك معهم- ذكره ابن زيد- ثم قال «فَإِنْ عَصَوْكَ» يعنى أقاربك بعد إنذارك إياهم و خالفوك فيما تدعوهم اليه الى

(١) مر في ٩٧/٧، ٤٥٦

(٢) سورة ٩ التوبة آية ١٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٨

ما يكرهه الله، فقل لهم «إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ» أى من أعمالكم القبيحة و عبادتكم للأصنام. و البراءة المباحدة من النصره عند الحاجة، فإذا برىء من عملهم فقد تباعد من النصره لهم او الموالاة. ثم أمره أن يتوكل على العزيز الرحيم و معناه أن يفوض أمره الى من يدره. و التوكل على الله من الايمان، لأنه أمر به، و حث عليه «عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» يعنى القادر الذى لا يغالب، و لا يعاز الكبير الرحمة الواسع النعمة على خلقه «الَّذِي يَرَاكَ» يا محمد «حِينَ تَقُومُ وَ تَقْلُبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»

أى تصرفك فى المصلين بالركوع و السجود و القيام و القعود- فى قول ابن عباس و قتادة- و فى رواية أخرى عن ابن عباس: إن معناه إنه أخرجك من نبي الى نبي حين أخرجك نبياً. و قيل: معناه يراك حين تصلى وحدك، و حين تصلى فى جماعة. و قال قوم من أصحابنا: إنه أراد قلبه من آدم الى أبيه عبد الله فى ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله. و الرؤية- هاهنا- هى ادراك البصر، دون رؤية القلب، لان (رأيت) بمعنى علمت، لا يتعدى الى مفعول واحد، فهى من رؤية البصر، ثم قال «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى يسمع ما تتلو فى صلاتك، العليم بما تضمهر فيها فى قلبك. و قيل معنى «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» ليظهرك على كيد أعدائك الذين عصوك فيما أمرتهم به. و قرأ ابن عامر و نافع «فتوكل» بالفاء، لأنها فى مصاحف أهل المدينة و الشام كذلك. الباقرن بالواو، و كذلك هو فى مصاحفهم. و التوكل على الله: هو أن يقطع العبد جميع أماله من المخلوقين إلا منه تعالى، و يقطع رغبته من كل احد إلا اليه، فإذا كان كذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٦٩

### قوله تعالى: [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧] ..... ص: ٦٩

هَيْلٌ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

سبع آيات بلا خلاف.

لما اخبر الله تعالى أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين، و أنه وحى من الله تعالى على نبيه، نبه خلقه على من تنزل الشياطين عليه بقوله «هَيْلٌ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» أى كذاب أثيم، و قال مجاهد: الأفاك الكذاب. و معناه الكثير الكذب، و القلب للخبر من جهة الصدق الى الكذب، و أصله الانقلاب من المؤنكات و هى المنقلبات. و الانباء الاخبار بما فيه من الغيوب و عظم الشأن، و منه قولهم: لهذا الامر نبأ و منه اشتق وصف الرسول بأنه نبي بعظم شأن ما اتى به من الوحي من الله.

و الأثم الفاعل للقيح: أثم يأثم إثماً إذا ارتكب القبيح، و تأثم إذا ترك الإثم مثل تحوب إذا ترك الحوب، و أثمه تأثيماً إذا نسبه الى الإثم، ثم قال «يُلْقُونَ التَّبِيَانَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ٧٠»

السَّمْعِ

، أى يلقون ما يسمعون باستراق السمع الى كل أفاك أثيم- فى قول مجاهد- ثم اخبر تعالى أن أكثرهم كاذبون فيما يلقونه اليهم. وقوله «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» قال الحسن: هم الذين يسترقون السمع و يلقونه الى الكهنة، و قال إنما يأخذون أخباراً عن الوحي «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ» أى عن سمع الوحي. و قيل: ان الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون فى قصصهم و يقولون ما يخطر ببالهم.

و قوله «أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» أى هم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه فى كل واد يعن له، و ليس هذا من صفة من عليه السكينة و الوقار و من هو موصوف بالحلم و العقل. و المعنى أنهم يخوضون فى كل فن من الكلام و المعانى التى يعن لهم و يريدونه. و قال ابن عباس و قتادة:

معناه فى كل لغو يخوضون: يمدحون و يذمون، يعنون الباطل. و قال الجبائي:

معناه يصغون الى ما يلقيه الشيطان اليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم اليه من الكفر و الضلال. و قيل: انما صار الأغلب على الشعراء الغى باتباع الهوى، لان الذى يتلو الشعر- فى الأكثر- العشاق و لذلك يقبح التشبيب، مع أن الشاعر يمدح للصلة و يهجو على جهة الحمية فيدعوه ذلك الى الكذب، و وصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل و الرذائل.

و قرأ نافع «يتبعهم» بتخفيف التاء من تبعه إذا اقتفى أثره، يقال تبع فلاناً إذا سار فى أثره و اتبعه لحقه. الباقون: بالتشديد من الاتباع، و معناهما واحد.

و الآية قيل نزلت فى الشعراء الذين هجوا رسول الله (ص) و المؤمنين، و هى تتناول كل شاعر بكذب فى شعره- ذكره الفراء- و قيل:

انها نزلت فى ابن الزبعرى و أمثاله. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧١

ثم اخبر ان هؤلاء الشعراء يقولون و يحثون على أشياء لا- يفعلونها هم، و ينهون عن أشياء يرتكبونها، ثم استثنى من جملتهم الذين آمنوا منهم و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيراً، فاجتنبوا معاصيه، و انتصروا- لنفوسهم فى الدين- من الذين ظلموهم. و قيل: أراد الشعراء الذين ردوا على المشركين هجاءهم للمؤمنين، فانتصروا بذلك للنبي و المؤمنين، ثم هدد الظالمين، فقال «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أى أى منصرف ينصرفون اليه لأن منصرفهم الى النار، نعوذ بالله منها. و قيل أراد الذين ظلموا نفوسهم بقول الشعر الباطل من هجو النبي و المؤمنين، و من يكذب فى شعره.

و قوله «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» نصب (أى) ب (ينقلبون) و لا- يجوز أن ان يكون منصوباً ب (سيعلم)، لأن أبا لا يعمل فيها ما قبلها، لأن الاستفهام له صدر الكلام حتى يفصل من الخبر بذلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٣

## ٢٧-سورة النمل ..... ص: ٧٣

### إشارة

مكية بلا خلاف و هى خمس و تسعون آية حجازى و اربع و تسعون آية بصرى و شامى و ثلاث و تسعون آية فى عدد الكوفيين

[سورة النمل (٢٧): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

(٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤)  
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

قد بينا معنا الحروف التي في أوائل السور فيما تقدم بما لا نحتاج معه إلى إعادته، وقد بينا قول من قال إنها أسماء للسور. و قال قوم «طس» اسم من أسماء القرآن.

وقوله «تلك» إشارة إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن. وقيل ان «تلك» التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٤  
بمعنى (هذا) و آيات القرآن هي القرآن، و انما أضافها اليه، كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» (١). و القرآن و الكتاب معناهما واحد، و وصفه بالوصفين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة، و يظهر بالكتابة، و هو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعاً و ذلك يبطل قول من قال: ان كلام الله شيء واحد لا يتصرف بالقراءة و الكتابة.

و وصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا، و إذا وصفه بأنه بيان جرى مجرى وصفه له بالنطق بكذا في ظهور المعنى به للنفس. و البيان هو الدلالة التي تبين بها الأشياء. و المبين المظهر، و حكم القرآن الموعظة بما فيها من الترغيب و الترهيب و الحجة الداعية الى الحق الصارفة عن الباطل، و أحكام الشريعة التي فيها مكارم الأخلاق و محاسن الافعال، و المصلحة فيما يجب من حق النعمة لله تعالى ما يؤدي الى الثواب و يؤمن من العقاب، ثم وصفه بأنه «هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» و موضع «هدى» نصب على الحال، و تقديره هادياً و مبشراً، و يجوز أن يكون رفعاً على تقدير هو «هدى و بشرى للمؤمنين» و المعنى ان ما فيه من البيان و البرهان يهديهم الى الحق، و ما لهم في وجه كونه معجزاً الذي فيه من اللطف ما يؤديهم الى الثواب و يبشرهم بالجنة.

ثم وصف المؤمنين الذين بشرهم القرآن بأنهم «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» بحدودها و يداومون على أوقاتها و يخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم الى مستحقها، و هم مع ذلك يوقنون بالآخرة، و يصدقون بها. ثم وصف تعالى من خالف ذلك و لم يصدق بالآخرة، فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» قيل في معناه قولان:  
أحدهما- قال الحسن و الجبائي: زينا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها، فهم

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٥

يتحiron بالذهاب عنها.

الثاني- زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهاى «فَهُمْ يَعْمَهُونَ» عن هذا المعنى أى يتحiron بالذهاب عنها.

ثم اخبر تعالى ان من وصفه بذلك لهم «سُوءُ الْعَذَابِ» و وصفه بأنه سوء لما فيه من الألم و «هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ» لأنهم يخسرون الثواب و يحصل لهم بدلا منه العقاب فهو أخسر صفقة تكون.

**قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦ الى ١١] ..... ص: ٧٥**

وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠)  
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١)



ست آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «بشهاب قيس» منون غير مضاف جعلوا (قبساً) صفة للشهاب على تقدير منور. الباقون بالاضافة على تقدير (نار) التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٦

يقول الله تعالى مخاطباً لنبية محمد صلى الله عليه وآله «إِنَّكَ» يا محمد «لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» أى انك لتعطى لأن الملك يلقيه اليه من قبل الله تعالى، من عند حكيم بصير بالصواب من الخطاء فى تدبير الأمور بما يستحق به التعظيم. وقد يفيد (الحكيم) العامل بالصواب المحكم للأمر المتقن لها.

وعليم بمعنى عالم إلا أن فيه مبالغة. وقال الرماني هو مثل سامع و سميع، فوصفنا له بأنه عالم يفيد أن له معلوماً، كما أن وصفه بأنه سامع يفيد بأن له مسموعاً، و وصفه بأنه عالم يفيد أنه متى صح معلومه، فهو عليم به، كما أن (سميعاً) يفيد أنه متى وجد مسموع لا بد أن يكون سامعاً.

وقوله «إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ» قال الزجاج: العامل فى إذ (اذكر) و هو منصوب به. و قال غيره: هو منصوب ب (عليم) إذ قال انى آنتست ناراً.

فالإناس الاحساس بالشىء من جهة ما يؤنس آنتست كذا، أو نسه ايناساً و ما آنتست به، فقد أحسست به، مع سكون نفسك اليه «سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ» يعنى بمن يدل على الطريق و يهدينا اليه، لأنه كان قد ضل «أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» قيل: لأنهم كانوا قد أصابهم البرد، و كان شتاء فلذلك طلب ناراً. و الشهاب نور كالعمود من النار، و جمعه شهب. و قيل للكوكب الذى يمتد و ينقض شهاب، و جمعه شهب، و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهاباً، و القبس القطعة من النار قال الشاعر:

فى كفه صعده متقفه فيها سنان كشعله القبس «١»

و منه قيل اقتبس النار اقتباساً أى أخذ منها شعله، و اقتبس منه علماً أى أخذ منه نوراً يستضىء به كما يستضىء بالنار «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» معناه، لكى

(١) تفسير القرطبي ١٣/١٥٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٧

تصطلوا. و معناه لتدفئوا، و الاصطلاء التدفى بالنار، و صلى النار يصلى صلا إذا لزمها، فاصله اللزوم. و قيل الصلاة منه للزوم الدعاء فيها و المصلى الثانى بعد السابق للزومه صلوا السابق. و إنما قال لامراته «لَعَلِّي آتِيكُمْ» لأنه أقامها مقام الجماعة فى الانس بها و السكون اليها فى الامكنة الموحشة، و يجوز أن يكون على طريق الكناية على هذا التأويل.

وقوله «فَلَمَّا جَاءَهَا» معناه جاء النار «نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- بورك نور الله الذى فى النار، و حسن ذلك، لأنه ظهر لموسى بآياته و كلامه من النار. فى قول ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و الحسن.

الثانى- الملائكة الذين و كلهم الله بها على ما يقتضيه. «وَمَنْ حَوْلَهَا»- فى قول أبى على الجبائى- و لا خلاف أن الذين حولها هم الملائكة الذين و كلوا بها. و «سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وقوله «ان بورك» يحتمل أن يكون نصباً على نودى موسى بأن بورك.

و يحتمل الرفع على نودى البركة، و البركة ثبوت الخير النامى بالشىء. قال الفراء العرب تقول: بارك الله، و بورك فيك.

وقوله «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه ان الله قال لموسى ان الذى يكلمك هو الله العزيز القادر الذى لا يغالب، الحكيم فى أفعاله، المنزه من القبائح. قال الفراء: الهاء فى قوله «انه» عماد، و يسميها البصريون إضمار الشأن و القصة. ثم أراد أن يبين له دلالة يعلم بها



صحته النداء، فقال «وَأَلْتِي عَصَاكَ» من يدك، وفي الكلام حذف، وهو أنه القى عصاه و صارت حية «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ» و هي الحية الصغيرة مشتق من الاجتنان، وهو الاستتار، وقال التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٨

الفراء: هي حية بين الصغيرة والكبيرة، قال الراجز:

يرفعهن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جان و هاماً رجفاً «١»

و وصف العصا في هذا الموضع «كَأَنَّهَا جَيَانٌّ» وفي الشعراء بأنها ثعبان، و هي الحية الكبيرة، لأنها جمعت صفة الجان في اهتزازه و سرعته حركته مع انه ثعبان في عظمه، و لذلك هاله ف «وَلَّى مُدْبِرًا». و قيل انها أول شيء صارت جاناً ثم تدرجت الى ان صارت ثعباناً، و هم يشاهدونها، و ذلك أعظم في الاعجاز.

و قيل: ان الحالين مختلفان، لان الحال التي صارت فيها جاناً هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبياً، و الحال التي صارت ثعباناً هي الحال التي لقي فرعون فيها. فلا تنافي بينهما على حال.

و قوله «وَلَمْ يُعَقِّبْ» معناه و لم يرجع - في قول قتادة- و قال الجبائي معناه لم يرجع على عقبه. و المعاقبة ذهاب واحد و مجيء آخر على وجه المناوبة. و انما ولى منها موسى بالبشرية، لا انه شك في كونها معجزة له و لا يضره ذلك.

و قوله «يَا مُوسَى لَا تَخَفْ» نداء من الله تعالى لموسى و تسكين منه، و نهى له عن الخوف. و قال له انك مرسل و «لَا يَخَافُ لَمَدَى الْمُرْسَلُونَ» لأنهم لا يفعلون قبيحاً، و لا يخلون بواجب، فيخافون عقابه عليه، بل هم منزهون عن جميع ذلك.

و قوله «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ» صورته صورة الاستثناء، و هو منقطع عن الاول و تقديره لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح، ثم بدل حسناً بعد سوء، بأن تاب من القبيح، و فعل الحسن، فانه يغفر له. و قال قوم:

(١) تفسير الطبرى ٧٦/١٩ و روايته:

يرقلن بالليل إذا ما رجفا أعناق جان و هاماً رجفاً.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٧٩

هو استثناء متصل و أراد من فعل صغيرة من الأنبياء. فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً- ذكره الحسن- و هذا تأويل بعيد، لان صاحب الصغيرة لا خوف عليه أيضاً لوقوعها مكفرة. و الاستثناء وقع من المرسلين الذين لا يخافون، فالأول هو الصحيح.

و قوله «ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ» معناه ندم على ما فعله من القبيح، و تاب منه و عزم على أن لا يعود الى مثله في القبح، فان من تلك صورته، فان الله يغفر له و يستر عليه لأنه رحيم. و قيل: المعنى «لَا يَخَافُ لَمَدَى الْمُرْسَلُونَ» إنما الخوف على من سواهم «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ» قال الجبائي:

في الآية دلالة على انه يسمى الحسن حسناً قبل وجوده و بعد تقضيه، و كذلك القبيح، و هذا إنما يجوز على ضرب من المجاز، دون الحقيقة، لان كون الشيء حسناً او قبيحاً بقيد حدوثه على وجه لا يصح في حال عدمه، و انما سمي بذلك بتقدير أنه متى وجد كان ذلك، و قال قوم «إلا» بمعنى الواو، فكأنه قال اني لا يخاف لدى المرسلون، و لا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، فاني أغفر له.

**قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ١٢ الى ١٥] ..... ص: ٧٩**

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْفَنَتْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عَلَوْا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٠

أربع آيات بلا خلاف.

امر الله تعالى موسى (ع) أن يدخل يده في جيبه. وقيل: أراد كمه.

وقيل: ثيابه «تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يعني من غير برص. وقال المبرد:

السوء إذا اطلق يراد به البرص، وإذا وصل بشيء، فهو كلما يسوء، قال:

و تقديره كأن هاتين مع بقية الآيات تسع آيات. و التقدير ادخل يدك في جيبك فان ذلك مع إلقاء العصا، و ما بعد ذلك من

الآيات تسع آيات، كما يقال جاء فلان في جمع كثير، و هو احد ذلك الجمع. وقيل: إن معنى (في) من.

و قال ابن مسعود: اتى موسى فرعون و عليه جبة صوف. و قال مجاهد كان كمها الى بعض يده.

و قوله «الى فرعون» تقديره مرسلا الى فرعون و قومه فى تسع آيات.

و حذف كما قال الشاعر:

رأتني بخيلها فصدت مخافة و فى الخيل دوعاء الفؤاد فروق «١»

أى رأتني مقبلاً- بخيلها، ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه بأنهم «كأنوا قوماً فاسقين» و الآيات التسع التى كانت لموسى (ع): قلب

العصا حية. و اليد البيضاء. و الجراد. و القمل. و الضفادع، و الدم. و البحر و انفلاقه. و رفع الطور فوق رؤسهم. و انفجار الحجر اثنتا

عشرة عيناً. وقيل: بدل البحر

(١) تفسير الطبرى ٧٨ / ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨١

و الجبل الطوفان و الشمس. ذكره ابن زيد.

ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه أنه لما جاءتهم آيات الله و دلائله مبصرة.

وقيل فى معنى مبصرة قولان:

أحدهما- انها تبصر الصواب من الخطأ، يقال أبصرتة و بصرتة بمعنى واحد، كقولك أكفرتة و كفرته، و اكذبتة و كذبتة.

الثانى- مبصرة للحق من الباطل، فهى تهدى اليه كأنها تراه. قالوا عند ذلك إن هذه الآيات «سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر.

ثم قال «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظُلماً و عُلوّاً» و المعنى انهم عرفوها و علموها بقلوبهم، لكنهم جحدوا بها بألستهم طلباً للعلو

و التكبر، ففى ذلك دلالة على أنهم كانوا معاندين إذ جحدوا ما عرفوا. و قال الرمانى: لا تدل على ذلك، لان معرفتهم كانت بوقوعها

على الحقيقة. فأما الاستدلال على أنها من فعل الله و من قبله ليدل بها على صدق من أعطاها إياه فبعد العلم بوقوعها.

و قال ابو عبيدة: الباء زائدة، و المعنى و جحدوها، كما قال العجاج:

نضرب بالسيف و نرجو بالفرح «١»

وقيل انهم جحدوا ما دلت عليه من تصديق الرسول، كما تقول كذبت به أى بما جاء به.

ثم قال تعالى لنبىه محمد (ص) «فانظر» يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) لان الله أهلكتهم و غرقهم و دمر عليهم.

ثم اخبر تعالى بأنه اعطى داود و سليمان علماً من عنده، و انهما قالوا الحمد لله

(١) قد مر فى ١١٨ / ٧ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٢

الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، بأن جعلنا أنبياء و اختارنا من بين الخلائق. و العلم الذى اوتياه قيل: هو علم الأحكام. و قيل:

هو العلم بمنطق الطير، و كلام البهائم.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ١٦ الى ١٩] ..... ص: ٨٢

و وَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى أن سليمان ورث داود. و اختلفوا فيما ورث منه، فقال أصحابنا إنه ورث المال و العلم. و قال مخالفونا: انه ورث العلم، لقوله (ص) نحن معاشر الأنبياء لا نورث. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٣ و حقيقة الميراث هو انتقال تركه الماضى بموته الى الثانى من ذوى قرابته. و حقيقة ذلك فى الأعيان، فإذا قيل ذلك فى العلم كان مجازاً. و قولهم: العلماء ورثة الأنبياء

، لما قلنا. و الخبر المروى عن النبى (ص) خبر واحد، لا يجوز أن يخص به عموم القرآن و لا نسخه به.

و قال بعضهم: إن داود كان له تسعة عشر ولداً ذكوراً و ورثه سليمان خاصة، فدل على أنه إنما ورثه العلم و النبوة، فخير واحد لا يلتفت اليه.

و قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) أى فهمنا معانى منطقها و ما نفهم به بعضها عن بعض، قال المبرد: و العرب تسمى كل مبین عن نفسه ناطقاً و متكلماً قال رؤبة:

لو اننى أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل «١»

و قال الرماني (مَنْطِقَ الطَّيْرِ) صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة، بخلاف منطق الناس إذ هو صوت يتفاهمون به معانيهم على صيغ مختلفة، لذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، و لم تفهم هى عنا، لأن أفهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة، و لما جعل سليمان يفهم عنها، كان قد علم منطقها.

و قوله (وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) لفظه لفظ العموم، و المراد به الخصوص لأنه لم يؤت أشياء كثيرة. و قيل: المعنى (وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يطلبه طالب لحاجته اليه و انتفاعه به، و يحتمل أن يكون المراد (وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) علماً و تسخييراً فى كل ما يصلح أن يكون معلوماً لنا و مسخراً، غير ان مخرجه مخرج العموم أبلغ و أحسن.

ثم اخبر ان سليمان كان قد قال هذا القول: إن هذا لهو الفضل الظاهر. اعترافاً

(١) مقاييس اللغة (حكل) ٢/ ٩١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٤

بنعم الله عليه. و يحتمل أن يكون ذلك اخباراً من الله بأن ما ذكره هو الفضل الظاهر. و قيل: معناه و أعطينا من كل شىء من الخيرات. و قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ) أى جمع له من كل جهة جنوده «مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ» قال محمد بن كعب القرطبي: كان عسكره مائة فرسخ، خمسة و عشرون من الانس، و خمسة و عشرون من الجن، و خمسة و عشرون من الطير، و خمسة و عشرون من الوحش، و قوله (فَهُمْ يُوزَعُونَ) معناه قال ابن عباس: يمنع أولهم على آخرهم و قال ابن زيد: يساقون. و قال الحسن: معناه يتقدمون. و قول ابن

عباس أقوى، لأنه من قولهم: وزعه من الظلم إذا منعه من ذلك و كفه، قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبي و قلت أ لما أصح و الشيب وازع (١)

و يقولون لا بد للسلطان من وازعه أى يمنع الناس عنه، و قال الشاعر:

لم يزع الهوى إذ لم توات بلى و سلوت عن طلب العتاة (٢)

وقيل: معنى يوزعون يمنعون ان نزلوا عن مراتبهم بالجمع مرة، و بالتفريق أخرى، حتى يتقدموا فى مسيرهم. و الايزاع المنع من الذهاب، فإنما منع أول الجنود على آخرهم ليتلاحقوا، و لا- يتفرقوا، كما تقدم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك. و قوله «حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وادِ النَّمْلِ» معناه سار سليمان و جنوده حتى بلغوا واديا فيه النمل و «قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» قيل: كانت معرفة النمل بسليمان على طريق المعجزة الخارقة للعادة له (ع) على غيره. و هذا غير لازم لأنه لا يمتنع ان تعرف البهيمه هذا الضرب كما تعرف كثيراً مما فيه نفعها و ضررها فمن معرفة النملة انها تكسر الحبة بقطعتين لثلاث، الا الكربة فإنها تكسرها بأربع قطع، لأنها تنبت إذا

(١) الطبرى ١٩ / ٨٠ و القرطبي ١٣ / ١٦٨

(٢) تفسير الطبرى ١٩ / ٨٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٥

كسرت بقطعتين، فمن هداها الى هذا هو الذى يهديها الى ما يحطمها مما لا يحطمها.

وقيل: جعل لها منطق تفهم به المعانى، لأنه يفهم به المعانى كما تفهم به، كالفهم و بكما الفرح قال الشاعر:

عجبت لها أنى تكون غناؤها فصيحاً و لم تغفر بمنطقها فما (١)

وقيل: انه ظهر من النملة أمارات من الرجوع الى بيتها خوفاً من حطم جنود سليمان إياها، فاعلم به سليمان انها تحرزت، فعبّر عن ذلك بالقول مجازاً كما قال الشاعر:

امتلاء الحوض و قال قطنى مهلاً رويداً قد ملأت بطنى (٢)

و لم يكن هناك قول من الحوض. و يقولون: عيناك تشهد بسهرك، و يريدون بذلك أمارات السهر التى تظهر فى العين، و قوله «لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ» أى يكسركم بأن يطأكم عسكره «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون بوطئكم، فلما فهم سليمان هذا «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا. وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى الهمنى ما يمنع من ذهاب الشكر عنى بما أنعمت به على و على والدى، و وفقنى «أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» كالأنبياء و من يجرى مجراهم ممن يعمل الاعمال الصالحة و لا يرتكب شيئاً من القبائح. و قال ابن زيد: معنى فى عبادك مع عبادك.

**قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦] ..... ص: ٨٥**

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَ جَدُّهَا وَ قَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(٢٦)

(١) اللسان (غنا)

(٢) قد مر في ١ / ٤٣١. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٦  
سبع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «أو ليأتيني بسلطان مبين» بنونين الأولى مشددة مفتوحة و الثانية مكسورة. الباقون بنون واحدة مشددة مكسورة. وقرأ «مكث» عاصم وروح - بفتح الكاف - الباقون بضمها، و هما لغتان. وقرأ ابن كثير و أبو عمرو «من سبأ بنياً» غير مصروف. الباقون مصروفاً، منوناً.

من لم يصرفه فلأنه معرفة و مؤنث، لأنه قيل: ان (سبأ) حى من احياء اليمن. و قيل:

هو اسم أمهم. و قد قال الزجاج: (سبأ) مدينة تعرف بمأرب من اليمن، و بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صرفته فعلى البلد، و إذا لم تصرفه، فعلى المدينة. و قيل: من صرفه جعله اسماً للمكان، و من لم يصرفه جعله اسماً للبقعة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٧

قال جرير:

الواردون و تيم في ذوى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس «١»  
و قال آخر في ترك صرفه:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما «٢»

و قرأ الكسائي و ابو جعفر و رويس «ألا يا اسجدوا» بتخفيف (ألا).

الباقون «أَلَّا يَسْجُدُوا» مشددة. وجه قراءة الكسائي أنه جعل (ألا-) للتنبيه (يا) هؤلاء على حذف المنادى «اسجدوا» على الامر، قال الأخطل:

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر و إن كان حيانا عدى آخر الدهر «٣»

أى ألا يا هند. و قرأ ابن مسعود «هلا» و ذلك يقوى قراءة من قرأ بالتخفيف. و من قرأ بالتشديد فمعناه و زين لهم الشيطان ضلالتهم لثلا يسجدوا لله، و شاهد الأول قول الشاعر:

ألا اسلمى يا دارمى على البلى و لا زال منها لا بجرعائك القطر «٤»

و قال العجاج:

يا دار سلمى يا اسلمى ثم أسلمى عن سمس أو عن يمين سمس

أخبر الله سبحانه عن سليمان أنه «تَفَقَّدَ الطَّيْرَ، فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ» قيل كان سبب تفقده الهدد أنه احتاج إليه في سيره ليدله على الماء، لأنه يقال:

انه يرى الماء فى بطن الأرض. كما نراه فى القارورة- و ذكره ابن عباس- و قال وهب بن منية: كان تفقده إياه لا خلاله بنوبته، و قيل: كان سبب تفقده أن الطير كانت تظله من الشمس، فلما أخل الهدد بمكانه بان بطولع الشمس عليه

(١) مر تخريجه انظر ٦ / ٣٨٨

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ١٨١.

(٣) تفسير الطبري ١٩ / ٨٤

(٤) تفسير القرطبي ١٣ / ١٨٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٨

وقوله «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» معنى (أم) بل. وقيل: معناه أ تأخر عصياناً «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» لعذر و حاجة. ثم قال «لَأَعَذِّبَنَّ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» وهذا وعيد منه للهدهد أنه متى لم يأت سليمان بحجة ظاهرة في تأخره يفعل به أحد ما قاله، عقوبه له على عصيانه. قال ابن عباس ومجاهد وقادة والضحاك: تعذيب الهدهد نتف ريشه و طرحه في الشمس.

قوله «فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ» أى لبث غير بعيد، و فى ماضيه لغتان- فتح الكاف و ضمها- ثم جاء سليمان، فقال معتذراً عن تأخره، و إخلاله بموضعه «أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ» أى علمت ما لم تعلم، و علم الاحاطه هو أن يعلمه من جميع جهاته التى يمكن أن يعلم عليها تشبيهاً بالسور المحيط بما فيه. ثم قال له «وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ» يا سليمان يا نبي الله «بنياً» و (سبأ) مدينة أو قبيلة على ما بيناه.

و

روى عن النبي (ص) ان (سبأ) رجل واحد له عشرة من العرب فتيا من ستته و تشاءم أربعة، فالذين تشاءموا: لخم، و جذام، و غسان، و عاملة.

و الذين تيامنوا: كندة، و الأشعرون، و الأزدي، و مذحج، و حمير، و أنمار، و من الانمار خثعم و بجيلة.

وقوله «بَيْنَ يَمِينٍ» أى بخبر لا شك فيه، و انه يحتاج الى معرفته، لما فيه من الإصلاح لقوم قد تلاعب بهم الشيطان فى ذلك، فعذره عند ذلك سليمان [و قيل: عذر الهدهد بما أخبره بما يحبه لما فيه من الأجر و إصلاح الملك الذى وهبه الله «١» ثم شرح الخبر فقال «إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» و تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد و مع ذلك «أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أى

(١) ما بين القوسين كان فى المطبوعه متأخراً عن مكانه اسطراً.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٨٩

أعطيت كل شىء، لفظه لفظ العموم و المراد به المبالغة فى كثرة ما أوتيت من نعم الدنيا و سعة الملك. و قيل: انها أوتيت كل شىء يؤتى الملوكة، و العرش العظيم سرير كريم معمول من ذهب و قوائمه من لؤلؤ و جوهر- فى قول ابن عباس- ثم اخبر انه وجدها «و قَوْمَهَا يَسْتَجِدُّونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و أن الشيطان زين ذلك لهم فهم لا يهتدون الى سبيل الحق و التوحيد و اخلاص العبادة لله تعالى.

ثم قال الهدهد على وجه التوبيخ و التهجين لفعالهم «أَلَا يَسْتَجِدُّوْا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» و الخباء هو المخبوء، و هو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه. وضع المصدر موضع الصفة خبأته أخبأته خبأً. و ما يوجد الله و يخرج من العدم الى الوجود فهو بهذه المنزلة فخبء السماء الأمطار و الرياح، و خبء الأرض الأشجار و النبات «و يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» فمن قرأ بالتاء جعله للمخاطبين. و من قرأ بالياء فللغائبين. و الخباء و الخفاء نظائر، و قيل الخباء الغيب، و هو كل ما غاب عن الإدراك.

وقوله «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» دليل على أن المعارف ليست ضرورة، لأنه أراد لا يهتدون الى دين الله. و قال الجبائى: لم يكن الهدهد عارفاً بالله و إنما أخبر بذلك، كما يخبر مراهقوا صبياننا، لأنه لا تكليف عليهم و لا تكيف إلا على الملائكة و الجن و الانس، و هذا الذى ذكره خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذى حكاه الله عن الهدهد احتجاج عارف بالله و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، لأنه قال «وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْتَجِدُّونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و لا يجوز أن يفرق بين الحق فى السجود لله و بين الباطل الذى هو السجود للشمس، و ان أحدهما حسن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٠

و الآخر قبيح إلا من كان عارفاً بالله و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، و ذلك ينافى حال الصبيان، ثم نسب تزيين عملهم الى الشيطان، و هذا قول من عرفه و عرف ما يجوز عليه فى عدله، و أن القبيح لا يجوز عليه، ثم حكى أنه قال إن الشيطان صدهم عن السبيل: الحق

ياغوائهم، و انهم مع هذا الصد لا يهتدون الى الحق من توحيد الله و عدله.

وقال ابو عبد الله البصرى فى بعض المواضع: إن الهدهد كان رجلا من البشر اسمه هدهد، و لم يكن من الطير و هذا غلط لأن الله تعالى قال «و تفقد» يعنى سليمان تفقد «الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد» فكيف يحمل ذلك على انه اسم رجل؟! إن هذا من بعيد الأقوال. و قال الفراء: من قرأ «ألا» بالتخفيف، فهو موضع سجدوا، و من ثقل، فلا ينبغى أن يكون موضع سجدوا و قد يجوز السجود على مخالفة تزيين الشيطان. و معنى «و يعلم ما يخفون و ما يعلنون» أى ما يسرون فى نفوسهم، و ما يظهرونه. و قرأ الكسائى و حفص «ما تخفون و ما تغنون» بالتاء فيهما على الخطاب. الباقر بالباء على الخبر.

ثم اخبر فقال «الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم» الى هاهنا تمام حكاية ما قاله الهدهد. و (العرش) سرير الملك الذى عظمه الله و رفعه فوق السموات السبع و جعل الملائكة تحف به و ترفع أعمال العباد اليه، و تنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن، كما وصفه تعالى.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١] ..... ص : ٩٠

قَالَ سِنَّظُرُ أ صِدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩١

خمس آيات بلا خلاف.

لما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد فى تأخره بما قصه الله تعالى و ذكرناه قال عند ذلك «سِنَّظُرُ أ صِدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فى قولك الذى أخبرتنا به فأجازيك بحسب ذلك. و إنما لم يقل: أصدقت أم كذبت، و قال: أم كنت من الكاذبين، لأنه ألقى فى الخطاب، لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم و قد يكون منهم بالقراءة التى بينه و بينهم. و قد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا و مثل ذلك فى الخطاب و لینه قولهم: ليس الأمر على ما تقول، فهو ألىن من كذبت، لأنه قد يكون ليس كما تقول من جهة الغلط الذى لا يوصف بالصدق و لا بالكذب.

ثم أمر سليمان الهدهد بأن يذهب بكتابه الذى كتبه له و أشار اليه بقوله «هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» و قيل: فى الكلام تقديم و تأخير، و تقديره فالقه اليهم فانظر ما ذا يرجعون، ثم تولى عنهم، و هذا لا يحتاج اليه، لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب. و المعنى فالقه اليهم ثم تول عنهم قريباً منهم، فانظر ما ذا يرجعون- على ما قال وهب بن منبى و غيره- فإنهم قالوا معنى «تَوَلَّ عَنْهُمْ» استتر عنهم، و فى الكلام حذف، لان تقديره فمضى الهدهد بالكتاب. و ألقاه اليهم، فلما رأته قالت لقومها «يا أَيُّهَا الْمَلَأُ» و هم أشرف أصحابها «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ» و معنى كريم أنه حقيق بأن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٢

يوصل الخير العظيم من جهته، فلما رأت آثار ذلك فى كتاب سليمان وصفته بأنه كريم. و قيل: أرادت ب (كريم) انه من كريم طبيعه الانس و الجن و الطير.

و الهاء فى قوله «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ» كناية عن الكتاب، و الهاء فى قوله «و إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» كناية عما فى الكتاب. و قيل: إنه كان مختوماً، فلذلك وصفته بأنه كريم.

و قوله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» حكاية ما قالت على المعنى باللغة العربية، و إن كانت لم تقل هى بهذا اللفظ. و الحكاية على ثلاثة أوجه: حكاية على المعنى فقط، و حكاية على اللفظ فقط من غير أن يعلم معناه. و حكاية على اللفظ و المعنى و هو الأصل فى الحكاية التى لا- يجوز العدول عنها إلا بقريضة. و موضع «أَنْ لَا تَعْلَمُوا» يجوز أن يكون رفعاً بالبدل من (كتاب) و يحتمل النصب على معنى بأن لا- تعلموا، و العلو على الشىء طلب القهر له بما يكون به بحسب سلطانه «أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ» أى لا- تطلبوا تلك الحال، فإنكم لا



تتالونها منى، (وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ) يحتمل وجهين:

أحدهما- واتوني مؤمنين بالله ورسوله.

الثاني- مستسلمين لأمرى فيما أدعوكم اليه فاني لا أدعو إلا الى الحق.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٥] ..... ص: ٩٢

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)

بيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٣

خمس آيات حجازي و أربع فيما عداه. عد الحجازيون شديد رأس آية و لم يعده الباقون.

حكى الله تعالى ان المرأة لما وقفت على كتاب سليمان، و وصفته بأنه كتاب كبر، و عرفتهم ما فيه قالت لأشراف قومها (أفْتُونِي فِي أَمْرِي) اي أشيروا على و الفتيا هو الحكم بما هو صواب بدلا من الخطأ، و هو الحكم بما يعمل عليه كما يسأل العامي العالم ليعمل على ما يجيبه به، ثم قالت لهم لم أكن أقطع أمراً و لا أفصل حكماً دونكم و لا أعمل به (حَتَّى تَشْهَدُونِ) و تعابونه. و هذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم فيما يعمل عليه، فقالوا لها في الجواب عن ذلك انا (نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ) اي أصحاب قدرة و أصحاب بأس اي شجاعه شديدة (وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) ما الذى تأمرينا به لنمتثله، و هذا القول منهم فيه عرض القتال عليها إن أرادت، فقالت لهم في الجواب (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) فكونوا على حذر من ذلك (وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً) قيل بأن يستعبدهم، فقال الله تعالى تصديقا لهذا القول (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) قال ابن عباس: إنما يفعلون ذلك إذا دخلوها عنوة.

ثم حكى انها قالت (إِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) فأذنوا للأمر في ذلك لا- نظر ما عند القوم فيما يلتمسون من خير أو شر. و قيل إنها أرسلت بجوار و غلمان على زى واحد. فقالت ان ميز بينهم ورد الهدية و أبا إلا- المتابعة، فهو نبي و إن قبل الهدية فإنما هو من الملوك. و عندنا ما يرضيه- ذكره ابن عباس- التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٤

و قيل: انها أرسلت اليه بلبنة من ذهب فأمر سليمان أن تطرح بين أرجل الدواب و سراقينها استهانه بذلك.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص: ٩٤

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُبُودٍ لَّا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَ هُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و يعقوب «أ تمدونني» بنون واحدة مشددة على الإدغام و ياء ثابتة في الوصل و الوقف. الباقون بنونين.

اخبار الله تعالى إن الهدية التي أنفذت بها المرأة، لما وصلت اليه، قال لموصلها التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٥

«أ تمدونني بمال» و الامداد الحاق الثاني بالأول، و الثالث بالثاني الى حيث ينتهي. و المعنى لست أرغب في المال الذي تمدونني به، و إنما أرغب في الايمان الذي دعوتكم اليه و الإذعان بالطاعة لله و رسوله، ثم قال «فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ» بالتمكين من المال



الذى لى أضعافه و أضعاف أضعافه الى ما شئت منه. ثم قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» أى ما يهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة فى الدنيا و مكاثرة. و قيل بهديتكم التى اهديتموها إلى تفرحون.

و الهدية العطية على جهة الملاطفة من غير مثابة، تهدي هدية، لأنها تساق الى صاحبها على هداية، فالأصل الهداية و هى الدلالة على طريق الرشد. ثم حكى ما قال سليمان لرسولها الذى حمل الهدية «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» و قل لهم «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا» أى لا طاقة لهم بهم و لا يقدرين على مقاومتهم «وَلَنُخْرِجَنَّهمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ» فالذليل هو الناقص القوة فى نفسه بما لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه. و الصاغر هو الذليل الصغير القدر المهين، يدل على معنى التحقير بشيئين، و نقيض الذليل العزيز و جمعه أعزء، و جمع الذليل أذلة.

ثم حكى تعالى أن سليمان قال لاشراف عسكره و أمائله جنده «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» فاختلّفوا فى الوقت الذى قال سليمان «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا» فقال قوم قال ذاك حين جاءه الهدهد بالخبر، و هو الوقت الأول لأنه يبين به صدق الهدهد من كذبه، ثم كتب الكتاب بعد- فى قول ابن عباس- و قال وهب بن منية: انما قال ذلك بعد مجيء الرسل بالهدية.

و اختلفوا فى السبب الذى لأجله خص بالطلب فقيل لأنه أعجبه صفته فأحب أن يراه، و كان من ذهب و قوائمه مكلل من جوهر، على ما ذكره قتادة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٦

ابن زيد: لأنه أحب أن يعاينها و يختبر عقلها إذا رأته أتتبه أم تنكره. و قيل:

ليريها قدرة الله فى معجزه، يأتى بها فى عرشها.

و اختلفوا فى معنى «مسلمين» فقال ابن عباس: معناه طائعين مستسلمين و قال ابن جريج: هو من الإسلام الذى هو دين الله الذى أمر به عباده.

ثم حكى تعالى انه أجاب سليمان عفريت من الجن. و معنى عفريت ما رد قوى داهية، يقال: عفريت و عفريه، و يجمع عفاريت و عفارى. قال سيويه:

هو مأخوذ من العفر. و المعنى كل سديد فى مذهبه من الدهاء و النكاره و النجابه يقال: رجل عفريه نفريه على وزن (زبيئه) لواحد الزبانية.

و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» أى من مجلسك الذى تفضى فيه- فى قول قتادة- «وَإِنِّي عَلَيْهِ» يعنى على الإتيان به فى هذه المده «لَقَوْمٍ أَمِينٍ» و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: القدرة تتبع الفعل لأنه أخبر انه قوى عليه، و لم يجيء بعد بالعرش. و قال ابن عباس: «أمين» على فرج المرأة. فقل عند ذلك «الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» قال ابن عباس و قتادة: هو رجل من الانس، كان عنده علم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب. و قيل: يا إلهنا و إله كل شىء يا ذا الجلال و الإكرام، و قال الجبائى: الذى عنده علم من الكتاب سليمان (ع). و قال ذلك للعفريت ليريه نعمه الله عليه. و المشهور عند المفسرين هو الأول. و قد ذكر أن اسمه اصف بن برخيا.

و قيل: هو الخضر. و قال مجاهد: اسمه أسطوع. و قال قتادة: اسمه مليخا.

و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: إن ذلك على وجه المبالغة فى السرعة.

الثانى- قال قتادة: معناه قبل أن يرجع اليك ما يراه طرفك. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٧

قبل ان يرجع طرفك خاسئاً إذا فتحها و ادمت فتحها. و قيل: قبل أن تفتحها و تطبقها. و قيل: حمل العرش من مأرب الى الشام فى مقدار رجع البصر.

و قيل: شقت عنه الأرض فظهر. و قيل يجوز أن يكون الله أعدمه ثم أوجده فى الثانى بلا فصل بدعاء الذى عنده علم من الكتاب، و

كان مستجاب الدعوة إذا دعا باسم الله الأعظم. و يكون ذلك معجزة له. و قال قوم: كان ذلك معجزة لسلمان، و في الكلام حذف، لان تقديره «أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك» فأثابه به «فلما رآه» سليمان «مُشْتَقِرًا عِنْدَهُ قَالَ» معترفًا بنعم الله عليه «هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر أم أكفر» أى أ أشكر على نعمه أم أجددها.

ثم قال سليمان «و من شكر فإنا نكسر له» لأن ثواب ذلك يعود عليه و من جحد نعم الله فإنما يضر نفسه، لان عقاب ذلك يحل به «فإن الله غيبي» عن شكره و عن كل شيء. «كريم» فى انعامه على خلقه، و قرأ ابو عمرو و نافع و عاصم- فى رواية حفص- (فما أتانى الله)- بفتح الياء- فى الوصل. الباقون «فما آتان» بغير ياء فى الوصل.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٩٧

قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِئِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صِرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاسْتَلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٨

خمس آيات عند الكل ما عدا الكوفى، فإنها فى عدده ست آيات عد (قوارير) آية. و لم يعده الباقون.

حكى الله تعالى ان سليمان أمر ان ينكروا لها عرشها، و هو أن يغيره الى حال تنكره إذا رآته أراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل. و الجحد الإنكار: جحد العلم بصحة الشيء، و نقيضه الإقرار، و التنكير تغيير حال الشيء الى حال ينكرها صاحبها إذا رآها.

و قوله «نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ» بيان من سليمان ان الغرض بتنكير عرشها ننظر ا تهتدى بذلك أم تكون من الذين لا يهتدون الى طريق الرشده، فلما جاءت المرأة، قال لها سليمان «أ هَكَذَا عَرْشُكِ» فقالت فى الجواب كأنه هو، و لم تقطع عليه، لما رأت من تغير أحواله. فقال سليمان «وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا» قال مجاهد: هو من قول سليمان «وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» أى مؤمنين بالله مستسلمين له. و قال الجبائى: هو من كلام قوم سليمان (ع).

ثم اخبر تعالى فقال «وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و منعها التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٩٩

منه و تقديره و صددها سليمان عما كانت تعبد من دون الله، و منعها منه «إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ» بنعم الله عليهم عابدين مع الله غيره. و قال الفراء:

يجوز ان يكون المراد صددها عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله من الشمس انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس، فنشأت على ذلك. و كسر (انها) على الاستئناف، و لو نصب على معنى، لأنها جاز.

ثم حكى بأنه قيل لها دُخِلِي الصَّرْحَ

فالصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف، و منه قولهم: صرح بالأمر إذا افصح به، و لم يكن عنه.

و التصريح خلاف التعريض، و فلان يكذب صراحاً من هذا. لَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً

يعنى ان المرأة لما رأت الصرح ظنته لجة، و اللجة معظم الماء.

و منه لجاج البحر خلاف الساحل. و منه لَجَّ فى الأمر إذا بالغ بالدخول فيه كَشَفَتْ عَنْ سَاقِئِهَا

ظناً منها انها تريد ان تخوض الماء. و قيل: ان سليمان اجرى الماء تحت الصرح الذى هو كهيئة السطح. و قيل: الصرح صحن الدار

يقال صرحة الدار، و راحة الدار، و قاعة الدار، و قارعة الدار كله بمعنى صحن الدار. و قيل صرح القصر، قال الشاعر:

بهن نعام بناء الرجال تشبه اعلامهن الصروحا «١»

و قال ابو عبيدة: كل بناء من زجاج او صخر او غير ذلك موثق، فهو صرح، و منه «يا هامان ابن لي صرحاً» (٢) و قيل: انه أراد ان يختبر عقلها.  
و قيل: لأنهم كانوا قالوا: إن ساقها مثل ساق الحمار برجل حمار، لأنها من ولد بين الانس و الجن، لأنه قيل: ان الجن خافت ان يتزوج بها سليمان،

(١) تفسير القرطبي ٢٠٩ / ١٣ و الطبري ٢٠ / ٤١

(٢) سورة ٤٠ المؤمن آية ٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٠

فقالوا ذلك لينفروا عنها، فلما امتحن ذلك وجده على خلاف ما قيل فيه.

و قيل: انه كان قيل: ان على ساقها شعراً، فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك و استشار الجن في ذلك، فعملوا له النورة و الزرنبخ. و قيل: انه أول من اتخذ له ذلك. و قيل: انما فعل ذلك ليربها عظيم آيات الله لتسلم و تهتدى الى دين الله.

ثم قال لهائه صرّح ممرّد من قوارير»

فالمرد المملس، و منه الأورد.

و شجرة مرداء ملساء لا ورق عليها، و المارد الخارج عن الحق المملس منه.

فقلت عند ذلك يا ربّني ظلمت نفسي»

بما ارتكب من المعاصي بعبادة غيرك أسلمت»

الآن سألنا لله رب العالمين»

الذي خلق الخلق.

و قيل: انها لما أسلمت تزوجها سليمان (ع).

ثم اخبر تعالى انه أرسل «إلى ثمود أخاهم صالحاً» يعني في النسب، لأنه كان منهم «أن اعبدوا الله» موضع (ان) نصب، و تقديره أرسلنا بأن اعبدوا الله، وحده لا شريك له (فإذا هم فريقان يختصمون) يعني منهم مؤمن بصالح و منهم كافر به، في قول مجاهد.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص: ١٠٠

قال يا قوم لم تتعجلون بالسيئة قبل الحسنة لو لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون (٤٦) قالوا اطيّرنا بك و بمن معك قال طائر كم عند الله بل أنتم قوم تفتنون (٤٧) و كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون (٤٨) قالوا تقاسموا بالله لنتينته و أهله ثم لنقولن لوليّه ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون (٤٩) و مكروا مكراً و مكنا مكراً و هم لا يشعرون (٥٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠١

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائي و خلف (لتينته و أهله ثم لتقولن) بالتاء فيهما جميعاً.

الباقون بالنون، و قرأ مجاهد بالياء. و قرأ ابو بكر عن عاصم (مهلك) بفتح الميم و اللام، و في رواية حفص - بفتح الميم و كسر اللام -

الباقون - بضم الميم و فتح اللام - قال ابو علي: من قرأ بضم الميم احتمل أمرين:

أحدهما - أراد المصدر من إهلاك أهله أي لم نشهد إهلاكهم.

الثاني - ان يكون المراد لم نشهد موضع إهلاكهم.

و قراءة حفص ايضاً تحتمل أمرين:

أحدهما- ما شهدنا موضع هلاكهم.

و الثاني- المصدر اى ما شهدنا هلاكهم. و قراءة ابى بكر معناها المصدر.

لما اخبر الله تعالى انه أرسل صالحاً الى قومه، و انهم كانوا فريدين، مسلم و كافر، يخاصم بعضهم بعضاً، قال لهم صالح (يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) فالاستعجال طلب التعجيل، و هو الإتيان به قبل وقته. و كان هؤلاء الجهال إذا خوفوا بالعقاب قالوا، على جهة الإنكار لصحته متى هو؟ و هلا يأتينا به؟، فقال لهم صالح (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ) ذلك: قال مجاهد. يعنى العذاب قبل الرحمة، و السيئة- هاهنا- المراد بها العقاب سماها سيئة لما فيها من الآلام و لأنها جزاء على الافعال السيئة، لان السيئة هى الخصلة التى تسوء صاحبها حين التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٢

يجدها. و السيئة ايضاً هى الفعل القبيح الذى، لا يجوز لفاعلها فعلها، و نقيضها الحسنه. فقال لهم (لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) و معناه هلا تسألون الله الغفران به بدلا من استعجال العقاب (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) و إنما خرجت (لو لا) الى معنى (هلا) لأنها كانت لامتناع الشىء لكون غيره، كقولك: لو لا زيد لأتيتك، فخرجت الى الإنكار، لامتناع الشىء لفساد سببه فقال (لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) منه. ثم اخبر بما أجابوه، لأنهم قالوا (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِيَمَنِّ مَعَكَ) أى و بمن هو على دينك، فالتطير التشاؤم، و هو نسبة الشؤم الى الشىء على ما يأتى به الطير من ناحية اليد اليسرى و هو البارح، و السانح هو إتيانها من جهة اليد اليمنى. و اصل: (اطيرنا) تطيرنا، دخلت فيه ألف الوصل، لما سكنت الطاء للادغام، فقال لهم صالح (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أى الشىء الذى تحذرونه بالتطير (عند الله) لأنه القادر على عقابكم بما أنتم عليه من الكفر. و المعنى- فى قول ابن عباس- معاقتكم عند الله. ثم قال لهم: ليس ذلك للتشاؤم و التطير (رَبِّلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) فالفتنة- هاهنا- قولهم ما زين لهم من الباطل.

ثم اخبر تعالى أنه «كَانَ فِي الْمَدِينَةِ» التى بعث الله منها صالحاً «تَشِيْعُهُ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» أى يفعلون فيها المعاصى «وَلَا يُصْلِحُونَ» أى لا يفعلون الطاعات.

و قوله «قَالُوا تَفَاسَمُوا بِاللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قالوا متفاسمين إلا انه يحذف منه قد.

و الآخر- انه أمر، و ليس بفعل ماض. «لَتَبَيَّنَّتْ وَأَهْلُهُ» حكاية أنهم قالوا: (لتبينته) فمن قرأ بالنون أراد إنا نفعل بهم ذلك ليلا. و من قرأ

بالتاء، فعلى انه خاطب بعضهم بعضاً بذلك. و لمعنى انهم تحالفوا: لنطرقنهم ليلا، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٣

يقال لكل عمل بالليل تبيت، و منه قوله (إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ)

«١» و انشد ابو عبيدة:

اتونى فلم ارض ما بيتوا و كانوا اتونى بأمر نكر

لا نكح أمهم منذراً و هل ينكح العبد حر لحر «٢»

و قال ابن إسحاق انهم لما أتوا صالحاً لتبتيته، دفعته الملائكة بالحجارة، (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ) معناه إنهم قالوا إذا قال لنا وليه و ناصره: من فعل هذا قلنا له (ما شهدنا مهلك أهله) فمن ضم الميم أراد ما رأينا إهلاكه. و من فتح الميم أراد مكان هلاكهم او إهلاكهم يريد المصدر (وَأَنَا لَصَادِقُونَ) فى هذا القول.

ثم اخبر تعالى انهم «مَكْرُوا» بهذا القول «وَمَكْرْنَا» نحن ايضاً مكرراً بأن جازيناهم على مكرهم و جعلنا و باله عليهم فانا أهلكناهم عن آخرهم. و قيل:

ان الله أرسل عليهم صخرة أهلكتهم. و يحتمل أن يكون المعنى فى «مَكْرْنَا» انا أنجينا المؤمنين بالمكر بالكفار بكل ما يقدر عليهم من الإضرار بهم، و إلجائهم الى الايمان. و انما نسبه الى نفسه لما كان بأمره.

## قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص: ١٠٣

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ يُبَوِّتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)

(١) سورة ٤ النساء آية ١٠٧

(٢) مر تخريجه في ٣/ ٢٦٩، ٣١٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٤

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و يعقوب «أنا دمرناهم» بفتح الالف. الباقون بكسرهما و من فتح احتمل وجهين:

أحدهما- النصب على البدل من (كيف) و (كيف) نصب ب (انظر).

و الثاني- ان يكون (كيف) في موضع الحال و (دمرنا) خبر (كان) و تلخيصه، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أى عاقبة أمرهم التدمير.

وقيل: هو نصب بتقدير بأنا، فلما حذف الباء نصب، و قال الكسائي: هو في موضع الجر.

و يحتمل الرفع أيضاً على البدل من (عاقبة). و يحتمل أيضاً على الجواب، كأنه قيل:

ما كان عاقبة أمرهم؟ فقيل: تدميرنا لهم.

يقول الله تعالى لنبية (ص) «انظر» يا محمد و فكر «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ» أى هؤلاء الكفار الذين كفروا و دمرناهم. و العاقبة الحال

التي يؤدى اليها البادئ تقول: اعقبني هذا الدواء صحة. و أعقب هذا الطعام الردىء مرضاً، و كذلك المعاصى تعقب النار. و قيل: ان

بيوتهم هذه المذكورة بوادى القرى موضع بين الشام و المدينة. و المكر الأخذ بالحيلة للإيقاع فى بلية، فلما مكر أولئك الكفار بصالح

(ع) ليقتلوه، و من آمن و لم يتم مكرهم، و أدى مكرهم الى هلاكهم و تدميرهم و التدمير التقطيع بالعذاب، فدمر الله قوم صالح بأن

قطعهم بعذاب الاستئصال فى الدنيا قبل الآخرة، فلم يبق لهم باقية. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٥

ثم اخبر تعالى ان بيوت أولئك الكفار «خاوية» أى خالية فارغة و كان رسمهم أن يكونوا فيها و يأوون اليها، فلما أهلكهم الله، صاروا

عبرة لمن نظر اليها و اعتبر بها، و قيل هذه البيوت المذكورة بوادى القرى.

و قوله «وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ» اخبار منه تعالى انه أنجى و خلص المؤمنين من قوم صالح لأنهم كانوا يتقون معاصى الله،

خوفاً من عقابه، فالإتقاء الامتناع من البلاء بما يرد عن صاحبه ان ينزل به. و التقى هو العامل بما يتقى عنه العقاب. و قيل: ان الله تعالى

دمر التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض و قومهم.

و قوله «وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- نصب (لوطاً) بتقدير و أرسلنا لوطاً. الثانى- و اذكر لوطاً حين قال لقومه منكرأ عليهم أفعالهم «أ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» يعنى الخصلة

القيحة الشنيعة، الظاهرة القبح، و هى إتيانهم الذكران فى أدبارهم «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى تعلمون أنها فاحشة. و قيل معناه: «وَ أَنْتُمْ

تُبْصِرُونَ» أى يرى بعضكم من بعض ان ذلك عتواً و تمرداً. ثم بين الفاحشة التي كانوا يفعلونها بقوله «أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ

دُونِ النِّسَاءِ» التي خلقهن الله لكم. ثم اخبر تعالى عن لوط انه قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» اى تفعلون أفعال الجهال لجهلكم بمواقع

نعم الله سبحانه و تعالى عليكم.

## قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص: ١٠٥

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِبْدائقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدُلُونَ (٦٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٦

خمس آيات بلا خلاف.

نصب (جواب قَوْمِهِ) بأنه خبر (كان) و اسمها (أن قالوا) و لا- يجوز وقع جواب- هاهنا- لان ما بعد الإيجاب و ما قبلها نفى، و النفي أحق بالخبر من الإيجاب، و مثله «ما كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا» (١).

اخبر الله تعالى عن قوم لوط حين قال لهم لوط ما تقدم ذكره، منكرًا عليهم انه لم يكن لهم جواب عن ذلك، بل عدلوا إلى أن قالوا، بعضهم لبعض خرجوا لوطاً و من تبعه «مِنْ قَرْيَتِكُمْ» فإنهم «أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» أى يتطهرون عن عملكم فى إتيان الذكران من العالمين إذ تأمروهم، و ينتزهون عن ذلك، فلا- تجاوروهم و هذه صفتهم- و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- فأخبر الله تعالى أنه أهلك هؤلاء القوم بأجمعهم و أنجى لوطاً و أهله الذين آمنوا به من

(١) سورة ٤٥ الجاثية آية ٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٧

ذلك الهلاك و استثنى من جملة أهله امرأته، و اخبر انه «قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ» أى جعلها من الغابرين لأن جرمها على مقدار جرمهم، فلما كان تقديرها كتقديرهم فى الاشراك بالله جرت مجراهم فى انزال العذاب بهم. و قيل: «قَدَّرْنَاهَا» أى بما كتبنا إنها من الغابرين، و اخبر تعالى انه أمطر عليهم مطراً. قال الحسن: أمطرت الحجارة على من خرج من المدينة، و خسف المدينة باهلها، فهم يهون الى يوم القيامة «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» و هم الذين أبلغهم لوط النذارة، و أعلمهم بموضع المخافة ليتقوها، فخالفوا ذلك. و نقيض النذارة البشارة، و هى الاعلام بموضع الأمن ليحتمى، و النذير البشير ينذر بالنار و يبشر بالجنة. ثم قال لنبىه محمد (ص) قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» شكراً على نعمه بأن وفقنا للإيمان «و سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ» يعنى اجتباهم، الله و اختارهم يقال:

صفا يصفو صفاء، و أصفاه بكذا إصفاء، و اصطفاه اصطفاء، و يصفى تصفياً و صفاء و تصفيه، و صافاه مصافاة.

و قوله «أَمَّا يُشْرِكُونَ» من قرأ- بالتاء- وجهه الى انه خطاب لهم. و من قرأ- بالياء- فعلى الخبر. و قوله «اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا» معناه خير لنا منا لأنفسا، و لفظ أفعل لا يدخل إلا بين شيئين يشتركان فى حكم و يفضل أحدهما على صاحبه، و ما يعبدون من دون الله لا خير فيه. قال ابو على: يجوز أن يقع ذلك فى الخير الذى لا شرف فيه، و الشر الذى لا خير فيه. و إن كان يتوهم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به، فتقول: هذا الخير خير من الشر. و أنكر على من خالف هذا. و أجاز قوم من اهل اللغة ذلك على ما مضى القول فيه فى غير موضع.

ثم قال لهم: أمن الذى «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» بأن انشأها و اخترعها التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٨

«وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعنى غيثاً و مطراً (فَأَنْبَتْنَا بِهِ) بذلك الماء (حدائق) و هى جمع حديقة، و هى البستان إذا كان عليه حائط يحوطه (ذَاتَ بَهْجَةٍ) انما وصف (الحدائق) بلفظ الواحد فى قوله (ذات) لان معناه جماعة ذات بهجة. و قيل: الحديقة البستان الذى فيه النخل، و (البهجة) منظر حسن ابتهج به إذا سر.

ثم قال (ما كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) أى لم تكونوا تقدر على إنبات شجر الحديقة، لان الله تعالى هو القادر عليه لا غيره. ثم قال منكرًا عليهم (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِقَوْمٍ يَعِدُلُونَ) بالله غيره لجهلهم، و قيل: يعدلون عن الحق. و معنى الآية



التنبه على أن من قدر على إنبات الحدائق ذات الشجر و إخراج الشجر بأكرم الثمار، يجب اخلاص العبادة له، و إن من عدل الى الاشراك به كافر بهذه النعمة الخفية.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص : ١٠٨

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦١)  
 أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُزِيلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يُزِقُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ (٦٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٠٩

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل البصرة و عاصم «عما يشركون» بالياء. الباقون بالتاء. وقرأ ابو عمرو و هشام و روح «قليلا ما يذكرون» بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء في الموضوعين جعله للمخاطبين و من قرأ بالتاء فالى الغائبين.

يقول الله تعالى منبهاً على مواقع نعمه على خلقه، ممتناً بها عليهم بأن قال «أَمَّنْ» الذي «جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا» بأن أسكنها للاستقرار عليها، و إمكان التصرف عليها، فمن جعلها كذلك لمصالح عباده بها على ما يحتاجون اليه منها عالم حكيم، و هو أولى بالعبادة من الأصنام «وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا» يعنى خلال الأرض و هى المسالك فى نواحيها «أنهاراً» جمع نهر و هى المجرى الواسع من مجارى الماء، و أصله الاتساع، فمنه النهار لاتساع ضيائه، و منه انهار الدم إذا جرى، كالنهر «وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ» يعنى الجبال الثابتة، رست ترسو رسواً إذا ثبتت فلم تبحر من مكانها كالسفينه و غيرها، و منه المراسى.

و قوله «وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» فالحاجز هو المانع بين الشيتين، أن يختلط أحدهما بالآخر، و قد يكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه. و فى ذلك دلالة على إمكان كف النار عن الحطب، حتى لا- تحرقه و لا- تسخنه كما كف الماء المالح عن الاختلاط بالعذب. ثم قال «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ» يقدر على ذلك، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٠

تبكيتاً لهم على الاشراك به. ثم قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما ذكرناه لعدولهم عن النظر فى الدلالة المؤدية اليه. و قيل «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما لهم و عليهم فى العبادة إن أخلصوها، او أشركوا فيها.

ثم قال «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ» فاجابه دعاء المضطر هو فعل ما دعا به، لأجل طلبه، و ذلك لا يكون إلا من قادر عليه مختار له، لأنه يقع على ما دعا به الداعى «وَ يَكْشِفُ السُّوءَ» يعنى الآلام يصرفها عنكم «وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» أى يجعل أهل كل عصر يخلفون العصر الاول «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ» يقدر على ذلك ثم قال «قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» أى تفكرون قليلا بما قلناه و نبهنا عليه. ثم قال «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» بما نصب لكم من الدلالات التى تستدلون بها، من الكواكب و غيرها (و من) الذى (يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) يعنى بين يدى المطر و الغيث.

و من قرأ بالنون أراد ملقحات. و قيل: معناه منتشرة. و من قرأ بالباء أراد مبشرات بالمطر.

ثم نزه نفسه عن الاشراك به و اتخاذ إله معه فقال (تعالى الله عما يشركون) ثم قال (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يدوهم بأن يخترعهم ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن يميتهم، و يعيدهم الى ما كانوا عليه (وَ مَنْ يُزِقُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ) من السماء بالغيث و المطر، و من الأرض بالنبات و انواع الثمار (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقدر على ذلك (قل) لهم يا محمد (هاتوا بؤهانكم) و حجتكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم محقين فى الاشراك معه، فإذا لم تقدروا على اقامة البرهان على ذلك، فاعلموا انه لا إله معه، و لا يستحق العبادة سواه، لان

كل ما يكون حقاً من أمر الدين لا بد أن يكون عليه دلالة و برهان. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١١  
ثم قال لنبه (ص) (قل) يا محمد (لا يَعلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) يعنى الغائب عن الخلق لا يعلم به إلا الله تعالى أو من أعلمه الله، ثم اخبر انهم لا يشعرون متى يبعثون و يحشرون يوم القيامة.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص: ١١١

بَلْ إِذْ أَرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و أهل البصرة بل «أدراك» بقطع الهمزة، يقال: تدارك زيد أمره و أدارك بمعنى واحد. و مثله «إنا لمدركون» (١) و قد شدد الأعرج و روى السموني - بكسر اللام - و وصل الهمزة و تشديد الدال من غير ألف.  
الباقون «بل ادراك» بمعنى تتابع علمهم و تلاحق حتى كمل. و المعنى بل ادراك في الآخرة أى حين لم ينفعهم اليقين مع شكهم في الدنيا- على ما ذكره ابن عباس - و قيل: انه قرأ «بلى ادراك» و ادراك العلم لحاق الحال التي يظهر فيها

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٦٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٢

معلومه، ففي الآخرة يظهر الحق بما يرى من الأمور التي من شأنها أن يقع عندها علم بمقتضى ما يحدث من عظم الأمور و قيل: معنى «بَلْ» هاهنا (هل) فكأنه قال: هل ادراك علمهم، و معناه انهم لا يعلمون الآخرة «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا» و من شدد الدال قال أصله تدارك فأدغموا التاء في الدال و قلبوا ألف الوصل.

و قرأ أهل المدينة «إذا» على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام، و يحقق الهمزتين ابن عامر و أهل الكوفة و روح، إلا أن هشاماً يفصل بينهما بالف، و ابن كثير و ابو عمرو و رويس يخففون الأولى و يلينون الثانية. و يفصل بينهما بالف أبو عمرو، و اما «إنا» فقراءته على الخبر، و زاد فيه نوناً ابن عامر و الكسائي.

الباقون بهمزتين و خففهما عاصم و حمزة و خلف و روح. الباقون يخففون الأولى و يلينون الثانية، و يفصل بينهما بالف أهل المدينة إلا ورشاً، و ابو عمرو. و قد مضى تعليل هذه القراءات فيما مضى.

لما اخبر الله تعالى عن الكفار أنهم لا يشعرون متى يحشرون يوم القيامة و انهم ساخرون في ذلك، أخبر انهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة حين يبعثهم الله، و انه لا ينفعهم علمهم في ذلك الوقت مع شكهم في دار الدنيا. و أخبر انهم في شك من البعث في دار الدنيا، و أنهم عمون عن معرفة حقيقته. و هو جمع (عمى) و شبه جهلهم بذلك بالعمى، لان كل واحد منها يمنع بوجوده من ادراك الشيء على ما هو به، لأن الجهل مضاد العلم، و العمى مناف الرؤية.

ثم حكى عن الكفار انهم قالوا متعجبين من البعث و النشور «إِذَا كُنَّا تُرَابًا» و يكون «آبَاؤُنَا» تراباً ايضاً «أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من قبورنا و مبعوثون، يقولون ذلك مستهزئين منكرين. ثم اخبر انهم يحلفون و يقولون «لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا» البعث «نَحْنُ» فيما مضى و كذلك وعد به «آبَاؤُنَا» و لم نعرف حقيقة التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٣

ذلك، ثم حكى انهم يقولون ليس «هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و انما اشتبه عليهم النشأة الثانية لطول المدّة في النشأة الاولى على مجرى العادة، و لو نظروا في أن من اجرى هذه العادة حكيم، و انه قادر على نقض العادة، كما قدر على إجرائها لزالته شبهتهم.



ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» لأنهم يرون آثار آباءهم و كيف أهلكهم الله و خرب ديارهم كعاد و ثمود و غيرهم، فيعلمون عند ذلك صحة ما قلناه، و لا يأمنوا أن يحل بهم مثل ما حل بهم. ثم نهى نبيه (ص) ان يحزن عليهم و يتأسف على تركهم الايمان و أن لا يكون في ضيق نفسه «مِمَّا يَمْكُرُونَ»، فان وبال مكرهم عائد عليهم.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص: ١١٣

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٤

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم «يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذي توعدنا به «إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في اخباركم بذلك في البعث و النشور، و الوعد من الحكيم على ضربين:

أحدهما- ان يكون مقيداً بوقت، فإذا جاء ذلك الوقت فلا بد أن يفعل فيه ما وعد به.

و الثاني- ان يكون مطلقاً غير موقت إلا- انه لا- بد أن يكون معلوماً لعلام الغيوب الذي يفعل فيه الموعد به، فإذا كان ذلك الوقت معلقاً بزمان تعين عليه الفعل في ذلك الوقت، فلا بد للموعد به من وقت، و إن لم يذكر مع الوعد.

ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» فعسى من الله واجبه، و المعنى ان الذي وعدكم الله به لا بد أن يردفكم، و الردف الكائن بعد الأول قريباً منه. و الفرق بينه و بين التابع أن في التابع معنى الطلب لموافقة الأول، و ترادف إذا تلاحق، تلاحقاً ترادفاً، و اردفه اردافاً. و معنى «رَدِفَ لَكُمْ» قرب منكم ودنا- في قول ابن عباس- و قيل:

تبع لكم. و الاستعجال طلب الأمر قبل وقته، فهؤلاء الجهال طلبوا العذاب قبل وقته تكديباً به. و قد أقام الله عليهم الحجة فيه. و (ردف) من الافعال التي تتعدى بحرف و بغير حرف، كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات تطرحن بالفتى و هم تعاننى معنأ ركائبه «١»

و قيل: ان الباء انما دخلت للتعدية. و قيل: انما دخلت لما كان معنى تطرحن ترمين، و كذلك لما كان معنى «رَدِفَ لَكُمْ» دنا، قال «لكم» قال المبرد: معناه

(١) البيت في مجمع البيان ٢٣١ / ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٥

ردفكم و اللام زائدة. و قيل «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» يوم بدر. و قيل: عذاب القبر.

ثم قال «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» و الفضل الزيادة على ما للبعد بما يوجبه الشكر، فالعدل حق العبد. و الفضل فيه واقع من الله لا محالة إلا انه على ما يصح و تقتضيه الحكمة.

ثم اخبر ان «أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» الله على نعمه بل يكفرونه.

ثم قال لنبيه (ص) «وَإِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ» أى ما تخفيه صدورهم، يقال: كنت الشيء في نفسى، و أكننته إذا

سترته في نفسك، فهو مكن و مكنون لغتان. قال الرماني: الأكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى لمانع يصد عنه «وَمَا يُغْلَبُونَ» أى يعلم ما يظهره وانه أيضاً.

ثم قال «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أى ليس شىء يغيب علمه عن أهل السماء والأرض «إِلَّا» وبينها الله «فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» و هو الكتاب المحفوظ. وقال الحسن: الغائبة القيامة. وقال النقاش: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض. وقيل: هو ما أخفاه الإنسان عن قلبه وعينه. وقال البلخي: معنى «فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» أى هو محفوظ لا ينساه كما يقول القائل: أفعالك عندي مكنونه أى محفوظة.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص : ١٥

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ (٨٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٦

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «و لا يسمع» بياء مفتوحة و فتح الميم «الصم» بالرفع.

ومثله في الروم. الباقون «تسمع» بالتاء و كسر الميم «الصم» بالنصب، فوجه قراءة ابن كثير انه أضاف الفعل الى الصم، فلذلك رفعه. و وجه قراءة الباقيين أنهم أضافوا الفعل الى النبی (ص) و جعلوا الصم مفعولاً ثانياً.

أخبر الله تعالى أن هذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمد (ص) «يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ» الأشياء التى اختلفوا فيها الكفار. و القصص كلام يتلو بعضه بعضاً فيما ينبنى عن المعنى، و من أجاب غيره عما سأل لم يقل له انه يقص لأنه اقتصر على مقدار ما يقتضيه السؤال. و الاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه. و الاختلاف أيضاً امتناع احد الشئيين أن يسد مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته. و اختلاف بنى إسرائيل نحو اختلافهم فى المسيح حتى قالت اليهود فيه ما قالت، و كذبت بنوته. و قالت النصارى ما قالت من نبوته، و وجوب إلهيته، و كاختلاف اليهود فى نسخ الشريعة، فأجازهم قوم فى غير التوراة و أباه آخرون، فلم يجيزوا النسخ أصلاً، و اعتقدوا أنه بدأ.

و كاختلافهم فى المعجز، فقال بعضهم: لا يكون إلا بما لا يدخل تحت مقدور العباد. و قال آخرون: قد يكون إلا أنه ما يعلم أنه لا يمكن العباد الإتيان به، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٧

و كاختلافهم فى صفة المبرر به فى التوراة، فقال بعضهم: هو يوشع بن نون.

و قال آخرون: بل هو منتظر لم يأت بعد. و كل ذلك قد دل القرآن على الحق فيه. و قيل: قد بين القرآن اختلافهم فى من سلف من الأنبياء. و قيل: ان بنى إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضاً كالإسماعيلية و العنانية و السامرة.

ثم وصف تعالى القرآن ب «إِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» معناه انه بيان للحق فيما وقع الاختلاف فيه من بنى إسرائيل و غيرهم إذا رجعوا اليه علموا مفهومه، و انه من عند حكيم، لا يقول إلا- بالحق، فالهدى الدلالة على طريق الحق الذى من سلكه اداه الى الفوز بالنعيم فى جنه الخلد، فالقرآن هدى من هذا الوجه، و رحمة للمؤمنين فى تأديته الى ما فيه من مرضات الله تعالى.

ثم خاطب نبيه (ص) فقال (ان ربك) يا محمد (يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أى العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالحق المبين منهم من المبطل. و قيل: العليم بصحة ما يقضى به العزيز بما لا يمكن رد قضائه، فهو يقضى بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد و لا يلتبس بغير الحق.

و في الآية تسلياً للمحققين الذين خولفوا في أمر الدين، لأن أمرهم يؤول الى ان يحكم بينهم رب العالمين بما لا- يمكن دفعه و لا تلبسه.

ثم خاطب بينه (ص) فقال (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يا محمد (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) الظاهر البين في ما تدعو اليه. ثم شبه الكفار بالموتى الذين لا يسمعون ما يقال لهم، و بالصم الذين لا يدركون دعاء من يدعوهم، من حيث انهم لم ينتفعوا بدعائه و لم يصيروا الى ما دعاهم اليه، فقال (انك) يا محمد (لا- تُسْمِعُ الْمَوْتَى لَأَنْ ذَلِكَ مُحَالٌ (وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) أى اعرضوا عن دعائك و لم يلتفتوا اليه و لم يفكروا في ما تدعوهم اليه، فهؤلاء الكفار بترك الفكر في ما يدعوهم التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١١٨

اليه النبي (ص) بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، و بمنزلة الصم الذين لا يدركون الأصوات.

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٨١ الى ٨٥] ..... ص: ١١٨

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَوَلَمْ نُكَذِّبْكُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْتَقُونَ (٨٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «تهدى» بالتاء مفتوحة و بسكون الهاء «العمى» بنصب الياء.

و يقف على «تهدى» بالياء. الباقون «بهاد» بياء مكسورة و بألف بعد الهاء، و خفض الياء من «العمى» على الاضافة في الموضعين. فقراءة حمزة تفيد الفعل المضارع.

و قراءة الباقيين اسم الفاعل.

يقول الله تعالى لنبيه لست يا محمد تهدي العمى عن ضلالتهم. و الهادى هو الذى يدعو غيره الى الحق و يرشد اليه. و قد يدعو بالنطق بأن يقول: هو صواب و قد يدعو اليه بأن يبين أنه صواب، فانه ينبغي أن يعمل عليه و يعتقد صحته. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص:

١١٩

و الضلالة الذهاب عن طريق الصواب و هو الهلاك بالذهاب عنه. و إنما شبه الله تعالى الكفار بأنهم عمى، لأنهم من حيث لم يهتدوا الى الحق، و لم يصيروا اليه فكأنهم عمى، و انما نفى أن يهديهم الى الحق بأن يحملهم عليه او يجبرهم عليه، و لم ينتف أن يكون هادياً لهم بالدعاء اليه، و يبين لهم الحق فيه.

و قوله (إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) معناه لا تسمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا و لا يلبث أن يسلم، لان الدلائل تظهر له، و عقله يخاصمه حتى يقول بالحق و يعتقده. و انما قال انه يسمع المؤمنين، من حيث أنهم الذين ينتفعون به و يسلمون له.

و قوله (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) قال قتادة: معناه وجب الغضب عليهم، و قال مجاهد: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. و قيل: معناه إذا وقع القول عليهم بأنهم قد صاروا الى منزلة من لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم، أخذوا حينئذ بمنادى العقاب بإظهار البراءة منهم.

و قال ابن عمر، و عطية: إذا لم يأمر الناس بالمعروف و ينهوا عن المنكر تخرج الدابة. و قيل: انها تخرج من بين الصفا و المروة. و

روى محمد بن كعب القرطى عن على (عليه السلام) انه سئل عن الدابة، فقال: (اما و الله ما لها ذنب و إن لها لحيه)

و فى هذا القول منه (ع) إشارة الى انه من ابن آدم. و قال ابن عباس: دابة من دواب الله لها زغب و ريش لها أربعة قوائم. و قال ابن عمر: انها تخرج حتى يبلغ رأسها الغيم، فيراها جميع الخلق. و معنى «تكلمهم» قيل فيه قولان:

أحدهما- تكلمهم بما يسوؤهم من انهم صائرون الى النار، من الكلام بلسان الآدميين الذى يفهمونه و يعرفون معناه، فتخاطب واحداً

واحدًا، فتقول له: يا مؤمن يا كافر. وقيل «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٠  
أى بهذا القول. ذكره ابن مسعود.

الثاني - تكلمهم من الكلام. وقيل

إنها تكتب على جبين الكافر أنه كافر وعلى جبين المؤمن أنه مؤمن. و روى ذلك عن النبي (ص).

ثم قال «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» واستدل به قوم على صحة الرجعة في الدنيا، لأنه قال: من كل أمة، وهى للتبويض فدل على ان هناك يوماً يحشر فيه قوم دون قوم، لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس عامة، كما قال «وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» (١). و من حمل الآية على أن المراد باليوم يوم القيامة قال: إن (من) زائدة، والتقدير و يوم نحشر كل أمة فوجاً أى فوجاً فوجاً من الذين كذبوا بآيات الله و لقاء الآخرة «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يجمعون. و قال ابن عباس: معناه يدفعون. وقيل: يساقون. وقيل: يوقف أولهم على آخرهم.

وقوله «وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا» أى صاروا الى منزلة من لا- يفلح احد منهم، و لا- احد بسببهم، «فَهُمْ» فى ذلك الوقت «لا يُنْطِقُونَ» بكلام ينتفعون به. و يجوز أن يكون المراد «لا ينطقون» أصلاً لعظم ما يروونه و يشاهدونه من أهوال القيامة. و قرأ اهل الكوفة «تكلمهم أن الناس» بفتح الالف، لان ابن مسعود قرأ «بأن الناس» فلما سقطت الباء نصبوا (أن). الباقون بالكسر على الاستئناف. و روى عن ابن عباس «تكلمهم» مخففاً أى تسمهم و تجرحهم تقول العرب كلمت زيدا إذا جرحته. و قد يقال أيضاً بالتشديد من الجراح، و لا يقال فى الكلام إلا بالتشديد.

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢١

### قوله تعالى: [سورة النمل (٢٧): الآيات ٨٦ الى ٩٣] ..... ص : ١٢١

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَةً لِكُنُوفِهِمْ وَ النَّهَارَ مُبْشِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَ أَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكُمْ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

ثمان آيات بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٢

قرأ حمزة و الكسائي و خلف و حفص عن عاصم «و كل أتوه» مقصورة على وزن (فلوه) الباقون «آتوه» ممدودة و مضمومة التاء على وزن (فالوه) و قرأ اهل الكوفة (من فرع) منوناً (يومئذ) بفتح الميم. الباقون بغير تنوين على الاضافة إلا- ورشاً فانه نصب الميم من (يومئذ) مع الاضافة. و وجه هذه القراءة انه جعل (يوم) مع (إذ) كالاسم الواحد، لان اضافة (يوم) الى (إذ) ليست محضة، لان الحروف لا- يضاف اليها، و لا الى الافعال، و انما أجازوا فى اسماء الزمان الاضافة الى الحروف و الى الافعال نحو: هذا يوم ينفع، لما خص و كثر، و قرأ اهل البصرة و ابن كثير و ابو بكر إلا يحيى و الداجوني عن ابن ذكوان (يفعلون) بالياء، الباقون بالتاء. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (عما تعملون) بالتاء. الباقون بالياء.

يقول الله تعالى منها لخلق على وجه الاعتبار والتبنيه على النظر بالفكر يجعله تعالى الليل ليسكن فيه خلقه، من الحيوان من الحركات، لأن من جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع، فإنما ذلك باختياره دون الطبع، و ما يجري مجراه مما ليس مختاراً، ففي ذلك بطلان قول كل مخالف فيه. وقوله (وَ النَّهَارَ مُبْصِراً) يحتمل أمرين:

أحدهما- انه جعل النهار ذا إِبصار، كما قال (عَيْشَةً رَاضِيَةً) «١» أى ذات رضا، و كما قال النابغة:  
كلينى لهم يا أمية ناصب «٢»  
أى لهم ذى نصب.

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٢١ و سورة ١٠١ الزلزال آية ٧ [.....]

(٢) مر تخريجه فى ٥ / ٩٥ ، ٣٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٣

الثانى - لأنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عنها فقيل هو كقول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم «١»

أى بالذى ينام فيه. ثم قال (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) يعنى دلالات واضحات لقوم يصدقون بالله و بتوحيده. وقوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) منصوب بتقدير: و اذكر (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) أى و ذلك يوم ينفخ فى الصور، يعنى قوله (وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ... يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) و يجوز أن يكون على حذف الجواب، و تقديره و تكون البشارة الثانية يوم ينفخ فى الصور. وقيل: تقديره و يوم ينفخ فى الصور يفزع، لان المعنى إذا نفخ فى الصور فزع إلا أنه لما جاء الثانى بالفاء اغنى عن (يفعل) لأنها ترتب.

و قال الحسن و قتادة: الصور صور الخلق. و قال مجاهد: هو قرن كالبوق ينفخ فيه. وقيل: النفخة الأولى نفخة الفزع. و الثانية نفخة الصعق، و الثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

وقيل: معنى (فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) من شدة الاسراع و الاجابة، يقال: فزعت اليك فى كذا إذا أسرع الى ندائه فى معونتك و قيل: هو ضد الأمن، و هو الأولى. وقيل: وجه النفخ فى الصور أنه على تصور ضرب البوق للاجتماع على المسير الى أرض الجزاء بالحال التى تعرف فى دار الدنيا. و من ذهب الى أنه جمع صورة قال: المعنى نفخ الأرواح فى الأجساد بردها الى حال الحياة التى كانت عليها. وقوله (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)

روى فى الخبر أن الشهداء من جملة الخلق لا يفزعون ذلك اليوم.

وقيل:

(١) مر تخريجه فى ٥ / ٤٦٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٤

(إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) يعنى من الملائكة الذين ثبت الله قلوبهم. وقيل:

إسرافيل هو النافخ فى الصور بأمر الله تعالى. ثم قال (وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ) معناه إن جميع الخلق جاءوا لله داخرين أى صاغرين. فمن قصر، حملة على انهم أتوه أى جاءوه. و من مد، حملة على أنهم جاثوه على وزن (فاعلوه).

و لفظه (كل) هاهنا معرفة، لأنها قطعت عن الإضافة، كما قطع قوله (من قبل و من بعد) «١» إلا أنه لم يبين، لأنه قطع عن متمكن التمكن التام. و ليس كذلك (من قبل و من بعد) لأنه كان ظرفاً لا يدخله الرفع.

وقوله (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِداً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) قال ابن عباس: تحسبها قائمة و هى تسير سيراً حثيثاً سريعاً قال النابغة

الجعدى:

نازعه مثل الطود يحسب أنهم وقوف لحاح و الركاب تهملج (٢)

أى من أجل كثرتهم و التفافهم يحسب انهم وقوف، فكذلك الجبال.

وقوله (صُبَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) نصب (صُبَّعَ اللَّهُ) بما دل عليه ما تقدم من الكلام من قوله (تَمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ) فكأنه قال: صنع الله صنع الذى أتقن كل شىء إلا انه اظهر اسم الله فى الثانى، لأنه لم يذكر فى الأول و انما دل عليه. و الإتقان حسن إيتاق. و قوله (إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) أى عليم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.

ثم بين كيفية الجزاء، فقال (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) يعنى بالخصلة الحسنة (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) أى خير يصيبه منها. و قيل: فله أفضل منها فى عظم النفع لأن له بقيمتها و بالوعد الذى وعده الله بها كأنه قال: من أتى بالحسنة التى هى الايمان و التوحيد و الطاعة لله يوم القيامة يكون آمناً لا يفزع كما يفزع الكفار

(١) سورة الروم آية ٤

(٢) تفسير الطبرى ١٤/٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٥

و الفساق. و قيل: هم من فرع الموت فى الدنيا آمنون فى الآخرة. و قيل: من فرع يوم القيامة فى الجنة آمنون. ثم قال (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية الكبيرة التى هى مثل الكفر و الشرك، و ما جرى مجراها. و قال جميع المفسرين: إن السيئة- هاهنا- الشرك، فان الله تعالى يكبه على وجهه فى النار. و يقال:

كبه و أكبه إذا نكسه، و يقال لهم (هَلْ تُجَزُونَ) بهذا العقاب (إلا) مكافأة لما كنتم تفعلون و تعملون فى دار التكليف من المعاصى. ثم قال لنيه (قل) لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) يعنى مكه- فى قول ابن عباس- و قال غيره: منى، أى أمرت بعبادة رب هذه البلدة لم أؤمر بعبادة سواه (الَّذِي حَرَّمَهَا) و قيل: معنى (حرمها) عظم حرمتها من أن يسفك دم حرام فيها أو يظلم أحد فيها أو يصطاد صيدها أو يخلى خلاؤها و قيل: حرمها حتى أمن الوحش فيها، فلا يعدو الكلب على الغزال، و لا على الطير و لو خرج من الحرم لنفر أشد النفر، فذكر لهذه الآية فى الحرم (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) أى يملك كل شىء بالتصرف فيه على وجه يريده و يختاره، و ليس لأحد منعه منه (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الذين يسلمون بتوحيده و اخلاص العبادة له مستسلمين له (وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ) عليكم و أدعوكم الى ما فيه (فَمَنْ اهْتَدَى إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ) (فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأن جزاء ذلك و ثوابه يصل اليه دون غيره (و من ضل) عنه و جار و لم يعمل بما فيه و لم يهتد الى الحق (و قل) له يا محمد (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) الذين يخوفون بعقاب الله من معاصيه، و يدعون الى طاعته. و فى ذلك دلالة على فساد قول المجبرة الذين يقولون: ان الله يخلق الايمان و الهداية و الكفر و الضلالة.

ثم امر نبيه (ص) بان يقول (الحمد لله) اعترافا بنعمه (سَيُرِيكُمْ التَّبَيَانَ) فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٦

آياته

يعنى دلالاته التى ليس يمكنكم جحدها. و قال الحسن: معناه يريكم آياته فى الآخرة فتعرفون انها على ما قال فى الدنيا، و قيل: يركم فى الدنيا ما ترون من الآيات فى السماء و الأرض، فتعرفونها أنها حق. ذكره مجاهد. ثم قال و ليس ربك يا محمد (بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من قرأ بالياء يعنى عما يفعله المشركون. و من قرأ بالتاء، فعلى تقدير: قل لهم: ليس ربكم بغافل عما تعملونه بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليه، و فى ذلك غاية التهديد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٧



## ٢٨- سورة القصص ..... ص: ١٢٧

## إشارة

مكية في قول قتادة و الحسن و عطاء و عكرمة و مجاهد ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال ابن عباس آية منها نزلت بالمدينة و قيل بالجحفة و هي قوله «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ» و هي ثمانون و ثمان آيات بلا خلاف في جملتها و اختلفوا في رأس آيتين سأذكرها عند كتابتها

## [سورة القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ١٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)  
 التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٨

خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه. عد الكوفى «طسم» آية و لم يعدها الباقون.

قد بينا معنى هذه الحروف في أوائل السور في عدة مواضع، فلا فائدة في إعادته، و قوينا قول من قال: إنها أسماء للسور. و قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ» أى تلك آيات الكتاب التى وعدتم بانزالها. و قيل معناه هذا القرآن هو الكتاب المبين - ذكره الحسن - و قيل: فى معنى «المبين» قولان: أحدهما - قال قوم: المبين أنه من عند الله. و قال قتادة: المبين الرشد من الغي. و المبين هو البين أيضاً. و أضاف الآيات الى الكتاب، و هى الكتاب كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» (١).

ثم خاطب نبيه (ص) فقال «نَتْلُو عَلَيْكَ» يا محمد طرفاً من اخبار «موسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ» على حقيقة البيان و هو اظهار المعنى للنفس بما تميزه من غيره مشتق من أبت كذا من كذا إذا فصلته منه. و البرهان إظهار المعنى للنفس بما يدعو الى انه حق مما هو حق فى نفسه. و التلاوة الإتيان بالثانى بعد الأول فى القراءة بما يتلوه تلاوة، فهو تال لمقدم، و المقدم و التالى مثل الأول و الثانى.

و النبأ الخبر عما هو أعظم شأنًا من غيره. و الحق هو ما يدعو اليه العقل، و نقيضه الباطل، و هو ما صرف عنه العقل. و قوله «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» معناه إنا نتلو عليك هذه الأخبار لقوم يصدقون بالله، و بما أنزل عليك، لأنهم المنتفعون به، و الايمان الصديق بفعل ما يؤمن من العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» أى تجبر و بغي - فى

(١) سورة ٩٦ الحاقة آية ٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٢٩

قول قتادة و غيره - ببيغيه و استعباده بنى إسرائيل، و قتل أولادهم. و قيل:

بقهره و ادعائه الربوبية. و قيل: بشدة سلطانه «وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» أى قومًا «يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ» فيستعبدهم و «يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ» أى يستبقى بناتهم فلا يقتلهن، و قيل: إنه كان يأمر بإخراج أحيائهن الذى فيه الولد و الأول هو الصحيح. ثم اخبر تعالى و حكم بأن فرعون «كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض و العالمين بمعاصى الله. ثم وعد تعالى فقال «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ» و هو عطف على قوله «يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ» و نحن نريد أن نمن.

و قال قتادة: يعنى من بنى إسرائيل «وَنَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم «وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» لمن تقدمهم من قوم فرعون.

و

روى قوم من أصحابنا أن الآية نزلت في شأن المهدي (ع) و أن الله تعالى يمن عليه بعد أن استضعف. و يجعله إماماً ممكناً، و يورثه ما كان في ايدى الظلمة.

قال السدى: إن فرعون رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل فسأل علماء قومه، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده، فأمر بذبح أبنائهم و استحيا نساءهم، و أسرع الموت في شيوخ بنى إسرائيل، فقالت القبط لفرعون: ان شيوخ بنى إسرائيل قد فنوا، و صغارهم قد قتلتم، فاستبقهم لعلنا و خدمتنا، فأمرهم أن يستحيوا في عام، و يقتلوا في عام، فولد في عام الاستحيا هارون، و ولد في عام القتل موسى، قال الضحاك: عاش فرعون التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٠

أربع مائة سنة، و كان قصيراً و سيماً، و هو أول من خضب بالسواد. و عاش موسى مائة و عشرين سنة. و قيل: ان فرعون كان من أهل الإصطخر.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ١٣٠

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيْ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ لِّي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «و حزناً» بضم الحاء، و اسكان الزاى.

الباقون بفتحهما، و هما لغتان. يقال: حزن و حزن مثل نجل و نجل. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «و يرى فرعون و هامان» بالياء و رفع (فرعون، و هامان) بإسناد الرؤية اليهما. الباقيون بالنون، و نصب (فرعون و هامان) بإسناد الفعل الى الله، و كونهما مفعولين. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣١

لما اخبر الله تعالى أنه يريد ان يمن على الذين استضعفوا فى الأرض و يجعلهم ائمة، أخبر فى هذه الآية أنه يريد أن يمكنهم فى الأرض، و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل و لا يحصل إلا معه: من القدرة و الآلة و اللطف و غير ذلك. و قال الرماني: اللطف لا يدخل فى التمكين، لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكناً، و لكن يقال: انه من باب اراحة العلة. ثم بين انه تعالى «نُرِيْ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُم» يعنى من بنى إسرائيل «ما كانوا يحذرون» من زوال ملكهم على يد رجل من بنى إسرائيل، و لذلك ذبح فرعون أبناءهم.

و من قال: ان الآية فى شأن المهدي (ع) حمل فرعون و هامان على فرعون هذه الأمة و هامانها، و الكناية فى «مِنْهُمْ» عائدة على أنصار المهدي (ع) قالوا: و هذه أولى، لأنه بلفظ الاستقبال، لأن فى أوله النون او الياء على اختلاف القراءتين و هما للمضارعة. و الحذر توقى ما فيه المضرة، فهؤلاء الذين طلبوا الحذر فى غير وجهه، إذ قتلوا الأطفال ظلماً لأجله، و لو طلبوه بالرجوع الى الله، و دعائه ليكشف عنهم لكانوا طالبين له من وجهه.

و قوله «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَىٰ أَلْهَمْنَاهَا، و قذفنا فى قلبها، و ليس بوحى نوم، و لا نبوة- فى قول قتادة و غيره- و قال الجبائى: كان الوحى رؤيا منام عبر عنه مؤمن به من علماء بنى إسرائيل. و قوله «أَنْ أَرْضِعِيهِ» أى ألهمناها إرضاع موسى «فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي



الْيَمِّ» فالخوف توقع ضرر لا يؤمن به.

وقال الزجاج: معنى «أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ اعْلَمْنَاهَا، وَقَوْلُهُ «فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ» أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِأُمِّ مُوسَىٰ أَنهَا إِذَا خَافَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ تَرْضَعَهُ وَتَطْرَحَهُ فِي الْيَمِّ. وَالْيَمُّ الْبَحْرُ، وَيَعْنَىٰ بِهِ النَّيْلُ «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي» نَهَىٰ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ التَّبْيَانَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ١٣٢

لها من الخوف والحزن، فانه تعالى أراد أن يزيل خوف أم موسى بما وعدها الله من سلامته على أعظم الأمور في القائه في البحر الذي هو سبب الهلاك في ظاهر التقدير، لو لا لطف الله تعالى بحفظه حتى يرده الى أمه. و وعدها بأنه يرده عليها بقوله «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» و وعدها أيضاً بان يجعله من جملة الأنبياء المرسلين بقوله «وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

ثم اخبر ان آل فرعون التقطوه، و في الكلام حذف، لان تقديره ان أم موسى طرحته في البحر و مضى في البحر الى أن بلغ قصر فرعون فالتقطه آل فرعون. و الالتقاط هو اصابة الشيء من غير طلب، و من اللقطة قال الراجز: و منهل وردته التقاطا لم ألق إذ وردته فراطا (١)

و قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا» اللام العاقبة، لأنهم لم يلتقطوه لأن يصير لهم عدواً و حزناً، بل التقطوه ليكون قرء عين لهم، و مثله قول الشاعر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب (٢)

و منه قوله «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا» (٣). ثم اخبر تعالى «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» عاصين لله في أفعالهم، ثم حكى تعالى أن امرأة فرعون لما جىء بموسى اليها و رأته و عطف الله بقلبها عليه جاءت به الى فرعون، و قالت «فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ» أى قرء عين هذا الولد لى و لك «لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» إذا ربيناه و كبر «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بأن هلاكهم على يديه، فى قول قتادة.

ثم قال «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا» قال ابن عباس و قتادة و الضحاك:

(١) تفسير الطبرى ٢٠ / ١٩ و القرطبي ١٣ / ٢٥٢

(٢) مر فى ٣ و ٦ و ٥ / ٤٣

(٣) سورة الاعراف آية ١٧٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٣

معناه فارغاً من كل شىء إلا من ذكر موسى. و قال الحسن و ابن زيد و ابن إسحاق: فارغاً من وحيننا بنسيانه، فإنها نسيته ما وعدها الله به. و قيل: فارغاً من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج سكوناً الى ما وعد الله و قبلت به. و قوله «إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ» قال ابن عباس و قتادة و السدى: معناه كادت لتبدي بذكر موسى. و تقول: يا ابناه. و قيل: ان كادت لتبدي بالوحى. و قوله «لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا» فالربط على القلب تقويته على الأمر حتى لا يخرج منه الى ما لا يجوز، و جواب (لو لا) محذوف، و تقديره لو لا أن ربطنا على قلبها لأظهرته. و قوله «لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» معناه فعلنا ذلك بها لتكون من جملة المؤمنين المصدقين بتوحيد الله و عدله.

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص: ١٣٣**

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّا نَكْتُمُ لَهُمْ لَآيَاتِنَا يُعْلَمُونَ (١٣) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ

فِيهَا رَجُلَيْنِ يَفْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٤

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت لأخت موسى: قصيه أى اتبعى اثره، يقال قصه يقصه قصاً إذ اتبع اثره، و منه القصص، لأنه حديث يتبع بعضه بعضاً يتبع الثاني للأول، و الاقتصاص اتباع الجانى فى الأخذ بمثل جنايته فى النفس.

«فَبَصَّرَتْ بِهٖ عَنْ جُنْبٍ» معنى «فَبَصَّرَتْ بِهٖ» رأته، و هو لا يتعدى إلا بحرف الجر. و الرؤية تتعدى بنفسها، و قال مجاهد: معناه عن بعد، و مثله أبصرته عن جنبه قال الأعشى:

أتيت حريثاً زائراً عن جنبه فكان حريث عن عطائي جامداً (١)

أى عن بعد، و قيل: معنى «عن جنب» عن مكان جنب، و هو الجانب لأن الجنب صفة وقعت موقع الموصوف لظهور معناه، و كان ذلك احسن و أوجز «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» قال قتادة: معناه و آل فرعون لا يشعرون انها أخته.

و قوله «وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ» و هى جمع مرضعه و معناه منعاه منهن و بغضناهن اليه، فكان ذلك كالمنع و النهى، لا أن هناك نهياً عن الفعل، قال الشاعر:

جاءت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك حرام (٢)

أى ممتنع فانى فارس أمنعك من ذلك، و مثله قولهم: فلان حرم على

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٣

(٢) مر هذا البيت فى ٣ / ٤٨٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٥

نفسه كذا بالامتناع منه، كالامتناع بالنهى. و قوله «من قبل» أى من قبل رده على أمه «فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» معناه يضمونه برضاعه و القيام عليه، و ينصحونه فى ذلك، فقيل لأخته من أين قلت: انهم ناصحون له أ عرفت أهله،

فقالت: إنما عنيت ناصحون للملك. و النصح اخلاص العمل من شائب الفساد، و هو نقيض الغش: نصح ينصح نصحاً، فهو ناصح فى عمله، و ناصح فى نفسه فى توبته إذا أخلصها. و قوله «فَرَدَّذَنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ» قيل: إن فرعون سأل أمه كيف يرتضع منك، و لم يرتضع من غيرك؟! قالت: لأنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبى إلا ارتضع منى. و بين تعالى انه إنما فعل

ذلك «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» يعنى عين أمه، فرده عليها «وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» لا بد من كونه. ثم قال «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ» أى الخلق «لَا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما يراد بهم. و قيل: من قوم فرعون ما علمته أم موسى، و من لطيف تدبير الله تسخير فرعون لعدوه حتى تولى تربيته.

و قوله «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَىٰ قَالَ قَتَادَةُ: أشده ثلاث و ثلاثون سنة، و استوائه أربعون سنة. و قيل استواء قوته (آتيناه) يعنى أعطيناها (حُكْمًا وَ عِلْمًا) قال السدى: يعنى النبوة. و قال عكرمة: يعنى العقل.

و قال مجاهد: الفرقان. و الحكم الخبر بما تدعو اليه الحكمة. و المعنى علمناه من الحكمة ما تقتضى المصلحة، و أوحينا اليه بذلك. ثم قال: و مثل ما فعلنا به نجزى أيضاً من فعل الإحسان. و فعل الطاعات و الافعال الحسنه.

ثم اخبر تعالى ان موسى (دَخَلَ الْمَدْيَنَةَ) يعنى مصر، و قيل: غيرها (عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قيل: إنه كان وقت القائلة. و قيل: لأنهم

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٦

غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به. و قيل: انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم و لعبهم. و قوله (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَفْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ

شيعته وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قال مجاهد: يعنى من شيعته إنه كان اسرائيلياً، و الآخر إنه كان قبطياً. و قال ابن إسحاق: كان أحدهما مسلماً، و الآخر كافراً (فَأَسِيغَتْهُ أَلْدَى مِنْ شِيَعَتِهِ عَلَى أَلْدَى مِنْ عَدُوِّهِ) أى استنصره لينصره (فَوَكَزَهُ مُوسَى اى دفع فى صدره، و جميع كفه (و لكزه) مثل وكزه و لهزه (فقضى عليه) اى مات، فقال عند ذلك موسى (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) اى من اغوائه حتى زدت من الإيقاع به، و إن لم اقصده قتله. و قيل: ان الكناية عن المقتول، فكأنه قال: ان المقتول من عمل الشيطان اى عمله عمل الشيطان. ثم وصف الشيطان بأنه (عدو) للبشر ظاهر العداوة. و قوله (هَذَا مِنْ شِيَعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) إشارة الى الرجلين اللذين أحدهما من شيعه موسى، و الآخر من عدوه إنما هو على وجه الحكاية للحاضر إذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته و هذا من عدوه.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ١٣٦

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٧

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن موسى انه حين قتل القبطى ندم على ذلك و قال يا «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» بقتله و سأله ان يغفر له، فحكى الله تعالى انه «غفر له» لان «اللَّهُ هُوَ الْغُفُورُ» لعباده «الرَّحِيمُ» بهم المنعم عليهم. و عند أصحابنا أن قتله القبطى لم يكن قبيحاً، و كان الله أمره بقتله، لكن كان الأولى تأخيره الى وقت آخر لضرب من المصلحة، فلما قدم قتله كان ترك الأولى و الأفضل، فاستغفر من ذلك لا أنه فعل قبيحاً. و قال جماعة: ان ذلك كان منه صغيرة غير انها وقعت مكفرة لم يثبت عليها عقاب، و يكون قوله «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» على الوجه الأول أى بخست نفسى حقها بأن لم أفعل ما كنت أستحق به ثواباً زائداً. و على المذهب الثانى مذهب من يقول بالموازنة يقول: لأنه نقص من ثوابه، و كان بذلك ظالماً لنفسه، فأما من قال: إن ذلك كان كبيرة منه و ظلماً فخارج عما نحن فيه، لأن ادلة العقل دلت على أن الأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح، لا كبيرها و لا صغيرها. و من قال: إنه كان ذلك صغيرة، قال:

كان دفعه له المؤدى الى القتل صغيرة، لا أنه قصد القتل و كان صغيرة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٨

و قوله «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ» معناه إن أنعمت على فلن أكون، فهو مشبه بجواب الجزاء، و لذلك دخلت الفاء فى الجواب، و إذا وقع الانعام قيل لما أنعمت، فلن أكون، لأنها فى كلا الموضوعين تدل على أن الثانى وقع من أجل الاول. و يحتمل أن يكون ذلك قسماً من موسى بنعم الله عليه، بمغفرته، و فنون نعمه بأن لا يكون معيناً على خطيئته، و لا يكون ظهيراً. و الظهير المعين لغيره بما به يصير كالظهر له الذى يحميه من عدوه.

و قوله «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ» معناه إن موسى أصبح خائفاً من قتل القبطى، يترقب الأخبار- فى قول ابن عباس- و الترتب التوقع.

و قوله «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ» يعنى رأى من كان استنصره بالأمس، بأن طلب نصرته على عدوه «يستصرخه» أى يطلب نصرته أيضاً.

و قيل: يطلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الإيقاع بمن قد تعرض له «قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ» أى عادل عن الرشد، ظاهر الغواية، و معناه انك لغوى فى قتالك من لا تطيق دفع شره عنك، من أصحاب فرعون، خائب فيما تقدر أن تفعله.

وقوله «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا» قيل: إن موسى هم أن يدفع العدو عن نفسه وعن صاحبه، و يبطش به «قال يا موسى أ تُرِيدُ أَنْ تُقْتَلِنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ» قال الحسن: هو من قول الفرعوني، لأنه كان قد اشتهر أمر القتل بالأمس أنه قتله بعض بنى إسرائيل. وقال ابن عباس و أكثر اهل العلم انه من قول الإسرائيلي، لأنه قال له موسى انك لغوى مبین، خاف على نفسه فظن أنه يريد الإيقاع به، فقال ما قال. وقوله «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ» اي لست تريد بقتل من قتله التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٣٩

بالأمس إلا أن تكون جباراً متكبراً في الأرض «وَمَا تُرِيدُ» اي و لست تريد «أَنْ تَكُونَ مِنْ» جملة «الْمُصْلِحِينَ». وقوله «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قِيلَ هُوَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ «قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

وقيل: يأترون معناه يرتأون، قال نمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمه و في كل حادثه يؤتمر «١»

أي يرتاء، و قال آخر:

ما تأتمر فينا فأم رك في يمينك أو شمالك

فقوله «فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» حكاية ما قال الرجل لموسى، و انه ناصح له بقوله، يحذره من أعدائه. و قال الزجاج: و قوله «انى لك» ليست من صلة «الناصحين» لان الصلة لا تقدم على الموصول، لكن تقديره: إني من الناصحين الذين ينصحون لك، يقال: نصحت لك و نصحتك، و الاول اكثر.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ١٣٩

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْبِقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٣١ و القرطبي ١٣ / ٢٦٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٠

خمس آيات كوفى، و ست فيما عداه، عد الكل «يسقون» آية إلا الكوفيين فإنهم عدوها و ما بعدها الى «كبير» آية. قرأ ابو عمرو، و ابن عامر، و ابو جعفر «حتى يصدر» بفتح الياء و ضم الدال. الباقون- بضم الياء و كسر الدال- و الصدر الانصراف عن الماء: صدر يصدر صدراً و أصدره غيره إصداراً، و منه و الصدر، لان التدبير يصدر عنه، و المصدر لان الافعال تصدر عنه. فمن فتح الياء أسند الفعل الى الرعاء، و من ضمه أراد اصدارهم عنه و مواشيهم.

حكى الله تعالى ان موسى لما أنذره مؤمن آل فرعون، و أن اشراف قومه و رؤساءهم قد اتتمروا على قتله، و أمره بالخروج من المدينة خرج (ع) «خائفاً يترقب» أي يطلب ما يكون و يتوقعه، و الترقب طلب ما يكون من المعنى على حفظه للعمل عليه، و مثله التوقع و هو طلب ما يقع من الأمر متى يكون. و قال قتادة:

و خرج منها خائفاً من قتله النفس يترقب الطلب. و قيل خرج بغير زاد و كان لا يأكل إلا حشاش الصحراء الى أن بلغ ماء مدين.

وقوله «قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» حكاية ما دعا به موسى ربه، و انه سأله أن يخلصه من القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم

بالكفر بالله، و ذلك يدل على أن خوفه كان من القتل. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤١  
 وقوله «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ» فالتوجه صرف الوجه الى جهة من الجهات، و يقال: هذا المعنى يتوجه الى كذا أى هو كالتطلب له بصرف وجهه اليه، و تلقاء الشيء حذاه، و يقال: فعل ذلك من تلقاء نفسه أى من حذا داعى نفسه، و (مدین) لا ينصرف، لأنه اسم بلدة معرفة، قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا و العصم من شعف العقول الغادر «١»

الشفع أعلى الجبل، و الغادر الكبير. و قال ابن عباس: بين مصر و مدين ثمان ليال، نحو ما بين الكوفة و البصرة.  
 وقوله «عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» حكاية ما قال موسى فى توجهه، فانه قال: عسى أن يدلنى ربي سواء السبيل، و هو وسط الطريق المؤدى الى النجاة، لأن الأخذ يميناً و شمالاً باعد عن طريق الصواب، و يقرب منه لزوم الوسط على السنن، فهذا هو المسعى فى الهداية، و قال الشاعر:

حتى اغيب فى سواء الملحد

اي فى وسطه، و قال عطاء: عرضت له أربع طرق لم يدر أيها يسلك، فقال ما قال. ثم أخذ طريق مدين حتى ورد على شعيب، و هو قول عكرمة. ثم حكى تعالى أن موسى «لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً» يعنى جماعة «مِنَ النَّاسِ يَشْرُقُونَ» بهائمهم و يستسقون الماء من البئر «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ» يعنى دون الناس «امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» أى يحبسان غنمهما و يمنعانها من الورود الى الماء يقال: ذاد شاته و إبله عن الشيء يذودها ذوداً إذا احبسها عنه بمنعها منه، قال سويد بن كراع:

(١) مر تخريجه فى ٣ / ٦٠١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٢

أبيت على باب القوا فى كأنما أذود بها سرباً من الوحش شرعاً «١»  
 و قال الآخر:

و قد سلبت عصاك بنو تميم فما تدرى بأى عصاً تذود «٢»

و قال الفراء: لا- يقال: ذدت الناس، و إنما قالوا ذلك فى الغنم و الإبل، و قال قتادة: كانتا تذودان الناس عن شائهما. و قال السدى:  
 تحبسان غنمهما فقال لهما موسى «ما حَطُّبُكُما» أى ما شأنكما؟ فى قول ابن إسحاق، قال الراجز:  
 يا عجباً ما خطبه و خطبى «٣»

و الخطب الأمر الذى فيه تفخيم، و منه الخطبة، لأنها فى الأمر المعظم، و من ذلك خطبة النكاح و الخطاب، كل ذلك فيه معنى العظم. فأجابته بأننا لا نسقى غنمنا حتى يصدر الرعاء و واحد الرعاء راع، و يجمع ايضاً رعاء و رعياناً، و المعنى انا لا نسقى حتى ينصرف الرعاء- فيمن فتح الياء- أو يصرفون غنمهم- فيمن ضم الياء- لأننا لا قوة بنا على الاسقاء، و إنما ننتظر فضول الماء فى الحوض- فى قول ابن عباس و قتادة و ابن إسحاق- «وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر على أن يتولى ذلك بنفسه. و قوله «فَسَقَى لَهُمَا» قال شريح: رفع لهما حجراً عن بئر لا- يقدر على رفعه إلا عشرة رجال ثم استقى لهما. و قال ابن إسحاق: إنه زحم الناس عن الماء حتى آخرهم عنه حتى سقى لهما. و قوله «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» معناه إني الى ما أنزلت فاللام بمعنى الى، و (لَهُمَا) بمعنى الذى و ما بعده من صلته و (لما) متعلق بقوله (فقير) و تقديره أى فقير

(١) تفسير الطبرى ٣٣ / ٢٠ و القرطبي ١٣ / ٢٦٦.

(٢) تفسير الطبرى ٣٣ / ٢٠ و القرطبي ١٣ / ٢٦٨. [.....]

(٣) قاله رؤبة. تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٨ و الطبري ٢٠/ ٣٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٣

الى ما أنزلت الى من خير. قال ابن عباس: أدرك موسى جزع شديد، فقال «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» وفي الكلام حذف، لان التقدير إن المرأتين عادتا الى أبيهما و شكرتا فعله، فقال أبوهما لإحداهما ادعيه لى لأجزيه على فعله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِخْيَاءٍ» قيل: معناه متستره بكم درعها أو قميصها، فقالت له «إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ» ليكافيك على ما سقيت لنا و إن موسى مشى معها حتى وصل اليه «وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ» من اخباره و ما مر عليه، فقال له الشيخ «لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال ابن عباس معناه ليس لفرعون سلطان بأرضنا. و قيل: كان الشيخ أبوهما شعبياً (ع) و قال الحسن: بل كان رجلاً مسلماً على دين شعيب أخذ الدين عنه، و شعيب مات قبل ذلك، و قال قوم: انه كان ابن اخى شعيب (ع).

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ١٤٣**

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ مِنْ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٤

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، وقرأ حمزة و خلف بضمها، الباقون - بكسر الجيم - وفيه ثلاث لغات - فتح الجيم و ضمها و كسرهما. و الكسر أكثر و افصح. و الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار، و هي مثل الحزمة من أصل الشجر، و جمعها جذى قال الشاعر:

كانت حواطب ليلي يلتمس لها جزل الجذى غير خوار و لا ذعر «١»

و قال قتادة: الجذوة الشعلة من النار. حكى الله تعالى أن احدى المرأتين قالت لأبيها «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» و الاستئجار طلب الاجارة، و هي العقد على أمر بالمعاوضة، يقال: أجره أجرًا، و أجره إجاره و إيجارًا، و استأجره استئجارًا و منه الأجير، و الماجور. و الأجر الثواب، و هو الجزاء على الخير. ثم حكى أنها قالت لأبيها «إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» قال قتادة: عرفت قوته بأنه سقى الماشية بدلو واحد، و عرفت أماتته بغض طرفه، و أمره إياها بأن تمشى خلفه. و القوى القادر العظيم المقدور، و منه وصف الله تعالى بأنه القوى العزيز، و أصل القوة شدة الفتل من قوى الحبل، و هي طاقاته التي يفتل عليها، ثم نقل الى معنى القدرة على الفعل. و الأمانة خاصة للتأدية على ما يلزم فيها،

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨١ و الطبري ٢٠/ ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٥

و هي ضد الخيانة، و الثقة مثل الأمانة.

ثم حكى ما قال ابو المرأتين لموسى (ع)، فانه قال له «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ» أى أزوجك إحداهما، فالانكاح عقد ولى المرأة على غيره الزوجية، و هو تزويجه إياها، و النكاح تزوج الرجل المرأة، يقال نكحها نكاحاً إذا تزوجها. و قوله «عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ» معناه على أن تجعل أجرى على تزويجى إياك ابنتى رعى ماشيتى ثمانى سنين، لأنه جعل صداق ابنته هذا الذى



عقد عليه، و جعل الزيادة على المدة اليه الخيار فيها، فلذلك قال «فَإِنْ أَتَمَّمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ» أى هبة منك غير واجب عليك. ثم اخبر انه قال «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْكَ» بأن أزمك عشر سنين «ستجدنى» فيما بعد (إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ) جملة (الصالحين) الذين يفعلون الخيرات، و تعليق الصلاح بمشيئة الله فى الآية يحتمل أمرين: أحدهما- ان يريد بها الصلاح فى الدنيا من صحته الجسم و تمام القوة، فان الله تعالى يجوز ان يفعل بأنبيائه أمراضاً امتحاناً لهم و لطفاً، فلذلك قال إن شاء الله.

و الثانى- ان يكون أراد ان شاء الله تبقيتى، لأنه يجوز أن يخترمه الله فلا يفعل الصلاح الدينى، فلذلك علقه بمشيئة الله. و يحتمل أن يكون ذلك لاتفاق الكلام، و لا يكون خبراً قاطعاً، فلا يكون بمشيئة الله شرط فى فعل الصلاح و قال ابن عباس: ان موسى قضى أتما الأجلين و أوفاهما، و قيل: انه كان جعل لموسى كل سخلة تولد على خلاف شبه أمها فأوحى الله (عز و جل) الى موسى ان الق عصاك فى الماء فولدت كلهن خلاف شبههن. و قيل: جعل له كل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٦ بقاء فولدن كلهن بلقاً.

ثم حكى تعالى ان موسى قال له (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) أى لا تعدى على لاني مخير فى ذلك (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) أى كاف و حسيب، و قيل: انه من قول الشيخ، ثم حكى تعالى ان موسى لما قضى الأجل تسلم زوجته و سار بها الى أن (آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) أى ابصر امرأ يؤنس بمثله، و الطور الجبل قال العجاج:

آنس جربان فضاء فانكدر داني جناحيه من الطور فمر «١»

فلما رأى ذلك قال لأهله: البثوا مكانكم، فانى أبصرت ناراً، فامضى نحوها (لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) يعرف منه الطريق، فانه روى انه كان قد ضل عن الطريق

(أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ) أى قطعة من الحطب غليظة فيها النار، و قيل الجذوة الشعلة من النار، لكى تصطلوا بها. و قيل: انهما كانا وجدا البرد، فلذلك قال ما قال.

ثم حكى تعالى ان موسى لما اتى النار بان قرب منها (نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ) أى من جانبه و هو الشط، و يجمع شواطئ و شطآنًا (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) يقال: بقعة و بقعة بالضم و الفتح، و جمعه بقاع، و وصفها بأنها مباركة لأنه كلم الله فيها موسى (من الشجرة) قيل ان الكلام و النداء سمعه موسى من ناحية الشجرة، لأن الله تعالى فعل الكلام فيها لا أن الله تعالى كان فى الشجرة، لأنه لا يحويه مكان، و لا يحل فى جسم، فتعالى الله عن ذلك «أَنْ يَا مُوسَى أَى نَادَاهُ بَانَ قَالَ لَهُ يَا مُوسَى (إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

(١) تفسير الطبرى ٢٠ / ٤٠ و روايته «آنس جربان قض»، و قد مر قسم من هذا الرجز فى ١ / ٢٨٦ و ٧ / ٣٥٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٧

الذى خلقت جميع الخلائق و أخرجتهم من العدم الى الوجود.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص: ١٤٧

وَ أَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَ لَا تَحَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (٣١) اسلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)

خمس آيات بلا خلاف.



قرأ (من الرهب) بفتح الراء والهاء- ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابو عمرو. الباقون- بضم الراء و سكون الهاء- إلا حفصاً، فانه قرأ- بفتح الراء و سكون الهاء- و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (فذانك) مشددة النون.

الباقون بالتخفيف. و قرأ نافع (رداً) بفتح الدال من غير همز منوناً. و قرأه ابو جعفر بالف بعد الدال من غير همز و غير تنوين. الباقون بسكون الدال و بعدها همزة مفتوحة منونة. و قرأ عاصم و حمزة (يصدقني) بضم القاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٨ الباقون بالجزم.

الرهب و الرهب لغتان مثل النهر و النهر، و السمع و السمع. و قيل في تشديد (ذانك) ثلاثه اقوال: أحدها- للتوكيد، الثاني- للفرق بين النون التي تسقط للاضافة. و بين هذه النون. الثالث- للفرق بين بنية الاسم المتمكن و غير المتمكن. و روى عن ابن كثير انه قرأ (فذانيك) قال ابو علي: وجه ذلك انه أبدل من احدى النونين ياء، كما قالوا: تظنيت و تظننت. و من جزم (يصدقني) جعله جواباً للأمر و فيه معنى الشرط. و تقديره: إن أرسلته صدقتي و من رفع جعله صفة للنكرة. و تقديره رداءً مصداقاً لى. و قال مقاتل: الرهب الكم، و يقال وضعت الشىء فى رهبي اى فى كمى، ذكر الشعبي انه سمع ذلك من العرب. و من شدد (ذانك) جعله تشبيه (ذلك) و من خفف جعله تشبيه (ذاك).

اخبر الله تعالى انه لما قال لموسى (إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أمره ايضاً ان يلقي عصاه، و انه ألقاها أى طرحها و أخرجها من يده الى الأرض فانقلبت ياذن الله ثعباناً عظيماً (تهتز) ياذن الله (كأنها جان) فى سرعته حركته، و شدة اهتزازه، فعلم موسى عند ذلك ان الذى سمعه من الكلام صادر من الله، و ان الله هو المكلم له دون غيره، لأن ذلك إنما يعلمه بضرب من الاستدلال.

و قوله (وَلَىٰ مُدْبِرًا، وَ لَمْ يُعَقَّبْ) اى لم يرجع، اى خاف بطبع البشرية و تأخر عنها و لم يقف، فقال الله تعالى له (يا موسى أَقْبِلْ وَ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ) من ضررها. و العصا عود من خشب كالعمود، و فى انقلابه حية دليل على ان الجواهر من جنس واحد، لأنه لا حال ابعد الى الحيوان من حال الخشب. و ما جرى مجراه من الجماد، و ذلك يقتضى صحة قلب الأبيض الى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٤٩

حال الأسود، و الاهتزاز شدة الاضطراب فى الحركة، و الحيوان له حركة تدل عليه إذا رثى عليها لا يشك فى انه حيوان بها. و هى التصرف بالنفس من غير ربح، و لا سبب يولد التصرف مع كونه على البنية الحيوانية. و قيل: ان الله أمره ان يدخل يده فى فيها، ففعل فعادت عصاً كما كانت. ثم أمره الله ان يسلك يده فى جيبه، أى بأن يدخلها فيه، و كانت سمرة شديدة السمرة فلما أخرجها خرجت بيضاء نقيه (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) اى من غير برص.

و قوله (وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال ابن عباس و مجاهد: يعنى يدك (من الرهب) يعنى من الرعب، و الفرق الذى لحقه لأجل الحية- فى قول مجاهد، و قتادة- و قال قوم: ان معناه امر له بالعزم على ما أريد له مما امر به، و حثه على الجد فيه، و يمنعه ذلك من الخوف الذى لحقه، و لا- يستعظم ذلك، فيكون ذلك مانعاً مما امر به، كما قال (سَيَنْشُدُّ عَضُّ مَدَاكَ بِأَخِيكَ) و لم يرد خلاف الحل فكذلك الضم ليس يراد به الضم المزيل للفرجة. و مثله قول الشاعر:

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لايك و لا تجزع من الموت إذا حل بواديك «١»

و انما يريد تأهب له. ثم قال «فَذَانِكَ» يعنى قلب العصا حية و إخراج اليد البيضاء «بُرْهَانَانِ» أى دليلان، و اضحان من الله فى ارسالك الى فرعون و اشراف قومه.

ثم اخبر تعالى أن فرعون و قومه «كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» خارجين من طاعة الله الى معاصيه. ثم حكى تعالى ما قال موسى، فانه قال يا رب «إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا» يعنى القبطى الذى وكزه ففضى عليه «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بدله.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٠

وقال ايضاً «وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا» لان موسى كان في لسانه عقدة و لم يكن كذلك هارون، و سأل الله تعالى أن يرسل هارون معه «ردءاً» أى عوناً، و الردء العون الذى يدفع السوء عن صاحبه، و منه ردد الشىء يردأه رداءً فهو ردىء، فالرد المعين فى دفع الرداء عن صاحبه. و يقال: ردأته أردؤه رداءً إذا أعتته. و اردأته ايضاً لغتان. و قوله «يصدقنى» من جزمه جعله جواباً للأمر، و من رفعه جعله صفةً للنكرة، و تقديره رداءً مصداقاً «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» فى ادعاء النبوة و الرسالة، و قيل: ان موسى ما سأل ذلك إلا بإذن الله، لأنه لا يجوز ان يسأل نبي أن يرسل معه إنساناً آخر نبياً، و هو لا يعلم أنه يصلح لذلك، فلا يجاب اليه، فان ذلك ينفر عنه. فقال الله تعالى «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» أى سنقويك به بأن نقرنه اليك فى الرسالة لنقوى بعضكما ببعض.

«وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا» يعنى حجة و قوة، و هى التى كانت لهما بالعصا. و السلطان القوة التى يدفع بها على الأمر. و السلطان الحجة الظاهرة، و تقديره و نجعل لكما سلطاناً ثابتاً «فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا» فيه تقديم و تأخير.

ثم قال تعالى «فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا» يعنى فرعون، و قومه لا يتمكنون من قتلكما، و لا أذاكمما، ثم قال «بِآيَاتِنَا» أى بحجبتنا و براهيننا «أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا» من بنى إسرائيل و غيرهم «الغالبون» لفرعون، فعلى هذا يكون «أنتما» مبتدأ، «و من اتبعكما» عطفاً عليه «و الغالبون» خبره «و آياتنا» متعلق بقوله «الغالبون». و على الوجه الآخر يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «و نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ... بِآيَاتِنَا» قال الزجاج: يجوز أن يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا» بآياتنا و حجبتنا، و كل ذلك محتمل.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥١

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص: ١٥١

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَيْرِحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «قال موسى» بلا واو، و كذلك هو فى مصاحف أهل مكة. الباقون - بالواو - و كذلك هو فى المصاحف.

و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «من يكون» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ بالياء فلائذ تأنيث العاقبة ليس بحقيقى. و من قرأ بالتاء، فلائذ لفظه مؤنث. و تقدير الكلام إن موسى مضى الى فرعون «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى حجبتنا «بَيِّنَاتٍ» أى ظاهرات «قَالُوا» يعنى فرعون و قومه ليس «هذا» الذى يدعيه «إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ» أى مختلق مفتعل. و الفرق التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٢

بين (لو) و (لما) أن (لو) لتقدير وقوع الثانى بالأول، و (لما) للإيجاب فى وقوع الثانى بالأول. و قولك: و لو جاءهم موسى بآياتنا قالوا، ليس فيه دليل انهم قالوا و فى (لما) دليل على انهم قالوا عقيب مجىء الآيات. و قوله (سِحْرٌ مُّفْتَرٍ) أى سحر مختلق لم بين على اصل صحيح، لأنه حيلة موهم خلاف الحقيقة، فوصفوا الآيات بالسحر و الاختلاق، على هذا المعنى جهلا منهم و ذهاباً عن الصواب.

و قوله (ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى) أى لم نسمع ما يدعيه و يدعو اليه فى آبائنا الذين كانوا قبلنا، و انما قالوا (ما سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى) مع شهرة قصة قوم نوح و صالح و غيرهم من النبيين الذين دعوا الى توحيد الله و اخلاص عبادته لأحد أمرين: أحدهما - للفترة التى دخلت بين الوقتين و طول الزمان جحدوا أن تقوم به حجته.

و الآخر - إن آباءهم ما صدقوا بشىء من ذلك، و لا دانوا به، و وجه الشبهة فى أنهم ما سمعوا بهذا فى آبائهم الأولين أنهم الكثير

الذين لو كان حقاً لأدركوه، لأنه لا يجوز أن يدرك الحق إلا نقص في العقل والرأى، ولا يدركه الأفضل منهما، وهذا غلط، لأن ما طريقه الاستدلال قد يصيبه من سلك طريقه ولا يصيبه من لم يسلك طريقه.

ثم حكى ما قال موسى بأنه قال (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ أَىٰ بِالذِّينِ الْوَاضِحِ وَ الْحَقِّ الْمُبِينِ مِنْ عِنْدِهِ، وَ وَجِهَ الْاِحْتِجَاجِ بِقَوْلِهِ (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ) أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَدْعُو إِلَى الْهُدَىٰ مِمَّا يَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ، فَلَا يُمْكِنُ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَيْتَ بِهِ مِنْ يَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ فِسَادِ الْعِبَادِ التَّبِيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ١٥٣

ثم بين هذا بقوله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) وَ ان عَاقِبَةُ الصَّلَاحِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَ الْاِنْصَافِ، وَ هُوَ كَمَا تَقُولُ عَلَى طَرِيقِ الْمَظَاهِرَةِ بِحَمْلِ الْخُطَابِ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَحْقِ مِنْ الْمَبْطَلِ وَ حِجَّتِي ظَاهِرَةٌ، فَاسْكُرْهَا ان قَدْرَتِ عَلَى ذَلِكَ (وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) يَعْنِي الْجَنَّةَ وَ الثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ) أَى لَا يَفُوزُ بِالْخَيْرِ مِنْ ظَلَمِ نَفْسِهِ وَ عَصَى رَبِّهِ وَ كَفَرَ نَعْمَهُ.

ثم حكى تعالى ما قال فرعون عند سماع كلام موسى لقومه فانه قال لهم (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) فَلَا تَصْغُرُوا إِلَى قَوْلِهِ، حِينَ أَعْيَاهِ الْجَوَابَ وَ عَجَزَ عَنْ مَحَاجَتِهِ. ثُمَّ قَالَ لِهَامَانَ (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) قَالَ فَالْصَّرْحُ الْبِنَاءُ الْعَالِي كَالْقَصْرِ، وَ مِنْهُ التَّصْرِيحُ شَدَّةً ظُهُورِ الْمَعْنَى قَالَ الشَّاعِرُ:

بهن نعام بناها الرجال تحسب اعلامهن الصروحا «١»

جمع صرح و هي القصور، و قال قتادة: أول من طبخ الآجر و بنى به فرعون و يقال: الآجر بالتخفيف، و التثقيب. و الآجر ثلاث لغات. و قوله (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَىٰ فَلَا طَّلَاعَ الظُّهُورِ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ عَلٍ، وَ هُوَ الْاِشْرَافُ عَلَيْهِ. وَ قَوْلُهُ (وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) حِكَايَةٌ مَا قَالَ فِرْعَوْنُ فَانَّهُ قَالَ: أَظُنُّ مُوسَىٰ مِنْ جَمَلَةِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ فِرْعَوْنَ اسْتَكْبَرَ، وَ كَذَلِكَ جَنُودَهُ، وَ اسْتَكْبَرُوا (فِي الْمَأْرَضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى ثَوَابِهِ وَ عِقَابِهِ. وَ قَوْلُهُ (فَأَخَذْنَا مِنْهُ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) أَخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ أَخَذَ فِرْعَوْنَ وَ جُنُودَهُ أَى جَمْعَهُمْ وَ طَرَحَهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَ غَرَقَهُمْ. وَ النَّبَذُ الْإِلْقَاءُ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ:

(١) تفسير القرطبي ٢٠٩ / ١٣ و الطبري ٢٠ / ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٤

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلًا أخلقت من نعالكا «١»

و قال قتادة: البحر الذي غرق فيه فرعون يقال له: اسناد، على مسيرة يوم من مصر.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص: ١٥٤

وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْتُولِينَ (٤٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرُبَىٰ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ نَازِلًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)

خمس آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى انه جعل فرعون و قومه (أئمة يدعون إلى النار) و قيل في معناه قولان:

أحدهما - انا عرفنا الناس انهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل شر بتعريفه حاله. و الثاني - انا حكمنا عليهم بذلك، كما قال

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٥

(ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ) «١» و كما قال (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) «٢» و انما قال ذلك، و أراد انهم حكموا بذلك، و سموه. و جعل على اربعة اقسام:

أحدها- بمعنى الأحداث، كقوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ) «٣» و قوله (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَحْفُوظًا) «٤».

الثاني- بمعنى قلبه من حال الى حال كجعل النطفة علقه الى ان تصير إنساناً الثالث- بمعنى الحكم انه على صفه، كما قال انه جعل رؤساء الضلالة يدعون الى النار اى حكم بذلك.

الرابع- بمعنى اعتقد انه على حال كقولهم جعل فلان فلاناً ركباً إذا اعتقد فيه ذلك. و الامام هو المقدم للاتباع يقتدون به، فرؤساء الضلالة قدموا فى المنزلة لاتباعهم فيما يدعون اليه من المغالبة. و انما دعوهم الى فعل ما يؤدى بهم الى النار، فكان ذلك كالدعاء الى النار. و الداعى هو الطالب من غيره ان يفعل إما بالقول او ما يقوم مقامه، فداعى العقل بالإظهار الذى يقوم مقام القول. و كذلك ظهور الارادة يدعو الى المراد.

و قوله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصِرُونَ) معناه: إنهم كانوا يتناصرون فى الدنيا، و هم لا ينصرون فى الآخرة بنصر بعضهم لبعض، و لا غيره و لا احد ينصرهم.

و قوله (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) معناه الحقنا بهم فى هذه الدنيا لعنة بأن لعناهم و ابعدناهم من رحمتنا. و قال ابو عبيدة معناه ألزمناهم بأن أمرنا بلعنهم، قوماً بعد قوم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) مع اللعنة.

(١) سورة ٥ المائدة آية ١٠٦.

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٠٠.

(٣) سورة ١٧ الإسراء آية ١٢.

(٤) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٦

و الاتباع إلحاق الثانى بالأول، فهؤلاء الدعاء الى الضلالة ألحقوا اللعنة تدور معهم حيث ما كانوا، و فى ذلك أعظم الزجر عن القبيح. و قيل: المقبوح المشوه بخلقته لقبح عمله، و يقال: قبحه الله يقبحه قبحاً، فهو مقبوح إذا جعله قبيحاً و قال ابو عبيدة: معنى (المقبوحين) المهلكين.

ثم اخبر تعالى انه أعطى موسى الكتاب يعنى التوراة من بعد ان أهلك القرون الاولى من قوم فرعون و غيرهم، و انه فعل ذلك «بصائر للناس» و هى جمع بصيرة يتبصرون بها و يعتبرون بها و جعل ذلك هدى يعنى ادله و بياناً و رحمة اى و نعمة عليهم لكى يتذكروا و يتفكروا فيعتبروا به. و قوله «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» معناه ما كنت بجانب الغربى أى الجبل- فى قول قتادة- حين قضينا اليه الأمر اى فصلنا له الأمر بما ألزمناه و قومه و عهدنا اليه فيهم، فلم تشهد انت ذلك «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى مقيماً فالثاوى المقيم قال الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليژودا و مضى و أخلف من قتيلة موعدا «١»

«تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ» و المعنى انك لم تشهد إحساننا الى الى عبادنا بإرسال الرسل و نصب الآيات و انزال الكتب بالبيان و الهدى و ما فيه الشفاء للعمى كأنه يقول لم تر أى شىء كان هناك، تفخيماً لشأنه مع إنك انما تخبر به عنا، و لو لا ما أعلمناك منه لم تهتد له.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْ لَا أَنْ تَصِيَّبَهُمْ مَصِيبَهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٥٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٧

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «سحران» بغير الف. الباقون «ساحران» وقيل في معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد أراد موسى و هارون.

و الثاني- قال ابن عباس: أراد موسى و محمداً «تظَاهرا»: اى تعاونا.

و من قرأ «سحران» قال ابن عباس: أراد التوراه و القرآن. و قال الضحاك: أراد الإنجيل و القرآن. و قال عكرمة: أراد التوراه و الإنجيل.

و من اختار «ساحران» فلأنه قال تظاهرا و ذلك إنما يكون بين الساحرين دون التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٨

السحريين. و من قرأ «سحران» قال: في ذلك ضرب من المجاز، كما قال «بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى (١)» و الكتاب يهتدى به، و لا يهتدى.

و انما يقال ذلك مجازاً.

يقول الله تعالى لنبيه (ص) «مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ» الذى كلم الله عليه موسى حين ناداه و كلمه. و قال له «إِنِّي أَنَا اللَّهُ» (٢) «يا موسى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» (٣) «فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ» (٤) و قيل: إن هذه المرة الثانية التى كلم الله فيها موسى «وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ» و معناه لكن آتيناك علم ذلك رحمه من ربك، و نعمه عليك، لما فيه من العبرة و الموعظة، و إن سبيلك لسبيل غيرك من النبيين فى التأييد و المعجزة الدالة على النبوة.

و قوله «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» فالانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى، فالنبي (ص) نذير لأنه معلم بالمعاصى، و ما يستحق عليها من العقاب، لتتقى بالطاعات، و النذر العقد على ضرب من البر بالسلامة من الخوف و المعنى إنا أعلمناك لتخوف قوماً لم يأتهم مخوف قبلك ليتذكروا و يعتبروا، و ينزعوا عن المعاصى. و (التذكر) طلب الذكر بالفكر و النظر.

و قوله «وَلَوْ لَا أَنْ تَصِيَّبَهُمْ مَصِيبَهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ» أى لو لا أن تلحقهم مصيبه جزاء على ما كسبت أيديهم فيقولوا حينئذ «لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» اى هلا أرسلت إلينا من ينهانا عن المعاصى و يدعونا الى الطاعات (فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ) أى أدلتك و بيناتك (وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوحدانيتك لما أهلكناهم عاجلا بكفرهم، فجواب (لو لا) محذوف لدلالة الكلام عليه، لأن

(١) آية ٤٩ من هذه السورة

(٢) سورة ٢٠ طه آية ١٤.

(٣) آية ٣١ من هذه السورة. [...]

(٤) سورة ٧ الاعراف آية ١٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٥٩

معنى الكلام الامتنان عليهم بالامهال حتى يتذكروا ما أتى به الرسول (ص).

وقال قوم جواب (لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا).

و في الآية دلالة على وجوب فعل اللطف، لأنه لو لم يكن فعله واجباً لم يكن للآية معنى صحيح. ثم اخبر تعالى انه (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) يعنى الكفار (الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا) من عند الله من القرآن و الادلة الدالة على توحيدهم (قالوا) عند ذلك: هلا أوتى محمد من المعجزات (مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ: من فلق البحر و قلب العصا حية و غير ذلك. فقال الله تعالى (أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ) قال الجبائي معنى (او لم يكفروا) اى او لم يكفر من كان فى عصر موسى و هارون، و نسبوهما الى السحر ف (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) اى موسى و محمد- فى قول ابن عباس، و فى قول مجاهد: موسى و هارون. و من قرأ (سحران) أراد التوراة و القرآن او التوراة و الإنجيل او الإنجيل و القرآن. على ما حكيناه بخلاف فيه و أنهم قالوا مع ذلك (إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنٍ) اى بكل ما امر به، و ذكر انه من عند الله. و يحتمل ان يكون المراد بموسى و هارون. و قال الحسن: المعنى بقوله (إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ وَنٍ) مشركوا العرب الذين كفروا بالتوراة و الإنجيل و القرآن.

ثم امر تعالى نبيه (ص) أن يقول لكفار قومه (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا) يعنى من كتاب موسى و كتاب محمد- فى قول ابن زيد- «أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تدعونه، ثم قال لنبيه (ص) «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» مع ظهور الحق «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُشِيعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» أى ما تميل طباعهم اليه، لأن الهوى ميل الطبع الى المشتهى. و ما عمل على انه حسن للهوى فلا يجوز أن يكون طاعة لكنه أبيع أن يفعله على هذا الوجه، كما أبيع أن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٠

يفعله للذة و الشهوة، و الاستمتاع به. و انما يكون طاعة لله ما عمل على أنه حسن لان الحكم دعا اليه او لان الحكمة دعت اليه إذ كلما دعت اليه الحكمة بالترغيب فيه فالحكم داع اليه.

ثم اخبر تعالى فقال (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى لا يهديهم الى طريق الجنة. و يجوز ان يكون المراد لا يحكم بهدايتهم، لأنهم عادلون عن طريق الحق.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ١٦٠

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إنا «وصلنا» لهؤلاء الكفار «القول» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن زيد «وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» فى الخبر عن أمر الدنيا و الآخرة الثانى- قال الحسن البصرى «وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» بما أهلكنا من القرون التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦١

قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، و قوم هود بكذا، و قوم صالح بكذا «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن كان قبلهم.

و اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض. و منه قول الشاعر:

فقل لبنى مروان ما بال ذمة و حبل ضعيف ما يزال يوصل «١»

و المعنى انا اتبعنا القرآن بعضه بعضاً. و قيل: معناه فصلنا لهم القول.



وقوله «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» يعنى التوراه (من قبله) يعنى من قبل القرآن و قد تقدم ذكره فى قوله «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ».

وقوله «هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» أى هم بالقرآن يصدقون من قبل نزوله و بعد نزوله. و يحتمل أن تكون الكنايه عن النبى صلى الله عليه و آله، و تقديره الذين آتيناهم الكتاب من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون، لأنهم كانوا يجدون صفته فى التوراه ثم قال (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) يعنى القرآن «قَالُوا آمَنَّا بِهِ» أى صدقنا به «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا» من قبل نزوله «مسلمين» به مستمسكين بما فيه.

ثم اخبر تعالى ان هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله اجرهم اى ثوابهم على ما صبروا فى جنب الله «مرتين» إحداهما- لفعالهم الطاعة، و الثانية للصبر عليها لما يوجه العقل من التمسك بها، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه فيما لا يجوز أن يتخطأ اليه، و لذلك مدح الله الصابرين. و الصبر على الحق مر إلا- أنه يؤدى الى الثواب الذى هو أحلى من الشهد، فهؤلاء صبروا على الامتناع من المعاصى، و على فعل الطاعات. و قيل: صبروا على الأذى فى جنب الله.

(١) تفسير القرطبي ٢٩٥ / ١٣ و الطبرى ٥١ / ٢٠ مع اختلاف قليل فى الروايه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٢

ثم وصف الصابرين الذين ذكرهم فقال «وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» يعنى يدفعون بالتوبه المعاصى، لان الله تعالى يسقط العقاب عندها. و قيل: معناه يدفعون بالكلام الجميل اللغو من كلام الكفار. و قيل: ان ذلك قبل الأمر بقتالهم، و لا يمتنع أن يؤمروا، بالاعراض عن مكالمتهم مع الأمر بقتالهم، و لا تنافى بينهما على حال.

ثم قال «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» أى جعلنا لهم التصرف فيها، و ملكناهم إياها ينفقون فى طاعه الله، و فى سبيل الخير، و إذا سمعوا لغواً من الكلام، و رأوا لغواً من الفعل أعرضوا عنه، و لم يخاصموا فيه فقالوا لفاعل اللغو «لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لنا جزاء أعمالنا و لكم جزاء أعمالكم «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى و يقولون لهم قولاً يسلمون منه. و يقولون «لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» أى لا نطلبهم و لا نجازيهم على لغوهم. و اللغو الفعل الذى لا فائده فيه، و انما يفعله فاعله على توهم فاسد، و اللغو و اللغا بمعنى واحد. قال الشاعر:

عن اللغا و رفث التكلم «١»

و من احسن الأدب الاعراض عن لغو الكلام. و قيل: ان هذه الآيات نزلت فى عبد الله بن سلام، و تميم الدارى، و الجارود العبدى، و سلمان الفارسى لما اسلموا نزلت فيهم هذه الآيات- على ما ذكره قتاده- و قال غيره: انها نزلت فى أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبى صلى الله عليه و آله قبل مبعثه:

اثنان و ثلاثون رجلاً من الحبشه أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب وقت قدومه، و ثمانيه قدموا من الشام: منهم بحيرا، و أبرهه، و الأشرف، و عامر، و ايمن و إدريس، و نافع. قال قتاده: آتاهم الله اجرهم مرتين، لايمانهم بالكتاب

(١) مر تخريجه فى ٢ / ١٣٢، ١٦٤، ٢٣٠ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٣

الأول و إيمانهم بالكتاب الثانى.

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص: ١٦٣**

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَ قَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ قَبْلِكَ مَعِيشَتَهَا



فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَمَا أَوْتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة ورويس «يجبى» بالياء. الباقون بالتاء. وقرأ أبو عمرو وإلا السوسى «يعقلون» بالياء.

يقول الله تعالى لنبى محمد صلى الله عليه وآله «إِنَّكَ» يا محمد «لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» هدايته. وقيل: معناه من أحببته لقرابته. والمراد بالهداية- هاهنا- اللطف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٤

الذى يحتاج اليه ليختار عنده الايمان، وذلك لا يقدر عليه غير الله لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه، لأنه لا يعلم ما يصلح العبد فى دينه إلا الله تعالى، فإذا دبر الأمور على ما فيه صلاحه كان لطفاً له، وهذا التدبير لا يتأتى من أحد سوى الله تعالى، فلذلك نفى الله ذلك عن نبيه، ويؤيد ما قلناه قوله «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» ومعناه هو أعلم بمن يهتدى باللطف ممن لا يهتدى، فهو تعالى يدبر الأمور على ما يعلم من صلاح العباد، على التفصيل من غير تعليم.

وهذه الآية نزلت لأن النبى صلى الله عليه وآله كان يحرص على إيمان قومه ويؤثر أن يؤمنوا كلهم، ويحب أن ينقادوا له ويقروا بنبوته، وخاصة أقاربه. فقال الله تعالى له: إنك لا تقدر على ذلك، وليس فى مقدورك ما تلتطف بهم فى الايمان ذلك بل فى مقدور الله يفعل به من يشاء إذا علم أنهم يهتدون عند شىء فعله بهم فلا ينفع حرصك على ذلك. وروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقادة وغيرهم أنها نزلت فى أبى طالب. و

عن أبى عبد الله وأبى جعفر إن أباً طالب كان مسلماً

و عليه اجماع الامامية، لا يختلفون فيه، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها.

ثم قال تعالى حاكياً عن الكفار أنهم قالوا: إن نتبع محمداً وما يدعوننا اليه ونقول انه هدى وموصل الى الحق «تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» وقيل: إنها نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد مناف، فانه قال للنبى صلى الله عليه وآله انا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الذى معك، ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا معنى مكة، ولا طاقة لنا بالعرب فقال الله تعالى (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) فالتخطف أخذ الشىء على الاستلاب من كل وجه: تخطف تخطفاً واختطف اختطافاً وخطفه يخطفه خطفاً قال امرؤ القيس:

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٥

تخطف خزان الشربة بالضحي وقد حجرت منها ثعالب أورال (١)

فقال الله تعالى لهم (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) وقيل فى وجه جعله الحرم آمناً وجهان:

أحدهما- بما طبع النفوس عليه من السكون إليه بترك النفور مما ينفر عنه فى غيره كالغزال مع الكلب، والحمام مع الناس وغيرهم. والوجه الآخر- بما حكم به على العباد وأمرهم أن يؤمنوا من يدخله ويلوذ به، ولا يتعرض له، وفائدة الآية إنا جعلنا الحرم آمناً لحرمه البيت مع أنهم كفار يعبدون الأصنام حتى آمنوا على نفوسهم وأموالهم، فلو آمنوا لكان أحرى بأن يؤمنهم الله، وأولى بأن يمكنهم من مراداتهم.

وقوله «يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ» أى يجلب الى هذا الذى جعلناه حراماً ثمرات كل شىء.

فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الثمرات. ومن قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى.

وقوله «رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا» نصب على المصدر، وتقديره رزقاً رزقناه من عندنا «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما أنعمنا به عليهم. ثم قال «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ» أى من أهل قريه استحقوا العقاب «بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا» قال الفراء:

معناه أبطرتها معيشتها، كقولهم ابطرك مالك، فذكرت المعيشة، لان الفعل كان لها فى الأصل فحول الى ما أضيفت اليه فنصبت كما

قال «فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا» (٢) فالبطر والأشر واحد، وهو شق العصا بتضييع حق نعم

(١) شرح ديوانه ١٦٦ (حسن السندوبى)

(٢) سورة النساء آية ٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٦

الله، والطغيان فيها بجحدها، والكفر بها.

ثم اخبر تعالى فقال «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ» يعنى مساكن الذين اهلكهم الله «لَمْ تُسَيِّكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» من الزمان. ثم هلكوا وورث الله تعالى مساكنهم لأنه لم يبق منهم احد. ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال «وَمَا كَانَ رَبُّكَ» يا محمد «مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا» وقيل فى معنى «أمها» قولان:

أحدهما- فى أم القرى، وهى مكة.

والآخر فى معظم القرى فى سائر الدنيا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» اى يقرأ عليهم حجج الله وبياناته «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ» لنفوسهم بارتكاب المعاصى، وكفران نعمه.

ثم خاطب خلقه فقال «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى ما أعطيتم من شىء «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» اى هو شىء تنتفعون به فى الحياة الدنيا، و تترنون فيها «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب ونعيم الجنة (حَيْرٌ وَأَبْقَى من هذه النعم، لأنها باقية، وهذه فانية (أفلا تعقلون) ذلك و تتفكرون فيه.

وقوله (ثَمَرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ قِيلَ: ان (كل) هنا البعض، لأننا نعلم انه ليس يجبى الى مكة كثير من الثمرات. وقال قوم: ظاهر ذلك يقتضى انه يجبى اليه جميع الثمرات إما رطباً او يابساً، ولا مانع يمنع منه.

و من قرأ (تعقلون) بالتاء فلقوله (وَمَا أُوتِيتُمْ) و من قرأ بالياء فتقديره (أفلا يعقلون) يا محمد.

### قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص: ١٦٦

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعِدًا حَسِينًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٧

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى منبهاً لخلقه على عظيم ما أنعم به عليهم و رغبهم فيه من ثواب الجنة «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعِدًا حَسِينًا» يعنى من ثواب الجنة جزاء على طاعاته يكون بمنزلة من متعناه متاع الحيا الدنيا؟! و قال السدى المعنى بقوله «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ» حمزة بن عبد المطلب، و على بن أبى طالب عليه السلام وعدهما الله الجنة.

وقيل: النصر فى الدنيا و الجنة فى الآخرة- ذكره الضحاك و مجاهد- «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى به أبى جهل «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» فى النار. وقيل للجزاء. وقيل: نزلت فى النبى صلى الله عليه وآله و أبى جهل و المتعة هى المنفعة. و قد فرق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ فى الحال، و النفع قد يكون بألم يؤدى الى لذة فى العاقبة، فكل متعة منفعة، و ليس كل منفعة

متعة. و المتاع على وجهين:

أحدهما- كالادوات التي يتمتع بها من نحو الفرس، و الأثاث و الثياب و غيرها التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٨  
و الثاني- يكون بمعنى المتعة. و المراد- هاهنا- متعة الحياة الدنيا.

و قوله- «ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» يعنى من المحضرين للجزاء بالعقاب، لأنه تعالى ذكر من وعد وعداً حسناً، فدل ذلك على أهل الثواب ثم ذكر انه لا يستوى أهل الثواب و غيرهم، فدل على اهل العقاب، لبعد حال كل فريق من الفريقين عن الآخر. و الإحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد، فلما كان هؤلاء القوم يوجدون يوم القيامة ما به يكرهون بحيث يشاهدهم الخلائق، كانوا محضرين. ثم قال «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» و تقديره: و اذكر يوم ينادى الله الكفار، و هو يوم القيامة «فيقول» لهم على وجه التوبيخ لهم و التقرير «ابن الذين» اتخذتموهم شركائي فعبدتموهم معى على قولكم و زعمكم و الزعم القول فى الأمر عن ظن أو علم، و لذلك دخل فى باب العلم، و أخواته قال الشاعر:

فان ترعيني كنت أجهل فيكم فأنى شريت الحلم بعدك بالجهل (١)

ثم حكى ان «الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» بالعقاب: من الشياطين و الانس و الذين أغوا الخلق من الانس يقولون فى ذلك اليوم «ربنا هؤلاء» يعنى من ضل بهم من الناس و اتخذوا شركاء من دون الله هم «الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْزِفُونَ» اى تبرأ بعضهم من بعض، و صاروا أعداء. و يقولون لم يكن الانس يعبدوننا. ثم حكى الله فقال «وَقِيلَ لَهُمْ اذْعُرُوا شُرَكَاءَكُمْ» الذين عبدتموهم من دون الله. ثم حكى انهم يدعونهم «فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُهْتَدُونَ» و قيل فى معناه قولان:

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٦١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٦٩

أحدهما- لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب.

و الثاني- لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب.

ثم قال «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» فيما دعوكم اليه من توحيد الله و عدله و اخلاص العبادة له.

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص: ١٦٩**

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى أنه ينادى الكفار يوم القيامة و يقررهم عما أجابوا به المرسلين، أخبر انهم تعمى عليهم الحجج، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً. و العمى آفة تنافى صحة البصر «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ» فيه تشبيه بالعمى عن الأبصار لانسداد طريق الاخبار عليهم، كما تنسد طرق الأرض على الأعمى، و معنى «فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ» أى هم لانسداد طرق الاخبار عليهم لم يجيبوا عما سئلوا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٠

عنه، و لا يسأل بعضهم بعضاً عنه، لانقطاعهم عن الحجج، و لا ينافى قوله «فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ» قوله فى موضع آخر «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» (١) لان يوم القيامة مواطن يختلف فيها حالهم، فمرة تطبق عليهم الحيرة، فلا يتساءلون، و مرة يفيقون فيتساءلون. و قال الحسن: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً كما كانوا فى الدنيا.

ثم اخبر تعالى «فَأَمَّا مَنْ تَابَ» من المعاصي و رجع عنها الى الطاعات، و أضاف الى ذلك الاعمال الصالحات «فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» و انما أدخل (عسى) في اللفظ مع انه مقطوع بفلاحه، لأنه على رجاء أن يدوم على ذلك، فيفلح، و قد يجوز أن يزول فيما بعد، فيهلك، فلماذا قال «فَعَسَى» على انه قيل: إن عسى من الله في جميع القرآن واجبة.

ثم اخبر تعالى فقال «وَرُبُّكَ» يا محمد «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- يختار الذي كان لهم فيه الخيرة، فدل بذلك على شرف اختياره لهم.

الثاني- أن تكون (ما) نفيًا أي لم يكن لهم الخيرة على الله بل لله الخيرة عليهم، لأنه مالك حكيم في تدبيرهم، فيكون على هذا الوجه الوقف على قوله «و يختار» و هو الذي اختاره الزجاج. و قال الحسن: معناه «ما كان لهم الخيرة» أي أن يختاروا الأنبياء، فيبعثوهم. و قال مجاهد «لا يتساءلون» بالأنساب و القرابات. و قيل «لا يتساءلون» بما فيه حجج لهم، و قوله «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» معناه ما عظم الله حق عظمته من أشرك في عبادته، لأن من تعظيمه اخلاص الالهية له، و انه الواحد فيما تفرد به على

(١) سورة الصافات آية ٢٧ و سورة الطور آية ٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧١

استحقاق العبادة، و انه لا يجوز أن يستغنى عنه غيره، فمن أشرك في عبادته فما عظمه حق تعظيمه، فهذا قد قبح فيما أتى وضيع حق نعمه.

ثم قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله «وَرُبُّكَ يَا مُحَمَّدٌ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ» أى عالم بما يخفونه و ما يظهره، يقال: أكننت الشيء فى صدرى أى أخفيته و (كننته) بغير ألف صنته. و قيل: كننت الشيء و أكننته لغتان.

ثم اخبر تعالى انه الإله الذى لا إله سواه، و لا يستحق العبادة غيره فى جميع السموات و الأرض، و انه يستحق الثناء و الحمد و المدح و التعظيم، على ما أنعم به على خلقه فى الدنيا و الآخرة «وَلَهُ الْحُكْمُ» بينهم بالفصل بين المختلفين بما يميز به الحق من الباطل. و ان جميع الخلق يرجعون اليه يوم القيامة الذى لا يملك احد الحكم غيره. و قيل قوله «وَرُبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ» ذلك فى الوليد بن المغيرة حين قال «لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ» (١) فبين الله تعالى أن له أن يختار ما يشاء لنبوته و رسالته بحسب ما يعلم من يصلح لها.

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص: ١٧١**

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلَيَالٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَيْلٍ تَبْصُرُونَ (٧٢) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

(١) سورة الزخرف آية ٣١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٢

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله لنبىه صلى الله عليه و آله «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عبدوا معى آلهة تنبها لهم على خطئهم (أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) أى دائماً (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بلا نهار و لا ضياء (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ) كضياء النهار تبصرون فيه، فإنهم لا

يقدر على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله تعالى، فحينئذ يلزمهم الحجّة بأنه لا يستحق العبادة غير الله و هذا تنبيه منه لنبية صلى الله عليه وآله و لخلقه على وجه الاستدلال على توحيده و يبطل ذلك قول من قال: المعارف ضرورية. لأنه لو كان تعالى معلوماً ضرورةً لما احتاج الأمر الى ذلك، لان كونه معلوماً ضرورةً يغنى عن الاستدلال عليه، و ما لا يعلم ضرورةً من أمر الدين، فلا يصح معرفته إلا ببرهان يدل عليه.

و قوله (ا فلا- تسمعون) معناه أ فلا- تقبلونه و تفكرون فيه؟ و فى ذلك تبكيت لهم على ترك الفكر فيه، لأنهم إذا لم يفكروا فيما يسمعون من حجج الله فكأنهم ما سمعوه. و قيل فى قوله (أ فلا تسمعون) قولان:

أحدهما- ا فلا تسمعون هذه الحجّة فتدبرونها و تعملون بموجبها إذ كانت بمنزلة الناطقة بأن ما أنتم عليه خطأ و ضلال يؤدى الى الهلاك. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٣

و الثانى- ان معناه أ فلا- تقبلون. ثم نبههم ايضاً فقال (أ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَبْعَ مَدَّاءٍ أَى دَائِماً (الى يوم القيامة) بلا ليل تسكنون فيه، فإنهم لا يقدر على الجواب عن ذلك إلا بما يدل على فساد معتقدهم، و هو انه لا يقدر على ذلك غير الله، فحينئذ تلزمهم الحجّة بأنه لا يستحق العبادة سواه.

و قوله (ا فلا تبصرون) معناه أ فلا تفكرون فيما ترونه، لأن من لا يتدبر بما يراه من الحجج و البراهين فكأنه لم يرها. و قيل معناه أ فلا تعلمون ثم قال (و من رحمته) أى من نعمه عليكم أن (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا) فى الليل (و لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) بالنهار بالسعى فيه، و لكى تشكروا هذه النعم التى أنعم بها عليكم، و الهاء فى قوله (لتسكنوا فيه) يحتمل وجهين:

أحدهما- ان يعود الى الليل خاصة، و يضم مع الابتغاء هاء أخرى.

الثانى- ان يعود الضمير اليهما إلا انه وحد، لأنه يجرى مجرى المصدر فى قولهم: إقبالك و ادبارك يؤذيني، و الاول أصح، لان الليل للسكون فيه، و النهار للتصرف و الحركة، و لكنه يحتمل ليكونوا فى هذا على التصرف و فى ذاك على الهدوء و قطع التصرف، و انما كان الفساد فى ادامة النهار فى دار التكليف، و لم يكن فى دار النعيم، لأن دار التكليف لا بد فيها من التعب و النصب الذى يحتاج معه الى الاستحمام و الراحة، و ليس كذلك دار النعيم، لأنه انما يتصرف فيها بالملاذ. و قوله «أَيِّنْ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» قد مضى تفسيره. و انما كرر النداء ب «أَيِّنْ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» لان النداء الأول للتقرير بالإقرار على اليقين بالغي الذى كانوا عليه و دعوا اليه.

و الثانى- للتعجيز عن اقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الاشهاد مع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٤

تقرير حاصل به بالاشراك بعد تقرير.

ثم اخبر تعالى انه نزع «من كل أمة» من الأمم «شهيداً» يشهد على تلك الامة بما كان فيها، و معنى (نزعنا) أخرجنا و أحضرنا يقال: فلان ينزع الى وطنه بأن يحن اليه حينئذ يطالبه بالخروج اليه. قال قتادة و مجاهد:

شهيدها نبيها الذى يشهد عليها بما فعلوه، و قيل هؤلاء الشهود: هم عدول الآخرة الذين لا يخلو زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا من عصيانهم.

و قوله (هاأتوا بزهانكم) حكاية عما يقول الله تعالى للكفار فى الآخرة فانه يقول لهم هاتوا حججكم على ما ذهبتم اليه (إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ) ثم اخبر تعالى انهم عند ذلك يعلمون (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) أى ان التوحيد لله و الإخلاص فى العبادة له دون غيره لان معارفهم ضرورة (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أى بطل ما عبده من دون الله، و افتراءهم هو ادعاءهم الالهية مع الله تعالى

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص: ١٧٤**

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوبُ بِالْعَضْبِ بِه أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْتَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمَذُوقٌ حَظٌّ عَظِيمٌ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٥

خمس آيات بلا خلاف.

هذا اخبار من الله تعالى (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ مُوسَى ابْنَ أَخِيهِ، وَقَارُونَ عَمَهُ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيْجٍ: كَانَ ابْنُ عَمِهِ لِأَبِيهِ وَ أُمِّهِ (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا بَغَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ مَالِهِ. وَ الْبَغَى طَلَبُ الْعُلُوِّ بِغَيْرِ حَقِّ. وَ مِنْهُ قِيلَ لَوْلَاةُ الْجَوْرِ: بَغَاءٌ، يُقَالُ: بَغَى بِيغَى بَغِيًّا، فَهُوَ بَاغٌ وَ ابْتَغَى كَذَا ابْتِغَاءً إِذَا طَلَبَهُ، وَ يَبْتَغِي فَعَلَ الْحَسَنَ أَيْ يَطْلُبُ فَعَلَهُ بِدَعَائِهِ إِلَى نَفْسِهِ. وَ (قَارُونَ) اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ لَا يَنْصَرَفُ، وَ

رَوَى أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالتَّوْرَةِ بَغِيًّا عَلَى مُوسَى وَ قَصَدَ إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَ الْإِفْسَادُ عَلَيْهِ.

وَ قَوْلُهُ (وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ) أَيْ أُعْطِيْنَاهُ كُنُوزَ الْأَمْوَالِ وَ الْكُنُوزُ جَمْعُ الْمَالِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَ بِالْعَرَفِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَخْبَأُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَ لَا يُطْلَقُ اسْمُ الْكُنُوزِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا عَلَى مَا لَا يَخْرُجُ زَكَاتُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) «١» فَوَجَّهَ الْوَعِيدَ عَلَيْهِ مِنْهُ تَعَالَى

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٦

على فعلهم يدللك على صحته ما قلناه.

وَ قَوْلُهُ (مَا إِنْ مَفَاتِحِهِ) الْمَفَاتِحُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَفْتَحُ بِهِ الْإِعْلَاقَ، وَ جَمْعُهُ مَفَاتِيحٌ وَ مَفَاتِيحٌ جَمْعُ مَفْتَحٍ، وَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَ قَالَ قَوْمٌ: كَانَتْ مَفَاتِيحُهُ مِنْ جُلُودٍ وَ قَالَ آخَرُونَ: مَفَاتِحُهُ خَزَائِنُهُ. قَالَ الزَّجَاجُ: وَ هُوَ الْأَشْبَهُ.

وَ قَوْلُهُ (لَتَتَوَّأُ بِالْعَصِيبَةِ) أَيْ لَيَثْقُلُ فِي حَمَلِهِ، يُقَالُ: نَاءٌ بِحَمَلِهِ يَنْوُءُ نَوْءًا إِذَا نَهَضَ بِهِ مَعَ ثِقَلِهِ عَلَيْهِ، وَ مِنْهُ أُخِذَتِ الْإِنْوَاءُ، لِأَنَّهَا تَنْهَضُ مِنَ الْمَشْرِقِ عَلَى ثِقَلِ نَهْوِضِهَا. وَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: نَاءٌ نِي الْحَمَلِ إِذَا اثْقَلَنِي. وَ الْعَصْبَةُ الْجَمَاعَةُ الْمَلْتَفَةُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. وَ قَالَ قَتَادَةُ: الْعَصْبَةُ مَا بَيْنَ الْعِشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ. وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ يَكُونُ الْعَصْبَةُ ثَلَاثًا. وَ إِنَّمَا قَالَ لَتَنْوُءَ بِالْعَصْبَةِ وَ الْمَعْنَى الْعَصْبَةُ تَنْوُءُ بِهَا، لِأَنَّ الْمَعْنَى تَمِيلُ بِهَا مَثْقَلَةٌ. وَ قِيلَ: هُوَ يَجْرِي مَجْرَى التَّقْدِيمِ وَ التَّأخِيرِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَ نَرَكِبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَ تَشْقَى الرَّمَاحَ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحَمْرِ «١»

وَ إِنَّمَا تَشْقَى الضِّيَاطِرَةَ بِالرَّمَاحِ، وَ قَالَ آخَرُ:

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَ مَالِي وَ مَا آلَوْهُ إِلَّا مَا يَطِيقُ «٢»

وَ الْمَعْنَى بِنَفْسِي وَ مَالِي نَفْسَهُ، وَ قَالَ الْفَرَاءُ: كَانَ الْأَصْلُ إِنْ يَقُولُ لَتَنْوُءَ الْعَصْبَةُ أَيْ يَثْقَلُهُمْ، بِحَذْفِ الْيَاءِ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ، وَ هُوَ مَقْلُوبٌ:

إِنْ سَرَجًا لِكْرِيمٍ مَفْخَرَةٌ تَحْلِي بِهِ الْعَيْنَ إِذَا مَا تَجْهَرُ «٣»

فَالْوَجْهُ إِنْ الرَّجُلُ يَعْجَبُ بِالْعَيْنِ وَ كَانَ يَبْتَغِي إِنْ يَقُولُ يَحْلِي بِالْعَيْنِ، كَقَوْلِهِ:

(١) قائله خداهش بن زهير امالي الشريف المرتضى ١/ ٤٦٦ و اللسان (ضطر)



(٢) قاله عباس بن مرداس أمالي الشريف المرتضى ٢١٧/١.

(٣) مر تخريجه في ١٩٦، ٧٩/٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٧

حليت بعينك ريطه مطويه قال الرماني - التأويل الأول هو الصحيح، لأنه ليس من باب التقديم والتأخير لما في ذلك من قلب المعنى وليس كالذى تبنيه الاعراب. وقوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) حكاية عما قال قوم قارون لقارون حين خوفوه بالله ونهوه عن الفرح بما آتاه الله من المال، وأمره بالشكر عليه. و الفرح المرح الذى يخرج الى الانس، وهو البطر. ولذلك قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) لأنه إذا أطلقت صفة فرح فهو الخارج بالمرح الى البطر، فأما قوله «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» «١» فحسن جميل بهذا التقييد، وقال مجاهد: الفرحين هو فرح البطر. وقال الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب «٢»

وقال آخر:

ولا ينسني الحدثان عرضي ولا أرخى من الفرح الازارا «٣»

وقوله «وَأَبْنَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» حكاية عما قال لقارون قومه المؤمنون بموسى و بتوحيد الله. وقال قوم: إن المخاطب له كان موسى وإن ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما أعطاك الله من الأموال «الدَّارَ الْآخِرَةَ» بأن ينفقها فى وجوه البر وسبيل الخير «وَلَا تَنْسَ نَصِيحَكَ مِنَ الدُّنْيَا» قال ابن عباس: منعه أن يعمل فيها بطاعة الله، وقال الحسن معناه: أن يطلب الحلال

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٧٠.

(٢) تفسير القرطبي ٣١٣/١٣ و يروى (المتحول) بدل (المتقلب) و مجاز القرآن ١٧٨/٢. [.....]

(٣) قاله ابن احمر، مجاز القرآن ١١١/٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٨

«وَأَحْسِنْ» اى افعّل الجميل الى الخلق. و تفضل عليهم، كما تفضل الله عليك «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ» اى لا تطلب الفساد بمنع ما يجب عليك من الحقوق، و انفاق الأموال فى المعاصى «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» اى لا يريد منافع من يفسد فى الأرض، و لا يريد أن يفعل بهم ثواب الجنة.

وقوله «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي» حكاية عما قال قارون فى جواب قومه، فانه قال لهم: أوتيت هذه الأموال على علم بأنى مستحق لذلك، لعلمى بالتوراة، و قال قوم: لانى أعمل الكيمياء، و قال قوم لعلمى بوجوه المكاسب، و بما لا يتهاى لأحد أن يسلبنى إياه، فقال الله تعالى موبخاً على هذا القول «أَوَلَمْ يَعْلَمْ» قارون «أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» كقوم عاد، و ثمود، و قوم لوط و غيرهم، فما اغنى عنهم جمعهم و لا قوتهم حين أراد الله إهلاكهم، فكيف ينفع قارون ماله و جمعه.

وقوله «وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال الفراء تقديره: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم، فالهاء و الميم للمجرمين، كما قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» «١» و قال الحسن لا- يسأل عن ذنوبهم المجرمون لنعلم ذلك من قبلهم، و إن سئلوا سؤال تقرير و توبيخ.

ثم حكى تعالى أن قارون «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ» التى كان يترزين بها. و قيل: إنه كان خرج مع قومه عليهم فى الديباج الأحمر على الخيل، فلما رآه الذين يريدون الحياة الدنيا من الكفار و المنافقين و الضعيفى الايمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة قالوا «يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ» تمنوا



(١) سورة ٥٥ الرحمان آية ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٧٩

مثل منزلته، و مثل ماله و إنهم قالوا ان قارون «لَمُدُّو حَظًّا» من الدنيا و نعيمها «عَظِيمًا». ثم حكى ما قال المؤمنون بثواب الله المصدقون بوعده في جوابهم «وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» مما أوتى قارون، و حذف لدلالة الكلام عليه. و قوله «وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ» أى ما يلقى مثل هذه الكلمة إلا الصابرون على أمر الله. و قيل: و ما يلقى نعمه الله من الثواب إلا الصابرون. فان قيل: أ ليس عندكم أن الله لا يؤتى الحرام أحداً؟ و قد قال- هاهنا- «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ» فأخبر انه آتاه. قيل: لا يعلم أن ذلك المال كان حراماً، و يجوز أن يكون حلالاً وورثه أو كسبه بالمكاسب و المتاجر، ثم لم يخرج حق الله منه و طغى فسخط الله عليه و عاقبه لطغيانه و عصيانه لا على كسب المال.

**قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ٨١ الى ٨٨] ..... ص: ١٧٩**

فَحَسِبْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُتَّصِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَ يَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥)

وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا- رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَ لَا يَصِدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعِيدٌ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَ أَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٠

ثمان آيات بلا خلاف.

روى عن الكسائى الوقف على «وى» من قوله تعالى «وى كأن الله» و من قوله «وى كأنه» و روى عن ابن عمر الوقف على الكاف منهما قال ابو طاهر: الاختيار اتباع المصحف، و هما فيه كلمة واحدة، و قرأ حفص و يعقوب «لخسف بنا» بفتح الخاء و السين. الباقون بضم الخاء و كسر السين على ما لم يسم فاعله.

حكى الله تعالى أنه خسف بقارون و بداره الأرض، فمن يهوى فيها حتى زهقت نفسه على أسوأ حالها، و الخسف ذهاب فى الأرض فى جهة السفلى.

ثم اخبر تعالى انه لم يكن لقارون (فئة) أى جماعة منقطعة اليه. و الفئة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨١

مشتق من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعتة، و تصغيرها فئيه (يُنصِرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى يمنعونه من عذاب الله الذى نزل به، و انما ذكر امتناع النصره من الله مع أنه معلوم أنه كذلك، لان المراد أنه لم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته و جنده، لان الذى غره قوته و تمكنه حتى تمرد فى طغيانه. ثم اخبر انه كما لم يكن له من ينصره لم يكن هو ايضاً ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك و قصوره عنه. ثم حكى أن (الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) حين خرج عليهم على زينته لما رأوه خسف الله به، أصبحوا يقولون (وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ) أى يوسع رزقه على من يشاء و يضيق على من يشاء، اعترفوا بذلك. و معنى (وى) التنبيه على أمر من الأمور، و هى حرف مفصول من (كأن)- فى قول الخليل و سيبويه- و اختاره الكسائى. و ذلك انهم لما رأوا الخسف

تنهوا فتكلموا على قدر علمهم عند التنبيه لهم، كما يقول القائل إذا تبين له الخطأ: وى كنت على خطأ، وقال زيد بن عمرو بن نفيل: سألتانى، الطلاق إذ رأتنى قل مالى قد جئمانى بنكر وى كأن من يكن له نشب يح بب و من يفتقر يعيش عيش ضر «١»  
وقيل (وى كأنه) بمنزلة (ألا كأنه، و أما كأنه) وقيل هى: ويك إن الله، كأنه قال ينبهك بهذا إلا انه حذف، قال عنترة:  
ولقد شفى نفسى و أذهب سقمها قيل الفوارس و يك عنتر أقدم «٢»  
وقال قوم: هى بمنزلة (ويلك) إلا انه حذف اللام تخفيفاً، و نصب انه بتقدير اعلم انه لا يفلح، وهذا ضعيف، لان العلم لا يضمرو  
يعمل. وقال

(١) تفسير القرطبي ٣١٨ / ١٣.

(٢) ديوانه ٣٠ من معلقته.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٢

الفراء: سألت امرأة زوجها عن أبيه فقال ويك إنه وراء الحائط، و معناه ألا ترينه وراء الحائط. وقيل المعنى إن (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وَيَقْدِرُ لا لكرامة عليه، كما بسط لقارون (و يقدر) أى يضيق لا لهوانة عليه، كما ضيق على أنبيائه.  
ثم قالوا (لَوْ لا- أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا) و عفى عنا لخسف بنا، كما خسف بقارون (وَيُكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) أى لا يفوز بثوابه و ينجو من عقابه من يجحد نعم الله و يعبد معه سواه. وقيل: إن قارون جعل لبغى جعلاً على أن ترمى موسى بالفاحشة، فلما حضرت فى الملاء كذبت قارون و أخبرت بالحق فخر موسى ساجداً بيكى، فأوحى الله اليه ما يبيكىك قد سلطتك على الأرض فمرها بما شئت، فقال موسى يا أرض خذهم، فأخذتهم الى ركبهم. ثم قال يا أرض خذهم، فأخذتهم الى حقوقهم ثم قال يا أرض خذهم، فأخذتهم الى أعناقهم و هم فى كل ذلك ينادون يا موسى يا موسى ارحمنا- ذكره ابن عباس- و روى أن الله تعالى قال: لو قالوا مرة واحدة يا الله ارحمنا لرحمتهم.

ثم قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) يعنى الجنة (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) و انما قبح طلب العلو فى الأرض، لأنه ركون اليها، و ترك لطلب العلو فى الآخرة، و معاملته لها بخلاف ما أراده الله بها من أن تكون دار ارتحال لا دار مقام فيها (و لا فساداً) أى و لا يريدون فساداً فى الأرض بفعل المعاصى (وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) اخبار منه تعالى بأن العاقبة الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصى الله و يفعلون طاعاته. و قيل: علواً فى الأرض معناه تكبراً عن الحق.

ثم اخبر تعالى ان من جاء بطاعة من الطاعات و حسنة من الحسنات التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٣  
(فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثواباً عليها و جزاء عليها، لان له بالواحدة عشرأ (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية (فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ) يعنى الذين عملوا المعاصى إلا على قدر استحقاقهم على ما فعلوه من غير زيادة، كما قال (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) «١».  
وقوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) خطاب للنبي صلى الله عليه و آله يقول الله له إن الذى أوجب عليك الامتثال بما يضمه القرآن و أنزله عليك (لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ) قال الحسن: معناه الى المرجع يوم القيامة. و قال مجاهد: إلى الجنة.  
وقال ابن عباس: الى الموت. و فى رواية أخرى عن ابن عباس: الى مكة.

و الأظهر من الأقوال: لرادك الى معاد فى النشأة الثانية الى الجنة. و اكثر أقوال المفسرين انه أراد الى مكة قاهراً لأهلها.  
ثم قال له (قل) يا محمد (رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى الَّذِى يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ مِمَّنْ لَمْ يَجِءْ بِهِ، وَ ضَلَّ عَنْهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، وَ لَا مِنْهُ عَلَى الْهُدَى، وَ لَا مِنْهُ هُوَ ضَالٌّ عَنْهُ).

ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله (و ما كنت) يا محمد (تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ)

قال الفراء: تقديره إلا أن ربك رحيمك، فأنزله عليك، فهو استثناء منقطع. ومعناه وما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين و قصصهم تتلوها على أهل مكة، و لم تشهدا و لم تحضرها بدلالة قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا) «٢» أى انك تتلو على أهل مكة قصص مدین و موسى و لم تكن هناك تاوياً مقيماً فتراه فتسمعه و كذلك

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٠

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٤

قوله (وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْعُرْبِ) «١» فيها أنت تتلو قصصهم و أمرهم، فهذه رحمة من ربك. و معنى (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا) أى لا تكونن معيناً لهم (ولا- يصدنك) يعنى هؤلاء الكفار أى لا يمنعك «عن» اتباع (آيات الله) و حججه (بَعِيدٍ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ) على ما بينها فى القرآن (وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ) الذى خلقك و أنعم عليك (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين يتخذون مع الله معبوداً سواه (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) فتستدعى حوائجك من جهته (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) اخبار منه تعالى أنه لا معبود إلا الله وحده لا شريك له. ثم اخبر أن كل من سوى الله هالك، فان (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) و معناه إلا ذاته. و قيل: معناه كل شىء هالك إلا ما أريد به وجهه.

قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه و العمل «٢»

ثم قال (له الحكم) لأنه ليس لأحد أن يحكم بشىء إلا بأمر الله تعالى.

و يجعل الحكم له عقلياً كان او شرعياً و «اليه» الى الله (ترجعون) يوم القيامة الى الموضع الذى لا يملك أحد التصرف فيه سواه، لان الله تعالى قد ملك فى الدنيا لكثير من البشر التصرف فيها.

(١) سورة ٦ القصص آية ٤٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٢٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٥

## ٢٩-سورة العنكبوت ..... ص : ١٨٥

### إشارة

قال قوم: هى مكية، و قال قتادة: العشر الأول مدنى، و الباقى مكى. و قال مجاهد: هى مكية، و هى تسع و ستون آية بلا خلاف فى جملتها، و فى تفصيلها خلاف

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ١٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أْحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)

خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه عدوا «الم» آية. و لم يعده الباقون.

قال قتادة: نزلت في أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٦

المشركون، فرجعوا، فنزلت الآية فيهم، فلما سمعوا خرجوا، فقتل منهم من قتل و خلس من خلس، فنزلت فيهم (و الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا)

الآية «١» و قيل: نزلت في عمار، و من كان بقرب مكة- ذكره ابن عمر- و قيل:

نزلت في قوم أسملوا قبل فرض الجهاد و الزكاة، فلما فرضا منعوا، فنزلت الآية فيهم.

قد بينا في غير موضع اختلاف الناس في ابتداء السور بحروف الهجاء و ذكرنا أن أقوى الأقوال قول من قال: إنها أسماء للسور. و قال

قوم:

إنها أسماء للقرآن.

و قوله (الم أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) اختلف الناس في (الم) و قد ذكرناه فيما مضى «٢». و قوله (أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) خطاب

من الله لخلقه على وجه التوبيخ لهم بأن قال أ يظن الناس أن يتركهم الله إذا قالوا آمنا أى صدقنا و تقتصر منهم على هذا القدر، و

الحسبان و الظن واحد. و قوله (أ حسب) معناه التوهم و التخيل. و قيل: الحسبان مشتق من الحساب، لأنه في حساب ما يعمل عليه. و

منه الحسيب، لأنه في حساب ما يختبى، و «هم لا يفتنون» أى أ يظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا؟! و المعنى انهم يعاملون معاملة

المختبر لتظهر الافعال التى يستحق عليها الجزاء. و قيل: فى معنى «أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» قولان: أحدهما- يتركوا لأن يقولوا. الثانى- أ حسبوا

أن يقولوا على البدل و قال مجاهد: معنى «يُفْتَنُونَ» يتلون فى أنفسهم و أموالهم.

و قيل: معنى يفتنون يصابون بشدائد الدنيا أى ان ذلك لا يجب أن يرفع فى الدنيا لقولهم آمنا. و قال ابن عمر: أظنوا ان لا يؤمروا و لا

ينهوا.

(١) آية ٦٩ من هذه السورة.

(٢) انظر ١/ ٤٧- ٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٧

و قال الربيع: ألا يؤذوا و لا يقتلوا؟! ثم اقسام تعالى انه فتن الذين من قبلهم «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»

فيه. و انما قال «فليعلمن» مع أنه للاستقبال و الله تعالى عليم فيما لم يزل، لحدوث المعلوم فلا تصح الصفة إلا على معنى المستقبل إذ

لا- يصلح و لا- يصح لم يزل عالماً بأنه حادث، لانعقاد معنى الصفة بالحادث، و هو إذا حدث علمه تعالى حادثاً بنفسه. و قيل: معنى

«فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» ليجازيهم بما يعلم منهم. و قيل: معناه يعلم الله الذين صدقوا فى أفعالهم، كما قال الشاعر:

[ليث بعثر يسطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا «١»]

و قال ابن شجرة «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» معناه فليظهن الله لرسوله صدق الصادق.

و قال النقاش: معناه فليميزن الله الصادقين من الكاذبين. و هو قول الجبائى.

ثم قال تعالى ممدداً لخلقه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» أى أ يظن الذين يفعلون القبائح و المعاصى ان يفوتونا؟! كما

يفوت السابق لغيره.

ثم قال «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أى بئس الشىء الذى يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا.

ثم قال «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله.

و قال سعيد بن جبير و السدى: معناه من كان يخاف عقاب الله، كما قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها (٢)

أى لم يخف ف (من) رفع بالابتداء، وخبرها (كان) و جواب الجزاء، كقولك زيد إن كان فى الدار فقد صدق الوعد. وقوله

(١) قائله زهير بن ابى سلمى ديوانه: ٤٣.

(٢) قد مر تخريجه فى ٢ / ٢١٠ و ٣ / ٣١٥ و ٧ / ٤٩١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٨

«فَإِنَّ اللَّهَ لَمَاتٍ» أى الوقت الذى وقته الله للثواب والعقاب آت لا- محالة والله «هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بما تضمرونه فى نفوسكم، فيجازيكم بحسب ذلك.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ١٨٨

وَمَنْ جَاهِدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَصَيَّرْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى «وَمَنْ جَاهِدَ» أى من جاهد نفسه بأن يصبر على ما أمره الله به، ويعمل بسنته، ومنه الجهاد، وهو الصبر فى الحرب على ما جاء به الشرع «فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» لان ثواب صبره عائد عليه و واصل اليه دون الله تعالى، لأنه تعالى غنى عن جميع الخلاق غير محتاج الى طاعتهم، ولا غير ذلك.

ثم قال تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بوحدانيته وأقروا بنبوة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٨٩

نبيه، و اعترفوا بما جاء به من عند الله «لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» التى اقترفوها قبل ذلك. و من قال بالإحباط قال: تبطل السيئة الحسنه التى هى أكبر منها حتى يصير بمنزله ما لم يعمل، كما قال «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» (١) و الإحباط هو إبطال الحسنه بالسيئه التى هى أكبر منها. و السيئه الخصلة التى يسوء صاحبها عاقبتها. و الحسنه الخصلة التى يسر صاحبها عاقبتها. و كل حسنه طاعه لله، و كل سيئه هى معصيه له تعالى.

وقوله «لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» قال الجبائى: معناه أحسن ما كانوا يعملون: طاعتهم لله، لأنه لا شىء فى ما يعمله العباد أحسن من طاعتهم لله. و قال قوم: معناه و لنجزينهم بأحسن أعمالهم، و هو الذى أمرناهم به، دون المباح الذى لم تأمرهم به و لا نهيناهم عنه.

وقوله «وَصَيَّرْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا» معناه أمرناه أن يفعل حسناً و ألزمناه ذلك. ثم خاطب كل واحد من الناس، فقال «وَإِنْ جَاهَدَاكَ» يعنى الوالدين أيها الإنسان «لِتُشْرِكَ بِي» فى العبادة «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلَا تُطِعْهُمَا» فى ذلك. و قيل: نزلت فى سعد بن أبى وقاص، لأنه لما هاجر حلفت أمه انها لا يظلمها سقف بيت حتى يعود. فنزلت الآية.

ثم قال مهدداً للجميع «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى إلى مالكم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أى أخبركم «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار التكليف، ثم اجازيكم بحسبه. ثم قال تعالى «وَالَّذِينَ آمَنُوا» بتوحيد الله و اخلاص العبادة له و صدق أنبيائه و أضافوا الى ذلك الأعمال الصالحات «لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي» جملة «الصَّالِحِينَ» الذين فعلوا الطاعات و يجازيهم الله ثواب الجنة.

(١) سورة ١١ هود آية ١١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٠

ثم اخبر ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ» بلسانه «آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ» أى إذا لحقه شدة فى جنب الله «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ» أى عذاب الناس إياهم «كَعَذَابِ اللَّهِ» أى خافوا عذاب الخلق، كما يخاف عذاب الله، فيرتدون.  
«وَلَئِنْ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» وهذا الذى ذكره صفة المنافقين الذين إذا جاهدوا الكفار و كانت الدائرة على المسلمين جعلوا ذلك مثل ما يعذبهم الله، و متى ظفروا بأعدائهم قالوا للمؤمنين «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» فى الجهاد فلنا مثل ما لكم من الغنيمه، فقال تعالى «أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَالَمِينَ» أى الله يعلم بواطن أحوالهم و سرائر ما فى نفوسهم، فيجازيهم على حسب ذلك.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ١٩٠

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩١

اقسم الله تعالى بأنه يعلم الذين يؤمنون بالله على الحقيقة ظاهراً و باطناً فيجازيهم على ذلك بثواب الجنة، و ذلك ترغيب لهم «وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» فيه تهديد للمنافقين مما هو معلوم من حالهم التى يستترون بها و يتوهمون انهم نجوا من ضررها، باخفائها، و هى ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها، و تلك الفضيحة العظمى بها.

ثم حكى تعالى أن الذين كفروا نعم الله و جحدوها يقولون للذين آمنوا بتوحيده و صدق أنبيائه «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ» نحن «خَطَايَاكُمْ» أى نحمل ما تستحقون عليها من العقاب يوم القيامة عنكم هزواً بهم و اشعاراً بأن هذا لا حقيقة له، فالمأمور بهذا الكلام هو المتكلم به أمر نفسه فى مخرج اللفظ و معناه يضمن إلزام النفس هذا المعنى، كما يلزم بالأمر، قال الشاعر:

فقلت ادعى و ادع فان اندى لصوت أن ينادى داعيان (١)

معناه و لادع. و فيه معنى الجزاء و تقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم.

ثم نفى تعالى أن يكونوا هم الحاملين لخطاياهم من شىء، و انهم يكذبون فى هذا القول، لأن الله تعالى لا يؤخذ أحداً بذنب غيره، فلا يصح إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره، كما قال تعالى «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ» (٢) و ليس ذلك بمنزلة تحمل الدية عن غيره، و لان الفرض فى الدية أداء المال عن نفس المقتول، فلا فضل بين ان يؤديه زيد عن نفسه، و بين ان يؤديه عمرو عنه، لأنه بمنزلة قضاء الدين.

(١) شرح الفية بن مالك ٢٦٧ و تفسير القرطبي ١٣ / ٣٣٤. [.....]

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ و سورة ١٧ الإسراء آية ١٥ و سورة ٣٥ فاطر آية ١٨ و سورة ٣٩ الزمر آية ٧ و سورة ٥٣ النجم آية ٣٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٢

و قوله «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ» معناه انهم يحملون خطاياهم فى أنفسهم التى لا يعملونها بغيرهم، و يحلون الخطايا التى ظلموا بها بغيرهم، فحسن لذلك فيه التفصيل الذى ذكره الله.



وقوله «وَلَيْسَ لَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى يعملون. ومعناه إنهم يسألون سؤال تعنيف و توبيخ و تبكيت و تفرغ، لا سؤال استعلام كسؤال التعجيز فى الجدل، كقولك للوثنى ما الدليل على جواز عبادة الأوثان، و كما قال تعالى «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١).

ثم اخبر تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه يدعوهم الى توحيد الله و إخلاص العبادة له، و انه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يجيبوه، و كفروا به «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ» جزاء على كفرهم، فأهلكهم الله تعالى «وَهُمْ ظَالِمُونَ» لنفوسهم بما فعلوه من عصيان الله تعالى و الاشراك به، و الطوفان الماء الكثير الغامر، لأنه يطوف بكثرتة فى نواحي الأرض قال الراجز:

أفناهم طوفان موت جارف (٢)

شبه الموت فى كثرته بالطوفان. ثم اخبر تعالى انه أنجى نوحاً و الذين ركبوا معه السفينة من المؤمنين به، و جعل السفينة آية أى علامة للخلائق يعتبرون بها إلى يوم القيامة، لأنها فرقت بين المؤمنين و الكفار و العاصين و الأخيار، فهى دالة للخلق على صدق نوح و كفر قومه.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ١٩٢

وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذَلِكَم خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

(١) سورة ٢ البقرة آية ١١١ و سورة ٢٧ النمل آية ٦٤

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٥٣٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٣

خمس آيات بلا خلاف قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «أو لم تروا» بالياء. الباقون بالياء. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «النشاء» بفتح الشين ممدودة- هنا- و فى النجم، و الواقعة. الباقون- بسكون الشين مقصوراً- و من قرأ بالياء، فعلى الخطاب تقديره: قل لهم يا محمد «أو لم تروا» حين أنكروا البعث و النشور «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ» أى إذا أنكروا الاعداء كان الابتداء أولى بالنكرة. و حيث أقروا بان الله خالقهم ابتداء فيلزمهم أن يقرروا بالاعداء ثانياً. و من قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم «و يبدئ» فيه لغتان اتى بهما القرآن بدأ الله الخلق، و أبدأهم، قال الله تعالى «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» فمصدر أبدأ يبدؤ إبداءً، فهو مبدئ. و من قرأ (بدأ) يبدؤ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٤

بداً، فهو بادئ، و ذاك مبدوء، و يقال: رجع عوده على بدئه بالهمز، و بدا يبدو، بغير همز: ظهر. و قال ابو عمرو (غلام تغلب): يجوز رجع عوده على يده- بغير همز- بمعنى الظهور كقولهم: ما عدا مما بدا. و النشاء و النشاء بالمد و القصر، لغتان. كقولهم: رأفه و رأفه، و كآبه و كآبه و هما مصدران.

فالنشاء المرة الواحدة، يقال: نشأ الغلام، فهو ناشئ، و امرأة ناشئة، و الجمع ناشئ، و يقال للجوارى الصغار نشأ قال نصيب:

و لو لا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشاء الصغار (١)

و انشأهم الله إنشاء، فهو منشئ، و نشئ- بغير همز- ريحاً طيبة، و رجل نشوان من الشراب. و رجل نشيان للخير إذا كان يتخير الخير، حكاة تغلب.



قوله «وَأِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ» يحتمل نصبه أمرين:

أحدهما- ان يكون عطفاً على قوله «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ» و تقديره و أرسلنا إبراهيم أيضاً.

الثاني- بتقدير و اذكر «ابراهيم» حين «قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده لا شريك له، و اتقوا عقابه باتقاء معاصيه «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

و قوله «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا» حكاية عما قال ابراهيم لقومه كأنه قال لهم ليس تعبدون من دون الله إلا اوثاناً، و هو جمع وثن، و هو ما يعبد من دون الله. و قيل: ما يعمل من حجر و طين يسمى وثناً. و (ما) في قوله «إِنَّمَا» كافه، و ليست بمعنى الذي، لأنها لو كانت بمعنى الذي، لكان (أوثان) رفعاً.

(١) مر تخريجه في ٣٠٤/٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٥

و قوله «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» أى تعملون أصناماً، و سماها إفكاً لادعائهم أنها آلهة- و هو قول قتادة، و الجبائي- و قال ابن عباس: و تصنعون كذباً، و تحقيقه يصنعون على ما يقدرون، ثم قال لهم ابراهيم أيضاً «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام (لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) أى لا يقدرون على أن يرزقوكم، و إنما يتغى الرزق من القادر على المنع، و هو الله الرازق. و الملك قدرة القادر على ماله أن يتصرف فيه أتم التصرف، و ليس ذلك إلا لله- عز و جل- على الحقيقة لأن له التصرف و القدرة على جميع الأشياء بلا مانع، و الإنسان إنما يملك ما يملكه الله، و يأذن له فى التصرف فيه. فأصل الملك لجميع الأشياء لله. و من لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة، لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة. و الأصنام لا تقدر على ذلك، فإذا لا يحسن عبادتها.

ثم قال لهم «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ» أى اطلبوا الرزق من عند الله دون من سواه (و اعبدوه) على ما أنعم به عليكم من أصول النعم، و أعلى مراتب الفضل (وَ اشْكُرُوا لَهُ) أيضاً، لأنكم اليه ترجعون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم. فمن عبده و شكره جازاه بالثواب. و من عبد غيره و كفر نعمه جازاه بالعقاب. و يقال: شكرته و شكرت له يؤكد باللام. فمعنى الشكر له اختصاصه بنفسه من غير احتمال لغيره. ثم قال (وَ إِن تَكذَّبُوا) بما أخبركم به من عند الله، و ما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ) أنبياءهم الذين بعثوا فيهم و ليس (عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) يعنى الا- أن يوصل اليهم و يؤدى اليهم ما أمر به لكونه بياناً ظاهراً يمكنهم معرفته و فهمه، و ليس عليه حملهم على الايمان.

ثم قال (أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) أى ألم يفكروا فيعلموا كيف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٦

اخترع الله الخلق من العدم (ثم يعيده) ثانياً إذا اعدمهم بعد وجودهم. قال قتادة: معنى (/ ثم يعيده) بالبعث بعد الموت. و قيل ينشئه بالاحياء (ثم يعيده) بالرد الى حال الموت. و الأول أصح (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) غير متعذر، لأن من قدر على الاختراع و الإنشاء أولاً كان على الاعادة أقدر.

و معنى (يسير) لا تعب عليه فيه و لا نصب، و كل فعل كان كذلك، فهو سهل يسير. و الاحتجاج فى ذلك أن من قدر على ذلك قادر على إرسال الرسول الى العباد.

ثم قال لنبىه محمد صلى الله عليه و آله (قُلْ) لهؤلاء الكفار (سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ) و فكروا فى آثار من كان قبلكم، و الى أى شىء صار أمرهم لتعتبروا بذلك فيما يؤديكم الى العلم بربكم.

و قوله (ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) فالنشأة الآخرة اعادة الخلق كره ثانية من غير سبب كما كان أول مرة، لان معنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اخبار منه تعالى انه قادر على كل شىء يصح ان يكون مقدوراً له.

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبِلَعْنٍ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٧

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و الكسائي «مودة بينكم» بالرفع و الاضافة، و قرأ نافع و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر «مودة بينكم» منوناً منصوباً، و روى الأعشى عن أبي بكر برفع «مودة» و «بينكم» نصب، و قرأ حفص عن عاصم و حمزة «مودة بينكم» نصباً غير منون مضاف.

من رفع يحتمل وجهين أحدهما- ان يجعل «انما» كلمتين يجعل (ما) بمعنى الذي، و هو اسم (ان) و (مودة) خبره، و مفعول اتخذتم (هاء) محذوفة، و تقديره: إن الذي اتخذتموه مودة بينكم، كما قال الشاعر:

ذريني إنما خطائي وصوا بي على و انما أهلكت مالي

يريد ان الذي أهلكته مالي. الثاني- ان يرفعها بالابتداء، و «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» خبرها.

و من نصب جعل (المودة) مفعول (اتخذتم).

و من أضاف جعل البين الوصل. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ١٩٨

و من لم ينون و لم يضيف جعل (البين) ظرفاً. و هو الفراق ايضاً. يقال:

بينهما بين بعيد، و بون بعيد، و جلس زيد بيننا، و بينا بالإدغام، ذكره ابن زيد عن ابن حاتم عن الاصمعي، يقال: بان زيد عمراً: إذا فارقه يبونه بوناً قال الشاعر:

كأن عيني و قد بانوني غرباً نصوح غير محنوني

و قرأ أبي «انما مودة بينكم».

اخبر الله تعالى انه «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» من عباده إذا استحقوا العقاب (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) منهم فيعفو عنهم بالتوبة و غير التوبة (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) معاشر الخلق أى اليه تحشرون و ترجعون يوم القيامة. و القلب الرجوع و الرد، فتقلبون أى تردون الى حال الحياة فى الآخرة بحيث لا- يملك الضر و النفع فيه إلا الله. و القلب نفى حال بحال يخالفها. ثم قال: و لستم بمعجزين فى الأرض أى بفائتين، فالمعجز الفاتت بما يعجز القادر عن لحاقه، و لهذا فسروا (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى بفائتين، و المعنى لا تغتروا بطول الامهال (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) أى لستم تفوتونه فى الأرض، و لا فى السماء لو كنتم فيها، فانه قادر عليكم حيث كنتم. و قيل فى ذلك قولان: أحدهما- لا يفوتونه هرباً فى الأرض، و لا فى السماء. الثاني- و لا من فى السماء بمعجزين، كما قال حسان:

أ من يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء «١»

و تقديره و من يمدحه و ينصره سواء أم لا- يتساوون؟! و قوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) أى و ليس لكم ولى و لا ناصر من دون الله يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد بكم، فالولى هو الذى

(١) مر تخريجه فى ١/ ٤١٠.

يتولى المعونة بنفسه، والنصير قد يدفع المكروه عن غيره تارة بنفسه و تارة بان يأمر بذلك. ثم قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) اى جحدوا أدله الله و لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة (أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي) اخبار عن اياهم من رحمة الله، لعلمهم انها لا تقع بهم ذلك اليوم (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) اى مؤلم. و فى ذلك دلالة على ان المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يجوز ان يئس من رحمة الله. ثم قال (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) و فى ذلك دلالة على ان جميع ما تقدم حكاية ما قال ابراهيم لقومه، و انهم لما عجزوا عن جوابه بحجة عدلوا الى ان قالوا اقتلوه او حرقوه و فى الكلام حذف، و تقديره: إنهم أوقدوا ناراً و طرحوه فيها (فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) واضحة و حجة بينه (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بصحة ما أخبرناك به من توحيد الله و اخلاص عبادته.

ثم عاد الى حكاية قول ابراهيم و انه قال لهم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَيِّدَةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) قال قتادة: كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين كما قال (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) «١» و معنى الآية ان ابراهيم قال لقومه: انما اتخذتم هذه الأوثان آلهة من دون الله لتتوادوا بها فى الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرؤ بعضكم من بعض و يلعن بعضكم بعضاً، و مستقركم النار، و ما لكم من ينصركم بدفع عذاب الله عنكم. ثم قال لهم «وَمَا أَوَكُمُ النَّارُ» اى مستقركم و «مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»

(١) سورة الزخرف آية ٦٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٠

يدفعون بالقهر والغلبة. و روى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه فى كتاب التفسير ان جميع الدواب و الهوام كانت تطفى عن ابراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ النار، فأمر بقتلها. و روى أيضاً انه لم ينتفع احد يوم طرح ابراهيم فى النار بالنار فى جميع الدنيا.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ٢٠٠

فَمَا مَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بَعِيدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

ست آيات حجازى و خمس فى ما عداه عدوا «السييل» آية و لم يعدها الباقون.

قرأ اهل الحجاز و ابن عامر و حفص و يعقوب «إنكم لتأتون الفاحشة» بهمزة واحدة على الخبر. و قرأه اهل الكوفة. إلا حفصاً بهمزتين مخففتين على الاستفهام. و قرأ ابو عمرو كذلك إلا انه بلين الثانية، و يفصل بينهما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠١

بالف، و أما «أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» فإنهم على أصولهم. حكى الله سبحانه ان ابراهيم لما دعا قومه الى اخلاص عبادة الله و ترك عبادة الأوثان، و قبح فعلهم فى ذلك أنه صدق به لوط عليه السلام و آمن به. و كان ابن أخته، فإبراهيم خاله و هو قول ابن عباس و ابن زيد و الضحاك و جميع المفسرين. و قال لوط «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي» معناه اى خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبح أفعالهم الى حيث أمرنى ربي، و من هذا هجرة المسلمين من مكة الى المدينة و الى أرض الحبشة، لأنهم هجروا ديارهم و أوطانهم لأذى المشركين لهم فأمروا بأن يخرجوا عنها. و قيل: هاجر ابراهيم و لوط من كوثى، و هى من سواد الكوفة الى أرض الشام فى قول قتادة. و قال «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» الذى لا- تضعيع الطاعة عنده، العزيز الذى لا يذل من نصره. ثم قال «وَوَهَبْنَا لَهُ» يعنى

لإبراهيم «إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» قيل: إنما لم يذكر إسماعيل مع انه نبي معظم، لأنه قد دل عليه بقوله «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» فترك ذكر اسمه. لأنه يكفي فيه الدلالة عليه لشهرته و عظم شأنه، و ذكر ولد ولده في سياقه ذكر ولده، لأنه يحسن اضافته اليه، لأنه الأب الأكبر له.

وقوله «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» قال ابن عباس: الأجر في الدنيا الثناء الحسن، و الولد الصالح، و قال الجبائي: هو ما أمر الله به المكلفين من تعظيم الأنبياء. قال البلخي: و ذلك يدل على انه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب. و (الكتاب) أريد به الكتب، من التوراة و الإنجيل و الزبور و القرآن، غير انه خرج مخرج الجنس. «وَأِنَّهُ فِي الْمَآخِرَةِ لَمَتَنَ الصَّالِحِينَ» التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٢

اخبار منه تعالى أن ابراهيم مع انه آتاه أجره و ثوابه في الدنيا إنه في الآخرة يحشره الله من جملة الصالحين العظمى الاقدار، لما قاموا به من النبوة على ما أمر الله به. و قوله «وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل نصبه أيضاً بشيئين: أحدهما- و (أرسلنا لوطاً) عطفاً على (نوحاً و إبراهيم).

و الثاني- بتقدير و اذكر لوطاً حين قال لقومه «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الاستعلام. و من قرأ على الخبر أراد إن لوطاً أخبرهم بذلك منكرًا لفعالهم لا مفيداً لهم، لأنهم كانوا يعلمون ما فعلوه. و الفاحشة- هاهنا- ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران في أديبارهم «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا» بهذه الفاحشة أحد من الخلائق. ثم فسر ما أراد بالفاحشة فقال «أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» يعنى في أديبارهم، و الفاحش الشنيع في القبح، فحش فلان يفحش فحشاً و تفاحش تفاحشاً إذا شنع في قبحه، و هو ظهوره بما تقتضى العقول بالبدية رده و إنكاره.

وقوله «وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ» قيل: انهم كانوا يقطعون الطريق لأخذ الأموال، و قيل: يقطعون سبيل الولد بإتيان الذكران في الأديبار، و قيل: بالعمل الخبيث، لأنهم كانوا يطلبون الغرباء «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قال ابن عباس: كانوا يضربون في مجالسهم، و قال السدي: كانوا يحذفون من مَرَّ بهم. و قال مجاهد: كانوا يأتون الرجال في مجالسهم. و قال الكلبي: منها الحذف، و الصغير، و مضغ العلك، و الرمي بالبندق، و حل أزرار القبا و القميص. و هي ثمانى عشرة خصلة. و قال غيره: هي عشر خصال.

وقوله «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ٢٠٣

مِنَ الصَّادِقِينَ»

حكاية عما قال قوم لوط في جوابه حين عجزوا عن مقاومته بالحجة و انهم قالوا له «ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» في دعواك النبوة و أن الله أرسلك و أمرك بما تدعو اليه، فقال عند ذلك لوط «رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» الذين فعلوا المعاصى و ارتكبوا القبائح و أفسدوا في الأرض و المعنى اكفنى شرهم و أذاهم، و يجوز أن يريد اهلكهم، و انزل عذابك عليهم.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص: ٢٠٣

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٥)

خمس آيات قرأ حمزة و الكسائي و خلف و يعقوب «لننجينه» بالتخفيف. الباقون بالثقل، و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائي و خلف و ابو بكر و يعقوب «منجوك» غير متحرك بالتخفيف. الباقون بالتشديد و قرأ ابن عامر و الكسائي التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص:

عن أبي بكر (منزلون) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. من قرأ «لننجينه» بالتشديد وبتحريك النون، فلقوله (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) «١» و لقوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) «٢» و من خفف فلقوله (فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) «٣» يقال: نجا زيد و أنجيته و نجيته، مثل فرح و فرحته و أفرحته.

و من قرأ (منزلون) بالتشديد، فلا بد أصله نزل، كما قال (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) «٤». فإذا عديته ثقلته إما بالهمزة او بالتضعيف و التضعيف يدل على التكرار.

و قوله (إِنَّا مُنَجِّجُونَكَ وَ أَهْلَكَ) نصب (أهلك) على انه مفعول به عطفاً على موضع الكاف، و قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ) «٥» انما كسر اللام و موضعها النصب، لان العرب تقول: رأيت أهلك يريدون جميع القرابات.

و منهم من يقول: أهليكم، و يجمع اهل على أهلين، فإذا أضافه ذهب النون للاضافة، فإلياء علامة الجمع و النصب. و كسرت اللام لمجاورتها الياء. و

في الحديث (ان لله أهلين) قيل: من هم يا رسول الله؟ قال (اهل القرآن هم اهل الله و خاصته)

و من العرب من يجمع (أهلا) أهلات انشد ابن مجاهد:

فهم اهلات حول قيس بن عاصم إذا ادلجوا بالليل يدعون كوثرًا

قال ابن خالويه: الصواب أن يجعل اهلات جمع اهله. قال: فان قيل:

هل يجوز أن تقول أهلون؟- بفتح الهاء- كما يقولون: أرضون إذ كان الأصل أرضات، قال: إن (أهلا) مذكر تصغيره أهيل، و ارضاً مؤنثة تصغيرها

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٨.

(٢) سورة ٥٤ القمر آية ٣٤.

(٣) سورة ٢٩ العنكبوت آية ٢٤.

(٤) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٩٣.

(٥) سورة ٦٦ التحريم آية ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٥

أريضة، و التاء سابقة في المؤنث ممتنعة في المذكر، فهذا يفصل ما بينهما، قال و ما علمت احداً تكلم فيه.

اخبر الله تعالى انه لما جاء ابراهيم رسل الله، و هم من الملائكة بالبشرى يبشرونه بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب، و البشرى البيان، و هو الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه. و قيل: للاخبار بما يظهر سروره او غمه في البشرة: بشرى، و يقوى ذلك قوله (فَبَشَّرْنَاهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) «١» غير انه غلب عليه البشارة بما يسر به.

و قوله (قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوكُمَا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم فإنهم قالوا له: بعثنا الله و أرسلنا لإهلاك هذه القرية التي فيها قوم لوط. و الإهلاك الاذباب بالشىء الى ما لا يقع به احساس، فلما كانوا بالعذاب قد اذهبوا هذا الاذباب كانوا قد اهلكوا، و القرية البلدة التي يجتمع اليها للايواء من جهات مختلفة، و هي من قريت الماء في الحوض أقرية قريباً. إذا جمعت. و منه قرى الضيف لأنك تجمعه اليك بما تعده له من طعام. و (الظالم) من فعل الظلم و هو صفة ذم.

فقال لهم ابراهيم عند ذلك (إِنَّ فِيهَا لُوطًا) كيف تهلكونها، فقالوا في جوابه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا) و الأعلم الأكثر معلوماً، فإذا كان الشىء معلوماً لعالم من جهات مختلفة و لعالم آخر من بعض تلك الوجوه دون بعض كان ذلك اعلم. ثم قالوا (لننجينه) أى لنخلصه من العذاب (و أهله) أى و نخلص أيضاً أهله المؤمنين منهم (إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) أى من الباقين

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٢١ و سورة ٩ التوبة آية ٣٥ و سورة ٨٤ الانشقاق آية ٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٦

في العذاب، قال المبرد: و (أهلك) عطف على المعنى، لأن موضع الكاف الخفض، و لا يجوز العطف على المضمر المخفوض على اللفظ، و مثل ذلك قول لبيد:

فان لم تجد من دون عدنان والداً و دون معد فلترعك العواذل «١»

فنصب (و دون) على الموضع. ثم حكى تعالى أن رسل الله لما جاءت (لوطاً سيء بهم) و قيل في معناه قولان:

أحدهما- سيء بالملائكة أى ساء مجيؤهم لما طلبوا منه الضيافة لما يعلم من خبث فعل قومه- فى قول قتادة-

الثانى- سيء بقومه ذرعاً أى ضاق بهم ذرعاً، لما علم من عظم البلاء النازل بهم، فلما رأته الملائكة على تلك الصفة (قالوا) له (لا تخف و لا تحزن إنا منجوك) أى مخلصوك و مخلصوا (أهلك إلاً أمرأتك كآنت من الغابرين) أى من الباقين فى العذاب. و انما قال (من الغابرين) على جمع المذكر تليياً للمذكر على المؤنث إذا اجتماعاً. و قيل: كانت من الباقين لأنه طال عمرها، ذكره ابو عبيدة، و قالوا له (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) أى عذاباً رجزاً (بما كانوا يفسقون) و يخرجون من طاعة الله الى معصيته.

ثم اخبر تعالى فقال (ولقد تركنا منها) يعنى من القرية انه بينه، قال قتادة الآية البينة الحجارة التى أمطرت عليهم. و قال غيره عفو آثارهم مع ظهور هلا-كهم (لقوم يعقلون) ذلك و يبصرونه و يتفكرون فيه و يتعظون به، فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله و اتخاذ شريك معه فى العبادة.

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٣٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٧

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٢٠٧

وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ قَدَ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله (وَ إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) عطف على قوله (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) و تقديره و أرسلنا الى مدين، و قد فسرنا معنى (مدين) فيما تقدم «١» «أخاهم شعيباً» و انه قال لهم «يا قوم اعبدوا الله» وحده لا شريك له و لا تشركوا معه فى العبادة غيره «وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» يحتتمل أن

(١) انظر ٦/ ٤٧. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٨

يكون أراد و خافوا عقاب اليوم الآخرة بمعاصي الله، و يحتتمل ان يكون أراد و اطلبوا ثواب يوم القيامة بفعل الطاعات «وَ لَا تَعْتُوا فِي



الأَرْضِ مُفْسِدِينَ» معناه لا تضطربوا بحال الجهالة يقال: عثى يعثى عثى، كقولهم عاث يعث عيثاً وفيه معنى الأمر بالاستقامة، لأنه إنما يخرج عن اضطراب الجهال إلى الاستقامة في الأفعال. و الفساد كل فعل ينافي العقل أو الشرع، فهو عبارة عن معاصي الله. ثم اخبر أن قومه كذبوه في ادعائه النبوة و لم يقبلوا منه فعاقبهم الله بعذاب الرجفة، و هي زعزعة الأرض تحت القدم، يقال: رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفاً، و رجفه شديدة، و الإرجاف هو الأخبار بما يضطرب الناس لأجله من غير أن يحققونه «فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ» قال قتادة: ميتين بعضهم على بعض. و قيل: باركين على ركبهم، و الجاثم البارك على ركبته مستقبلاً بوجهه الأرض.

و قوله «وَعَادًا وَثَمُودَ» أي و أهلكتنا أيضاً عاداً و ثمود جزاء على كفرهم «وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ» معاشر الناس كثير «مِنْ مَسَاكِينِهِمْ». ثم اخبر أنه «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» التي كفروا بها و عصوا الله فيها، و ذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك إلى الله.

ثم اخبر أن الشيطان صدهم و منعهم عن طريق الحق «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» إليه لاتباعهم دعاء الشيطان. و عدولهم عن الطريق الواضح «و كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» أي و كانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له و فكرهم فيه. و قال مجاهد و قتادة «و كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» في ضلالتهم لعجبهم به، فتصوروه بخلاف صورته. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٠٩

ثم اخبر انه تعالى أهلكت قارون، و فرعون، و هامان. و يجوز أن يكون عطفاً على (الهاء و الميم) في قوله «فَصَبَّاهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» و كأنه قال فصد عاداً و ثمود، و صد قارون و فرعون و هامان. و أنهم «جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» يعنى بالحجج الواضحات: من فلق البحر و قلب العصا و غير ذلك «فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ» أي طلبوا التجبر فيها، و لم ينقادوا للحق و أنفوا من اتباع موسى «وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ» أي فائتين لله، كما يفوت السابق.

ثم اخبر تعالى فقال «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ» أي أخذنا كلًا بذنبه «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» و هو الريح العاصفة التي فيها حصباء و هي الحصى الصغار، و شبه به البرد و الجليد، قال الأخطل:

و لقد علمت إذا العشار تروحت هدى الرئال تكبهن شمالا

ترمي الرياح بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاء جفالا (١)

و قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مشور (٢)

و الذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط- في قول ابن عباس، و قتادة- و الذين أخذتهم الصيحة ثمود و قوم شعيب- في قولهما- «و مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» يعنى قارون، «و مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا» يعنى قوم نوم و فرعون.

ثم اخبر تعالى أنه لم يظلمهم بما فعل معهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بجحدهم نعم الله و اتخاذهم مع الله آلهة عبدوها، و طغيانهم و فسادهم في الأرض.

و ذلك يدل على فساد قول المجبرة الذين قالوا: إن الظلم من فعل الله، لأنه

(١) مر تخريجه في ٨ / ٧.

(٢) مر تخريجه في ٥٠٢ / ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٠

لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم



مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) ائْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و يعقوب و عاصم - في رواية حفص - و العليمى، و العبسى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب. قال أبو على: (ما) استفهام و موضعها نصب ب (يدعون) و لا يجوز أن يكون نصباً ب (يعلم) و لكن صارت الجملة التي هي منها في موضع نصب، و تقديره إن الله يعلم أوثاناً يدعون من دونه، لا يخفى عليه ذلك. و مثله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» (١) و المعنى سيعلمون المسلم

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١١

يكون له عاقبة الدار أم الكافر؟. و كل ما كان من هذا فهكذا القول فيه، و هو قياس قول الخليل.

شبه الله سبحانه حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة في الوهن و الضعف بحال العنكبوت الذي يتخذ بيتاً ليأوى اليه، فكما أن بيت العنكبوت في غاية الوهن و الضعف، فكذلك حال من اتخذ من دون الله أولياء مثله في الضعف و الوهن. و المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. و (الاتخاذ) أخذ الشيء على اعداده لثابته، و هو (افتعال) من (الأخذ) فلما أخذوا عبادة غير الله إعداداً لثابته كانوا اتخذوا الأولياء من دون الله، و ذلك فاسد لأن عبادة الله هي العاصمة من المكاره دون عبادة الأوثان. و المولى هو المتولى للنصرة، و هو أبلغ من الناصر، لأن الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصرة، و الولي هو الذي يتولى فعلها بنفسه. و العنكبوت هو دابة لطيفة تنسج بيتاً تأويه، في غاية الوهن و الضعف، و يجمع عنكب، و يصغر عنكب و وزنه (فعللوت) و هو يذكر و يؤنث، قال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها (١)

و يقال: هو العنكباء. ثم اخبر تعالى «إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» الذي شبه الله حال من اتخذ من دونه أولياء به، فإذا حاله أضعف الأحوال.

و قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناهم به و يتحققونه، لكنهم كفار بذلك، فلا يعلمونه ف (لو) متعلقه بقوله «اتخذوا» أى لو علموا أن اتخذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم أولياء، و لا يجوز أن تكون متعلقه بقوله «وَأَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» لأنهم كانوا عالمين بأن

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٢

بيت العنكبوت واه ضعيف.

ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» سواء كان صنماً أو وثناً أو ما كان مثل ذلك «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في انتقامه الذي لا يغالب في ما يريد «الْحَكِيمُ» في جميع أحواله و أفعاله، واضح لها في مواضعها. ثم قال «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ» و هي الاشباه و النظائر، قال

الشاعر:

هل يذكر العهد في تنمص إذ يضرب لى قاعدة بها مثلاً «١»

«نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» أى ما يدركها إلا من كان عالماً بمواقعها. ثم اخبر تعالى انه «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» و أخرجهما من العدم الى الوجود «بِالْحَقِّ» أى على وجه الحكمة دون العبث الذى لا فائدة فيه و انه قصد بها الدلالة على توحيد «إِنَّ فِي ذَلِكَ» يعنى فى خلق الله ذلك على ما ذكره «لَا يَتَّبِعُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ» المصدقين بتوحيد الله، لأنهم المنتفعون بها دون الكفار الذين لم ينتفعوا بها لتفريطهم، فلذلك أسندها الى المؤمنين.

ثم قال لنبىه صلى الله عليه و آله «أَثَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» يا محمد يعنى القرآن- على المكلفين، و اعمل بما تضمنه «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ» بحدودها «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» يعنى فعلها فيه لطف للمكلف فى فعل الواجب و الامتناع عن القبيح، فهى بمنزلة الناهى بالقول إذا قال: لا تفعل الفحشاء و لا المنكر، و ذلك لأن فيها: التكبير، و التسبيح، و القراءة، و صنوف العبادة، و كل ذلك يدعو إلى شكله و يصرف عن ضده، كالأمر و النهى بالقول، و كل دليل مؤد الى المعرفة بالحق، فهو داع اليه و صارف عن ضده من الباطل. و قال ابن مسعود: الصلاة تنهى عن المنكر و تأمر بالمعروف. و به

(١) مجاز القرآن ١١٦/٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٣

قال ابن عباس. و قال ابن مسعود: الصلاة لا تنفع إلا من أطاع.

و قوله «وَلَمَذَكُرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» معناه و لذكر الله إياكم برحمته اكبر من ذكركم إياه بطاعته- ذكره ابن عباس، و سلمان، و ابن مسعود، و مجاهد- و قيل:

معناه ذكر العبد لربه أفضل من جميع عمله- فى رواية أخرى- عن سلمان، و هو قول قتادة و ابن زيد و أبى الدرداء. و قال ابو مالك: معناه إن ذكر العبد لله تعالى فى الصلاة أكبر من الصلاة. و قيل: ذكر الله بتعظيمه اكبر من سائر طاعاته. و قيل: و لذكر الله اكبر من النهى عن الفحشاء.

و قوله «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» من خير و شر، فيجازيكم بحسبه. و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: ان المعرفة ضرورة، و دلالة على بطلان قول المجبرة فى أن الله خلق الكافر للضلال.

قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص: ٢١٣

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٤

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و ابن كثير، و نافع، و ابن عامر، و حفص عن عاصم و قتيبة عن الكسائى «لَوْ لَا- أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» على الجمع لقوله «قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ». و قرأ الباقون «آية» على التوحيد. و معناهما واحد، لأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير. قال قتادة: الآية

الأولى منسوخة بالجهاد والقتال. وقال غيره: هي ثابتة، وهو الأولى، لأنه لا دليل على ما قاله، فكيف وقد أمر بالجدال بالذى هو أحسن، وهو الواجب الذى لا يجوز غيره كما قال «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (١) فالآية خطاب من الله تعالى لنيبه وجميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب: من اليهود والنصارى «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وقيل: معناه إلا بالجميل من القول فى التنبية على آيات الله وحججه والأحسن الأعلى فى الحسن من جهة تقبل العقل له. وقد يكون الأعلى فى الحسن من جهة تقبل الطبع له، وقد يكون فى الامرين، و (الجدال) قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه. وفى ذلك دلالة على حسن المجادلة، لأنها لو كانت قبيحة على كل حال، لما قال «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».

وأصل الجدال شدة القتال، يقال: جدلته أجدله جدلاً إذا قتله قتلاً شديداً، ومنه الأجدل: للسكر لشدة قتل بدنه. وقيل: انه يجوز أن يغلظ

(١) سورة ١٩ النحل آية ١٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٥

المحق فى الجدال على الظالم فيه، بتأديب الله تعالى فى الآية فى قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فاستثنى الظالم عن المجادلة بالتي هي أحسن.

فان قيل: لم استثنى الذين ظلموا؟ وكلهم ظالم لنفسه بكفره! قيل: لان المراد «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» فى جدالهم أو فى غيره مما يقتضى الاغلاظ لهم، ولهذا يسع الإنسان ان يغلظ على غيره، والا فالداعى الى الحق يجب أن يستعمل الرفق فى أمره. قال مجاهد: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» بمنع الجزية. وقال ابن زيد: الذين ظلموا بالاقامة على كفرهم بعد إقامة الحجة عليهم.

ثم قال تعالى للمؤمنين «وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا» من القرآن «وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ» من التوراه والإنجيل، وقولوا «وَالِهْنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ» لا شريك له «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» طائعون.

ثم قال لنيبه صلى الله عليه وآله ومثل ما أنزلنا الكتاب على موسى وعيسى من التوراه والإنجيل «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» القرآن «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» يعنى الذين آتيناهم علم الكتاب يصدقون بالقرآن لدلالته عليه «وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» أى من غير جهة علم الكتاب. وقيل «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» يعنى به عبد الله بن سلام وأمثاله. و «مِنْ هَؤُلَاءِ» يعنى أهل مكة «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ». و يحتمل ان يكون أراد ب (فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) الذين آتاهم القرآن: المؤمنين منهم و (وَمِنْ هَؤُلَاءِ) يعنى من اليهود والنصارى «من يؤمن به» أيضاً، والهاء فى قوله (به) يجوز أن تكون راجعة الى النبى، و يجوز أن تكون راجعة الى القرآن «وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ» لان كل من جحد بآيات الله من المكلفين، فهو كافر: معانداً كان أو غير معاند.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ» يعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٦ لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى اليك بالقرآن «وَلَا تَخْطُ بِبِيَمِينِكَ» معناه و ما كنت أيضاً تخط بيمينك. و فيه اختصار، و تقديره و لو كنت تتلو الكتاب و تخطه بيمينك «إِذَا لَارْتَابَ الْمُجْطَلُونَ» و قال المفسرون: إنه لم يكن النبى صلى الله عليه وآله يحسن الكتابة. و الآية لا تدل على ذلك بل فيها إنه لم يكن يكتب الكتاب و قد لا يكتب الكتاب من يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه، و ليس ذلك بنهى، لأنه لو كان نهياً لكان الأجود أن يكون مفتوحاً، و إن جاز الضم على وجه الاتباع لضمه الخاء، كما يقال: (ردّه) بالضم و الفتح و الكسر، و لكان أيضاً غير مطابق للأول. و لو أفاد أنه لم يكن يحسن الكتابة قبل الإيحاء، لكان دليلاً يدل على انه كان يحسنها بعد الإيحاء اليه، ليكون فرقاً بين الحالتين.

ثم بين تعالى أنه لم يكتب، لأنه لو كتب لشك المبطلون فى القرآن و قالوا هو قرأ الكتب أو هو يصنّفه، و يضم شيئاً الى شىء فى حال بعد حال فإذا لم يحسن الكتابة لم تسبق اليه الظنة.

ثم قال «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» وقيل: معناه بل هي آيات واضحة في صدور العلماء، بأنه أُمى لا يقرأ ولا يكتب، على صفته في التوراة والإنجيل - في قول ابن عباس - وقال الحسن: بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء. ثم قال (وَمَا يَجْعَلُهَا آيَاتِنَا) أى لا ينكر حججنا ويحجدها إلا الذين ظلموا نفوسهم بترك النظر فيها، أو العناد لها بعد طول المدّة و حصول العلم بها. ثم حكى عن الكفار أنهم قالوا: هلا انزل على محمد آية من ربه؟ يريدون آية يقترحونها، وآية كآية موسى: من فلق البحر و قلب العصا حية، فقال الله تعالى لهم (قل) لهم يا محمد (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه (وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ) أى التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٧

منذر مخوف من معصية الله (مبين) طريق الحق من طريق الباطل.

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص: ٢١٧

أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَعْثُهُمْ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَعْسَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة و نافع «يقول» بالياء على معنى: و يقول لهم الموكلون بعذابهم. الباقون - بالنون - على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه. و فى قراءة عبد الله و يقال لهم: على ما لم يسم فاعله.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٨

اقترحوها او آيات كما أنزل على موسى و عيسى، قال الله لهم «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» فبين أن فى القرآن دلالة واضحة و حجة بالغة ينزاح معه العلة و تقوم به الحجة لا يحتاج معه الى غيره فى الوصول الى العلم بصحة نبوته و أنه مبعوث من عند الله، مع أن اظهار المعجزات مع كونها لازاحة العلة يراعى فيها المصلحة. فإذا كانت المصلحة فى اظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها، و لو اظهر الله الاعلام التى اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت فى الأمم الماضية، و قد وعد الله أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» «١». و الكفاية بلوغ حد ينافى الحاجة، يقال: كفى يكفى كفاية، فهو كاف. و قيل: إن الآية نزلت فى قوم كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب شبه الخرافات. فقال الله تعالى (أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ) القرآن تهديداً لهم و منعاً من التعرض لغيره. و قولهم: كفى الله معناه أنه فعل ما ينافى الحاجة بالنصرة. و التلاوة هى القراءة و سميت تلاوة لأنه يتلو حرف حرفاً فى التلاوة. و القرآن مشتق من جمع الحروف بعضها الى بعض.

ثم بين الله تعالى (إن فى ذلك) أى القرآن (لرحمة) أى نعمه (و ذكرى) أى ما يتذكر به و معتبر (لقوم يؤمنون) يصدقون به و يعتبرون و انما أضافه اليهم، لأنهم الذين ينتفعون به. ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول (كفى بالله) أى كفى الله. و الباء زائدة (بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا) يشهد بالحق.

و الشاهد و الشهيد واحد، و فيه مبالغة، و الشهادة هى الخبر بالشىء عن مشاهدة تقوم به الحجة فى حكم من أحكام الشرع، و لذلك لم يكن خبر من لا تقوم به

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢١٩

الحجة- في الزنا- شهادة و كان قذفاً، ثم بين أن الشهيد الذي هو الله (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و يعلم الذين صدقوا بالباطل و جحدوا وحدانيته.

ثم اخبر عنهم انهم الخاسرون الذين خسروا ثواب الجنة بارتكابهم المعاصي و جحدهم بالله، فكان ذلك الخسران الذي لا يوازيه خسران مال. و قوله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) انما وصفهم بالايان مقيداً بالباطل، كما يقال: فلان كافر بالطاغوت مقيداً، و انما الإطلاق لا يجوز فيهما.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله فقال (وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) يعنى هؤلاء الكفار (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) أن ينزل عليهم بجحودهم صحة ما تدعوهم به، كما قالوا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) «١» و (لَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى) يعنى وقتاً قدره الله أن يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة و أجل قدره الله أن يقيهم اليه لضرب من المصلحة، و قال الجبائي: ذلك يدل على أن التبيية لا تجب لكونه أصلح، لأنه علله بأنه قدر له أجلا (لجاءهم العذاب) الذي استحقوه (و ليأتينهم) العذاب الذي يوعونه (بغتة) أى فجأة (و هم لا يشعرون) بوقت مجيئه.

ثم قال (يستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) أى يطلبون العذاب عاجلاً قلته يقين منهم بصحته (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) أى كأنها محيطه بهم لما قد لزمهم بكفرهم من كونهم فيها. و قيل: معناه انه إذا كان يوم القيامة أحاطت بهم. و وجه ثالث- أنها تحيط بهم (يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى تكسبون أى ذوقوا جزاء أعمالكم المعاصي التي اكتسبتموها.

(١) سورة ٨ الانفال آية ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٠

### قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٢٢٠

يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَتَّوْنَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُزُفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يحيى و العليمى «ثم إلينا يرجعون» بالياء على الخبر عن الغائب.

الباقون بالثناء على الخطاب. و قرأ أهل الكوفة إلا- عاصماً «لنشوينهم» بالشاء من أثويته منزلاً أى جعلت له منزل مقام، و الشواء المقام، الباقون بالباء من قولهم: بوأته منزلاً، كما قال تعالى «مبواً صدق» فى قوله (وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ) «١» و (إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) «٢» و يحتمل ان تكون اللام زائدة، كقوله (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضٌ) «٣» و يحتمل ان يكون المراد (بوأنا) لدعاء إبراهيم (مكان البيت) و يقول القائل: اللهم بوأنا مبواً صدق أى أنزلنا منزل صدق و النبوءة اتخاذ منزل يرجع اليه من يأوى اليه، و أصله

(١) سورة ١٠ يونس آية ٩٣.

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٢٦.

(٣) سورة ٢٧ النمل آية ٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢١

الرجوع من قوله (بَأْوٍ بِعَصْبٍ مِنَ اللَّهِ) «١» أى رجعوا، و منه قول الحارث ابن عباد: (بوئوا بشسع كليب) وقيل: معناه لننزلهم من الجنة علالي.

يقول الله تعالى لخلقهم الذين صدقوا بوحدانيته وأقروا بنبوة نبيه (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ)

لبعد أقطارها، فاهربوا من أرض من منعكم فيها من الايمان و اخلاص عبادتى فيها. وقيل: نزلت فى مؤمنى مكة أمروا بالهجرة عنها، و هو قول سعيد بن جبير و مجاهد و عطاء و ابن زيد. وقيل (أَرْضِي وَاسِعَةٌ)

بما أخرج فيها من الرزق لكم - ذكره مطرف بن عبد الله بن السخير العامري. و قال الجبائي: معناه إن ارض الجنة واسعة، و اكثر اهل التأويل على ان المراد به ارض الدنيا.

وقوله (فَاِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

أى اعبدونى خالصاً، و لا- تطيعوا احداً من خلقتى فى معصيتى. وقيل: دخول الفاء فى الكلام للجزاء و تقديره إن ضاق موضع بكم فاياى فاعبدون لأن أَرْضِي وَاسِعَةٌ. و (إيأى) منصوب بمضمر يفسره ما بعده.

ثم اخبر تعالى ان (كل نفس) أحياها الله بحياء خلقها فيها (ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) و الذائق الواجد للجسم بحاسه إدراك الطعم (ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) أى تردون إلينا فجازيكم على قدر استحقاقكم من الثواب و العقاب. و فى ذلك غاية التهديد و الزجر. ثم قال (وَ الَّذِينَ آمَنُوا) أى صدقوا بوحدانية الله، و أقروا بنبوة نبيه صلى الله عليه و آله (و عملوا) مع ذلك الاعمال (الصَّالِحَاتِ لَتُبَوَّئَنَّهُمْ) أى لننزلهم (من الجنة) التى وعدنا الله المتقين (غرفاً) أى مواضع عاليات (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) لان الغرف تعلق عليها. وقيل: تجرى من تحت

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١ و سورة ٣ آل عمران آية ١١٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٢

أشجارها المياه. وقيل: انهار الجنة فى أحاديث تحت الأرض (خَالِدِينَ فِيهَا) أى يبقون فيها ببقاء الله.

ثم اخبر تعالى ان ذلك (نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) أى نعم الثواب و الأجر للعالمين بطاعة الله (الذين صبروا) على الأذى فى الله، و صبروا على مشاق الطاعات، و وكلوا أمورهم الى الله و توكلوا عليه فى أرزاقهم و جهاد أعدائهم و مهمات أمورهم.

ثم قال تعالى (وَ كَأَيُّنَ مِنْ دَابَّةٍ) معنى كايين (كم) و قد فسرناه فى ما مضى «١» «لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» أى لا تدخره لغد- فى قول على بن الأقرم- و قال الحسن «لا تحمل رزقها» للادخار. وقيل: ان الحيوان أجمع من البهائم و الطير و نحوهما لا تدخر القوت لغدها- إلا ابن آدم و النملة و الفار- بل تأكل منه كفايتها فقط. و قال مجاهد: معناه «لا تحمل رزقها» لا تطيق حمل رزقها لضعفها «الله يرزقها» يعنى تلك الدابة الضعيفة التى لا تقدر على حمل رزقها «و إياكم» أى و يرزقكم أيضاً «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يعنى «السميع» لما يقول القائل فى فراق وطنه «العليم» بما فى نفسه، لأنه عالم بجميع الأشياء و قيل: الآية نزلت فى أهل مكة: المؤمنین منهم، فإنهم قالوا لرسول الله: ليس لنا بالمدينة اموال، و لا منازل، فمن أين المعاش، فأنزل الله الآية.

قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٦] ..... ص: ٢٢٢

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)



لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)

(١) انظر ١٠/٣ و ٢٠٢/٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٣

سبع آيات بصرى و شامى، و ست فى ما عداه عدوا «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف، و المسيبى، و الأعشى، و البرجمى و الكسائى عن أبى بكر (ليكفروا، و ليتمتعوا) ساكنة اللام. الباقون بالكسر إلا نافعاً، لأنه اختلف عنه فيه. قال ابو على: من كسرهما و جعلها الجارة جعلها متعلقة بالاشراك، و كأن المعنى: يشركون ليكفروا، أى لا- فائدة لهم فى الاشراك إلا- الكفر و التمتع بما يتمتعون به عاجلا من غير نصيب آجلا. و من سكن جعل (ليكفروا) بمنزلة الأمر، و عطف عليه، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٤

على وجه التهديد. و قال غيره: تحتل هذه اللام أن تكون (لام كى) أى كأنهم أشركوا ليكفروا إذ لا يدفع الشرك فى العبادة من كفر النعمة. و يجوز أن يكون لام الأمر على وجه التهديد بدلالة قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه و آله و لئن سألت هؤلاء الكفار الذين جحدوا توحيدى و كفروا بنبوتك (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ) و المنشئ لها و المخرج لها من العدم الى الوجود (وَ سَيَخِرُّ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ) فى دورانها على طريقه واحدة لا تختلف؟؟ (ليقولن) فى جواب ذلك (الله) الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم، و النشأة الأولى، و يعترفون بأن الأصنام لا تقدر على ذلك. ثم قال (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) هؤلاء أى كيف يصرفون عن صانع ذلك و الإخلاص لعبادته- فى قول قتادة-

ثم قال (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) أى يوسعه لمن يشاء من عباده بحسب ما تقتضيه المصلحة (و يقدر) أى يضيق مثل ذلك على حسب المصلحة و منه قوله (وَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) «١» بمعنى ضيق على قدر ما فيه مصلحته. و قيل:

معنى و يقدر- هاهنا- و يقبض رزق العبد بحسب ما تقتضيه مصلحته. و خص بذكر الرزق على الهجرة لثلا يخلفهم عنها خوف العيلة. و قوله (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أى عالم بما يصلح العبد و بما يفسده فهو يوسع الرزق و يبسط بحسب ذلك. ثم قال (وَ لئن سَأَلْتَهُمْ) «يعنى هؤلاء الذين ذكرناهم (مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)؟» يعنى مطراً (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ) فى الجواب عن ذلك «الله» ف «قل» يا محمد عند ذلك «الحمد لله» على فنون نعمه على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده و اخلاص

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ٧. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٥

عبادته. ثم قال «بل أكثرهم» يعنى هؤلاء الخلق «لا يعقلون» ما قلناه لعدولهم عن طريق المفضى اليه. ثم قال تعالى و ليس «هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ» لأنها تزول كما يزول اللهو و اللعب، لا- بقاء لها، و لا- دوام، كما يزول اللهو و اللعب «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» أى الحياة على الحقيقة لكونها دائمة باقية «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناك به. و قال ابو عبيدة: الحيوان و الحياة واحد.

ثم قال تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار انهم «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ» و هى السفن و هاجت به الرياح و خافوا الهلاك «دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا- يوجهون دعاءهم الى الأصنام و الأوثان «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ» أى خلصهم إلى البر «إذا هم يشركون» أى يعودون الى ما كانوا عليه من الاشراك معه فى العبادة «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» أى يفعلون ما ذكرناه من الاشراك مع الله ليجحدوا نعم الله التى أعطاهم إياها «و ليتمتعوا» أى و ليتلذذوا فى العاجل من دنياهم، فالتمتع يكون بالمناظر الحسنه، و الأصوات المطربة، و المشام الطيبة و المآكل المملدة، ثم قال مهدداً لهم «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أى لا بد أن يعلموا جزاء ما يفعلونه من الأفعال من طاعة او معصية، فان الله يجازيهم بحسبها و ذلك غاية التهديد.



## قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦٧ الى ٦٩] ..... ص : ٢٢٥

أَ وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٦

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار «أَ وَلَمْ يَرَوْا» ومعناه او لم يعلموا «أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» أى يتناول الناس من حوالى مكه بسرعه، و تؤخذ أموالهم. و منه خطف البصر لسرعه. و منه اختطاف الطير لصيده. و منه الخطاف الذى يخرج الدلو. و المعنى بذلك تنبيههم على جميل صنع الله بهم، و سبوغ نعمه عليهم، بأن جعلهم فى أمن مع ان الناس يؤخذون من حولهم. و ذلك لا يقدر عليه غير الله. ثم قال مهدداً لهم «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ!» أى يصدقون بعبادة الأصنام و هى باطله مضمحلّه «وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» التى أنعم بها عليهم «يكفرون»؟! ثم قال «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى من اظلم لنفسه ممن جحد آيات الله و أضاف اليه ما لم يقله و لم يأمر به من عبادة الأصنام و غيرها «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ» من نبوه محمد صلى الله عليه و آله من القرآن الذى أنزل عليه. ثم قال «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» أى موضع مقام الذين يجحدون نعم الله، و يكفرون بآياته.

ثم قال «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا» يعنى جاهدوا للكفار بأنفسهم، و جاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصى و إلزامها فعل الطاعة لوجه الله «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» أى نرشدهم السبيل الموصل إلى الثواب. و قيل: معناه لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزدادوا ثوابهم. و قيل: معناه لَنرشدهنهم إلى الجنة «وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» أى ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنه، و يدفع عنهم أعداءهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٧

## ٣٠- سورة الروم ..... ص : ٢٢٧

## إشارة

و هى مكيهه فى قول مجاهد و قتاده ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال الحسن: كلها مكيهه إلا قوله (فَسَيُبْحَثُ لِلَّهِ) إلى قوله (وَ حِينَ تَظْهَرُونَ) و هى ستون آيه كوفى و بصرى و مدنى الأول و شامى. و تسع و خمسون فى المدنى الأخير و المكى.

## [سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ غَلَبَهُمْ سَيِّغُلِبُونَ (٣) فِى بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ وَ يَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)

خمس آيات كوفى و بصرى و شامى، و أربع فى ما عداه، عد الكوفيون (الم) و عدوا (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد البصرى و الشامى (غُلِبَتِ

الرُّومُ) التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٨

و عدوا (فِى بَضْعِ سِنِينَ) و عد المدنى (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد إسماعيل و المكى (غُلِبَتِ الرُّومُ، فِى بَضْعِ سِنِينَ).

قرأ ابن عمر، و ابو سعيد الخدرى (غلبت الروم) بفتح الغين، فقيل لابن عمر: على أى شىء غلبوا قال على ريف الشام، و هذا غلط، فان

عند جميع المفسرين القراءة بالضم. و السبب في ذلك معروف، و هو ان الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك من حيث ان اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب، و ساء ذلك المسلمين، فأخبر الله تعالى ان الروم و إن غلبهم فارس، فان الروم ستغلب في ما بعد فارس (في بضع سنين) أى في ما بين ثلاث سنين إلى عشر، فكان كما اخبر، و كان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبي صلى الله عليه و آله و

روى أن جماعة من الصحابة راهنوا أبى بن خلف و قيل: أبا سفيان، إن لم يصح الخبر و وافقوهم على اربع سنين، فلما أخبروا النبي صلى الله عليه و آله قال: (زيدوهم في الخطر و استزيدوا في الأجل) ففعلوا، فغلبت الروم لفارس قبل المدة.

اخبر الله تعالى ان الروم غلبت عليها فارس في أدنى الأرض من أرض الشام الى أرض فارس، و انهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبون في ما بعد في بضع سنين. و

روى عن النبي صلى الله عليه و آله ان البضع - هاهنا - ما بين الثلاث الى العشر.

و

روى ان سبب ذلك ان الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك و قالوا:

أهل فارس لا- كتاب لهم غلبوا اهل الروم، و هم اهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمداً الذى معه كتاب، فانزل الله تعالى هذه الآيات تسلياً للنبي و المؤمنين.

و إن الروم و إن غلبها فارس، فإنها ستغلب فارس في ما بعد في بضع سنين. قال ابو سعيد الخدرى: كان النصر يوم بدر للفريقين للنبي صلى الله عليه و آله التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٢٩

و الروم على فارس، ففرح المؤمنون بالنصرين. و قيل: كان يوم الحديبية.

و قال الفراء: قوله «مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ» تقديره غلبتهم، فحذف الهاء للاضافة.

كما قال «وَإِقَامِ الصَّلَاةِ» (١).

قال الزجاج: الغلب و الغلبة مصدران، مثل الحلب و الحلبه، و الغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر، غلب يغلب فهو غالب و ذلك مغلوب، و تغلب تغلباً إذا تعرض للغلبة، غالبه مغالبه و (الأدنى) الأقرب، و نقيض الأدنى الأقصى، و نقيض الأقرب الأبعد. و المراد أدنى الأرض إلى جهة عدوهم.

و البضع القطعة من العدد ما بين الثلاث إلى العشر، اشتقاقه من بضعته إذا قطعت تبضيعاً، و منه البضاعة القطعة من المال في التجارة، و منه البضعة القطعة من البدن، و المبضع، لأنه يقطع به العرق. و المباحضة الجماع. و قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الاعداد. ثم اخبر تعالى بأن «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ» تقديره من بعد غلبهم و من قبل غلبهم، فقطع عن الاضافة و بنى لأنه على الغاية و تفسيرها انه ظرف قطع عن الاضافة التي هي غاية، فصار كبعض الاسم، فاستحق البناء و بنى على الحركة، لان له أصلاً في التمكن يستعمل. و بنى على الضمة لأنها حركة لا تكون له في حال الاعراب. فهي ادل على البناء.

ثم قال «وَ يَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ» أى يوم يغلب الروم لفارس يسر المؤمنون تفاؤلاً بأن يغلبوا هم المشركين. ثم بين بما ذا يفرحون، فقال «بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ» في انتقامه من أعدائه «الرحيم» إلى من أناب اليه من خلقه.

(١) سورة ٢٤ النور آية ٣٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٠

وَعِدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَنَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاؤُا السُّوَايَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز و البصرة و البرجمي، و السموني، و الكسائي عن أبي بكر «عاقبة الذين» بالرفع. الباقون بالنصب. من نصب جعلها خبر (كان) و قدمها على الاسم، و اسمها يحتمل ان يكون السوء و تقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين. و يحتمل ان يكون ما بعد (أن) في قوله «ان كذبوا». و من رفع [عاقبة] جعلها اسم (كان) و الخبر السوء. و يحتمل ان يكون الخبر التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣١ (ان كذبوا) و تقديره ثم كان عاقبة المسيء التكذيب بآيات الله، أى لم يظفر في شركه و كفره إلا بالتكذيب، و يكون السوء على هذا نصباً على المصدر في قوله «وعد الله» نصب على المصدر، و تقديره: إن ما ذكره الله تعالى من ان الروم ستغلب فارس في ما بعد، و وعداً لله لا يخلف وعده، و تقديره وعداً لله وعده كما قال الشاعر:

يسعى الوشاة جنابها و قيلهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول (١)

أى و يقولون: قيلهم، و الأخلاف فعل خلاف ما تقدم الوعد به، و سبيل الوعد بالخبر و الوعيد بالشر واحد في انه إذا وقع فيه خلاف ما تضمنه كان خلفاً، ثم قال «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناك به لجهلهم بالله و تفریطهم في النظر المؤدى إلى معرفة الله، و لا- يناقض قوله «لا- يعلمون» لقوله «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» لأن ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذم لتضييعهم على ما يلزمهم من أمر الله، كأنهم لا- يعلمون شيئاً. ثم بين حالهم في ما عقلوا عنه، و ما عملوه. و معنى «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى عمران الدنيا متى يزرعون و متى يحصدون، و كيف يبنون و من أين يعيشون و هم جهال بأمر الآخرة، و له مضيعون- ذكره ابن عباس- أى عمروا الدنيا و اخربوا الآخرة. و الظاهر هو الذى يصح ان يدرك من غير كشف عنه. فالله تعالى ظاهر بالأدلة، باطن عن حواس خلقه. و الأمور كلها ظاهرة له، لأنه يعلمها من غير كشف عنها و لا دلالة تؤديه إليها. و كلما يعلم بأوائل العقول ظاهر و كلما يعلم بدليل العقل باطن، لأن دليل العقل يجرى مجرى الكشف عن صحه المعنى- فى صفته- و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم، و نقيضه

(١) مر هذا البيت فى ١/ ٣٠٠ و ٥/ ٣٨٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٢

اليقظة. و هى حضور المعنى للنفس كحال المنتبه. و نقيضه السهو.

ثم قال تعالى منبهاً لخلق على وجه الدلالة على توحيد «أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» فيعلموا ان الله لم يخلق «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» بمعنى الاستدلال بهما على توحيد «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» للأشياء التى للعباد فيها مصلحة بالاعتبار به إذا تصوروا ذلك فى الاخبار عنه انه مع كثرته و عظمه محصل بتسميه تنبى عنه، لا يتأخر و لا يتقدم، بالأوصاف التى ذكرها الله تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه شىء منه.

ثم قال «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» أى بقاء ثواب الله و عقابه كافرون يجحدون صحه ذلك و لا يعترفون به.

ثم قال منبهاً لهم دفعه أخرى «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» من الأمم «كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَنَارُوا الْأَرْضَ» أى حرقوها لعمارتها- فى قول مجاهد و السدى- و «عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» هؤلاء يعنى أهل مكة «وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ» يعنى أتهمهم الرسل بالدلالات من عند الله. و فى الكلام حذف، لان تقديره، فكذبوا بتلك الرسل، و جحدوا الآيات فأهلكهم الله بأنواع العذاب. ثم قال «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ» بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداء، و فى ذلك بطلان قول المجبره: ان الله يبتدى خلقه بالهلاك.

ثم قال «وَلَكِنْ كَانُوا» هم «أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن جحدوا نعم الله و أشركوا فى العبادة معه غيره، و كذبوا رسله و عصوه بأنواع العصيان، حتى استحقوا العقاب عاجلا و آجلا.

ثم قال «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاىَ أَخْبَارٍ مِنْهُ تَعَالَى بِأَنْ عَاقِبَةُ التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ٢٣٣» الذين أساءوا الى نفوسهم بالكفر بالله تعالى، و تكذيب رسله و ارتكاب معاصيه «السوء» و هى الخصلة التى تسوء صاحبها إذا أدركها، و هى عذاب النار- فى قول ابن عباس و قتاده و غيرهما- «أَنْ كَذَّبُوا» و معناه لأن كذبوا «بِآيَاتِ اللَّهِ» أى جحدوا أدلته و لم يؤمنوا بها «وَكَانُوا بِهَا» بتلك الادلة «يَسْتَهْزِؤْنَ» أى يسخرون منها و يتهزءون بها. و قيل: معنى الآية أنهم حفروا الأنهار و غرسوا الأشجار و شيّدوا البنيان و صاروا الى الهلاك على أسوء حال بالعصيان و لم يفكروا فى الموت، و انهم يخرجون من الدنيا و يصيرون الى الحساب و الجزاء.

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص: ٢٣٣

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِثُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٤

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو، و روح و يحيى و العليمى «ثم اليه يرجعون» بالياء على وجه الخبر. الباقون- بالتاء- على الخطاب.

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه أنه هو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده يبدؤهم ابتداء فيوجدهم بعد أن كانوا معدومين على وجه الاختراع ثم يعيدهم أى يميتهم و يفنيهم بعد وجودهم، ثم يعيدهم ثانياً كما بدأهم أولاً، ثم يرجعون اليه يوم القيامة ليجازيهم على أفعالهم، على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب.

و استدل قوم بهذه الآية على صحة الرجعة بأن قالوا «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ» معناه ابتداء خلقهم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» إذا أماته فى زمان الرجعة «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة، و هذا ليس بمعتمد، لان لقائل أن يقول: قوله «ثُمَّ يُعِيدُهُ» يجوز أن يكون المراد به احياءهم فى القبر للمساءلة التى لا خلاف فيها «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة، فلا يمكن الاعتماد عليه. و (البداء) أول الفعل و هو على وجهين:

أحدهما- انه أول الفعل و هو جزء منه مقدم على غيره.

و الثانى- انه موجود قبل غيره من غير طريق الفعلية، يقال: بدأ يبدؤ بدءاً و ابتدأ يبتدى ابتداء. و الابتداء نقيض الانتهاء، و البدؤ نقيض

العود. و الخلق- هاهنا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٥

- بمعنى المخلوق. و مثله قوله «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ» و تقول هذا الخلق من الناس، و قد يكون الخلق مصدراً من خلق الله العباد، و الخلق كالأحداث و المخلوق كالمحدث.

و الاعادة فعل الشىء ثانية. و قولهم: أعاد الكلام فهو على تقدير ذلك، كأنه قد اتى به ثانية إذا اتى بمثله، و إن كان الكلام لا يبقى و

لا- يصح إعادته. وقد يكون الإعادة فعل ما به يكون الشيء الى ما كان من غير إيجاد عينه كإعادة الكتاب الى مكانه. و مثل الإعادة الرجعة و النشأة الثانية.

وقوله «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» قيل: معناه يبسسون، و قيل:

يتحiron، و قيل: تنقطع حججهم، فالابلاس التحير عند لزوم الحجّة، فالمجرم يبلس يوم القيامة، لأنه تظهر جلائل آيات الآخرة التي تقع عندها على الضرورة فيتحير أعظم الحيرة، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه و أبلسا «١»

وقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ» أى لم يكن فى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، و يزعمون أنها تشفع لهم عند الله من يشفع لهم. و قيل: شركاؤهم لأنهم كانوا يجعلون لها نصيباً فى أموالهم.

و قيل: شركاؤهم الذين جعلوهم شركاء فى العبادة «وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» أى يجحدون شركاءهم ذلك اليوم، لأنه يحصل لهم المعرفة بالله ضرورة. و أصل الشرك إضافة الملك الى اثنين فصاعداً على طريق القسمة التى تمنع من اضافته الى الواحد، فالإنسان على هذا يكون شريكاً للإنسان آخر فى الشيء إذا ملكاه جميعاً، و الله تعالى مالك له، ملكه هذا الإنسان

(١) قد مر فى ١/١٥٣ و ٢/٣٠٩ و ٣/٥٧٨ و ٤/٥٠٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٦

او لم يملكه.

وقوله «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» يعنى القيامة «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» قيل:

يتميز المؤمنون من الكافرين. و قيل: معناه لا- يلوى واحد منهم على حاجه غيره، و لا- يلتفت اليه، و فى ذلك نهاية الحث على الاستعداد و التأهب لذلك المقام.

ثم قال «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يعنى صدقوا بتوحيد الله و صدق رسله، و عملوا الصالحات، و تركوا القبائح «فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ» أى يسرون سروراً تبين أثره عليهم، و منه الحبرة و هى المسرة، و منه الحبر العالم، و التحبير التحسين الذى يسر به. و انما خص ذكر الروضة- هاهنا- لأنه لم يكن عند العرب شىء أحسن منظراً و لا أطيب ريحاً من الرياض، كما قال الشاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبه خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة و لا بأحسن منها إذ دنا الأصل «١»

و الحبرة هى السرور و الغبطة، قال العجاج:

فالحمد لله الذى أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر «٢»

ثم بين تعالى أن الكفار فى ضد ما فيه اهل الجنة، فقال «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» بنعم الله و جحدوا آياته ثم أنكروا لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة «فَهُمْ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ» أى محضرون فيها، و لفظه الإحضار لا تستعمل إلا

(١) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) ١٤٥

(٢) اللسان (حبر).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٧

فيما يكرهه الإنسان، و منه حضور الوفاء، و يقال: احضر فلان مجلس السلطان إذا جرى به بما لا يؤثره، و الإحضار إيجاد ما به يكون

الشيء حاضراً إما بإيجاد عينه كاحضار المعنى فى النفس او بإيجاد غيره، كإيجاد ما به يكون الإنسان حاضراً. ثم قال تعالى «فَسُبْحَانَ اللَّهِ» أى تنزيهاً لله تعالى مما لا يليق به ولا يجوز عليه من صفات نقص او ينافى عظمه، و ما اختص به من الصفات، وقوله «حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ» فالامساء الدخول فى المساء، و المساء مجيء الظلام بالليل، و الإصباح نقيضه، و هو الدخول فى الصباح، و هو مجيء ضوء النهار.

ثم قال «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ» يعنى الثناء و المدح فى السموات «وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا» أى و فى العشى «وَحِينَ تَظْهَرُونَ» أى حين تدخلون فى الظهيرة و هى نصف النهار. و إنما خص تعالى العشى و الاظهار فى الذكر بالحمد و إن كان الحمد واجباً فى جميع الأوقات، لأنها أحوال تذكر بإحسان الله، و ذلك أن انقضاء، احسان أول الى احسان يقتضى الحمد عند تمام الإحسان و الأخذ فى الآخر، كما قال تعالى «وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١).

وقيل: إن هذه الآية تدل على الصلوات الخمس فى اليوم و الليلة، لأن قوله «حِينَ تُمْسُونَ» يقتضى المغرب و العشاء الآخرة «وَحِينَ تُصْبِحُونَ» يقتضى صلاة الفجر (و عشياً) يقتضى صلاة العصر (وَحِينَ تَظْهَرُونَ) يقتضى صلاة الظهر - ذكره ابن عباس، و مجاهد-. ثم اخبر تعالى انه الذى (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٨

قال ابن عباس و ابن مسعود: معناه يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي فانه يخرج الإنسان و هو الحي من النطفة، و هى الميتة، و يخرج الميتة و هى النطفة من الإنسان و هو حي. و قال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن. و قوله (وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يحييها بالنبات بعد جدوبها، و لا يجوز أن يكون المراد إحياء الأرض حقيقة، كما لا يكون الإنسان أسداً حقيقة إذا قيل فلان اسد، لأنه يراد بذلك التشبيه و الاستعارة، فكذلك إحياء الأرض بعد موتها، كأنها تحيا بالنبات الذى فيها. و قوله (وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً و الأعشى من طريق الطبرى - بفتح التاء - أضاف الفعل الذى هو الخروج اليهم. الباقون - بالضم - بمعنى يخرجهم الله، و المعنيان قريبان، لأنهم إذا أخرجوا، فقد خرجوا، و المعنى مثل ما يخرج النبات من الأرض كذلك يخرجكم الله بعد ان لم يكن كذلك، تخرجون الى دار الدنيا بعد ان لم تكونوا، و يعيدكم يوم القيامة بعد ان كنتم قد اعدمكم الله أى لا يشق عليه ذلك، كما لا يشق عليه هذا.

ثم قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ) أى أدلته الواضحة (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) يعنى انه خلق آدم الذى هو أبوكم و أصلكم - فى قول قتادة و غيره - (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) من نسله و ذريته، و (تتفرقون) فى أطراف الأرض فهلا دلکم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى؟ و انه الذى يستحق العبادة دون غيره من جميع خلقه.

و فى هذه الآيات - دلالة واضحة على صحة القياس العقلى، و حسن النظر بلا شك، بخلاف ما يقول قوم: ان النظر باطل. فأما دلالة

على القياس التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٣٩

الشرعى فبعيد لا يعول على مثله.

**قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٢٣٩**

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَشْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ حَافِئًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ



الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

خمس آيات بلا خلاف.

روى حفص عن عاصم «العالمين» بكسر اللام الأخيرة. الباقون بفتحها فمن كسرهما أسند (الآيات) الى العلماء، لأنهم الذين ينظرون فيها، ويعتبرون بها، كما قال «هُدَى لِلْمُتَّقِينَ» «١» و من فتح اللام أسند (الآيات) الى جميع

(١) سورة ٢ البقرة ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٠

المكلفين الذين يتمكنون من الاستدلال بها و الاعتبار بها، سواء كانوا عالمين بها او جاهلين، لأن الإمكان حاصل لجميعهم و هو أعظم فائدة.

يقول الله سبحانه مخاطباً لخلقه منبهاً لهم على توحيد و إخلاص العبادة له ب «أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» و النفس هي الذات في الأصل ثم يستعمل على وجه التأكيد لقولهم: رأيت زيدا نفسه، و يعبر بها عن الروح و غير ذلك. و قد بيناه «١» و قال قتادة المعنى - هاهنا - أنه خلقت حواء من ضلع آدم. و قال غيره: المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجاً، و قال الجبائي: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم. قال البلخي: و ذلك يدل على قوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا» «٢» انه يريد بعض الخلق دون بعض. و الزوجة المرأة التي وقع عليها عقد النكاح. و الزوج الرجل الذي وقع عليه عقد النكاح.

و قد يقال: للمرأة زوج إذا لم يلبس للاشعار بأنهما نظيران في عقد النكاح عليهما قال الله تعالى «إِذَا كُنَّ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» «٣» و قوله (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) يعني سكنون إنس و طمأنينة، بأن الزوجة من النفس إذ هي من جنسها و من شكلها فهو أقرب الى الالفه و الميل بالمودة منها لو كانت من غير شكلها.

و قوله (وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً) أى جعل بينكم رقة التعطف إذ كل واحد من الزوجين يرق على الآخر رافة العطف عليه، بما جعله الله في قلب كل واحد لصاحبه ليتم سروره.

(١) انظر ٥/٦٣-٦٤.

(٢) سورة ٧ الاعراف آية ١٨٨.

(٣) سورة ٢ البقرة آية ٣٥ و سورة ٧ الاعراف آية ١٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤١

ثم قال (إن في ذلك) يعني في خلق الأزواج مشاكلة للرجال (لآيات) أى لدلالات و اوضحات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك و يعتبرون به، و الفكر و الاعتبار و النظر واحد، فالفكر فى أن الأزواج لأى شىء خلقت؟ و من خلقها؟

و من أنعم بها؟ و من جعلها على الأحوال التي يعظم السرور بها؟ و كيف لا يقدر احد من العباد على ذلك؟ و ذلك من أعظم الدلالة على أن لها خالفاً مخالفاً لها و منشأً حكيماً يستحق العبادة، و لا يستحقها غيره.

ثم نبه على آية أخرى فقال (و من آياته) الدالة على توحيد و وجوب إخلاص العبادة له «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» و ما فيهما من عجائب خلقه من النجوم و الشمس و القمر و جريانها على غاية الحكمة و النظام الذى يعجز كل أحد عنها و بما فى الأرض من أنواع الأشجار و النبات و أصناف الجمادات التي ينتفع بها و فنون النعم التي يكثر الانتفاع بها «وَ اٰخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَ اَلْوَانِكُمْ» فاللسنة جمع



لسان، واختلافها ما بناها الله تعالى، و هيأتها مختلفة في الشكل و الهيئة و تأتي الحروف بها «وَ اِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ» أى اختلاف مخارجها التي لا يمكن الكلام إلا بكونها كذلك. و قال قوم المراد باللسنة اختلاف اللغات، و هو جواب من يقول: إن اللغات أصلها من فعل الله دون المواضعه. فأما من يقول: اللغات مواضعه فان تلك المواضعه من فعلهم دون فعل الله، غير أنه لما كانت الآلات التي تتأتى بها هذه الضروب لا يقدر على تهيتها كذلك غير الله جاز أن تضاف اللغات اليه تعالى على ضرب من المجاز «وَ أَلْوَانِكُمْ» أى و اختلاف ألوانكم من البياض و الحمرة و الشقره و الصفرة، و غير ذلك «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى إن فى خلق جميع ذلك لدلالات واضحات لجميع خلقه الذين خلقهم، و أكمل عقولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٢

و من كسر اللام أضاف الاعتبار بها الى العلماء، لأنهم المتفوعون بها دون غيرهم فكأنها خلقت لهم دون غيرهم، كما قال «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» «١» و إن كانت لجميع المكلفين.

ثم قال «و من آياته» الدالة على توحيده و اخلاص العبادة له «مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» فالنم و النوم واحد، لان فى النوم راحة للأجساد من الكد الذى يلحقها، و التعب الذى يصيبها (و ابتغاؤكم) أى طلبكم المعاش و ما ينفعكم (من فضله) أى مما يتفضل الله به عليكم. قال البلخى: و يجوز ان يكون المراد بالابتغاء المبتغى، فلذلك كان دلالة عليه دون فعل العباد، و انما يكون فعل الله دلالة عليه لما كان باقداره و إهدائه الى مرشده و ترغيبه فيه و تسهيله له (إن فى) خلق الله تعالى (ذلك لآيات) واضحات على توحيده (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) ذلك و يقبلونه و يفكرون فيه، لأن من لا يفكر فيه و لا ينتفع به كأنه لم يسمعه.

ثم قال «و من آياته يُرِيكُمُ الْبُرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا» و البرق نار تحدث فى السحاب، بين تعالى أنه إنما يخلقه ليخافوا من عذابه بالنار على معصيته و الكفر به، و يطمعوا فى ان يتعقب ذلك مطر فينتفعون به (وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعنى غيثاً و مطراً (فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى بعد انقطاع الماء عنها و جدوبها. و قيل: (خَوْفًا) من المطر فى السفر (و طمعاً) فيه فى الحضر.

و قيل: (خَوْفًا) من الصاعقة (و طمعاً) فى الغيث (إن فى) خلق الله (ذلك لآيات) أى دلالات واضحة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أى يفكرون فيه، لان من لا يفكر فيه و لا ينتفع به و إن كان عاقلاً، فكأنه لا عقل له. و قيل:

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٣

فى قوله (و من آياته يُرِيكُمُ الْبُرْقَ) ثلاثة أقوال:

أحدهما- ان تقديره و من آياته أن يريكم. فحذف (أن) كما قال طرفه:

ألا ايهذا اللاتمى احضر الوغى و أن اشهد اللذات هل انت مخلدى «١»

الثانى- انه حذف (أنه) لدلالة (من) عليها، كما قال الشاعر:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و اخرى ابتغى العيش اكدح «٢»

أى فتارة أموت. و فى الآية حذف تقديره: و من آياته آية يريكم البرق.

الثالث- و يريكم البرق من آياته على التقديم و التأخير من غير حذف.

ثم قال (و من آياته) الدالة على ما ذكرناه (أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بلا دعامة تدعمها و لا علاقته تعلق بها، بل لان الله تعالى يسكنها حالا بعد حال لأعظم دلالة على أنه لا يقدر عليه سواه (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) أى أخرجكم من الأرض من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً يبعثكم ليوم الحساب فعبر عن ذلك بما هو بمنزلة الدعاء، و بمنزلة (كُنْ فَيَكُونُ) فى سرعة تأتى ذلك، و امتناع التعذر عليه، و إنما ذكر هذه المقدورات على اختلافها و عظم شأنها ليدل على انه القادر الذى لا يعجزه شىء. و فى الآيات دلالة واضحة على فساد مذهب القائلين بان المعارف ضرورية لأنها لو كانت ضرورية لم يكن للتنبه على هذه الأدلة وجه و لا فائدة فيه لان

ما يعلم ضرورة لا يمكن الاستدلال عليه.

(١) ديوانه (دار بيروت) ٣٢ و قد مر في ١/ ٣٢٧ من هذا الكتاب.

(٢) قائله ابن مقبل، الكتاب لسيبويه و قد مر في ٣/ ٢١٢ و ٤/ ٧٧ من هذا الكتاب.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٤

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ٢٤٤

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر ما يدل على توحيد، و إخلاص العبادة له أن (لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من العقلاء فانه يملكهم و يملك التصرف فيهم، و ليس لاحد منعه منه و الاعتراض عليه، و خص العقلاء بذلك لأن ما عداهم في حكم التبعية.

ثم اخبر عن جميع من في السموات و الأرض بأنهم قانتون له. قال مجاهد: التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٥

معناه مطيعون و قال ابن عباس: معناه مصلون. و قال عكرمة: مقرون له بالعبودية. و قال الحسن: كل له قائم بالشهادة فالقانت الدائم على أمر واحد فالملائكة و غيرهم من المؤمنين دائمون على أمر واحد في الذلة لله في لزوم الطاعة لله تعالى، و الكافرون و غيرهم من الفساق دائمون على أمر واحد في الذلة لله - عز و جل - إلا أن منهم من هو بخلقته و فعله، و منهم من هو بخلقته.

ثم قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ) أي يخرعهم ابتداء و ينشئهم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» إذا أعدمه (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال ابن عباس و قتادة و مجاهد:

أي هو أيسر، و كل هين. و روى عن ابن عباس ايضاً: ان معناه و هو هين عليه، ف (افعل) بمعنى (فاعل) و قال بعضهم (وَهُوَ أَهْوَنُ) على الخلق، لأن الإنشاء أولاً من نطفة الى علقته و من علقته الى مضغته على التدريج، و في الاعادة يعادون دفعه واحدة. و حكى عن ابن عباس: انه قال المعنى و هو أهون عليه عندكم، لأنكم أقررتم بأنه يبدؤ الخلق، فاعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه، قال الشاعر - في أهون بمعنى هين:

تمنى رجال أن أموت و ان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد «١»

أي بواحد. و قال الراجز:

قبحتموا يا آل زيد نفرا الام قوم أصغراً و اكبرا

أي صغيراً و كبيراً، و قال معن بن أوس:

لعمرك ما ادري و اني لاوجل على أينا تعدو المنية أول «٢»

أي لواجل. و الله أكبر بمعنى كبير. و يقال للسلطان: الأعظم

(٢) قد مر في ٩١ / ٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٦

بمعنى عظيم.

وقوله (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال قتادة وهو قول:

لا- إله إلا الله وحده لا شريك له، لأنه دائم في السموات والأرض، يقول الثاني فيه كما قال الأول. وقيل: المعنى وله الصفة العليا، لأنها دائرة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول. وقيل: النشأة الثانية يا أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه. ثم قال (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) فذلك دليل على انه مثل ضربه الله.

ذكره الفراء.

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعنى فى انتقامه من أعدائه، الحكيم فى تديره لخلقه. ثم قال (صَدْرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) المعنى إنكم إذا لم ترضوا فى عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم فى أموالكم و أملاككم، فكيف ترضون لربكم ان يكون له شركاء فى العباد!! و قال قتادة: كما لا ترضون أن يكون عبيدكم شركاء كم فى فراشكم و أزواجكم كذلك لا ترضوا فى ربكم الذى خلقكم أن يعدل به أحد من خلقه فيشرك بينهما فى العباد.

وقوله (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ) قال ابو مخلد: معناه تخافون عبيدكم أن يشاركوكم فى أموالكم كما تخافون الشريك من نظرائكم. وقيل: تخافون ان يرثوكم كما يرث بعضكم من بعض- ذكره ابن عباس- وقيل: معناه تخافونهم كخيفتكم أنفسكم فى إتلاف المال بإفناقه.

ثم قال (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أى كما ميزنا لكم هذه الأدلة نفصل الأدلة لقوم يعقلون، فيتدبرون ذلك و يفكرون فيها. وقال سعيد ابن جبیر: كان اهل الجاهلية إذا لبوا قالوا: لييك اللهم لييك لا شريك التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٧

لك إلا شريك هو لك تملكه و ما ملكك. فأنزل الله الآية رداً. عليهم و إنكار لقولهم ثم قال تعالى (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) معناه إن هؤلاء الكفار لم يتفكروا فى أدلة الله، و لا انتفعوا بها بل اتبعوا أهواءهم و شهواتهم بغير علم منهم بصحة ما اتبعوه. ثم قال (فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) وقيل: المعنى من يهدى الى الثواب من أضله الله عنه. وقيل: المعنى من يحكم بهداية من حكم الله بضلالته. ثم قال (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) أى ليس لهم من ينصرهم و يدفع عذاب الله إذا حل بهم.

ثم قال تعالى مخاطباً لنبىه صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) أمرهم الله بأن يوجهوا عبادتهم الى الله على الاستقامة دون الاشراك فى العباد. ثم قال (فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال مجاهد:

فطرة الله الإسلام. وقيل: فطر الناس عليها و لها و بها بمعنى واحد، كما يقول القائل لرسوله: بعثتك على هذا و لهذا و بهذا بمعنى واحد. و نصب (فَطَرَتِ اللَّهُ) على المصدر، وقيل تقديره: اتبع فطرة الله التى فطر الناس عليها، لأن الله تعالى خلق الخلق للإيمان، و منه قوله صلى الله عليه و آله (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه)

و معنى الفطر الشق ابتداء يقولون: أنا فطرت هذا الشيء أى أنا ابتدأته، و المعنى خلق الله الخلق للتوحيد و الإسلام.

وقوله (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال مجاهد و قتادة و سعيد بن جبیر و الضحاک و ابن زيد و ابراهيم: لا تبديل لدين الله الذى أمركم به من توحيده و عدله و إخلاص العباد له، و هو قول ابن عباس و عكرمة. وقيل: المراد نفى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٨ الخطأ. ثم قال (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى ما بيناه من التوحيد و العدل و اخلاص العباد لله هو الدين القيم أى المستقيم الذى يجب اتباعه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه.

قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٢٤٨

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وابن عامر (فارقوا) بألف وتخفيف الراء. الباقون بغير الف وتشديد الراء. من قرأ بألف أراد: فارقوا دينهم الذي أمروا بتابعه. ومن شدد أراد: انهم اختلفوا في دينهم.

قوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) نصب على الحال و تقديره فأقم وجهك للدين يا محمد أنت و المؤمنون منيبين الى الله، و لا يجوز أن يكون حالا من (فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) لأنه ما فطرهم منيبين، و الانابة الانقطاع الى الله تعالى التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٤٩ بالطاعة و أصله على هذا القطع. و منه الناب، لأنه قاطع، و أناب في الأمر إذا نشب فيه، كما ينشب الناب المقاطع، و يجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة، فيكون على هذا الانابة التوبة التي يجدها مرة بعد مرة.

ثم قال (و اتقوه) أى اجتنبوا معاصيه، و اتقوا عقابه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) التي أمركم الله تعالى بها أى دوموا عليها، و قوموا بأدائها، فالصلاة و إن كانت فى حكم المجمل، و لم يبين شروطها- فى الآية- فقد أحال على بيان النبى صلى الله عليه و آله هذا إذا أراد بالصلاة تعريف الجنس، و إن أراد العهد الذى استقر فى الشرع، فهو على ما قد استقر فى الشرع (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نهى لهم عن أن يكونوا من جملة. من أشرك بعبادة الله سواه، ثم قال (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا) قال الفراء: يجوز ان يكون التقدير: و لا تكونوا من المشركين من جملة الذين فرقوا دينهم، و يجوز أن يكون من الذين فرقوا ابتداء، و تقديره الذين تفرقوا و كانوا شيعاً (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فالتفريق جعل أحد الشيين مفارقاً لصاحبه و ضده الجمع، و هو جمع أحد الشيين الى صاحبه، فتفريق الدين جعل أحدهما ليس مع الآخر فى معنى ما يدعو اليه العقل، و هو منكر لمخالفته داعى العقل، و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء، و دين الإسلام العمل الذى عليه الثواب. و لو جمعوا دينهم فى أمر الله و نهيه لكانوا مصيبين، و لكنهم فرقوا بإخراجه عن حد الأمر و النهى من الله و كانوا بذلك مبطلين خارجين عن الحق الذى أمر الله به. و من قرأ (فارقوا) بألف أراد: فارقوا دينهم الذى أمرهم الله بتابعه. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٠

وقوله (وَكَانُوا شِيعًا) أى فرقاً، و الشيع الفرق التى يجتمع كل فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، و شيعه الحق هم الذين اجتمعوا على الحق. و كذلك شيعه أمير المؤمنين عليه السلام هم الذين اجتمعوا معه على الحق و قال قتادة: المعنى بقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) اليهود و النصارى، و قال غيره: كل من خالف دين الحق الذى أمر الله به داخل فيه و هو أعم فائدة.

ثم اخبر تعالى ان (كل حزب) أى كل فريق (بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) من الاعتقاد الذى يعتقدونه يسرون به لاعتقادهم أنه الحق دون غيره. و قوله «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» قال الحسن: إذا أصابهم مرض او فقر دعوا الله تعالى راجعين اليه مخلصين فى الدعاء له «ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» بأن يعافهم من المرض أو يغنيهم من الفقر نعمه منه تعالى عليهم «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى يعودون الى عبادة غير الله بخلاف ما يقتضى العقل فى مقابلة النعمة بالشكر. ثم بين أنهم يفعلون ذلك «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» أى بما آتاهم الله من نعمه. ثم قال تعالى مهدداً لهم «فَتَمَتَّعُوا» أى انتفعوا بهذه النعم الدنيوية كيف شئتم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» ما فيه من كفركم و معصيتكم أى تصيرون فى العاقبة الى عذاب الله و أليم عقابه.

وقوله «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا» أى هل أنزلنا عليهم برهاناً و حجة يتسلطون به على ما ذهبوا اليه، و يحتمل أن يكون المراد هل أرسلنا اليهم رسولا- فإذا حمل على البرهان، فهو بمنزلة الناطق بالأمر لإظهاره إياه. و قوله «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» أى هل أنزلنا عليهم سلطاناً أى رسولا يتكلم بأنا أرسلناه بما يدعونه من الاشراك مع الله فى العبادة، فإنهم لا يقدرين على ذلك و لا يمكنهم ادعاء حجة عليه و لا برهان، و الكلام و إن خرج مخرج التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥١

الاستفهام فالمراد به التبكيت.

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٢٥١

وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابو جعفر «لتربوا» بالتاء و سكون الواو، الباقون بالياء و فتح الواو، وقرأ ابن كثير «و ما آتيتم من ربا» بالقصر. الباقون بالمد. و اتفقوا على المد في قوله «و ما آتيتم من زكاة» وقرأ حمزة و الكسائي و خلف «عمَّا يُشْرِكُونَ» بالياء. الباقون بالتاء. قال ابو علي: المعنى و ما آتيتم من هدية التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٢

أهديتموها لتعوضوا اكثر منها، فلا يربو عند الله، لأنكم قصدتم زيادة العوض دون وجه الله، و هو كقوله «وَلَا تَمُنُّنَّ تَشِيئًا كَثِيرًا» (١) فمن مد أراد أعطيتم من قوله «فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا» (٢) و من قصره فالمعنى يؤل الى قول من مد إلا انه على لفظ (فعلتم) و مدهم لقوله «و ما آتيتم من زكاة» فلقوله «و إيتاء الزكاة» (٣) و لو قال آتيت الزكاة لجاز أن يعنى به: فعلتها و لكن لفظ القرآن على الإيتاء. و من ضم «لتربوا» فالمعنى لتصيروا ذوى زيادة في ما آتيتم من أموال الناس أى يستدعونها من أربى إذا صار ذا زيادة مثل أقطف و اضرب. و من فتح أسند الفعل الى الربوا المذكور و قدر المضاف، فحذفه كما قيل: اجتذاب أموال الناس و اجتلابه. و يجوز ذلك. و سمي هذا المدفوع على هذا الوجه ربا لما كان فيه من الاستزادة.

يقول الله تعالى مخبراً عن خلقه بأنه إذا أذاقهم رحمة من عنده بأن ينعم عليهم بضرور النعم و يصح أجسامهم و يدرّ أرزاقهم و يكثر مواشيهم و غير ذلك من النعم، إنهم يفرحون بذلك و يسرون به ف (إذا) شرط و جوابه «فَرِحُوا بِهَا» و إنما جاء الجزاء ب (إذا) و لم يجيء ب (حين)، لأن (إذا) أشبه بالفاء من جهة البناء، و الزم للفعل من جهة أنه لا يضاف الى مفرد، فصار بمنزلة الفاء فى ترتيب الفعل، و ليس كذلك (حين). و شبه إدراك الرحمة بإدراك الطعم، فسماه ذوقاً. «و إِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ» هو اخبار منه تعالى أنه إن أصابهم عذاب من الله تعالى جزاء على ما كسبته أيديهم «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ»

(١) سورة المدثر آية ٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٨.

(٣) سورة النور آية ٣٧ و سورة الأنبياء آية ٧٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٣

أى يياسون من رحمة الله، و القنوط اليأس من الفرج، قال جهد الأرقط:

قد وجدوا الحجاج غير قانط (١)

و إنما قال «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ» و لم يقل بما قدموا على التغليب للاكثر الأظهر، لان اكثر العمل و أظهره لليدين، و العمل بالقلب و إن كان كثيراً فهو أخفى، و إنما يغلب الأظهر. و يجوز أن يكون ما يصيبهم - من مصائب الدنيا و الآلام بها - بعض العقاب، فلذلك قال «بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ» و يجوز ان يكون لما فعلوا المعاصى اقتضت المصلحة أن يفعل بهم ذلك، و إن لم يكن عذاباً.

ثم قال تعالى منبهاً لهم على توحيدهم «أَوْ لَمْ يَرَوْا» أى لم يفكروا فيعلموا «أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أى يوسع «لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أى و يضيق على من يشاء على حسب ما تقتضيه مصالحهم، و بسط الرزق الزيادة على مقدار القوت منه بما يظهر حاله، و اصل البسط نشر الشيء بما يظهر به طوله و عرضه، و بسط الرزق مشبه به. ثم قال «إِنَّ فِي ذَلِكَ» يعنى فى البسط للرزق لقوم و تضيقه لقوم آخرين «لآيَاتٍ» أى لدلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بالله، لأنهم يعلمون ان ذلك من فضل الله الذى لا يعجزه شىء.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله فقال «فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» أى أعط ذوى قرباك يا محمد حقوقهم التى جعلها الله لهم فى الأحماس- و هو قول مجاهد-

قيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبی صلى الله عليه و آله اعطى فاطمة فدكاً، و سلمه اليها- روى ذلك ابو سعيد الخدرى و غيره- و هو المشهور عن أبى جعفر، و أبى عبد الله عليهما السلام.

و قال السدى: الآية نزلت فى قرابة النبی صلى الله عليه و آله. و قال قوم:

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٢٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٤

المراد به قرابة كل انسان. و الأول اظهر، لأنه خطاب للنبي صلى الله عليه و آله «وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» تقديره و أعطى- ايضاً- المسكين، و هو الفقير، و ابن السبيل و هو المنقطع به، حقوقهم التى جعلها الله لهم فى الصدقات و غيرها، و الخطاب و إن كان متوجهاً الى النبي صلى الله عليه و آله فهو متوجه الى جميع المكلفين.

ثم قال «ذَلِكَ خَيْرٌ» يعنى إعطاء الحقوق المستحقه خير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» بالإعطاء دون الرياء و السمعة «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بثواب الله. ثم قال «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ» قال ابن عباس:

هو إعطاء الرجل العطيئة ليعطى أكثر منها لأنه لم يرد بها طاعة الله. و قال ابن عباس: و ابو جعفر الربوا ربا ان أحدهما- حلال، و الآخر حرام، فالأول هو ان يعطى الإنسان غيره شيئاً لا يطلب أكثر منه فهو مباح، و لا يربوا عند الله. و الآخر- الربوا الحرام. و قال ابن طائوس عن أبيه: إذا أهدى الرجل الهدية ليهدى له أفضل منها فليس فيه أجر و لا وزر، و كلما فعله الفاعل على أنه حسن للشهوة فليس فيه حد و لا- أجر، و شهوته و شهوة غيره فى هذا سواء، و قيل: المعنى فى الآية التزهد فى الربو، و الترغيب فى إعطاء الزكاة. و قال الحسن:

هو كقوله «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِى الصَّدَقَاتِ» «١» و لا- خير فى العطيئة إذا لم يرد بها وجه الله. و قال الجبائى: و ما آتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم «فَلَا يُزْبُوا» لأنه لا يملكه المرابى بل هو لصاحبه، و لا يربو «عِنْدَ اللَّهِ» لأنه يستحق به العقاب، و إعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة فمنه إعطاؤه على وجه الصدقة.

و منه إعطاؤه على وجه الهدية. و منه الصلة. و منه الودائع. و من ذلك قضاء

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٥

الدين، و منه البر و منه الزكاة. و منه القرض. و منه النذر و غير ذلك.

ثم قال «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» أى ما أخرجتموه على وجه الزكاة و أعطيتموه أهله تريدون بذلك وجه الله دون الربو «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ» أى يضاعف لهم الحسنات كقوله «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا» «١» و قال الكلبي: تضاعف أمواله فى الدنيا، فالمضعف ذو الاضعاف كما أن الميسر ذو اليسار.



ثم خاطب تعالى خلقه فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» بعد ان لم تكونوا موجودين «ثُمَّ رَزَقَكُمْ» من أنواع الملاذ و ملككم التصرف فيها و أباحها لكم «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» بعد ذلك إذا شاء ليصح ايصالكم الى ما عوضكم له من الثواب «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» ليجازيكم على أفعالكم على الطاعات بالثواب و على المعاصي بالعقاب «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ» الذين عبدتموهم من دون الله «مَنْ يَفْعَلْ مِنْ دَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ» أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة اليه فإنهم لا يقدرون على أن يقولوا:

نعم يقدرون عليه و انما يعترفون بعجزها عن ذلك، فيعلموا عند ذلك انها لا تستحق العبادة فلذلك نزه نفسه عقيب ذلك عن أن يشرك معه في العبادة و يتخذ معه معبوداً سواه فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» فمن قرأ بالياء وجه الخطاب الى الغائب. و من قرأ بالتاء وجهه الى المخاطبين، و في ذلك تنبيههم على وجوب ضرب الأمثال لله تعالى دون غيره من المخلوقات.

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص: ٢٥٥

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٦

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير- في رواية ابن مجاهد- عن قنبل و روح «لنديقهم» بالنون. الباقون بالياء. فمن قرأ بالنون فعلى وجه اخبار الله عن نفسه أنه الذى يذيقهم. و من قرأ بالياء فالمعنى ليزيقهم الله بعض الذى عملوا.

يقول الله تعالى «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» قيل: فساد البر هو ما يحصل فيها من المخاوف المانعة من سلوكه، و يكون بخذلان الله عز و جل لأهل العقاب به، و فساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون متصرفاً فيه، و كل ذلك ليرتدعوا عن معاصيه. و قال قتادة: المعنى ظهر الفساد فى أهل البر و البحر فأهل البر أهل البادية و أهل البحر أهل القرى الذين على الأنهار العظيمة و يكون قوله «بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» معناه يخلق الله بينهم و بين المعاصي جزاء على ما سبق منهم من المعاصي. و قال مجاهد: البر ظهر الأرض و البحر هو

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٧

البحر المعروف، لأنه يؤخذ فيه كل سفينة غصباً. و قيل: البر الأرض القفر و البحر المجرى الواسع للماء عذباً كان أو ملحاً، و سمي البر برأ، لأنه يبر بصلاح المقام فيه خلاف البحر، و منه البر لأنه يبر بصلاحه فى الغذاء أتم الصلاح.

و قيل: الفساد المعاصي و دليله قوله تعالى «وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ» (١) و التقدير.

ظهر عقاب الفساد فى البر و البحر، و الظهور خروج الشيء الى حيث يقع عليه الاحساس و العلم به بمنزلة الإدراك له. و قد يظهر الشيء بخروجه عن وعاء أو وجوده عن عدم أو ظهوره بدليل. و قيل: بالعدل ينبت الله الزرع و يدر الضرع، و بالظلم يكون القحط و ضيق الرزق، و قوله «بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» أى جزاء على ما فعله الناس. و الكسب فعل الشيء لاجتلاب نفع الى نفس الفاعل أو دفع ضرر عنه، فالقادر لنفسه يقدر على مثله فى الحالتين لاجتلاب نفع الى غيره أو دفع ضرر عنه، غير انه لا يوصف بهذه الصفة و إن قدر على مثله. و قوله «لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» معناه ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التى عملوها من المعاصي «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا عنها فى المستقبل، و تقديره فعل الله تعالى القحط و الشدائد و الجذب و قلة الثمار و هلاك النفوس عقوبة على معاصيهم



ليذيقهم بذلك عقاب بعض ما عملوا من المعاصي ليرجعوا عنها في المستقبل، ليذيقهم عقابه غير انه اجرى على بعض العمل لأنهم بذواقهم جزاءه كأنهم ذاقوه، وهذا من الحذف الحسن، لأنه حذف المسبب وإقامة السبب الذي أدى اليه مقامه. ثم بين تعالى انه فعل بهم هذا ليرجعوا عن معاصيه الى طاعته.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٠٥

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٨

ثم خاطب تعالى نبيه صلى الله عليه وآله فقال له «قُلْ» لهم يا محمد «سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» أى فكروا فيمن تقدم من الأمم التي أشركت بالله أكثرهم، والمؤمنون كانوا قليلين فيهم كيف أهلكهم الله ودمر عليهم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» ومعناه استقم للدين المستقيم بصاحبه الى الجنة أى لا يعدل عنه يمينا ولا شمالا، فإنك متى فعلت ذلك أداك الى الجنة، وهو مثل قوله «ثُمَّ انصِرِفُوا صِرْفَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ» «١» مجانس فيه للبلاغة ومنه قوله «يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» ومنه «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ». «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أى استقيموا على الطريق المستقيم قبل يوم القيامة الذى تتفرقون فيه فرقتين، فريق فى الجنة وفريق فى السعير- ذكره قتادة- وقال الحسن:

الدين القيم الطاعة لله.

ثم قال «مَنْ كَفَرَ» بالله و جحد نعمه «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى فعلية جزاء كفره لا يعاقب أحد بذنب غيره، كما قال «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» «٢» «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا» يعنى الايمان بالله و أفعال الطاعات «فَلْيَأْنَسِ يَوْمَ يَمُوتُونَ» و التمهيد و التمكين و التوطيد نظائر أى ثواب ذلك واصل اليهم و تتمهد أحوالهم الحسنه عند الله. و قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ» اخبار منه تعالى أنه الذى يجزى الذين يطيعون الله تعالى و يجتنبون معاصيه ثواب الجنة

(١) سورة ٩ التوبة آية ١٢٨.

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ و سورة ١٧ الإسراء آية ١٥ و سورة ٣٥ فاطر آية ١٨ و سورة ٣٩ الزمر آية ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٥٩

من فضله على خلقه «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» أى لا يريد منافعهم و لا ثوابهم، و انما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص: ٢٥٩

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كَسْفًا فَتَرَى الْوُدُقَ يُخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ (٤٩) فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر و ابن ذكوان «كسفاً» بسكون السين. الباقون بتحريكها.

وقرأ اهل الكوفة و ابن عامر «الى آثار» على الجمع و آماله الكسائي إلا أبا التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٠ الحارث. الباقون على التوحيد. من سكن السين من كسف أراد جمع كسفه و هي القطعة الواحدة من السحاب، مثل سدره و سدر. و يحتمل ان يكون الضمير في (خلاله) راجعاً اليه. و يحتمل ان يكون راجعاً الى الخلال. و من فتح السين أعاد الضمير الى السحاب لا غير. و من أفرد «اثر» فلأنه مضاف الى مفرد و جاز الجمع لان (رحمة الله) يجوز ان يراد بها الكثرة.

يقول الله تعالى إن من الأدلة الدالة على توحيدى و وجوب اخلاص العبادة لى إرسال الرياح مبشرات بالغيث و المطر. و إرسال الرياح تحريكها و اجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالاً و تارة جنوباً و صباحاً، و أخرى دبوراً على حسب ما يريد الله و يعلم فيه من المصلحة، و ذلك لا يقدر عليه غيره تعالى، لأن العباد و إن قدروا على جنس الحركة فلو اجتمع جميع الخلائق من الجن و الانس على أن يردوا الريح إذا هبت شمالاً الى كونها جنوباً و إذا هبت جنوباً الى كونها شمالاً او صباحاً او دبوراً لما قدروا عليه، فمن قدر على ذلك يعلم أنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء مستحق للعبادة خالصة له، و انما سماها مبشرات، لأنها بمنزلة الناطقة إذا بشرت بأنه يجيء مطر و غيث يحيى به الأرض لما فيها من إظهار هذا المعنى و دلالتها على ذلك بجعل جاعل، لأنه من طريق العادة التي أوجهاها الله تعالى.

و قوله «وَلْيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِي» معطوف على المعنى، و تقديره أن يرسل الرياح للبشارة و الأذاقة من الرحمة «وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِهَا بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى تطلبوه، فارسل الرياح لهذه الأمور، و معنى «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لتشكروا الله على نعمه، و إنما اتى بلفظ (لعلكم) تल्प في الدعاء الى الشكر كالتल्प في الدعاء الى البر، في قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا تَبَيَّنَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،

ج ٨، ص: ٢٦١

حَسَنًا

«١» ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله على وجه التسليء عن قومه في تكذيبهم إياه فقال لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

يَا مُحَمَّدٌ سَلًّا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

يعنى بالمعجزات، و فى الكلام حذف، لأن تقديره فكذبوهم و جحدوا بهم فاستحقوا العذاب انتقمنا من الذين أجزموا و كان حقاً علينا نصر المؤمنين

أى أوجبناه على نفوسنا أن نصر المؤمنين من عبادنا.

ثم قال تعالى «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنِيثُ سَحَابًا» أى تنشئ سحاباً فانشاء السحاب و إن كان من فعل الله لكن لما كان السحاب سبباً منه جاز أن يسند اليها «فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ» أى يبسط ذلك السحاب كيف شاء فى السماء من كثافته ورقفه و غير ذلك «وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا» أى قطعاً- فى قول قتادة- «فَتَرَى الْوَدْقَ» يعنى المطر، قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها و لا أرض اقبل ابقالها «٢»

«يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» يعنى من خلال السحاب «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ» يعنى بذلك المطر «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ» أى يفرحون و يبشر بعضهم بعضاً به «وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم» المطر «مَنْ قَبْلَهُ لَمُبْلِسِينَ» أى قانطين يائسين- فى قول قتادة- و قوله «من قبله» فى الموضوعين فيه قولان: أحدهما- انه للتوكيد. و الآخر من قبل الإرسال، و الأول من قبل الانزال. ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين «فَأَنْظُرُو» يا محمد «إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها» يحييها بالنبات بعد جدوبها

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٤٥ و سورة ٥٧ الحديد آية ١١.

(٢) مر هذا البيت فى ١/ ١٢٦ و ٥/ ٣٦١ و ٧/ ٤٤٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٢

«إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى أَى مَثَل ذَلِكَ يَحْيَى اللَّهُ الْمَوْتَى بَعْدَ أَنْ كَانُوا جَمَادًا «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى قادر و فيه مبالغة.

## قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص: ٢٦٢

وَلَيْتُنَّ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعِيَةُ يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)

ست آيات مدني و خمس في ما عداه عد المدني «يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير (و لا تسمع) بفتح التاء (الصم) رفعا الباقون- بضم التاء- (الصم) نصباً. و هذا مثل ضربه الله للكفار، و المعنى كما إنك يا محمد لا- تسمع الميت لتعذر استماعه فكذلك لا- تسمع الكفار، و المعنى انه لا ينتفع بسماعه، لأنه لا يعمل به، فإذا كان كذلك فالمعنيان متقاربان، لان المعنى إنك التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٣

لا تسمع الكافر ما في القرآن من حكمه و موعظه، كما لا تسمع الأسم المدبر عنك.

و ضم التاء و نصب الميم أحسن لتشاكل ما قبله من اسناد الفعل اليك أيها المخاطب و حكم المعطوف يجب ان يكون مشاكلاً حكم المعطوف عليه. و قرأ عاصم و حمزة (من ضعف) بفتح الضاد في الثلاثة. الباقون بالضم فيهن، و هما لغتان.

يقول الله سبحانه (وَلَيْتُنَّ أَرْسَلْنَا رِيحًا) مؤذنة بالهلاك-ك (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) فالهاء يجوز أن يكون كناية عن السحاب، و تقديره فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك كان غير ممطر، و يحتمل أن يكون راجعاً الى الزرع، و تقديره، فرأوا الزرع مصفراً- و الثاني قول الحسن- و جواب لئن في الشرط أغنى عنه جواب القسم، لأن المعنى ليظن كما أن (أرسلنا) بمعنى أن يرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين. و كان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط و لو تقدم الشرط لكان الجواب له، كقولك: ان أرسلنا ريحاً ظلوا و الله يكفرون. و (الاصفرار) لون بين الحمرة و البياض، و هو من النبات الذي يصفر بالريح للجفاف و يحول عن حال الاخضرار، فيصير الى الهلاك و يقنط صاحبه الجاهل بتدبير ربه في ما يأخذ به من الشدة بأمره تارة و الرخاء أخرى ليصح التكليف بطريق الترغيب و التهيب، و معنى (ظل يفعل) أي جعل يفعل في صدر النهار، و هو الوقت الذي فيه ظل الشمس. و (أضحى يفعل) نظير ظل يفعل إلا أنه كثر حتى صار بمنزلة (جعل يفعل).

ثم قال لنبية «فإِنَّكَ» يا محمد «لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» شبه الكفار في ترك تدبرهم لما يدعوهم اليه النبي صلى الله عليه و آله تارة بالأموات و تارة بالصم، لأنهم لا ينتفعون بدعاء داع، لأنهم لا يسمعون، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٤

و كذلك من يسمع و لا يصغى و لا يفكر فيه، و لا يتدبره فكأنه لم يسمعه.

و قوله «إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» معناه إذا عرضوا عن أدلتنا و عن الحق ذاهبين الى الضلال غير طالبين لسبيل الرشاد. و لذلك لم يسمهم الدم و صفه النقص.

و قوله «وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» معناه ليس في هؤلاء حيلة أن يقبلوا الهداية فصار العمى بالضلال صنفين أحدهما- يطلب الهداية فهو يجدها عندك. و الآخر لا يطلب الهداية، فليس فيه حيلة. ثم قال (إن) يعني ليس (تسمع إلا من يصدق آياتنا و أدلتنا) لأنهم المنتفعون بدعائك و اسماعك (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) لك ما تدعوهم اليه.

ثم قال (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) و فيه لغتان- الضم، و الفتح- مثل الفقر و الفقر، و الكره و الكره، و الجهد و الجهد، و المعنى انه خلقهم ضعفاء لأنهم كانوا نطفاً، فحولهم الى أن صاروا أحياء أطفالاً لا قدرة لهم (ثم جعل) لهم (مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) أي من بعد هذا الضعف (قوة) إذا شبوا و ترعرعوا و كملوا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً) في حال الشيخوخة و الشيب (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) كيف

يشاء (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بما فيه مصالح خلقه قادر على فعله فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم. ثم اخبر تعالى عن حال الكفار أنهم (يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) انهم (ما لبثوا غير ساعة) وقيل: في قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان:

أحدهما- قال ابو بكر بن الأخشاد: ذلك يقع منهم قبل إكمال عقولهم. و يجوز قبل الإلجاء ان يقع منهم قبيح.

و الثاني- قال الجبائي: ان المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٥ (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) أى يكذبون لأنه اخبار عن غالب الظن بما لا يعلمون قال: و لا يجوز أن يقع منهم القبيح فى الآخرة، لان معارفهم ضرورة. وقيل:

(كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) فى دار الدنيا و يجحدون البعث و النشور مثل ما حلفوا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة، قال الفراء: و تقديره كما كذبوا فى الدنيا بالبعث كذلك يكذبون بقولهم ما لبثنا غير ساعة. و من استدل بذلك على نفي عذاب القبر فقد أبطل، لأن المراد أنهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلا ساعة.

### قوله تعالى: [سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص: ٢٦٥

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنَّا لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَحْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة «لا ينفع» بالياء، لان تأنيث المعذرة غير حقيقى. الباكون التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٦ بالتاء، لان اللفظ لفظ التأنيث.

يقول الله تعالى مخبراً عن الذين قد أعطاهم الله العلم و آتاهم إياه بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له، و نظروا فيها فحصل لهم العلم، فلذلك أضافه الى نفسه لما كان هو الناصب للدالة الدالة على العلوم، و التصديق بالله و رسوله (لَقَدْ لَبِثْنَا) أى مكثتم (فى كتاب الله) و معناه إن لبثكم مذکور ثابت فى كتاب الله بينه الله فيه، فصار من أجل ان بيانه فى كتابه كأنه فى الكتاب، كما تقول كلما يكون فهو فى اللوح المحفوظ أى هو مبين فيه، و قيل (فى كتاب الله) أى فى كتابه الذى أخبرنا به، و اللبث لا- يكون إلا- فى المكان، كما لا يكون السكون إلا- فيه، و البقاء قد يكون لا- فى مكان، و لذلك يوصف تعالى بالباقي، و لا يوصف ب (لابث) و (إلى يوم البعث) يعنى يوم يبعث الله فيه خلقه و يحشرهم. و اصل البعث جعل الشئ جارياً فى أمر، و منه انبعث الماء إذا جرى و انبعث من بين الأموات إذا خرج خروج الماء، و يوم البعث يوم إخراج الناس من قبورهم الى أرض المحشر.

ثم يقول المؤمنون للكفار «فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنَّا لَا تَعْلَمُونَ» صحة ذلك و كنتم شاكين فيه. و قال الحسن: لقد قدرنا آجالكم الى يوم البعث و لكنكم لا تعلمون ان البعث حق.

ثم اخبر تعالى ان ذلك اليوم لا تقبل معذرتهم، و المعذرة إظهار ما يسقط اللائمة، و انما لا تقبل معذرتهم لأنهم ملجئون فى تلك الحال، و لا يصح اعتذارهم و قوله «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يقبل عتبتهم، و لا يطلب منهم الاعتاب.

و الاستعتاب طلب صلاح المعاتب بالعتاب و ذلك بذكر الحقوق التى تقتضى خلاف ما عمله العامل بما لا ينبغى أن يكون عليه مع الحق اللازم له و ليس فى قولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٧

ما علمنا أنه يكون و لا أننا نبعث عذر، لأنه قد نصب لهم الدلالة عليه و دعوا اليه.

ثم اخبر تعالى انه ضرب للناس المكلفين في القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله من كل مثل، يحثهم به على الحق و اتباع الهدى. ثم قال لنبيه «وَلَيْنَ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ» يا محمد أى معجزة باهرة «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ» فى دعواكم البعث و الشورى، عناداً و جحداً للأمر الظاهرة. ثم قال مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء بأن حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون كذلك حكم فى كل من لا- يؤمن. و قيل: الطبع علامة يجعلها الله فى قلوب الكافرين يفصل بها الملائكة بينه و بين المؤمن. ثم قال لنبيه «فاصبر» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و مقامهم على كفرهم «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» فى ما وعدك به من النصر و إعزاز دينك «وَلَا يَسْتَفْزِنُكَ» أى و لا يستفزك «الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ» فالاستخفاف طلب الخفة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٨

### ٣١-سورة لقمان ..... ص: ٢٦٨

#### إشارة

هى مكيه- فى قول مجاهد و قتاده- ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال الحسن: هى مكيه إلا آية واحدة و هى قوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) لان الصلاة و الزكاة مديتان و هى ثلاث و ثلاثون آية حجازى و أربع و ثلاثون آية فى ما عدا الحجازى.

#### [سورة لقمان (٣١): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ٢٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

خمس آيات كوفى و أربع بلا خلاف فيما عدا الكوفى.

قرأ حمزة «هدى و رحمة» رفعاً. الباقون نصباً. من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو هدى و رحمة، و يجوز أن يكون بدلا من «تلك آيات» أى تلك هدى و رحمة، و من نصب فعلى المصدر و تقديره يهدى به هدى و يرحم به رحمة، و يجوز أن يكون على الحال، و تقديره هادياً أى فى حال الهداية و الرحمة- ذكره الزجاج- «للمحسنين» الذين يفعلون الافعال الحسنة من الطاعات و يتفضلون على غيرهم. و قد بينا أن أقوى الأقوال فى معنى «الم» قول من التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٦٩

قال هو اسم للسورة، و ذكرنا ما فى الأقوال فى ما تقدم. قال الرماني: انما جعل اسم السورة على الاشتراك للمناسبة بينها و بين ما يتصل بها مع الفصل بالصفات و ذلك انها استحقت بذكر الكتاب و المؤمنين به غير العادلين عنه، كما هو فى البقرة.

و قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ» اشارة الى آيات الكتاب التى وعدهم الله بانزالها عليهم فى الكتب الماضية، قال ابو عبيدة «تلك» بمعنى هذه «آيات الكتاب» و إن كانت هى الكتاب فهو جائز، كما قال «حق اليقين» «١» و كما قالوا: مسجد الجامع، و غير ذلك. و قد بيناه فى ما مضى «الحكيم» من صفة الكتاب، فلذلك جره و إنما وصف الكتاب بأنه (حكيم) مع انه محكم لأنه يظهر الحق و الباطل بنفسه، كما يظهره الحكيم بقوله، و لذلك يقال:

الحكمة تدعو الى الإحسان و تصرف عن الاساءة. و قال ابو صالح: أحكمت آياته بالحلال و الحرام. و قال غيره: أحكمت بأن أتقنت «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ» (٢).

ثم قال هذا الكتاب «هُدًى وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ» أى دلالة موصلة لهم الى الصواب و ما يستحق به الثواب، و رحمة رحمة الله بها و

أضافه الى المحسنين و إن كان هدى لغيرهم لما كانوا هم المنتفعين به دون غيرهم كما قال «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (٣) و الإحسان النفع الذى يستحق به الحمد فكل محسن يستحق الحمد و كل مسيء يستحق الذم، و ما يفعله الفاعل على انه لا ظلم فيه لاحد لينقطع به عن قبيح فى انه احسان فهو احسان يستحق عليه الحمد، لان الحكمة تدعو الى

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٩٥.

(٢) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٤٢ [.....]

(٣) سورة البقرة آية ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٠

فعله على هذا الوجه، و لا يدعو الى ان يفعله للشهوة، و لا للهوى.

ثم وصف المحسنين فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» أى يديمون فعلها و يقومون بشرائها و أحكامها و يخرجون الزكاة الواجبة عليهم فى أموالهم.

و هم بالآخرة مع ذلك يوقنون، و لا يرتابون بها. ثم اخبر أن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات «على هدى من ربهم» أى على حجة من ربهم «و أولئك هم المفلحون» الفائزون بثواب الله و رحمته.

### قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص : ٢٧٠

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَىٰ مُشْتَكِبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعِزَابٍ أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا- أبا بكر «و يتخذها» نصباً، الباقون رفعاً من قرأ بالنصب عطفه على «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا» أى يشتري لهو الحديث التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧١

للأمرين. و من رفع عطف على قوله «يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا» و من قرأ «ليضل»- بضم الياء و كسر الضاد- أراد يفعل ذلك ليضل غيره. و من- فتح الياء- أراد ليضل هو نفسه بذلك.

اخبار الله تعالى ان «من» جملة «النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» أى يستبدل لهو الحديث. و قيل فى معناه قولان: أحدهما- انه يشتري كتاباً فيه لهو الحديث.

الثانى- انه يشتري لهو الحديث عن الحديث. و اللهو الأخذ فى ما يصرف الهم من غير الحق، تقول: لهى فلان يلهو لهواً، فهو لاه، و تلهى تلهياً و ألهاه إلهاء، و اللهو و اللعب و الهزل نظائر. و الحديث الخبر عن حوادث الزمان. و قال ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد: لهو الحديث الغناء، و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قال قوم: هو

شراء المغنيات. و روى ابو أمامة عن النبى صلى الله عليه و آله تحريم ذلك.

و قال قتادة: هو استبدال حديث الباطل على حديث الحق. و قيل: كلما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله الذى أمر باتباعه الى ما نهى عنه، فهو لهو الحديث. و قيل: الآية نزلت فى النضر ابن الحارث بن كلدة كان اشترى كتباً فيها أحاديث الفرس: من حديث رستم



و إسفنديار، فكان يلهيهم بذلك و يطرف به، ليصد عن سماع القرآن و تدبر ما فيه.

و قوله «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليتشاغل بما يلهيه عن سبيل الله. و قال ابن عباس: سبيل الله قراءة القرآن، و ذكر الله، لأن حجة الله قائمة عليه بالدواعى التى ترعجه الى النظر فيما يؤديه الى العلم بالواجب ليعمل، فيتشاغل ليخف ذلك الإزعاج. و من قرأ بالضم أراد ليضل غيره بذلك. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٢

و قوله «وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا» أى يتخذ سبيل الله سخريه، فلا يتبعها و يشغل غيره عن اتباعها. و الضمير فى قوله «و يتخذها» يجوز أن يكون راجعاً الى الحديث، لأنه بمعنى الأحاديث. و يجوز أن يكون راجعاً الى (سبيل الله) و السبيل يؤنث و يذكر. و يجوز أن يكون راجعاً الى (آيات الله) فى قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ».

ثم اخبر تعالى أن من هذه صفته «لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى عذاب بذله.

و الإذلال بالعداوة هو الهوان. فأما إذلال الفقر و المرض، فليس بهوان، و لا إذلال على الحقيقة. و إذلال العقاب لا يكون إلا هواناً، و إن كان العذاب على وجه الامتحان، فلا يكون هواناً أيضاً.

ثم اخبر تعالى عن صفة هذا الذى يتخذ آيات الله هزواً و يشتري لهو الحديث أنه «إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا» التى هى القرآن «وَلَّى مُسْتَكْبِرًا» أى اعرض عنها تكبراً عن استماعها. و الفكر فيها، كأنه «لَمْ يَشْرِكْ بِهَا» من حيث لم يفكر فيها، و لم يعتبر بها و «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» أى ثقلاً يمنع من سماعه. ثم امر نبيه صلى الله عليه و آله أن يبشر من هذه صفة «بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجه.

ثم اخبر تعالى عن صفة المؤمنين المصدقين بتوحيد الله و صدق أنبيائه فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى صدقوا بالله و نبيه و فعلوا الطاعات «لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» يوم القيامة يتنعمون فيها (خَالِدِينَ فِيهَا) أى مؤبدين فى تلك البساتين (وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا) أى وعده الله حقاً، لا خلف لوعده (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه (الحكيم) فى أفعاله، إذ لا يفعل إلا ما فيه المصلحة و وجه من وجوه الحكمة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه بأنه (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ) فأنشأها و اخترعها التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٣

(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا) أى ليس لها عمد يسندها، لأنه لو كان لها عمد لرأيتموها فلما لم تروها دل على أنه ليس لها عمد، لأنه لو كان لها عمد لكانت اجساماً عظيمة حتى يصح منها إقلال السموات، و لو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد آخر، فكان يتسلسل. فإذا لا عمد لها، بل الله تعالى سكنها حالاً بعد حال بقدرته التى لا توازيها قدرة قادر. و قال مجاهد: لها عمد لا ترونها، و هذا فاسد لأنه لو كان لها عمد لكانت اجساماً عظيمة، لأنه لا يقل مثل السموات و الأرض إلا ما فيه الاعتمادات العظيمة. و لو كانت كذلك لرأيت، و كان يؤدى الى ما ذكرناه من التسلسل.

ثم قال (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) يعنى الجبال الثابتة (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) و قيل معناه لئلا تميد بكم، كما قال الراجز:

والمهر يأبى أن يزال ملهيا

بمعنى لا- يزال. و قال قوم: معناه كراهة أن تميد بكم (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) أى فرق فيها من كل دابة أى من كل ما يدب على الأرض «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا» بذلك الماء (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أى من كل نوع حسن النبت طيب الريح و الطعم.

### قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص: ٢٧٣

هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين (١١) و لقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غنى حميد (١٢) و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣) و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه و هنا على و هن و فصاله فى عامين أن اشكر لى و لوالديك إلى المصير (١٤) و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما فى الدنيا معزوفاً و أتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم



بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٤

خمس آيات بلا خلاف.

هذا اشارة الى ما تقدم ذكره من خلق السموات و الأرض على ما هي به من عظمها و كبر شأنها من غير عمد يمنع من انحدارها، و ألقى الرواسى فى الأرض لثلا- تميد بأهلها «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» للاعتبار و الانتفاع بها، و أنزل من السماء ماء لإخراج كل نوع كريم على ما فيه من بهجة و لذة يستمتع بها. فهذا كله خلق الله فأين خلق من اشركتموه فى عبادته حتى جاز لكم أن تعبدوه من دونه و هذا لا يمكن معه معارضة. و فيه دليل على توحيدة تعالى.

ثم اخبر تعالى فقال «بَلِ الظَّالِمُونَ» لأنفسهم بترك الاعتبار بآيات الله «فى ضلالٍ مُّبِينٍ» أى عدول عن الحق بين ظاهر و ما دعاهم الى عبادتها انها تخلق شيئاً و لكن ضلالهم بالجهل الذى اعتقدوه من التقرب بذلك الى الله و انها التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٥ تقربهم الى الله زلفى.

ثم اخبر تعالى انه اعطى لقمان الحكمة، فقال ابن عباس و مجاهد و قتادة:

لم يكن لقمان نبياً. و قال عكرمة: كان نبياً. و قيل: انه كان عبداً أسوداً حبشياً ذا سفه. فقال له بعض الناس: أ لست الذى كنت ترعى معنا؟ فقال: نعم.

فقال له: من اين أوتيت ما أرى؟ فقال: بصدق الحديث و الصمت عما لا يعينى.

و الحكمة التى آتى الله لقمان هو معرفته بتوحيده، و نفى الشرك عنه. و ما فسرناه فى ما بعد و هو ان أمره بأن يشكر لله على نعمه التى أنعم بها عليه.

ثم اخبر تعالى فقال «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أى من يشكر نعمه الله و نعمه من أنعم عليه، فانه يشكر لنفسه، لأن ثواب شكره عائد عليه «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» أى من جحد نعمه الله، فانه تعالى غنى عن شكره حميد على أفعاله، و عقاب ذلك عائد على الكفار دون غيرهم، و الشكر لا يكون إلا على نعمه سبقت، فهو يقتضى منعماً، فلا يصح على ذلك أن يشكر الإنسان نفسه، لأنه لا يجوز أن يكون منعماً عليها، و هو جرى مجرى الدين فى أنه حق لغيره عليه يلزمه أداؤه، فكما لا يصح أن يقرض نفسه فيجب أن يقتضى ذلك الدين لنفسه، فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه فيلزمه شكر تلك النعمة ثم قال تعالى و أذكر يا محمد «إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» إذ قال له لا تعبد مع الله غيره فان من فعل ذلك فقد ظلم نفسه ظلماً عظيماً. و يجوز أن يتعلق قوله «وَأِذْ قَالَ لُقْمَانُ» بقوله «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ... إِذْ قَالَ (لُقْمَانُ) لِأَبْنَيْهِ ... لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» ثم قال تعالى «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» أى وصيانه و أمرناه بالإحسان الى والديه.

و الرفق بهما «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ» قال الضحاک: معناه ضعفاً على ضعف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٦

أى ضعف نطفة الوالد الى ضعف نطفة الأم. و قيل: هو ما يلحقها بحملها إياه مرة بعد مرة من الضعف. و قيل: بل المعنى شدة الجهد، قال زهير:

فان يقولوا بجعل واهن خلق لو كان قومك فى أسبابه هلکوا «١»

و قال ابن عباس «وهن على وهن» أى شدة على شدة. و قيل: ضعف الولد حالا بعد حال، لأنه كان نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظماً ثم مولوداً.

و قوله «وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» يعنى قطامه فى انقضاء عامين. و قيل: نزلت فى سعد بن أبى وقاص حلفت أمه لا تأكل طعاماً حتى تموت أو يرجع سعد ابنها فلما رآته بعد ثلاث لا يرجع عن الإسلام أكلت. ثم قال «أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لَوَالِدَيْكَ» أى وصيانه بأن اشكر لى على نعمى، و اشكر والديك أيضاً على ما أنعم عليك. ثم قال «إلى المصير» فيه تهديد أى إلى مرجعكم، فجازيكم أيها الناس على

حسب عملكم.

ثم قال «إِنْ جَاهِدَاكَ» يعنى الوالدين أيها الإنسان «عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي» معبوداً آخر «فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً» أى احسن اليهما فى الدنيا و ارفق بهما. ثم قال «وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» أى رجع الى طاعتي من النبى و المؤمنين «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى منقلبكم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أى أخبركم «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا من الاعمال. و اجازيكم عليها بحسبه، و قرأ ابن كثير، إلا ابن فليح «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» بسكون الياء الباقون بتشديدها و كسرهما، إلا حفصاً فإنه فتحها على أصله

(١) هو زهير بن أبى سلمى. ديوانه (دار بيروت) ٥١ و روايته (فلن) بدل (فان).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٧

«يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ» بفتح الياء، و ابن كثير إلا قبلاً و حفص، الباقون بكسر الياء فوجه السكون أنه أجرى الوصل كالوقف، و وجه الفتح على الاضافة و حذف ما قبلها لاجتماع ثلاث يا آت .. و الكسر على الاجتزاء بها من ياء الاضافة، و عندنا أن الرضاع بعد الحولين يحرم لقوله «وَفَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» و لقوله عليه السلام لا رضاع بعد الحولين.

**قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٢٧٧**

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَيِّرْ كَفْرًا لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ (٢٠)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٨

قرأ ابن كثير و عاصم و ابن عامر «و لا تصعر» بغير ألف فى التصعير.

الباقون «تصاعر» بألف. و قرأ اهل المدينة «مِثْقَالَ حَبَّةٍ» رفعاً. الباقون نصباً من رفعه جعل (كان) بمعنى حدث، و وقع، و لم يجعل لها خبراً. و من نصب فعلى أنه خبر (كان) و الاسم مضمرة فيها أى إن تك الحبة مثقال. و قرأ نافع و أبو جعفر و ابن كثير و ابو عمرو و حفص عن عاصم «نعمه» على لفظ الجمع.

الباقون «نعمه» على التوحيد.

يقول الله تعالى مخبراً عن لقمان و وصيته لابنه، و أنه قال «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» من خير أو شر (فتكن) عطف على الشرط فلذلك جزمه. و تقديره: إن تلك الحبة لو كانت فى جوف صخرة، و هى الحجر العظيم او تكون فى السموات او الأرض «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» و يحاسب عليها و يجازى لأنه لا يخفى عليه شىء منها، و لا يتعذر عليه الإتيان بها أى موضع كانت، لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء عالم لنفسه لا تخفى عليه خافية.

و قوله «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» معناه إنه يجازى بها و يواقف عليها فكانه أتى بها و إن كانت أفعال العباد لا يصح إعادتها، و لو صح إعادتها لما كانت مقدورة لله.

و إنما أراد ما قلناه، و فى ذلك غاية التهديد و الحث على الأخذ بالحزم. و الهاء فى قوله «إنها» قيل: انها عماد و هو الضمير على شريطة التفسير. و قيل:

(إنها) كناية عن الخطيئة او الفعل التى تقتضى الجزاء، و هى المضمرة فى تلك و انما أنت مثقال، لأنه مضاف الى مؤنث و هى الحبة،

كما قيل: ذهبت بعض أصابعه. و كما قيل:

[و تشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناه من الدم «١»]

(١) قائله الأعشى، ديوانه ١٨٣، و اللسان (شرق).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٧٩

و الصخرة و إن كانت في الأرض أو في السماء، فذكر السموات و الأرض بعدها مبالغه كقوله «أَقْرَأُ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» «١» و قد قال بعض المفسرين: ان الصخرة خارجة عن السموات و الأرض، و هو أيضاً جائز. و قرأ قتادة «فتكن في صخرة» بكسر الكاف مخففاً من (و كن يكن) أي جعل الصخرة كالوكنة. و هو عش الطائر. ذكره ابن خالويه. و حكاه عن ابن مجاهد سماعاً، و استحسنة.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» قال قتادة: معناه - هاهنا - لطيف باستخراجها، خبير بمستقرها. و اللطيف القادر الذي لا يحفو عن عمل شيء، لأن من القادرين من يحفو عن عمل أشياء كثيرة كإخراج الجزء الذي لا يتجزأ و تأليفه الى مثله، فهو فان كان قادراً عليه، فهو ممتنع منه، لأنه يحفو عن عمل مثله. و الخبير العالم و فيه مبالغه في الصفة، مشتق من الخبر. و لم يزل الله خبيراً عالماً بوجه ما يصح أن يخبر به، و المتقال مقدار يساوي غيره في الوزن، فمقدار الحبة مقدار حبة في الوزن. و قد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار، فإذا قيل:

مثقال كافور او عنبر، فمعناه مقدار الدينار بالوزن.

ثم حكى ما قاله لقمان لابنه أيضاً قال له «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ» أي دم عليها و أقم حدودها و شرائطها «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» و المعروف هو الطاعات «وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هي القبائح سواء كانت قبائح عقلية او شرعية «وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» من الناس في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من المشقة و الأذى و في ذلك دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إن كان فيه

(١) سورة ٩٦ العلق آية ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٠

بعض المشقة. ثم قال «إِنَّ ذَلِكْ» أي ما ذكره من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر «مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح، و العزم العقد على النفس على فعله، و هي الارادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت، لان التلون في الرأي يناقض العزم. قال الله تعالى «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «١».

ثم حكى ما قال لقمان لابنه، فانه قال له أيضاً، «وَلَا تُصَيِّرْ كَمَثَرِ النَّاسِ» و معناه لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً - ذكره ابن عباس - و اصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى يلفت أعناقها فتشبه به الرجل المتكبر على الناس. و قال عمر بن جنبي الثعلبي و اضاف المبرد الى الفرزدق:

و كنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من مثله فتقوما «٢»

قال ابو على الفارسي: يجوز أن يكون تصعر و تصاعر بمعنى، كقولهم ضعف و ضاعف، قال ابو الحسن (لا تصاعر) لغه اهل الحجاز و (لا تصعر) لغه بنى تميم. و المعنى و لا تتكبر، و لا تعرض عنهم تكبراً «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» أي مشى مختال متكبر «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» فالاختيال مشية البطر، قال مجاهد: المختال المتكبر، و الفخر ذكر المناقب للتناول بها على السامع، يقال: فخر يفخر فخراً و فاخره مفاخره و فخاراً، و تفاخرا تفاخراً و افتخرا افتخاراً.

ثم قال له «وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ» أي اجعل مشيك مشى قصد، لا تمشى مشى مختال و لا متكبر «وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» أي لا ترفع

صوتك متطاولاً لأنه مدموم «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» قال الفراء: معناه إن أشد

(١) سورة ٤٦ الأحقاف آية ٣٥.

(٢) مجاز القرآن ١٧٢ / ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨١

الأصوات. و قال غيره: معناه أقيح الأصوات- في قول مجاهد- كما يقال:

هذا وجه منكر. ثم نبههم على وجوه نعم الله على خلقه. فقال «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» أي ذللكم تتصرفون فيه بحسب ما تريدون من أنواع الحالات من الثمار و البهائم، و غير ذلك «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ» ظاهرة أي وسع عليكم نعمه، و السابغ الواسع الذي يفضل عن مقدار القوت. و قوله «ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ» أي من نعمه ما هو ظاهر لكم لا يمكنكم جرده: من خلقكم، و احياكم و أقداركم، و خلق الشهوة فيكم و ضروب نعمه، و منها ما هو باطن مستور لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل: النعم الباطنة مصالح الدين و الدنيا، مما لا يشعرون به. و قيل: سخر لكم ما في السموات من شمس و قمر و نجم و سحاب، و ما في الأرض من دابة و شجر و ثمار، و غير ذلك مما تنتفعون به في اقواتكم و مصالحكم.

ثم قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) أي يخاصم و لا علم له بما يقوله، و يجادل فيه (و لا هدى) أي و لا حجة على صحة ما يقوله (و لا كتاب مبيِّن) أي، و لا كتاب من عند الله منير أي ظاهر عليه نور و هدى.

**قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٢٨١**

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٢

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله سبحانه عن الكفار و سوء اختيارهم أنه (إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن و الأحكام و اعملوا بموجبه و اقتدوا به (قالوا) في الجواب عن ذلك (بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا) من عبادة الأصنام، و لا نتبع ذلك، فقال الله تعالى منكرأ عليهم (أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) و معناه إنكم تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، و لو كان ذلك يدعوكم الى عذاب جهنم!. و ادخل على و او العطف ألف الاستفهام على وجه الإنكار.

ثم قال (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أي يوجه طاعته الى الله و يقصد وجهه بها دون الرياء و السمعة (وَهُوَ مُحْسِنٌ) أي لا يخلط طاعته بالمعاصي (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) أي من فعل ما وصفه فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انتقاضها، و التوثق امتناع سبب الانتقاض، لأن البناء الموثق قد جعل على امتناع سبب الانتقاض، و ما ليس بموثق على سبب الانتقاض.

ثم قال (وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي اليه ترجع أواخر الأمور على وجه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٣

لا يكون لأحد التصرف فيها، و لا الأمر و النهي.

ثم قال لنيبه (وَمَنْ كَفَرَ) يا محمد من هؤلاء الناس (فَلَا يَحْزُنُّكَ كُفْرُهُ) أي لا- يغمك ذلك (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا) أي نعلمهم بأعمالهم و نجازيهم على معاصيهم بالعقاب، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي بما تضره الصدور، لا يخفى عليه شيء منها.

ثم قال (نُمتَّعُهُمْ قَلِيلًا) أي نتركهم يتمتعون في هذه الدنيا مدة قليلة (ثُمَّ نَضَّطَّرُّهُمْ) أي نصيرهم مكرهين (إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) يغلظ عليهم و يصعب و هو عذاب النار. ثم قال (وَلَكِنَّ سَيِّئَاتِهِمْ) يعني هؤلاء الذين كفروا بآيات الله (مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)؟ ليقولن في جواب ذلك: الله خلق ذلك، لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا خلق ذلك الأصنام والأوثان، لأنهم يقرون بالنشأة الأولى، ولأنهم لو قالوا ذلك لعلم ضرورة بطلان قولهم، فقل عند ذلك يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هدايته و توفيقه لنا بالمعرفة له (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) انكم وفقكم الله لمعرفة.

### قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٢٦ إلى ٣٠] ..... ص: ٢٨٣

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٤

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و يعقوب و ابن شاهی (و البحر يمدّه) نصباً. الباقون رفعاً. من نصبه عطفه على (ما) في قوله (أن ما) لأن موضعها نصب ب (أن) لأن الكلام لم يتم عند قوله (أقلام) فأشبهه المعطوف قبل الخبر. قال ابن خالويه:

و هذا من حذق أبي عمرو، وجوده تمييزه. و إنما لم يتم الكلام مع الإتيان بالخبر لأن (لو) يحتاج الى جواب. و من رفع استأنف الكلام.

أخبر الله تعالى أن له جميع ما في السموات و الأرض ملك له يتصرف فيه بحسب إرادته لا يجوز لأحد الاعتراض عليه. ثم أخبر انه تعالى (هُوَ الْعَلِيُّ) الذي لا- يحتاج الى شيء من جميع المخلوقات كما يحتاج غيره من الأحياء المخلوقين و أنه (الحميد) مع ذلك، يعني المستحق للحمد العظيم، و نقيضه الدميم و يقال (محمود) بمعنى حميد. و معناه أنه اهل الحمد.

ثم قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) و فيه حذف، لأن المعنى يكتب به كلام الله (مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) و الآية تقتضى انه ليس لكلمات الله نهاية بالحكم، لأنه يقدر منها على ما لا نهاية له. و قال قوم: المعنى ان وجه الحكمة و عجب الصنعة و إتقانها لا ينفد، و ليس المراد به الكلام. و قال ابو عبيدة: المراد بالبحر- هاهنا- العذب، لأن المالح لا ينبت الاقلام. و قال ابن عباس: نزلت الآية جواباً للتبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٥

لليهود، لما قالوا قد أوتينا التوراة، و فيها كل الحكمة، فبين الله تعالى أن ما يقدر عليه من الكلمات لا حصر له و لا نهاية. و الشجر جمع شجرة مثل تمره و تمر، و هو كل نبات يقوم على ساق و يورق الاغصان. و منه اشتقت المشاجرة بين الناس في الأمر. و منه قوله (فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) و شجر تشجيراً و تشاجروا تشاجراً، و مد البحر إذا جرى غيره اليه حالاً بعد حال. و منه المد و الجزر.

و مد النهر و مده نهر آخر يمدّه مداً. و قال الفراء: يقولون: أمددتك الفأ فمددت.

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) معناه عزيز في انتقامه من أعدائه (حكيم) في أفعاله. ثم قال (ما خلقكم) معشر الخلق (وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً) أي إلا كبعث نفس واحدة أي لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم، و أن جميع ذلك من سعة قدرة الله كالنفس الواحدة، إذ المراد أن خلقها لا يشق عليه.

و قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) أي يسمع ما يقول القائلون في ذلك (بصير) بما يضمرونه في قوله «ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحدة» و في ذلك تهديد على المخالفة فيه. ثم قال «ألم تر» يا محمد، و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي النَّهَارِ»

في الليل» قال قتادة: معناه ينقص من الليل في النهار، و من النهار في الليل. و قال غيره: معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر (وَسَيَخْرُ السُّمَسُ وَالْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي) لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان بحسب ما سخرهما له، كل ذلك يجري (إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى) قدره الله ان يفنيه فيه. و قال الحسن: الأجل المسمى القيامة (وَأَنَّ اللَّهَ عَظْفٌ عَلَى (ألم تر) فلذلك نصبه، و تقديره: و تعلم (أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) من التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٦

قرأ بالياء- و هو عياش عن أبي عمرو- أراد الاخبار. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب. و هو الأظهر. و المعنى (أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ) معشر المكلفين (خبير) أى عالم، فيجازيكم بحسب ذلك ليطبق قوله (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) ثم قال (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الذى يجب توجيه العبادة اليه (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ). و من قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم. و من قرأ بالتاء على وجه الخطاب.

يقول الله تعالى: ألم تعلم ان ما يدعون هؤلاء الكفار من الأصنام هو الباطل. و من قرأ بالياء فعلى: قل لهم يا محمد (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) فالعلى هو الذى علا على الأشياء و اقتدر عليها، و الكبير معناه العظيم فى صفاته لا يستحق صفاته غيره تعالى. و ذكر ابو عبيدة- فى كتاب المجاز- ان البحر المذكور فى الآية البحر العذب، لأن المالح لا ينبت الأقاليم.

### قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤] ..... ص: ٢٨٦

ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر ينعمت الله ليريككم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣١) و إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر فمنهم مقتصد و ما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (٣٢) يا أيها الناس اتقوا ربكم و أحشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والديه شيئاً إن وعيد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور (٣٣) إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غداً و ما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير (٣٤)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٧

خمس آيات بصرى و شامى و اربع فيما عداهما عدوا (مخلصين له الدين) و لم يعده الباقون.

يقول الله تعالى مخاطباً لنبىه صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين منبهاً لهم على جهات نعمه التى أنعم بها عليهم و ما يدلهم على انه يستحق العبادة خالصاً، فقال (ألم تر) و معناه ألم تعلم (ان الفلك) و هى السفن تجرى فى البحر بنعمة الله عليكم (ليريككم من آياته) أى ليريككم بعض أدلته الدالة على وحدانيته، و وجه الدلالة فى ذلك ان الله تعالى يجرى الفلك بالرياح التى يرسلها فى الوجوه التى تريدون المسير فيها، و لو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك فى بعض الجهات مخالفاً لجهة الرياح لما قدروا على ذلك. و فى ذلك أعظم دلالة على ان المجرى لها بالرياح هو القادر الذى لا يعجزه شىء، و ذلك بعض الأدلة التى تدل على وحدانيته، فلذلك قال (من آياته) ثم قال (إن فى ذلك لآيات) يعنى فى تسخير الفلك و إجرائها فى البحر على ما بيناه لدلالات (لكل صبار) يعنى الصبار على مشاق التكليف. و على المصائب، و أذى الكفار (شكور) لنعم الله عليهم و أضاف الآيات اليهم لما كانوا هم المنتفعين بها، و انما ذكر (لكل صبار شكور) لأن الصبر عليه بأمر الله، و الشكر لنعم الله من أفضل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٨

ما فى المؤمن. و قال الشعبى: الصبر نصف الايمان، و الشكر نصف الايمان فكأنه قال: لكل مؤمن.

ثم قال تعالى (وإذا غشيهم موج) يعنى إذا غشى اصحاب السفن الراكبي البحر موج، و هو هيجان البحر (كالظلل) أى الماء فى ارتفاعه و تغطيته ما تحته كالظلل، قال النابغة الجعدى: يصف البحر:

يغاشيهن اخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان «١»

شبه الموج لأنه يجىء منه شىء بعد شىء بالسحاب الذى يركب بعضه فوق بعض، و يكون اسوداً بما فيه من الماء «دعوا الله مخلصين



لَهُ الدِّينَ» أى طاعة العباد، فالإخلاص إفراد المعنى من كل شائب كان من غيره، أى يخلصون الدعاء فى هذه الحال لله تعالى دون الأصنام وجميع ما يعبدونه من دون الله «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» أى خلصهم الى البر و سلمهم من هول البحر «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» قال قتادة: يعنى منهم مقتصد فى قوله مضمير لكفره. و قال الحسن: المقتصد المؤمن.

وقيل: مقتصد على طريقه مستقيمه «وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ» فالختار الغدار بعهدته أقبح الغدر، و هو صاحب ختل و ختر أى غدر قال عمرو ابن معدى كرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر و ختر (٢)

و قال الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك و ابن زيد: الختار الغدار، ثم خاطب تعالى جميع المكلفين من الناس فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ» أمرهم باجتناوب معاصيه خوفاً من عقابه «وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ...»

(١، ٢) مجاز القرآن ٢/ ١٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٨٩

يعنى يوم القيامة الذى لا يعنى فيه أحد من احد، لا والد عن ولده و لا ولد عن والده، يقال: جزيت عنك أجزى إذا أغنيت عنك. و فيه لغة أخرى: أجزأ يجزئ من أجزأت بالهمزة. ثم قال «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أى الذى وعدته من الثواب و العقاب حق لا خلف فيه «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» قال مجاهد و قتادة و الضحاك: الغرور الشيطان. و قال سعيد بن جبير: هو يمينيك المغفرة فى عمل المعصية. قال ابو عبيدة: الغرور كل شىء غرك حتى تعصى الله، و تترك ما أمرك به الله، شيطاناً كان أو غيره، فهو غرور. و هو أحسن، لأنه أعم. ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» يعنى وقت قيام القيامة يعلمه تعالى لا يعلمه سواه «وَيُنزَلُ الْغَيْثَ» أى و هو الذى يعلم وقت نزول الغيث بعينه و هو الذى «يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» من ذكر او أنثى «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ» يقال: بأى ارض و بأية ارض. من قال: بأى، فلأن تأنيث الأرض بالصيغة لا باللفظ. و من قال: بأية ارض فلان الأرض مؤنثة. و المعنى انه لا يعلم موت الإنسان فى أى موضع من البلاد يكون سواه. و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله إن هذه الخمسة أشياء مما لا يعلمها غيره تعالى على التفصيل و التحقيق «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بتفصيل ذلك «حَبِيرٌ» به لا يخفى عليه شىء من ذلك.

و سأل البلخى نفسه، فقال: إذا قلت: إن من اعتقد الشىء على ما هو به تقليداً أو تخميناً أو تنجيماً يكون عالماً، فلو أن إنساناً اعتقد ان امرأة تلد ذكراً أو رجلاً يموت فى بلد بعينه او يكسب فى الغد كذا، فوافق ذلك اعتقاده، فيجب التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص:

٢٩٠

ان يكون عالماً، و يبطل الاختصاص فى الآية؟! و أجاب: إن ذلك و إن كان جائزاً، فانه لا يقع لظاهر الآية. و هذا غير صحيح، لان من المعلوم ضرورة أن الإنسان يخبر شيئاً فيعتقده، فيكون على ما اعتقده من هذه الأشياء الخمسة، و انما لا يكون عالماً، لأنه لا تسكن نفسه الى ذلك، فأما المنع من وقوعه فمعلوم خلافه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩١

٣٢-سورة السجدة ..... ص: ٢٩١

إشارة

مكية فى قول قتادة و مجاهد و غيرهما. و قال الكلبي و مقاتل: ثلاث آيات منها مدنية قوله «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا» الى تمام ثلاث آيات. و



هي ثلاثون آية كوفى و حجازى و شامى. و تسع و عشرون آية بصرى.

### [سورة السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٢

خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه عدوا «الم» آية و لم يعدها الباقون.

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه كان يقرأ فى كل ليلة سورة السجده «الم تَنْزِيلُ» و «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ».

و «تنزيل» رفع على انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره «الم» هو تنزيل.

و يجوز أن يكون (تنزيل) رفعا بالابتداء، و خبره «لا رَيْبَ فِيهِ» ذكره الزجاج.

و قد تكرر القول بأن أوائل أمثال هذه السور أقوى الأقوال فيها انها أسماء للسورة، و رجحناه على غيره من الأقوال. و التلطف بحروف

الهجاء ينبغى ان يكون على الوقف، لأنها مبنية على السكون من حيث كانت حكاية للأصوات.

و قوله «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أى هذه الآيات هى تنزيل الكتاب الذى وعدتم به «لا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه أنه وحى من الله. و المعنى أنه

لا ريب فيه عند المهتدين، و إن كان ارتاب به خلق من المبطلين. و هو مثل قول القائل: لا ريب فى هذا انه ذهب أى عند من رآه و

اعتبره. و قيل: معنى «لا رَيْبَ فِيهِ» خبر و المراد به النهى، و المعنى لا ترتابوا به، و الريب الشك.

و قيل: هو أفصح الشك. و وجوه الحكم فى الكتاب البيان عن كل ما تدعو الحكمة الى تميز الحق فيه من الباطل بالبرهان عليه مما

يحتاج اليه فى الدين الذى يرضى به رب العالمين، و هو على وجهين: حجة، و موعظة، و اعتماد الحجة على تبين ما يؤدى الى العلم

بصحة الأمر، و اعتماد الموعظة على الترغيب و التهيب، و فى الموعظة من جهة التحذير بما تضمنه أى يقرب ما فى السورة المسمى

به من الحكم، و فيه حجة على العبد من جهة انه قد دل به على ما يجب أن يعتقد تعظيمه و يعمل به.

و قوله «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى هو تنزيل من عند الله الذى خلق الخلائق.

و قوله «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» فهذه (أم) منقطعة، و معناها (بل) و تقديره: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٣

بل يقولون افتراه، ففيها معنى (بل) و الألف إذا كانت معادلة فمعناها (او) مع الاستفهام، و (افتراه) معناه افتعله، بل قال تعالى ليس الأمر

على ما قالوه «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» من عند الله و الحق هو كل شىء كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل اليه و استحقاق المدح عليه. و

تعظيمه الكتاب حق، لأن من اعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به. و الباطل نقيض الحق، و هو ما كان معتقده لا على ما

هو به.

و قوله «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة لان الله تعالى أنزله ليهتدى به الخلق لا ليضلوا به عن الدين، و

المجبرة تزعم انه أراد ضلال الكفار عن الدين فيجب كونه منزلا ليضل الكفار عن الدين.

و قوله «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» لا ينافى قوله «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (١) لان الحسن، قال: المعنى و إن من

أمة أهلكت بالعذاب إلا من بعد أن جاءهم نذير ينذرهم بما حل بهم. و هذا خطاب للنبي صلى الله عليه و آله يقول الله تعالى له

«لتنذر» أى لتخوف يا محمد «قوماً» لم يأتهم مخوف قبلك، يعنى أهل الفترة من العرب، فكانوا كأنهم فى غفلة عما لزمهم من حق نعم

الله و ما خلقهم له من العبادة. و قد كان إسماعيل عليه السلام نذيراً لمن أرسل اليه.

ثم قال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» أى اخترعهما و انشأهما و خلق «مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» أى فى ما قدره ستة أيام، لأنه قبل خلق الشمس لم يكن ليل و لا نهار. و قوله «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» أى استوى عليه بالقهر و الاستعلاء، و قد فسرناه فى ما مضى «٢» و دخلت «ثم» على «استوى عَلَى الْعَرْشِ»

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ٢٤.

(٢) انظر ٤ / ٤٥٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٤

و إن كان مستعلياً على الأشياء قبلها، كما دخلت حتى فى قوله «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ» «١» و تقديره ثم صح معنى استوى على العرش باحدثه، و كذلك حتى يصح معنى «نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ» أى معنى وصفهم بهذا و ذلك لا يكون إلا بعد وجود الجهاد من جهتهم.

و قوله «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ» نفى منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون الله أو شفيع يشفع لهم، كما كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى.

ثم قال «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» فى ما قلناه و تعتبرون به، فتعلموا صحه ما بيناه لكم. و قوله «يُذَكِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» معناه ان الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى هذه المدة يدبر الأمور كلها، و يقدرها على حسب إرادته فى ما بين السماء و الأرض، و ينزله مع الملك الى الأرض «ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ» يعنى الملك يصعد الى المكان الذى أمره الله تعالى أن يعرج اليه، كما قال ابراهيم:

«إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي» «٢» أى ارض الشام التى أمرنى ربي. و لم يكن الله بأرض الشام، و مثله قوله تعالى «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» «٣» يريد الى المدينة. و لم يكن الله فى المدينة. و قوله «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» قال ابن عباس، و الضحاك: معناه يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة مما يعده البشر. و قيل: معناه خمس مائة عام نزول و خمس مائة عام صعود، فذلك ألف سنة. و قال قوم: يجوز ان يكون يوم القيامة يوماً له أول و ليس له آخر. و قته اوقاتاً يسمى بعضها الف سنة و بعضها خمسين الف

(١) سورة ٤٧ محمد آية ٣١.

(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ٩٩.

(٣) سورة ٤ النساء آية ٩٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٥

سنة. و قيل: ان معنى «وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ» انه فعل فى يوم واحد من الأيام الستة التى خلق فيها السموات و الأرض ما لو كان يجوز أن يفعله غيره لما فعله إلا فى الف سنة. و قيل: ان معناه إن كل يوم من الأيام الستة التى خلق فيها السموات كألف سنة من أيام الدنيا.

**قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٢٩٥**

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَوَدَّ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي

الْأَرْضِ أِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)

خمس آيات عراقى لم يعدوا «جديد» آية. و ست فى ما عداه، لأنهم عدوا «جديد» آية.

قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر «احسن كل شىء خلقه» بإسكان اللام. الباقون بفتحها. من سكن اللام فعلى تقدير: الذى أحسن خلق كل شىء اى جعلهم يحسنونه و المعنى انه ألهمهم جميع ما يحتاجون اليه. قال الزجاج: و يجوز ان يكون على البدل، و المعنى: احسن كل شىء. و يجوز أن يكون على المصدر و تقديره الذى خلق كل شىء خلقه. و من فتح اللام جعله فعلا ماضياً، و معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٦

احسن الله كل شىء خلقه على إرادته و مشيئته، و أحسن الإنسان و خلقه فى احسن صورة. و قيل: معناه إن وجه الحكمة قائم فى جميع أفعاله، و وجوه القبح منتفية منها، و وجه الدلالة قائم فيها على صانعها، و كونه عالماً. و الضمير فى قوله «خلقه» كناية عن اسم الله.

لما اخبر الله تعالى انه الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام و استولى على العرش، و انه الذى يدبر الأمور ما بين السموات و الأرض بين - هاهنا- ان الذى يفعل ذلك و يقدر عليه هو «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى يعلم السر و العلانية «العزیز» فى انتقامه من أعدائه «الرحيم» بعباده، المنعم عليهم، و (الغيب) خفاء الشىء عن الإدراك. و الشهادة ظهوره للإدراك فكأنه قال: يعلم ما يصح أن يشاهد، و ما لا يصح أن يشاهد فيدخل فى ذلك المعدوم و الحياة و الموت و القدرة و جميع ما لا يصح عليه الرؤية. و العزیز: هو القادر على منع غيره و لا- يقدر الغير على منعه، و أصله المنع من قولهم: من عز بزّ، من غلب سلب، لأن من غلب أسيره فمنعه أخذ سلبه.

ثم قال الذى أحسن كل شىء خلقه، و معنى ذلك فى جميع ما خلقه الله تعالى و أوجده فيه وجه من وجوه الحكمة، و ليس فيه وجه من وجوه القبح.

و ذلك يدل على ان الكفر و الضلال و سائر القبائح ليست من خلقه. و لفظه (كل) و إن كانت شاملة للأشياء كلها، فالمراد به الخصوص - هاهنا- لأنه أراد ما خلقه الله تعالى من مقدراته دون مقدور غيره، و نصب قوله «خلقه» بالبدل من قوله «كل شىء» كما قال الشاعر:

و ظعنى اليك الليل حضنيه انى لتلك إذا هاب الهدى فعول «١»

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٧

و تقديره و ظعنى حضنى الليل اليك. و قال الآخر:

كأن هنداً ثناياها و بهجتها يوم التقينا على أدحال دباب «١»

و المعنى كأن ثنايا هند و بهجة هند. و قوله «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» أى ابتداء خلق الإنسان من طين، يريد انه خلق آدم الذى هو أول الخلق من طين، لأن الله تعالى خلق آدم من تراب، فقلبه طيناً، ثم قلب الطين حيواناً، و كذلك قال «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «٢» و قال- هاهنا- و «وَيَبْدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» و كل ذلك لما فى التصريفين دليل و قوله «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ» يعنى نسل الإنسان الذى هو آدم و ولده من سلالة، و هى الصفوة التى تنسل من غيرها خارجة، قال الشاعر:

فجاءت به غضب الأديم غضنفرًا سلالة فرج كان غير حصين «٣»

«مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» قال قتادة: المهين الضعيف. و هو (فعل) من المهنة.

وقوله «ثُمَّ سَوَّاهُ» أى عدله ورتب جوارحه «وَنَفَخَ فِيهِ» يعنى فى ذلك المخلوق (من روحه) فأضافه الى نفسه اضافة اختصاص و إضافة ملك على وجه التشريف. ثم قال «وَجَعَلَ لَكُم مَّعَاشَرَ الْخَلْقِ السَّمْعَ» لتسمعوا به الأصوات «و الأَبْصَارَ» لتبصروا بها المرئيات «و الافئدة» أى و خلق لكم القلوب لتعقلوا بها (فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ) أى تشكرون نعم الله قليلا- من كثير و (ما) زائده، و يجوز ان تكون مصدرية، و التقدير قليلا شكركم، لأن نعم

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٠. [...]

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩.

(٣) مر تخريجه فى ٧ / ٣٥٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٨

الله لا تحصى. ثم حكى عن الكفار فقال (وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) و فيه لغتان فتح اللام و كسرهما، و كل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه، فقد ضل فيه، قال الأخطل:

كنت القذى فى موج اكدر مزيد قذف الأتى به فضل ضللا «١»

و قال مجاهد و قتادة: معنى (ضللنا) هلكننا. و قال ابو عبيدة: همدنا فلم يوجد لهم دم و لا لحم (أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) حكاية عن تعجبهم و قولهم كيف تخلق خلقاً جديداً، و قد هلكننا و تمزقت أجسامنا. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (يَلْقَاءَ رَبِّهِمْ) بالعذاب و العقاب (كافرون) أى جاحدون، فلذلك قالوا: أ إذا ضللنا فى الأرض أننا لفي خلق جديد، جعل (إذا) منصوبة ب (ضللنا) و تكون فى معنى الشرط، و لا- توصل إلا بذكر الفاء بعدها، لأن (إذا) قد وليها الفعل الماضى و لا يجوز أن تنصب (إذا) بما بعدها إذ لا خلاف بين النحويين فيه. و قرأ الحسن (صللنا) بالصاد غير منقوطة. و معناه احد شيئين: أحدهما- انتنا و تغيرنا و تغيرت صورنا، يقال صل اللحم، و أصل إذا أنتن، و الثانى- صللنا صرنا من جنس الصلّة و هى الأرض اليابسة.

**قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٢٩٨**

قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَ لَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

(١) مر فى ١ / ٤٠٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٢٩٩

خمس آيات بلا- خلاف أمر الله نبيه صلى الله عليه و آله أن يخاطب المكلفين بأن يقول لهم «يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ» أى يقبض أرواحكم، قال قتادة يتوفاكم و معه أعوان من الملائكة، و التوفى أخذ الشىء على تمام، قال الراجز:

ان بنى أدرد ليسوا من أحد و لا توفاهم قريش فى العدد «١»

و منه قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» «٢» و يقال: استوفى الدين إذا قبضه على كماله، فملك الموت يتوفى الإنسان بأخذ روحه على تمام فيعرج بها الى حيث أمره الله تعالى. و قوله «يتوفاكم» يقتضى أن روح الإنسان هى الإنسان فالإضافة فيها وقعت كما وقعت فى نفس الإنسان، و الملك مشتق من الألوكة و هى الرسالة كما قال الهذلى.

الكنى اليها و خير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر (٣)  
و قوله «الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» صفة للملك الذي يتوفى الأنفس، و أن الله

(١) مر في ٣/ ٣٠٤ و ٤/ ١٦٩.

(٢) سورة الزمر آية ٤٢.

(٣) مر في ٨/ ١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٠

قد وكله بمعنى فوض اليه قبض الأرواح. و التوكيل تفويض الأمر الى غيره للقيام به، و كله توكيلاً، و توكل عليه توكلًا، و وكله يوكله و كالة.

و قوله «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» معناه إنكم الى جزاء الله من الثواب و العقاب تردون، و انما جعل الرجوع الى الجزاء رجوعاً اليه تفخيماً للأمر.

و قيل: معناه تردون الى ان لا يملك لكم أحد ضراً و لا نفعاً إلا الله تعالى. و فيه تعظيم لهذه الحال. و اقتضى الوعيد. ثم قال لنبه صلى الله عليه و آله «وَلَوْ تَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ «إِذِ الْمُجْرِمُونَ» فجواب (لو) محذوف و تقديره: و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم إذا بعثوا، من الندم على تفريطهم في الايمان لرأيتهم ما تعتبرون به. و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و المراد به الأمة «نَاكَسُوا رُؤُسِهِمْ» من الغم. و قيل:

من الحياء و الخزي مما ارتكبه من المعاصي «عند ربهم» يعنى يوم القيامة الذى يتولى الله تعالى حساب خلقه. و فى الكلام حذف لان تقديره قائلين «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» و معناه أبصرنا الرشد و سمعنا الحق، و قيل: معناه أبصرنا صدق وعدك و سمعنا تصديق رسلك. و قيل معناه: إنا كنا بمنزلة العمى، فقد أبصرنا، و بمنزلة الصم، فسمعنا «فارجعنا» أى ردنا الى دار التكليف «نَعْمَلُ صَالِحًا» من الطاعات غير الذى كنا نعمل من المعاصي «إِنَّا مُوقِنُونَ» اليوم لا نرتاب بشيء من الحق و الرسالة.

ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» و معناه الاخبار عن قدرته انه يقدر على إيجائهم الى الايمان بان يفعل أمراً من الأمور يلجئهم الى الإقرار بتوحيد الله، لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف، لان المقصود استحقاق الثواب، و الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب و قال الجبائى يجوز أن يكون المراد و لو شئنا لأجبناهم الى ما سألوا و لرددتهم الى دار التكليف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠١

ليعملوا بالطاعات «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أن أجازيهم بالعقاب، و لا أردهم و قيل: و لو شئنا لهديناهم الى الجنة «وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أى أخبرت و أوعدت أنى «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» بكفرهم بالله و جحدهم و حدانيتها و كفرانهم نعمه. ثم حكى تعالى ما يقال لمن تقدم ذكره الذين طلبوا الرجوع الى دار التكليف، فانه يقال لهم يوم القيامة، إذا حصلوا فى العذاب «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى انما فعلتم فعل من نسى لقاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم الله به و عصيتموه «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» أى فعلنا معكم جزاء على ذلك فعل من نسيكم يعنى من ثوابه، و ترككم من نعيمه. و النسيان الترك. و منه قوله «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ» (١) و قال النابغة:

سفود شرب نسوه عند مفتأد (٢)

أى تركوه فلم يستعملوه، قال المبرد، لأنه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه «وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ» الذى لا فناء له جزاء «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى.

ثم اخبر تعالى عن حال المؤمنين و وصفهم بأن المؤمن على الحقيقة الكامل الايمان بآيات الله و بحججه هم الذين إذا ذكروا بحجج

اللَّهِ وَتَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ خَرُوا سَجْدًا شُكْرًا عَلَىٰ مَا هَدَاهُمْ لِعِرْفَتِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتُونِ نِعْمِهِ وَنَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَعَنِ الشَّرْكِ بِهِ حَامِدِينَ لِرَبِّهِمْ غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ وَلَا مُسْتَنْكِفِينَ مِنَ الطَّاعَةِ.

(١) سورة ٢٠ طه آية ١١٥.

(٢) مر هذا البيت كاملاً فى ٨٧/٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٢

### قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ٣٠٢

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «أخفى» بإسكان الياء حمزة و يعقوب. الباقون- بفتح الياء- من سكن الياء جعله فعلا مستقبلا و حجته قراءة عبد الله «ما تخفى لهم» و من فتح جعله فعلا- ماضياً على ما لم يسم فاعله، فعلى قراءة حمزة (ما) نصب مفعول به، و على ما فى القرآن إن موضع (ما) رفع بما لم يسم فاعله. و الله فاعله و (قُرَّةُ أَعْيُنٍ) شىء أعدده الله لعباده لم يطلعهم عليه فى دنياهم، كما قال النبى صلى الله عليه و آله (هو ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر)

وصف الله تعالى المؤمنين الذين ذكرهم فى الآية الأولى فى هذه الآية بأن قال: و هم الذين لا يستنكفون عن عبادته «تتجافى جنوبهم

عَنِ الْمَضَاجِعِ» أى يرتفعون عن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٣

مواضعهم التى ينامون عليها فالتجافى تعاطى الارتفاع عن الشىء، و مثله النبى يقال جفا عنه يجفو جفاء إذا نبا عنه. و تجافى عنه يتجافى تجافياً، و استجفاه استجفاء و المضجع موضع الإضجاع، و الاضطجاع هو إلقاء النفس «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» أى داعين ربهم الذى خلقهم و أوجدهم (خوفاً) من عذابه يسألونه المغفرة (و طمعاً) فى ثوابه. و انتصب (خَوْفًا، وَ طَمَعًا) على انه مفعول له أى للخوف و للطمع (وَ) مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله و سبيل ثوابه. و وجه المدح بذلك أن هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالدعاء لله عن طيب المضطجع لما يأملون به من الخير و البركة من الله تعالى، لأن آمالهم مصروفة إليه، و اتكالهم فى أمورهم عليه، و قال الشاعر فى التجافى:

و صاحبى ذات هباب دمشق و ابن ملاط متجاف ادقق (١)

أى منتح عن كركرتها، و قال أنس و قتادة: انه مدح قوماً كانوا يتنقلون بين المغرب و العشاء. و قال الضحاك: انهم كانوا يذكرون الله بالدعاء و التعظيم و قال قتادة: (خوفاً) من عذاب الله (و طمعاً) فى رحمة الله (وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله. و

قال ابو جعفر، و ابو عبد الله عليهما السلام الآية متناولة لمن يقوم الى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه وقت السحر

، و به قال معاذ و الحسن و مجاهد، و قال عبد الله بن رواحة فى صفة النبى صلى الله عليه و آله:

يبىب يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ثم قال تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) تحتل (ما) فى قوله (ما أخفى) أن تكون بمعنى الذى و يكون موضعها

النصب، و يحتمل أن تكون بمعنى (أن) و يكون موضعها الرفع، و تكون الجملة فى موضع نصب، و المعنى



(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٤

ليس يعلم أحد كنه ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين الذين تقدم وصفهم من انواع اللذات و الأشياء التي تقر أعينهم بها على كنه معرفتها. و قولهم قرت عيناه أى فرحها الله، لأن المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شئونه. و الباكي جزعاً يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد، و منه قولهم: سخنت عينه - بكسر الخاء - (جزاءً بما كانوا يعملون) من الطاعات فى دار التكليف، و انما نفى العلم عنهم مع أن المؤمن يعلم أنه مستحق للثواب، لان العلم بالشىء يكون من وجهين: أحدهما- ان يعلم الشىء على طريق الجملة، و هو الذى يحصل للمؤمن فى دار التكليف.

و الآخر- ان يحصل على طريق التفصيل، و ذلك موقوف على مشاهدتهم للثواب الذى يروونه عند زوال التكليف و حضور الثواب. ثم قال تعالى (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا) مصدقاً بالله عارفاً به و بأنيائه عاملاً بما أوجبه الله عليه و ندبه اليه (كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا) خارجاً عن طاعة الله بارتكاب معاصيه على وجه الإنكار لذلك، فلذلك جاء به على لفظ الاستفهام، ثم اخبر تعالى بأنهم (لا يستونون) قط، لان منزلة المؤمن الثواب و انواع اللذات، و منزلة الفاسق العذاب و فنون العقاب. ثم فسر ذلك بما قال بعده فقال (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله و صدقوه و صدقوا أنبياءه (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) و هى الطاعات مع ذلك (فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ فَالْمَأْوَىٰ الْمَقَامِ) أى لهم هذه البساتين التى وعدهم الله بها يأوون اليها (نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى فى مواضع لهم ينزلون فيها مكافأة لهم على طاعاتهم التى عملوها. و قال الحسن: (نزلا) أى عطاء نزلوه (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بخروجهم عن طاعة الله الى معاصيه (فَمِمَّا وَأَهُمُ النَّارُ) يأوون اليها نعوذ بالله منها (كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) أى كلما كادوا و هموا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٥ بالخروج منها لما يلحقهم من العذاب (أَعِيدُوا فِيهَا) أى ردوا فيها و قال الحسن: كلما كادوا الخروج منها لأنها ترميهم بلهبها ضربوا بمقام حتى يعودوا فيها، و قيل: لهم مع ذلك على وجه التقرير و التبكيت (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) أى العذاب الذى كنتم به تجحدون فى دار الدنيا و لا تصدقون به.

و قال ابن أبى ليلى: نزلت الآية فى رجل من قريش و على عليه السلام و قال غيره:

إن هذه الآيات نزلت فى على ابن أبى طالب عليه السلام و الوليد بن عقبه بن أبى معيط، فالؤمن المراد به على عليه السلام و الفاسق هو الوليد بن عقبه،

روى انه لقيه يوماً فقال لعلى: انا أبسط منك لساناً واحداً منك سناناً، فقال على: عليه السلام ليس كما قلت يا فاسق. فنزل قوله (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا...)

فقال قتادة: و الله ما استوا، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة و لا عند الموت.

**قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٣٠٥**

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ نَذِيرًا (٢١) وَمِنْ أَظْلَمِ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٦

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائي و رويس (لما صبروا) بكسر اللام و التخفيف أى لصبرهم. الباقون بالشديد و فتح اللام بمعنى حين صبروا. اقسم الله تعالى فى هذه الآية، لان اللام فى قوله (و لنذيقنهم) هى التى يتلقى بها القسم، و كذلك النون الثقيلة، بأنه يذيق هؤلاء الفساق الذين تقدم و وصفهم العذاب الأدنى بعض ما يستحقونه. و قيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر و هو عذاب الدنيا بالقتل و السبى و القحط و الفقر و المرض و السقم و ما جرى هذا المجرى. و قيل: هو الحدود. و قيل: عذاب القبر. و عن جعفر بن محمد عليهما السلام: ان العذاب الأدنى هو القحط، و الأكبر خروج المهدي بالسيف.

و العذاب الأكبر عند المفسرين هو عذاب الآخرة بالنار التى يستفزع الإنسان بالآلام و فى الأدنى معنى الأقرب. و قد يكون الأدنى من الأشياء فى الحسن، و هو أن يفعل على انه ليس فيه ظلم لاحد إذا فعل للشهوة، و الأدنى فى القبح ما يفعل و فيه ظلم يسير اتباعاً للشهوة، و الأعلى فى الحسن هو ما ليس فوقه ما هو على منه يستحق به العبادة. و الأدنى فى العذاب اكبر فى الآلام، لان العذاب استمرار الألم، و ليس فوق عذاب الكفر عذاب، لأن عذاب الفسق دونه.

و قال ابن عباس: و أبى بن كعب و الحسن: العذاب الأدنى مصائب الدنيا.

و قال ابن مسعود: هو القتل يوم بدر. و العذاب الأكبر عذاب الآخرة. و هو قول الحسن و مجاهد و ابن زيد و ابن مسعود.

و قوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصى الله الى طاعته و يتوبوا منها. و

هو قول التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٧

عبد الله و أبى العالیه و قتادة.

ثم قال الله تعالى على وجه التقرير لهم و التبكيت «وَمَنْ أَظْلَمُ» لنفسه بارتكاب المعاصى و إدخالها فى استحقاق العقاب «مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ» أى ينبه على حججه تعالى التى توصله الى معرفته و معرفته ثوابه، «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» جانباً، و لم ينظر فيها. ثم قال «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» الذين يفعلون المعاصى بقطع الطاعات و تركها «منتقمون» بأن نعذبهم بعذاب النار.

ثم اخبر تعالى فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراة «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ» أى فى شك من لقائه يعنى لقاء موسى ليله الاسراء بك الى السماء- على ما ذكره ابن عباس- و قيل: فلا تكن فى مريه من لقاء موسى فى الآخرة، و قال الزجاج: فلا تكن يا محمد فى مريه من لقاء موسى الكتاب.

و المريه الشك. و قال الحسن: فلا تكن فى شك من لقاء الأذى، كما لقي موسى كأنه قال: فلا تكن فى شك من أن تلقى كما لقي موسى «وَجَعَلْنَا هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» قال قتادة: و جعلنا موسى هادياً لبني إسرائيل، وضع المصدر فى موضع الحال. و قال الحسن: معناه جعلنا الكتاب هادياً لهم «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا» قال قتادة: معناه جعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون الى فعل الخير بأمر الله «لَمَّا صَبَرُوا» قيل: فيه حكاية الجزاء، و تقديره قيل لهم: إن صبرتم جعلناكم أئمة، فلما صبروا جعلوا أئمة- ذكره الزجاج- و «كَانُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا «يُوقِنُونَ» أى لا- يشكون فيه. و اليقين وجدان النفس بالثقة على خلاف ما كانت عليه من الاضطراب و الحيرة.

ثم قال لنبىه «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «هُوَ» الذى «يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يحكم بينهم، يعنى بين المؤمن و الكافر و الفاسق «فى ما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٨

فى دار الدنيا من التصديق بالله و برسوله و الايمان بالبعث و النشور و غير ذلك.

### قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ٣٠٨

أ و لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فى مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فى ذٰلِكَ لآيَاتٍ أ فلا يَسْمَعُونَ (٢٦) أ و لَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْمَارِضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أ فلا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَ يَقُولُونَ متى هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

القراء كلهم على الياء في قوله «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» بمعنى ا و لم يهد إهلاكنا لهم لمن مضى من القرون. و قرئ بالنون بمعنى الاخبار عن الله تعالى أنه الذي بين لهم هلاك الماضين و أرشدهم بذلك الى الحق و أتباعه، فاضافه الى نفسه.

يقول الله تعالى منبهاً لخلقه على وجه الاعتبار بحججه «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» و معناه او لم يبصرهم و يرشدهم من غوايتهم، يقال: هداه يهديه في الدين هدى، و هدى الى الطريق هداية، و اهتدى إذا قبل الهداية. و الواجب من الهدى: هو ما يؤدي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه، فاللطف على هذا هدى، و النظر المؤدى الى معرفة الله هدى. و فاعل «يهد» مضمرة فيه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٠٩

و تقديره أو لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكتناهم من القرون الماضية جزاء على كفرهم بالله و ارتكابهم لمعاصيه، و لا يجوز أن يكون فاعل «يهد» «كم» في قوله «كم أهلكتنا» لان «كم» لا يعمل فيها ما قبلها إلا حروف الاضافة، لأنها على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام، و أجاز القراء أن يكون فاعل «يهد» «كم» و لم يجزه البصريون.

و قوله «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» اي أهلكتناهم بغته و هم متشاغلين بنفوسهم و يمشون في منازلهم. ثم قال «إِنَّ فِي ذَلِكْ لآيَاتٍ» أي لحججاً واضحات «أَفَلَا يَسْمَعُونَ» و معناه أفلا يتدبرون ما يسمعون من هذه الآيات، لان من لا يتدبر ما يسمعه، و لا يفكر فيه. فكأنه لم يسمعه. ثم نبههم على وجه آخر فقال «أَوْ لَمْ يَرَوْا» و معناه ا و لم يعلموا «أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ» فالسوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق، يقول الله تعالى نسوق ماء المطر الى هذه الأرض الجرز، فنبت به ضرورياً من النبات الذي يتغذى به الإنسان و الانعام و غيرهم و الأرض الجرز هي الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، و هو مشتق من قولهم: سيف جراز أى قطاع، لا يلقي على شىء إلا قطعه و ناقه جراز، إذا كانت تأكل كل شىء لأنها لا تبقى شيئاً إلا قطعته فيها و أرض جروز، و هي التي لا تبقى على ظهرها شيئاً إلا أهلكته، كالناقه الجراز و رجل جروز أكل، قال الراجز:

خب جروز إذا جاع بكا [ياكل التمر و لا يلقي النوى «١»]

و فيه أربع لغات أرض جرز- بضم الجيم و الراء، و بضم الجيم و اسكان

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ١١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٠

الراء و بفتح الجيم و الراء، و بفتح الجيم و اسكان الراء.

و قال ابن عباس (نَسُوقُ الْمَاءِ) بالسيول، لأنها مواضع عالية، قال و هي:

قرى بين اليمن و الشام. ثم قال (أَفَلَا يُبْصِرُونَ) بأن يفكروا في ذلك فيدلهم على انه لا يقدر على ذلك أحد غير الله الذي لا شريك له. ثم حكى عنهم أنهم (يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) مستعجلين لما وعد الله تعالى من الفصل بينهم في قوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ) يعنون متى يجيء فتح الحكم بيننا و بينكم في الثواب و العقاب، و الفتح القضاء و الحكم، و قيل: انه أراد به فتح مكة، فعلى هذا قوله (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم فتح مكة (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ) لا يليق به. و قيل: لا ينفع الذين قبلهم خلد- من بنى كنانة- ايمانهم و التأويل هو الأول، فقال الله تعالى لنبىه محمد (قُلْ) لهم يا محمد (يَوْمَ الْفَتْحِ) أى يوم القضاء و الفصل. و قال مجاهد: يوم القيامة (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات الله (إيمانهم) لان التكليف قد زال عنهم، و معارفهم تحصل ضرورة (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) أى و لا يؤخرون ايضاً، فلا ينبغي أن يستعجلوا مجيئه. ثم قال لنبىه صلى الله عليه و آله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) يا محمد، فانه لا ينفع فيهم الدعاء و

الوعظ. وقيل: كان ذلك قبل أن يؤمر بالجهاد. وقيل: أعرض عن أذاهم (و انتظر) حكم الله تعالى فيهم وإهلا- كه لهم (إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ) أيضاً الموت الذى يؤديهم الى ذلك. وقيل: انه سيأتيهم ذلك، فكأنهم كانوا ينتظرونه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١١

### ٣٣- سورة الأحزاب ..... ص: ٣١١

#### إشارة

مدنية فى قول مجاهد والحسن وهى ثلاث وسبعون آية بلا خلاف.

#### [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ٣١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)  
 ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٢

خمس آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و نافع و ابو جعفر (اللاء) بهمزة ليس بعدها ياء، إلا- أن أبا عمرو لين الهمزة. وقرأ ابن عامر و اهل الكوفة بهمزة بعدها ياء، وقرأ (تظاهرون) بفتح التاء مشددة الظاء بغير ألف- ابن كثير و نافع و ابو عمرو- وقرأ عاصم إلا- الكسائي عنه (تظاهرون) بضم التاء خفيفة الظاء و الف بعدها. وقرأ ابن عامر بتشديد الظاء و الألف و فتح التاء. فمن قرأ (تظاهرون) بتشديد الظاء أراد تظاهرون، فأدغم احدى التاءين فى الظاء. و من قرأ بغير الف مشدداً أراد تظاهرون، و ادغم احدى التاءين فى الظاء. و عاصم جعل الفعل بين اثنين. فقال (تظاهرون) بضم التاء و تخفيف الظاء مع الالف. وقرأ ابو عمرو (بما يعملون خبيراً) و (بما يعملون بصيراً) بالياء فيهما. الباقون بالتاء. ووجه قراءة أبى عمرو قوله «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» بأن الله يعلم ما يفعلونه، فيجازيهم بحسبه. ووجه التاء الخطاب لهم.

هذا خطاب من الله تعالى للنبي صلى الله عليه و آله و المراد به جميع الأمة كما قال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ» «١» فخصه بالخطاب، و أراد به جميع المكلفين، يأمرهم الله بتقواه، و تجنب معاصيه، و فعل طاعاته، فنهاهم عن طاعة الكافرين الذين يجحدون نعم الله و يتخذون معه إلهاً سواه، و مثل ذلك نهاه عن طاعة المنافقين و متابعتهم لما يريدونه.

و سبب نزول الآية أن أبا سفيان و جماعة من الكفار قدموا على النبي صلى الله عليه و آله

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٣

المدنية، و دعوه الى أشياء عرضوها عليه، فأراد المسلمون قتلهم. فأنزل الله سبحانه «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» فى نقض العهد، و قتل هؤلاء

الكفار «وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ» في ما يدعونك اليه ولا «الْمُنَافِقِينَ» في قتلهم و نقض العهد.

و المنافق هو الذي يظهر الايمان و يبطن الكفر، و الكافر هو الذي يظهر الكفر و يبطنه.

ثم قال «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» في ما يوحيه اليك من أمرهم و يأمرك بالطاعة و ترك المعصية في متابعتهم في ما يريدونه و لما نهاهم عن متابعة الكفار و المنافقين قال «وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ» أمره ان يتبع الذي يوحى الله اليه من أمره و نهيه، فعلى موجب هذه الآية لا يجوز لأحد أن يطيع الكفار و المنافقين، و إن دعوههم الى الحق، و لكن يفعل الحق، لأنه حق لا لأجل دعائهم اليه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» تهديداً لهم، لأن المراد أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بحسبها إن كان سوءاً عاقبكم، و إن كان طاعةً أثابكم عليها. و من قرأ- بالياء- أراد الاخبار عن الكفار و الخطاب متوجه الى النبي صلى الله عليه و آله. و من قرأ- بالتاء- خاطب الجميع. ثم أمر النبي صلى الله عليه و آله و المراد به جميع المكلفين فقال «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا» أمرهم ان يتوكلوا على الله و يفوضوا أمورهم اليه، فان الله تعالى كاف في ما يوكل اليه. و (الوكيل) القائم بالتدبير لغيره بدعاء من له ذلك اليه، فالحكمة تدعو الى أن الله تعالى القائم بتدبير عباده، فهو وكيل عليهم من أوكد الوجوه.

ثم قال تعالى «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» قال ابن عباس:

كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان، فاكذبهم الله. و قال مجاهد و قتادة، و هو التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٤

في رواية عن ابن عباس: أنه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه و هو أبو معمر جميل بن اسد، فنزلت هذه الآية فيه. و قال الحسن: كان رجل يقول: لى نفس تأمرنى و نفس تنهانى، فأنزل الله فيه هذه الآية. و قال الزهرى:

هو مثل فى ان هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك. و

روى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ما جعل الله لرجل من قبلين فى جوفه يحب بهذا قوماً و يحب بهذا أعداءهم.

و لا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان فى جوفه، لأنه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنساناً واحداً، و قد يمكن أن يوصل ما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، و ليس ذلك إلا من جهة القلب الواحد أو القلبين، لأنه إذا جعل لهما قلبان يريد أحدهما بقلبه ما لا يريداه الآخر و يشتهى ما لا يشتهى الآخر، و يعلم ما لا يعلم الآخر فهما حيان لا محالة، و ليسا حياً واحداً.

و قال الرماني: لا يجوز أن توجد الارادة و المعرفة فى جزئين من القلب او أجزاء و انما يصح أن توجد فى جزء واحد، قال: لان ما يوجد فى جزئين بمنزلة ما يوجد فى قلبين، و قد بطل أن يكون لإنسان واحد قلبان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يوجد معنيان مختلفان فى جزئين من القلب، لأنهما و إن وجدا فى جزئين فالحالان الصادران عنهما يرجعان الى الجملة و هى جملة واحدة و ليسا يوجبان الصفة للمحل الواحد فيتنافى، فعلى هذا لا يجوز أن يوجد فى جزئين من القلب معنيان ضدان، لاستحالة اجتماع معنهما فى الحى الواحد، و يجوز أن يوجد معنيان مختلفان او مثلان فى جزئين من القلب و يوجبان الصفتين للحى الواحد، و على هذا القياس ليس يمتنع ان يوجد قلبان فى جوف واحد إذا كان ما يوجد فيهما يرجع الى حى واحد، و انما المتنافى أن يرجع ما يوجد منهما الى حيين، و ذلك محال. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٥

و قوله «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» أى ليس نسأؤكم و أزواجكم إذا قلتن لهن أنتن على كظهر أمى يصرن أمهاتكم على الحقيقة لان أمهاتكم على الحقيقة هن اللائى ولدنكم و أرضعنكم. و قال قتادة: إذا قال لزوجته أنت على كظهر أمى، فهو مظاهر، و عليه الكفارة. و عندنا إن الظهار لا يقع إلا ان تكون المرأة طاهراً، و لم يقربها فى ذلك الطهر بجماع، و يحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها أنت على كظهر أمى، و يقصد التحريم.

فإذا قال ذلك حرم عليها و حرمت عليه أن يطأها حتى يكفر. و إن اختل شيء من شرائطه، فلا يقع ظهار أصلاً.

و قوله «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» قال قتادة و مجاهد و ابن زيد: نزلت فى زيد بن حارثة، فانه كان يدعى ابن رسول الله، و الأدعياء جمع دعى، و هو الذى تبناه الإنسان. و بين الله تعالى أن ذلك ليس بابن على الحقيقة، و لذلك قال فى آية أخرى «مَا كَانَ

مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» (١) و قوله «ذَلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» يعنى أن قولكم فى الدعى أنه ابن الرجل قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله. ثم قال «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» فى ما بينه «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» يعنى طريق الحق الذى يفضى بكم الى الثواب، ثم أمر المكلفين بأن يدعوا الأديعاء «لآبائهم» الذين ولدوهم و ينسبونهم اليهم أو الى من ولدوا على فراشهم «اقسط» أى، فان ذلك اعدل عند الله، و اقسط بمعنى اعدل «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ» و لا تعرفوهم بأعيانهم فهم «فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» أى فى الملة فادعوهم بذلك (و مواليكم) أى بنو عمكم او لكم ولاءهم إذا كنتم اعتمتموهم من رق. ثم قال «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج «فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» فنسبتموه

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٦

الى من انتمى اليه و إن الله لا- يؤاخذكم به «وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» فقصدتموه من ذلك و أردتموه هو الذى تؤاخذون به، و موضع (ما) جر، تقديره و لكن فى ما تعمدت قلوبكم «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» يغفر لكم ما لم تتعمدوا من ذلك، و يستره عليكم و يرحمكم بترك مؤاخذتكم به.

**قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٣١٦**

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لَيْسَ لَكَ عَلَىٰ الَّذِينَ إِيمَنُوا مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعُونَكَ أَنْ تُدْعِيَهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمًا (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٧

قرأ بن كثير و الكسائى و حفص عن عاصم «الظنوننا» بألف فى الوقف دون الوصل. و قرأ نافع و ابو جعفر و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر- بالألف- فيهما و قرأ ابو عمرو و يعقوب و حمزة.- بغير الف- فيهما و فى المصحف بألف. من أثبت الألف أثبتة لأجل الفواصل التى يطلب بها تشاكل المقاطع، و لأن الألف ثابتة فى المصاحف، فاتبعوا المصحف، و من حذف قال: لأن هذا الألف يكون بدلا من التنوين فى حال الوقف، فإذا دخلت الألف و اللام أسقطت التنوين، فسقط أيضاً ما هو بدل منه، و لأن مثل ذلك إنما يجوز فى القوافى و ذلك لا يليق بالقرآن، قال الشاعر:

أقلى اللوم عاذل و العتابا [و قولى ان أصبت لقد أصابا] «١»

اخبر الله تعالى ان «النبي» صلى الله عليه و آله «أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» بمعنى أحق بتدبيرهم، و بأن يختاروا ما دعاهم اليه. و أحق بأن يحكم فيهم بما لا- يحكم به الواحد فى نفسه لوجوب طاعته التى هى مقرونة بطاعة الله، و هو اولى فى ذلك و أحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعت الى اتباع الهوى، و لأن النبي صلى الله عليه و آله لا يدعو إلا الى طاعة الله، و طاعة الله اولى ان تختار على طاعة غيره.

و واحد الأنفس نفس، و هى خاصة الحيوان الحساسة المدركة التى هى انفس ما فيه. و يحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس، و هو التروح، لان من شأنها التنفس به، و يحتمل ان يكون مأخوذاً من النفاسة، لأنها اجل ما فيه و أكرمه.

ثم قال «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» و المعنى أنهن كالأمهات فى الحرمة، و تحريم العقد عليهن. ثم قال «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ



فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ» أولوا الأرحام هم أولوا الأنساب لما ذكر الله أن أزواج النبي أمهاتهم

(١) قائله جرير ديوانه ٥٨ و سبويه ٢٨ / ٢، ٢٩٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٨

في الحكم من جهة عظم الحرمه، قال «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» أى إلا ما بين الله في كتابه مما لا يجوز لأزواج النبي صلى الله عليه وآله أن يدعين أمهات المؤمنين. وقال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة فلا يرث الاعرابي المسلم المهاجر حتى نزلت الآية. وقيل: إنهم كانوا يتوارثون بالمواخاه الاولى. ثم نسخ ذلك، فبين الله تعالى أن «أولى الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ»، أى من كان قريبا أقرب فهو أحق بالميراث من الأبعد، و ظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت و الام احد من الأخوة و الأخوات، لأن البنت و الأم اقرب من الأخوة و الأخوات، و كذلك يمنع أن يرث مع الاخت احد من العمومة و العمات و أولادهم، لأنها اقرب، و الخبر المروى في هذا الباب أن (ما أبقت الفرائض فلأولى عصبه ذكر)

خبر واحد مطعون على سنده، لا يترك لأجله ظاهر القرآن الذى بين فيه ان أولى الأرحام الأقرب منهم اولى من الأبعد «فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» المؤاخين و المهاجرين.

وقوله «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا» استثناء منقطع، و معناه لكن إن فعلتم الى أوليائكم معروفاً من المؤمنين و حلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن، و لا يكون على وجه نهى الله تعالى عنه، و لا أذن فيه. و قال مجاهد معروفاً من الوصية لهم بشىء، و العقل عنهم و النصره لهم، و لا يجوز أن يكونوا القرابة المشركين على ما قال بعضهم، لقوله «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» ١ و قد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابات الكفار. و عندنا ان ذلك جائز للوالدين و الولد. و قوله «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» يعنى أن ما ذكره الله كان مكتوباً

(١) سورة ٦٠ الممتحنة آية ١. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣١٩

في الكتاب المحفوظ أثبتته الله و أطلع عليه ملائكته لما لهم في ذلك من اللطف فلا يجوز خلاف ذلك، و قيل: مسطوراً في القرآن. و (من) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون دخلت ل (أولى) أى بعضكم اولى ببعض من المؤمنين و الثانى- أن يكون التقدير، و أولوا الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى بالميراث.

وقوله «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ تَقْدِيرَهُ وَادَّعَىٰ مُحَمَّدٌ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الميثاق العهد و الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا. و قوله «وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظًا» يعنى ما عهد الله تعالى الى الأنبياء المذكورين و أمرهم به من اخلاص العبادة له، و خلع الأنداد من دونه. و العمل بما أوجبه عليهم و ندبهم اليه، و نهاهم عن معاصيه، و الإخلال بواجباته. و قال البلخي:

معناه ما أمرهم الله به من أداء الرسالة و القيام بها.

وقوله «لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذى أوجب به أممكم، و يجوز ان يحمل على عمومته فى كل صادق، و يكون فيه تهديد للكاذب، فان الصادق إذا سئل عن صدقه على أى وجه قال فيجازى بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب.

ثم قال «وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» أى أعد لهم عذاباً مؤلماً، و هو عذاب النار- نعوذ بالله منها.

ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» أى فى حال ما جاء تكم جنود يعنى يوم الأحزاب، و هو يوم الخندق حيث اجتمعت العرب على قتال النبى صلى الله عليه و آله قريش و غطفان و بنو قريظة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٠

و تصافروا على ذلك «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ» اى فأرسل الله تعالى عليهم نصره لنبىه و نعمة على المؤمنين «ريحاً» استقبلتهم و رمت فى أعينهم الحصباء و اكفنت قدورهم و أطفئت نيرانهم، و قلعت بيوتهم و اطنابهم و أرسل الله عليهم «جنوداً» من الملائكة نصره للمؤمنين، روى ذلك يزيد بن رومان «لم تروها» اى لم تروا الملائكة أنتم بأعينكم، لأنها أجسام شفافة لا يصرح إدراكها «وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» من قرء بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المؤمنين.

ثم قال و اذكر «إِذْ جَاؤُكُمْ» يعنى جنود المشركين (مِنْ فَوْقِكُمْ) و هم عيينة بن حصين بن بدر فى اهل نجد (وَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ) و هم ابو سفيان فى قريش و واجهتهم قريظة، و هو قول مجاهد: (وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) أى اذكر إذ عدلت الأبصار عن مقرها. قال قتادة معناه: شخصت من الخوف (وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أى نأت عن أماكنها من الخوف. و قيل: قال المسلمون:

يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شىء نقوله قال: نعم قولوا (اللهم استر عورتنا و أمن روعتنا) فضرب الله وجوه أعدائه بريح الصبا، فهزمهم الله بها، و الحناجر جمع حنجرة، و هى الحلق ، قيل: لأن الرئة عند الخوف تصعد حتى تلحق بالحلق (وَ تَطُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال الحسن: كانت الظنون مختلفة، فظن المنافقون انه يستأصل، و ظن المؤمنون انه سينصر. و قيل: كانت الريح شديدة البرد تمنع المشركين من الحرب و كانت الملائكة تفقد بعضهم عن بعض.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢١

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص: ٣٢١

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا (١٢) وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَ لَوْ دَخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَذْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

خمس آيات.

قرأ حفص عن عاصم (لا-مقام) بضم الميم اى لا إقامة لكم. الباقون- بفتح الميم- يعنى لا موضع لكم تقومون فيه. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابن عامر (لأتوها) قصرأ بمعنى لجأوها. الباقون بالمد، يعنى لأعطوها. و قالوا: هو أليق بقوله «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ» لان العطاء يطابق سؤال السائل.

لما وصف الله تعالى شدة الأمر يوم الخندق، و خوف الناس و أن القلوب بلغت الحناجر من الرعب. قال (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) أى اختبروا ليظهر بذلك حسن نياتهم و صبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه و (هنا) للقريب. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص:

٣٢٢

من المكان و (هنالك) للبعيد منه، و (هناك) للمتوسط بين القريب و البعيد و سبيله سبيل (ذا، و ذاك و ذلك). و الابتلاء إظهار ما فى النفس من خير او شر، و مثله الاختبار و الامتحان و البلاء النعمة، لإظهار الخير على صاحبه، و البلاء النعمة لإظهار الشر عليه.

وقوله (وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) معناه و حركوا بهذا الامتحان تحريكاً عظيماً، فالزلازل الاضطراب العظيم و منه قوله «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» و الزلزلة اضطراب الأرض، و قيل: انه مضاعف زل، و زلزه غيره. و الشدة قوة تدرك بالحاسة، لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة، و انما تعلم بالدلالة، فلذلك يوصف تعالى بأنه قوى، و لا يوصف بأنه شديد.

ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ) الذين باطنهم الكفر و ظاهرهم الايمان (وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك من الايمان بالله و رسوله (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ) أى لم يعدنا الله و رسوله من الظفر و الظهور على الدين (إِلَّا غُرُورًا) و قيل: ان النبي صلى الله عليه و آله بشرهم بأنه يفتح عليهم مدائن كسرى و بلاد قيصر و غير ذلك من الفتوح ، فقالوا: يعدنا بهذا، و الواحد منا لا- يقدر على أن يخرج ليقضى حاجة (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) غرانا به، فالغرور إيهام المحبوب بالمكر، يقال: غره يغره غروراً، فهو غار، و الغرور الشيطان قال الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غروراً و لكن يرفع الآل جمعهم و الضحاء

و قال يزيد بن رومان: الذى قال هذا القول معتب بن قشيرة: و قال العتابي:

ليس عاقل يقول: إن الله وعده غروراً، لكنهم لما كذبوا رسوله و شكوا فى خبره، فكأنهم كذبوا الله، و إذا نسبوا الرسول بأنه غرهم، فقد نسبوا الله إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٣

ذلك فى المعنى، و إن لم يصرحوا به.

ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) يعنى من المنافقين (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) أى يا أهل المدينة. قيل: ان يثرب اسم ارض المدينة. و قال ابو عبيدة:

إن مدينة الرسول فى ناحية من يثرب. و قيل: يثرب هى المدينة نفسها (لَا مُقَامَ لَكُمْ) أى ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال. و من ضم أراد: لا- إقامة لكم- ذكره الأخفش- و قال يزيد بن رومان: القائل لذلك أوس بن قبطى. و من وافقه على رأيه (فارجعوا) أى أمرهم بالرجوع الى منازلهم. و حكى ان جماعة منهم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه و آله فاستأذنوه للرجوع. و قالوا (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) أى هى مكشوفة نخشى عليها السرقة- ذكره ابن عباس و مجاهد- فكذبهم الله تعالى فى قوله (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ...) و ليس يريدون بهذا القول إلا الفرار، و الهرب من القتال.

ثم قال (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقطارِهَا) أى من نواحيها يعنى المدينة او البيوت، فهو جمع قطر، و هو الناحية (ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ) يعنى الكفر و الضلال و قيل: انهم لو دعوا إلى القتال على وجه الحمية و العصبية لجاؤا إليها- على قراءة من قصر- و من مد أراد لأعطوا ما سئلوا إعطاه من ذلك (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) قال الفراء: و ما تلبثوا بالمدينة إلا قليلا حتى يهلكوا. و قال قتادة:

معناه و ما احتبسوا عن الاجابة الى الكفر إلا قليلا.

ثم قال (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) يعنى عند ما بايعوا النبي صلى الله عليه و آله و حلفوا له انهم ينصرونه و يدفعونه عنه، كما يدفعون عن نفوسهم، و انهم (لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ) أى لا يفرون من الزحف (وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) يعنى العهد الذى عاهدوا الله عليه، و حلفوا له به يسألهم عن الوفاء به يوم القيامة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٤

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ٣٢٤

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ

الْخَوْفُ سَيَلِقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشَدَّ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) خمس آيات.

لما اخبر الله تعالى عن المنافقين الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الرجوع واعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها، وكذبهم الله في ذلك، و بين أنهم يريدون التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٥

الهرب، قال لنبيه صلى الله عليه وآله (قل) لهم (لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ) يعنى الهرب إن هربتم (مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ) فانه لا بد من واحد منهما، وإن هربتم و بقيتم بعده فلا تبقون (و لا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) من الزمان. ثم لا بد من الموت. و الفرار الذهاب عن الشيء خوفاً منه، و مثله الهرب، فز يفر فراراً و أفر إذا باعد بين شفتيه كتباعد الفار، و انما فرق الله بين الموت و القتل لأن القتل غير الموت، فالقتل نقض بينة الحى، و الموت ضد الحياة عند من أثبتته معنى. و القتل يقدر عليه غير الله، و انما رفع بعد (اذن) لوقوع (اذن) بين الواو و الفعل، فصارت بمنزلة ما لم يقع بعده الفعل، كقولك أنا آتيك اذن لأنه مما يجوز فيه الإلغاء بأنه يصح الاستدراك، كالاستدراك بالظن، و قد أعملت بعد (ان) فى قوله:

لا تتركنى فيهم شطيراً إني اذن أهلك أو اطيرا «١»

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم يا محمد من الذى يمنعكم من الله ان أراد أن يفعل بكم سوءاً يعنى عذاباً أو أراد بكم رحمة، فان احداً لا يقدر على منعه مما يريد الله فعله به (و لا يجدون) هؤلاء (لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا) ينصرهم (و لا نصيراً) يدفع عنهم، ثم قال تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) يعنى الذين يعوقون غيرهم عن القتال و يشغلونهم عنه، فالتعويق التثبيط و الشغل للعود عن أمر من الأمور، فكان هؤلاء يدعون إخوانهم من المنافقين الى القعود عن الجهاد و يشغلونهم لينصرفوا عنه (وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا) أى يعلم القائلين لهم تعالوا (و لا يَأْتُونَ التَّبَاسُ) يعنى الحرب (إلا قليلاً) أى ان يكلفوا الحضور الى القتال فلا يحضرون إلا قدر ما يوهمون أنهم معكم، و لا يقاتلون

(١) قائله نهشل بن حرى، اللسان (شطير).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٦

معكم، فهو تعالى عالم بأحوال هؤلاء، لا يخفى عليه شىء منها.

ثم قال (اشحه عليكم) بالغنيمه و النفقه فى سبيل الله- فى قول قتاده:

و مجاهد- و نصبه على تقدير يأتونه أشحه و إن شئت على الدم. و قال ابن إسحاق (اشحه عليكم) بالضغن الذى فى أنفسهم، فهو نصب على الحال- فى قول الزجاج- و فى قول غيره على المصدر، و تقديره يشحون عليكم اشحه (فإذا جاء الخوف) يعنى الفرع (رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) يعنى من شدة ما يخافون يلحقهم مثل ما يلحق من شارف الموت و أحواله، و يغشى عليه (فإذا ذهب الخوف) و الفرع (سَيَلِقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) أى خصموكم طلباً للغنيمه أشد مخاصمه. و قال الحسن: سلقوكم حاوروكم يقال: خطيب مصقع و مسلق أى بليغ فى الخطابه فصيح فيها (أَشْحَهُ عَلَى الْخَيْرِ) يعنى الغنيمه. ثم قال (أولئك) يعنى من تقدم وصفه (لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) يعنى نفع أعمالهم على وجوه لا يستحق عليها الثواب. لأنهم لا يقصدون بها وجه الله. ثم قال (و كان ذلك) يعنى إحباط أعمالهم. و قيل:

و كان نفاقهم (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) قليلاً. ثم وصف هؤلاء المنافقين الذين تقدم ذكرهم بالجبن، فقال (يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ) الذين انهزموا و رجعوا من شدة فرعهم انهم (لم يذهبوا) بعد. و قيل: لفرط جهلهم يعتقدون انهم لم يذهبوا بعد (وَ إِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) أى و إن جاءوا الأحزاب تمنوا أن يكونوا فى البوادي مع الاعراب (يَسْتُلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) أى أخباركم و لا يكونون

معكم فيترصون بكم الدوائر و يتوقعون الهلاك. ثم قال لنبية (و لو كانوا) يعنى هؤلاء المنافقون معكم «و فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً» أى قدراً يسيراً ليوهموا أنهم فى جملتكم، لا لينصروكم و يجاهدوا معكم. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٧

عاصم الجحدري: يساءلون عن انبائكم بتشديد السين بمعنى يتساءلون، فيسأل بعضهم بعضاً، و هو شاذ لا يقرأ به. و قرأ طلحة بن مصرف «يؤدوا لو أنهم بادون فى الأعراب» جمع باد، مثل غاز و غزى، و هى أيضاً شاذة لا يقرأ بها.

و (هلم) بمعنى أقبل و اهل الحجاز يقولون للواحد و الاثنى و الجمع و الأنتى (هلم) بلفظ واحد، و انما هى (لم) ضمت اليها (ها) التى للتنبية، ثم حذفت الألف من (ها) إذ صاراً شيئاً واحداً، كقولهم (و يلمه) و أصله (ويل أمه) فلما جعلوهما شيئاً واحداً حذفوا، و غيروا. و أما بنوا تميم فيصرفونه تصريف الفعل، فيقولون: هلم يا رجل و هلم يا رجلاً، و هلموا يا رجال و هلمى يا امرأة و هلميا يا امرأتان، و هلمن يا نساء، إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البتة، فيقولون: هلم يا رجل و هلم يا امرأة.

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٣٢٧

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٨

خمس آيات.

قرأ عاصم «أسوة» - بضم الهمزة - الباقون بكسرها، و هما لغتان. و الكسر اكثر. و مثله (كسوة، و كسوة، و رشوة و رشوة).

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين، يقول لهم: ان لكم معاشر المكلفين «فى رسول الله أسوة حسنة» أى اقتداء حسن، فى جميع ما يقوله و يفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً، و المراد بذلك الحث على الجهاد و الصبر عليه فى حروبه، و التسليء لهم فى ما ينالهم من المصائب،

فان النبى صلى الله عليه و آله شج رأسه و كسرت رباعيته فى يوم احد و قتل عمه حمزة.

فالتأسى به فى الصبر على جميع ذلك من الاسوة الحسنه. و ذلك يدل على ان الاقتداء بجميع أفعال النبى صلى الله عليه و آله حسن جائز إلا ما قام الدليل على خلافه، و لا يدل على وجوب الاقتداء به فى أفعاله.

و إنما يعلم ذلك بدليل آخر. فالاسوة حال لصاحبها يقتدى بها غيره فى ما يقول به، فالاسوة تكون فى إنسان و هى اسوة لغيره، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ» فالرجاء توقع الخير، فرجاء الله توقع الخير من قبله و مثل الرجاء الطمع و الأمل، و متى طمع الإنسان فى الخير من قبل الله، فيكون راجياً له.

و قوله «و ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» معناه يذكره تعالى بجميع صفاته، و يدعوه بها فيستحق بذلك الثواب من جهته.

ثم قال و قد عاد تعالى الى ذكر المؤمنين و انهم حين عاينوا الأحزاب التى اجتمعت على قتال النبى صلى الله عليه و آله و تظافروا عليه، و هم ابو سفيان و من معه من التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٢٩

المشركين «قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله» من الجهاد فى سبيله «و صدق الله و رسوله» فى ما أخبرا به، لأن النبى صلى الله عليه و آله كان أخبرهم انه يتظاهر عليكم الأحزاب، و يقاتلونكم فلما رآهم المؤمنون تبينوا صدق قوله و كان ذلك معجزاً له «و ما زادهم» مشاهدة عدوهم «إلا إيماناً» و تصديقاً بالله و رسوله «و تسليماً» لأمره. ثم بين ان «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» من مجاهدة عدوّه، و ألا يولوا الأذبار. و قيل: ذلك يوم تأخروا عن بدر، ثم عاهدوا ألا يفارقوا النبى صلى الله عليه و آله فى غزواته. و

قوله «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ» أى منهم من صبر حتى قتل فى سبيل الله، و خرج الى ثواب ربه «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» ذلك «وَمَا يَدَّبُلُوا تَبْدِيلًا» أى لم يبدلوا الايمان بالنفاق و لا العهد بالحنث. و روى أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب، و جعفر بن أبى طالب، و على بن أبى طالب عليه السلام فالذى قضى نجه حمزة، و جعفر و الذى ينتظر على عليه السلام

ثم بين تعالى انه يجزى الصادقين على صدقهم فى تنزيله فوعدهم بالثواب الدائم و النعيم المقيم. و قوله «وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ» لا يدل على أن ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لأن على مذهبنا إنما جاز ذلك، لأنه لا يجب إسقاط العقاب بالتوبة عقلاً، و إنما جاز ذلك و علمناه بالسمع و إن الله يتفضل بذلك. و قوله «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» معناه إن شاء قبل توبتهم و أسقط عقابهم إذا تابوا، و إن شاء لم يقبل ذلك. و ذلك اخبار عن مقتضى العقل. و أما مع ورود السمع و هو قوله «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» (١) فنقطع على انه تعالى يغفر مع حصول التوبة.

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٠

و قوله «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» يؤكد ذلك لأنه إنما يكون فيه مدح إذا غفر ما له المؤاخذه به، و يرحم من يستحق العقاب. و أما من يجب غفران ذنبه و يجب رحمته، فلا مدح فى ذلك. و قال قوم: معناه «وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ» بعذاب عاجل فى الدنيا أو يتوبوا، قالوا: و إنما علق بالشرط فى قوله «إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» لأنه علم أن من المنافقين من يتوب، فقيدهم الكلام ليصح المعنى - ذكره الجبائى - و قيل: إن الذى وعد الله المؤمنين فى الأحزاب هو أنه وعدهم إذا لقوا المشركين ظفروا بهم و استعلوا عليهم فى نحو قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (١) مع فرض الجهاد. و قيل: إن الذى وعدهم الله به فى قوله «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبُ الْبُأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ زَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (٢) - ذكره قتادة - و (النحب) النذر أى قضى نذره الذى كان نذره فى ما عاهد الله عليه. و قال مجاهد: قضى نجه أى عهده. و قيل: ان المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حزباً مع رسول الله أن يثبتوا و لا ينهزموا، و قال الحسن: قضى نجه أى مات على ما عاهد عليه، و النحب الموت كقول ذى الرمة:

قضى نجه فى ملتقى الخيل هو بر (٣)

أى منيته. و هو بر اسم رجل و النحب الخطر العظيم قال جرير:

بطخفه جالدا الملوك و خيلنا عشية بسطام جرير على نحب (٤)

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٤ و سورة ٦١ الصف آية ٩.

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢١٤.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٣٦ الشاهد (٧١٨)

(٤) ديوانه ٥٤ و مجاز القرآن ٢/ ١٣٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣١

أى على خطر و النحب المد فى السير يوماً و ليلة، قال الفرزدق.

و إذ نجت كلب على الناس أنهم أحق نتاج الماجد المتكرم (١)

ثم اخبر تعالى أنه رد المشركين من الأحزاب عن قتال النبى صلى الله عليه و آله بغيظهم الذى جاءوا به و خيبتهم لم ينالوا خيراً أملوه



من الظفر بالنبى صلى الله عليه وآله و بالمؤمنين «و كفى الله المؤمنين القتال» عند رجوعهم، و قيل و كفى الله المؤمنين القتال بالريح و الملائكة. و قيل: و كفى الله المؤمنين القتال بعلى عليه السلام و هى قراءة ابن مسعود، و كذلك هو فى مصحفه، فى قتله عمرو بن عبدود، و كان ذلك سبب هزيمة القوم. «وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا» أى قادراً لا يغالب، و عزيزاً لا يقهر، لأنه قوى فى سعة مقدوره، عزيز فى انتقامه.

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص: ٣٣١

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

(١) ديوانه ٧٥٩ / ٢ و تفسير القرطبي ١٥٨ / ١٤ و مجاز القرآن ١٣٦ / ٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٢

خمس آيات.

قرأ ابن كثير، و ابن عامر «نضعف» بالنون و تشديد العين «العذاب» نصباً، أسند الفعل الى الله تعالى، و قرأ ابو عمرو «يضعف» بالياء و تشديد العين بلا ألف على ما لم يسم فاعله. الباقون (يضاعف) بالياء و الألف.

و الذى عليه أكثر المفسرين إن المعنى بقوله «وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» هم بنو قريظة من اليهود، و كانوا نقضوا العهد بينهم و بين النبى صلى الله عليه وآله و عاونوا أبا سفيان،

فلما هزم الأحزاب امر النبى صلى الله عليه وآله مناديه بأن ينادى لا يصلين أحد العصر إلا بنى قريظة، لأن جبرائيل عليه السلام نزل عليه و قال إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، ففيهم من لحق ذلك بعد و صلى العصر فى الوقت، و فيهم من صلاها قبل ذلك. و كل صوبه رسول الله. ثم حكم سعد ابن معاذ فيهم رضوا بحكمه، فحكم سعد أن تقتل الرجال، و تسبى الذرارى و النساء و تقسم الأموال و تكون الأرض للمهاجرين دون الأنصار، فقيل له فى ذلك فقال لكم دار، و ليس للمهاجرين دار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله حكم فيهم بحكم الله تعالى.

و فى بعض الأخبار لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، و هو جمع رقيع اسم من اسماء سماء الدنيا. و قال الحسن: الآية نزلت فى بنى النضير و الاول أصح و أليق بسياق الآيات، لان بنى النضير لم يكن لهم فى قتال الأحزاب شىء، و كانوا قد انجلوا قبل ذلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٣

و المظاهرة المعاونة، و هى زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهراً لصاحبه فى الدفع عنه، و الظهر المعين. و فى قراءة ابن مسعود أزروه، و معناه عاونوهم.

و الصياصى الحصون التى يمتنع بها واحدا صيصية. و يقال جذ الله صيصية فلان أى حصنه الذى يمتنع به. و الصيصية قرن البقرة و شوكة الديك أيضاً، و هى شوكة الحائك أيضاً، قال الشاعر:

[ما راعنى إلا الرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد] (١)

و قوله «وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» أى ألقى فى قلوبهم يعنى اليهود و المشركين خوفاً من النبى صلى الله عليه وآله «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» منهم يعنى الرجال «وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا» يعنى النساء و الذرارى ثم قال «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ» يعنى ديار بنى قريظة و

أرضهم و أموالهم. جعلها الله للمسلمين مع ذلك و نقلها اليهم «وَأَرْضاً لَمْ تَطَّوْهَا» معناه و أورتكم أرضاً لم تطؤها، قال الحسن: هي أرض فارس و الروم. و قال قتادة: هي مكة. و قال يزيد بن رومان و ابن زيد: هي خيبر «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» أى قادراً على توريثكم أرض هؤلاء و أموالهم و نصركم و غير ذلك. الى هاهنا انتهت قصة الأحزاب.

ثم انتقل الى خطاب النبي صلى الله عليه و آله فقال له «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» قال الحسن لم يكن ذلك تخيير طلاق، انما هو تخيير بين الدنيا و الآخرة. و كان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبي صلى الله عليه و آله فعاتبهن الله تعالى و خيرهن بين المقام مع النبي صلى الله عليه و آله و اختيار ما عند الله من الثواب و نعيم الأبد

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ١٦١ و مجاز القرآن ٢ / ١٦١ و يروى (فجئت اليه و الرماح تنوشه).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٤

و من مفارقتها بالطلاق و تعجيل المنافع يأخذونها، و بين ذلك بقوله «وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» و قيد ذلك بالمحسنات لعلمه أن فيهن من ربما ارتكبت ما يستحق به الخروج عن ولايته الله تعويلاً على ما وعد الله تعالى به من النعيم، فرجرهن بالتهديد المذكور فى الآية.

و

روى أن سبب نزول هذه الآية أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئاً فسألت أم سلمة سترًا معلقاً و سألت ميمونة حلة و سألت زينب بنت جحش برداً يمانياً و سألت أم حبيبة ثوباً سحوانياً و سألت حفصة ثوباً من ثياب مصر و سألت جويرة معجراً و سألت سودة قطيفة خيرية، فلم يقدر على ذلك، لان الله تعالى كان خيره بين ملك الدنيا و نعيم الآخرة فاختر الآخرة. و قال:

(اللهم أحيى مسكينا و امتنى مسكينا و احشرنى مسكينا فى جملة المساكين) فحينئذ أمره الله تعالى بتخير النساء، فاخترن الله و رسوله فعوضهن الله عن ذلك أن جعلهن أمهات المؤمنين.

و قيل: و أمر الله أن لا يطلقهن و لا يتزوج عليهن بقوله «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ» «١» ذكره ابن زيد.

ثم خاطب نساء النبي صلى الله عليه و آله فقال «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ» من شدد أراد التكثير، و من أثبت الألف أراد من المضاعفة، و من قرأ بالنون أضاف الفعل الى الله، لأن الفاعل لذلك هو الله و إنما جاز ان يضعف عقابهن بالمعصية لعظم قدرهن، و أن معصيتهن تقع على وجه يستحق بها ضعف ما يستحق غيرهن، كما أن طاعاتهن يستحق بها ضعف

(١) آية ٥٢ من هذه السورة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٥

ما يستحق به غيرهن، من حيث كن قدوة فى الاعمال و أسوة فى ذلك.

ثم اخبر تعالى أن تضعيف ذلك عليه يسير سهل. و الضعف مثل الشىء الذى يضم اليه، ضاعفته ازددت عليه مثله، و منه الضعف، و هو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها، فهو ذهاب ضعف القوة. قال أبو عبيدة: يضاعف لها ضعفين أى يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لان ضعف الشىء مثله، و ضعفى الشىء مثلاه و مجاز يضاعف أن يجعل الى الشىء شيان حتى يكون ثلاثة، فأما من قرأ (يضعف) أراد أن يجعل الشىء شيئين، و ذكر بعضهم أن ذلك غلط على أبى عمرو فى تشديد يضعف، لأن ذلك نقل عنه على حكاية الفرق بين يضاعف و يضعف بالتشديد، و ليس بينهما فرق، لان المضاعفة و التضعيف شىء واحد و إنما قرأ ابو عمرو (يضعف) بضم الياء و تسكين الضاد و تخفيف العين و فتحها و الفرق يقع بين هذه و بين يضاعف لأنك تقول لمن أعطاك درهماً

فأعطيته مكانه درهمين:

أضعفت لك العطيّة، فإن أعطيته مكان درهم خمسة أو ستة قلت ضاعفت له العطيّة و ضعفت بالشدّيد أيضاً، فلما رأى ابو عمرو أن من احسن من أزواج النبي أعطى أجريّن علم أن من أذنب منهن عوقب عقوبتين، فقراً يضعف لها العذاب ضعفين. و كان الحسن لا يرى التخيير شيئاً. وقال: إنما خيرن بين الدنيا والآخرة لا في الطلاق، و كذلك عندنا ان الخيار ليس بشيء غير أن أصحابنا قالوا إنما كان ذلك لنبي الله خاصه، و لما خيره ن لو اخترن انفسهن لبن، فلما غيره فلا يجوز له ذلك. و قال قتادة: خيره ن الله تعالى بين الدنيا والآخرة في شيء كن أردن من الدنيا. و قال عكرمة: في غيره كانت غارتها عائشه، و كان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش: عائشه، و حفصه، و أم حبيبه بنت أبي سفيان التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٦

و أم سلمه بنت أبي أميه، و سوده بنت زمعه، و كان تحته صفيه بنت حي ابن خطب و ميمونه بنت الحارث الهلاليه، و زينب بنت جحش الاسديه، و حويريه بنت الحارث من بني المصطلق، فلما اخترن الله و رسوله و الدار الآخرة، فرح بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله،

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص: ٣٣٦

وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصِدِّقِينَ وَالْمُتَصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٧

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائي «و من يقنت لله و رسوله و يعمل صالحاً» بالياء فيهما على اللفظ، لأن لفظه (من) مذكر. الباقون «و من يقنت» - بالياء - حملا - على اللفظ «و تعمل» بالتاء حملا على المعنى، لأن المعنى من النساء، فكنى بلفظ التأنيث، و لأنه قط ظهر علامه التأنيث في قوله «منكن» فكأن الرد عليه أولى من رده على اللفظ. و روى في الشواذ «و من تقنت» بالتاء حملا - على المعنى و ذلك جائز في العريه غير انه ليس بمعروف، و لا يقرأ به. و قرأ عاصم و نافع «و قرن» بفتح القاف بمعنى أقرن «في بيوتكن» من قررت في المكان أقر قراراً إلا انه نقل حركة العين الى القاف، فانفتحت و سقطت الراء الأولى لالتقاء الساكنين كقولهم: في ظلت ظلت. و في أحست احست، و قالوا في يحطن من الجبل يحطن. و قال الزجاج: فيه لغتان (قررت في المكان و أقرت). الباقون بكسر القاف بمعنى كن أهل و قر، أى هدوء و سكينه من و قر فلان في منزله يقر وقوراً إذا هداً فيه و اطمأن. و يجوز أن يكون المراد الاستقرار، على لغة حكاها الزجاج و الكسائي.

لما تهدد الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه و آله بأن من يأت منهن بفاحشه ظاهرة من ارتكاب محظور، و ما نهى الله تعالى عنه انه يضاعف لها العذاب ضعفين لوقوع أفعالهن على وجه يستحق به ذلك من حيث كن سواء اسوة يتأسى بهن غيرهن و رغبهن في هذه

الآيه بأن قال «وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» أى من داوم منكن على التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٨

الطاعة لله و رسوله «وَتَعْمَلْ» مع ذلك الافعال «صَالِحًا نُؤْتِهَا» أى يعطيها الله «أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» كما لو عصت عاقبها ضعفين. و القنوت المداومه على العمل فمن داوم على العمل لله فهو مطيع. و منه القنوت في صلاة الوتر، و هو المداومه على الدعاء المعروف. و العمل

الصالح هو المستقيم الذى يحسن أن يحمد عليه و يستحق به الثواب. و الأجر الجزاء على العمل، و هو الثواب، آجره يأجره اجراً و الأجر مرتين ليس يجب بالوعد بل إنما هو مستحق، لأن أفعالهن تقع على وجه يستحق مثلى ما لو استحق الغير، لأنه فى مقابلة العذاب ضعفين، و لا يجوز أن يضاعف ضعفين إلا مستحقاً، و كذلك الثواب المقابل له.

و قوله «وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا» معنى اعتدنا أعددنا، و أبدل من احدى الدالين تاء. و الرزق الكريم هو الثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله.

ثم قال «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتِنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» انما قال كأحد، و لم يقل كواحدة لان احداً نفى عام للمذكر و المؤنث و الواحد و الجماعة أى لا يشبهكن احد من النساء فى جلاله القدر و عظم المنزلة و لمكانكن من رسول الله صلى الله عليه و آله بشرط أن تتقين عقاب الله باجتناوب معاصيه، و امتثال أوامره. و انما شرط ذلك بالاتقاء لثلا يعولن على ذلك، فيرتكبن المعاصى، و لو لا الشرط كان يكون إغراء لهن بالمعاصى، و ذلك لا يجوز على الله تعالى.

ثم قال لهن «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أى لا تلين كلامكن للرجال، بل يكون جزلاً قوياً لثلا يطمع من فى قلبه مرض. قال قتادة: و معناه من فى قلبه نفاق.

و قال عكرمة: من فى قلبه شهوة للزنا.

ثم قال لهن «وَقَلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً للدين و الإسلام. ثم أمرهن بالاستقرار فى بيوتهن و ألا يتبرجن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٣٩

تبرج الجاهلية— على قراءة من فتح القاف. و من كسر أرا دكن وقورات عليكن سكينه و وقار «وَلَا تَبَرَّجْنَ» قال قتادة: التبرج التبختر و التكبر، و قال غيره:

هو اظهار المحاسن للرجال.

و قوله «تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى» نصب تبرج على المصدر و المعنى مثل تبرج الجاهلية الأولى، و هو ما كان قبل الإسلام. و قيل ما كان بين آدم و نوح.

و قيل ما كان بين موسى و عيسى، و قيل ما كان بين عيسى و محمد. و قيل ما كان يفعله اهل الجاهلية، لأنهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلاً و خلا فللزوج النصف السفلانى و للخل الفوقانى من التقبيل و المعانقة، فنهى الله تعالى عن ذلك ازواج النبى صلى الله عليه و آله و اشتقاق التبرج من البرج و هو السعة فى العين و طعنه برجاء اى واسعته و فى أسنانه برج إذا تفرق ما بينها، و اما الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام بعمل أولئك.

ثم أمرهن باقامة الصلاة و الدوام عليها بشروطها و إيتاء الزكاة لمن وجبت عليه، و أمرهن بطاعة الله و طاعة رسوله، فى ما يأمرانهن به. ثم قال «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» روى أبو سعيد الخدرى و انس بن مالك و عائشة و أم سلمة و واثلة بن الأسقع أن الآية نزلت فى النبى صلى الله عليه و آله و على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و اهل البيت نصب على النداء او على المدح،

فروى عن أم سلمة انها قالت إن النبى صلى الله عليه و آله كان فى بيتى فاستدعا علياً و فاطمة و الحسن و الحسين، و جللهم بعباء خيرية، ثم قال:

اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، فأنزل الله تعالى قوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» فقالت أم سلمة قلت: يا رسول الله هل انا من اهل بيتك؟ فقال: لا، و لكنك التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص:

و استدلل أصحابنا بهذه الآية على ان في جملة اهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط و ان إجماعهم لا يكون إلا صواباً بأن قالوا ليس يخلو إرادة الله لاذهاب الرجس عن اهل البيت من ان يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات و اجتناب المعاصي، او يكون عبارة عن انه اذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح. و الأول لا يجوز ان يكون مراداً، لأن هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين، فلا- اختصاص لأهل البيت في ذلك و لا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية اهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص و يخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة و مزية على غيرهم؟! على ان لفظه (إنما) تجرى مجرى ليس، و قد دللنا على ذلك في ما تقدم و حكينا عن جماعة من اهل اللغة، كالزجاج وغيره، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله إلا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت، فدل ذلك على ان إذهاب الرجس قد حصل فيهم. و ذلك يدل على عصمتهم، و إذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه.

و قال عكرمة في في ازواج النبي خاصة. و هذا غلط، لأنه لو كانت الآية فيهن خاصة لكنى عنهم بكناية المؤنث، كما فعل في جميع ما تقدم من الآيات نحو قوله «وَقَوْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ» فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث، فكان يجب أن يقول إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس اهل البيت و يطهركن، فلما كنا بكناية المذكر دل على ان النساء لا مدخل لهن فيها.

و في الناس من حمل الآية على النساء و من ذكرناه من اهل البيت هرباً التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤١ مما قلناه. و قال: إذا اجتمع المذكر و المؤنث غلب المذكر، فكنى عنهم بكناية المذكر. و هذا يبطل بما بيناه من الرواية عن أم سلمة و ما يقتضيه من كون من تناولته معصوماً. و النساء خارجات عن ذلك. و قد استوفينا الكلام في ذلك- في هذه الآيات- في كتاب الامامة من أراده وقف عليه هناك.

ثم عاد تعالى الى ذكر النساء فأمرهن بأن يذكرن الله تعالى بصفاته، و بالدعاء و التضرع اليه، و ان يفكرن في آيات الله التي تتلى في بيوتهن من القرآن المنزل، و يعملن بها و بما فيها من الحكمة «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا» في تدبير خلقه، و في إيصال المنافع الدينية و الدنيوية اليهم «خَبِيرًا» اي عالماً بما يكون منهم، و بما يصلحهم و بما يفسدهم، و أمرهم بأن يفعلوا ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم.

ثم اخبر تعالى ب «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ» و هم الذين استسلموا لاوامر الله و انقادوا له، و أظهروا الشهادتين، و عملوا بموجبه «وَالْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» فالإسلام و الايمان واحد، عند اكثر المفسرين، و إنما كرر لاختلاف اللفظين.

و في الناس من قال: المؤمن هو الذي فعل جميع الواجبات، و انتهى عن جميع المقبحات، و المسلم هو الملتزم لشرائط الإسلام المستسلم لها و «الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ» يعني الدائمين على الاعمال الصالحات «وَالصَّادِقِينَ» في أقوالهم «وَالصَّادِقَاتِ» مثل ذلك «وَالصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ» على طاعة الله و على ما يتليهم الله من المصائب و ما يأمرهم به من الجهاد في سبيله «وَالْخَاشِعِينَ» يعني المتواضعين غير المتكبرين «وَالْخَاشِعَاتِ» مثل ذلك «وَالْمُتَّصِعِينَ» يعني الذين يخرجون الصدقات و الزكوات «وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ» مثل ذلك «وَالصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» من الزنا و ارتكاب انواع الفجور «وَالْحَافِظَاتِ» فوجهن التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٢

و حذف من الثاني لدلالة الكلام عليه «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ» الله كثيراً، و حذف مثل ما قلناه. ثم قال «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» يعني من قدم ذكرهم و وصفهم «مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا» يعني ثواباً جزيلاً. لا يوازيه شيء.

وقيل: إن سبب نزول هذه الآية ان أم سلمة قالت: يا رسول الله ما للرجال يذكرون في القرآن و لا يذكر النساء؟ فنزلت الآية. فلذلك قال «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ» و إن كن المسلمات داخلات في قوله «المسلمين» تغليبا للمذكر فذكرهن بلفظ يخصهن إزالة للشبهة.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ حَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٣

خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة «ان يكون لهم الخيرة» بالياء، لان التانيث غير حقيقي.

الباقون بالتاء لتانيث الخيرة. والخيرة جمع خير وحكى خيرة بفتح الياء وسكونها وقرأ عاصم «و خاتم» بفتح التاء، الباقون بكسرهما. وهو الأقوى، لأنه مشتق من ختم، فهو خاتم. وقال الحسن: خاتم وهو الذي ختم به الأنبياء. وقيل: هما لغتان - فتح التاء وكسرهما - وفيه لغة ثالثة (خاتام) وقرئ به في الشواذ. وحكى ايضاً (ختام).

وروى عن ابن عباس، وذهب اليه مجاهد، و قتادة أنه نزل قوله «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ...» الآية، في زينب بنت جحش، لما خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد بن حارثة فامتنعت لنسبها من قريش وإن زيدا كان عبداً، فأنزل الله الآية فرضيت به. وقال ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله فزوجها زيد بن حارثة. بين الله تعالى في هذه الآية انه لم يكن «لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا» بمعنى إلزاماً وحكما «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» اي ليس لهم أن يتخيروا مع امر الله بشيء يترك به ما امر به الى ما لم يأذن فيه. والخيرة إرادة اختيار الشيء على غيره. وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة في القضاء والقدر، لأنه لو كان الله تعالى قضى المعاصي لم يكن لأحد الخيرة، ولوجب التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٤

عليه الوفاء به. ومن خالف في ذلك كان عاصياً، وذلك خلاف الإجماع.

ثم قال «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في ما قضيا به و امرا به و خالفهما «فَقَدْ ضَلَّ» عن الحق و خاب عنه «ضَلَالًا مُبِينًا» أى ظاهراً. ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال و آله فقال و اذكر يا محمد حين «تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» يعنى بالهداية الى الايمان «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالعق «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» أى احبسها، ولا تطلقها،

لأن زيدا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله و آله مخاصما زوجته زينب بنت جحش على ان يطلقها، فوعظه النبي صلى الله عليه وآله، و قال له: لا تطلقها و أمسكها

«وَأَتَّقِ اللَّهَ» في مفارقتها «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» فالذى أخفى في نفسه انه إن طلقها زيد تزوجها و خشى من إظهار هذا للناس، و كان الله تعالى أمره بتزوجها إذا طلقها زيد، فقال الله تعالى له ان تركت إظهار هذا خشيته الناس فترك إضماره خشيته الله أحق و أولى. وقال الحسن: معناه و تخشى عيب الناس. و روى عن عائشة انها قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من الوحي لكنتم «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» و

قيل: إن زيدا لما جاء مخاصما زوجته، فرآها النبي صلى الله عليه وآله استحسنها و تمنى ان يفارقها زيد حتى يتزوجها، فكنتم.

قال البلخي: و هذا جائز، لأن هذا التمني هو ما طبع الله عليه البشر، فلا شيء على احد إذا تمنى شيئاً استحسنه.



ثم قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) فالوطر الارب والحاجة وقضاء الشهوة يقال: لى فى هذا وطر، أى حاجة و شهوة، قال الشاعر:

و دعنى قبل ان أودعه لما قضى من شبابنا وطرا «١»

و قال آخر:

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٥

و كيف ثواى بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

و قوله (زوجناكها) يعنى لما طلق زيد امرأته زينب بنت جحش اذن الله تعالى لنبىه فى تزويجها، و أراد بذلك نسخ ما كان عليه اهل الجاهلية من تحريم زوجة الدعى على ما بيناه، و هو قوله (لكنى لا- يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ) اى اثم فى أزواج ادعيائهم أن يتزوجوهن (إذا قضوا) الأديعاء (منهن وطراً) و فارقوهن، فبين الله تعالى ان الغرض بهذا ان لا يكون المتبنى به إذا طلق المرأة يجرى مجرى تحريم امرأة الابن إذا طلقت او مات عنها الابن.

و قوله (وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) معناه و

كان تزويج النبى صلى الله عليه و آله زينب بنت جحش كائناً لا محالة.

و استدل بقوله (وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) على حدوث كلام الله، لأن الله تعالى قص كلامه. و قد بين أنه مفعول، و المفعول و المحدث واحد. ثم قال تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له) أى لم يكن عليه إثم فى ما قدره الله أن يتزوج زينب بنت جحش التى كانت زوجة زيد، و إن كان دعياً له، و فى جمعه بين التسع. و قال (سَيِّئَةٌ لِلَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أى ما أمرنا به محمداً من هذه السنن و العادات مثل سنه من تقدم من الأنبياء، و ما أمرهم الله تعالى به، لأنه تعالى أباح لكل نبى شيئاً خصه به و رفع به شأنه من بين سائر الأمم (وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا) فالقدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة و لا نقصان، قال الشاعر:

و اعلم بان ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر «١»

(١) مر تخريجه فى ٦ / ٤٩٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٦

و قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ) و لا يكتونها بل يؤدونها الى من بعثوا اليهم (وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) أى لا يخافون سوى الله احداً و قوله (وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) أى كافياً و مجازياً. ثم قال (ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) نزلت فى زيد بن حارثة لأنهم كانوا يسمونه: زيد بن محمد، فبين الله تعالى ان النبى ليس ب (أب احد) منهم من الرجال و إنما هو ابو القاسم و الطيب و المطهر و إبراهيم، و كلهم درجوا فى الصغر. ذكره قتادة. ثم قال (و لكن) كان (رسول الله) و نصب بإضمار (كان) و تقديره و لكن كان رسول الله صلى الله عليه و آله، و روى عبد الوارث عن أبى عمرو (و لكن) بالتحديد (رسول الله) نصب ب (لكن) (وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) أى آخرهم، لأنه لا نبى بعده الى يوم القيامة (وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أى عالماً لا يخفى عليه شىء مما يصلح العباد. و قيل إنما ذكر (وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) هاهنا، لان المعنى أن من لا يصلح بهذا النبى الذى هو آخر الأنبياء، فهو ما يوس من صلاحه من حيث انه ليس بعده نبى يصلح به الخلق. و من استدل بهذه الآية، و هى قوله (ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) على انه لم يكن الحسن و الحسين عليهما السلام ابنيه، فقد أبعده، لان الحسن و الحسين كانا طفلين، كما انه كان أباً إبراهيم و إنما بقى أن لا يكون أباً للرجال البالغين.

## قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ إلى ٤٨] ..... ص: ٣٤٦

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٤٥)

وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعَا أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (٤٨)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٧

ثمان آيات.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانيته المقربين بصدق أنبيائه، يأمرهم بأن يذكروا الله ذكراً كثيراً، و الذكر الكثير أن نذكره بصفاته التي يختص بها، و لا يشاركه فيها غيره، و نزرهه عما لا يليق به. و

روى في اخبارنا أن من قال: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله اكبر ثلاثين مرة، فقد ذكر الله كثيراً

، و كل صفة لله تعالى فهي صفة تعظيم، و إذا ذكر بأنه شيء و جب أن يقال: إنه شيء لا كالأشياء، و كذلك احد ليس كمثل شيء و كذلك القديم هو الأول قبل كل شيء، و الباقي بعد فناء كل شيء. و لا يجوز أن يذكر بفعل ليس فيه تعظيم، لان جميع ما يفعله يستحق به الحمد و الوصف بالجميل على جهة التعظيم، مثل الذكر بالغنى و الكرم بما يوجب اتساع النعم، و الذكر إحضار معنى الصفة للنفس إما بإيجاد المعنى في النفس ابتداء من غير طلب. و الآخر بالطلب من جهة الفكر. و الذكر قد يجامع العلم، و قد يجامع الشك. و العلم لا يجامع الشك في الشيء على وجه واحد. و الذكر أيضاً يضاد السهو، و لا يضاد الشك، كما يضاده العلم. و قوله (وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أمر لهم بأن يزهوا الله تعالى عن كل قبيح و جميع ما لا يليق به، بالغداة التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٤٨ و العشى: قال قتادة: يعنى صلاة الغداة و صلاة العصر، و الأصيل العشى و جمعه أصائل، و يقال اصل و آصال، و هو اصل الليل أى اوله و مبدؤه، و قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) يترحم عليكم بإيجاب الرحمة، و يصلى عليكم الملائكة بالدعاء و الاستغفار، فالأول كالدعاء، و الثانى دعاء، و قيل: معناه يثنى عليكم بطريقة الدعاء، كقوله عليك رحمتى و مغفرتى. و قيل: معناه هو الذى يوجب عليكم الصلاة، و هى الدعاء بالخير، و يوجب الملائكة بفعل الدعاء، و هذا مما يختلف فيه معنى صفة الله تعالى و صفة العباد، كتواب بمعنى كثير القبول للتوبة و تواب بمعنى كثير فعل التوبة، و قال الأعشى:

عليك مثل الذى صليت فاعتصمى يوماً فان لجنب المرء مضطجعا (١)

فمن رفع (مثل) فإنما دعا لها مثل ما دعت له. و من نصب أمرها بأن تزداد من الدعاء أى عليك بمثل ما قلت. و قوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) معناه ليخرجكم من الجهل بالله الى معرفته، فشبّه الجهل بالظلمات، و المعرفة بالنور. و انما شبه العلم بالنور، لأنه يقود الى الجنة، فهو كالنور. و الكفر يقود الى النار - نعوذ بالله منها - و قال ابن زيد: معناه ليخرجكم من الضلالة الى الهدى.

ثم اخبر تعالى انه (كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) حين قبل توبتهم و خلصهم من العقاب الى الثواب بما لطف لهم فى فعله. و قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) أى يحيى بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات و الفوز بنعيم ثواب الله. و لقاء الله لقاء ثوابه لا رؤيته، لأنه بمنزلة قوله

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٠٦ و قد مر فى ٣٣١ / ٥ من هذا الكتاب.

(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) «١» و بمنزلة

قول النبي صلى الله عليه وآله (من حلف على يمين كاذبه يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان)

و لا خلاف أن هؤلاء لا يرون الله. وقوله (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) أى ثواباً جزيلاً.

ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) أى شاهداً على أمتك فى ما يفعلونه من طاعة الله او معصيته او إيمان به او كفر، لتشهد لهم يوم القيامة او عليهم، فأجازيهم بحسبه، و مبشراً لهم بالجنة و ثواب الأبد إن أطاعوني و اجتنبوا معصيتي. (و نذيراً) أى مخوفاً من النار و عقاب الأبد بارتكاب المعاصى و ترك الواجبات (و داعياً) أى و بعثناك داعياً لهم تدعوهم (إِلَى اللَّهِ يَازِّنِيهِ) و الإقرار بوحدانيته و امتثال ما أمرهم به، و الانتهاء عما نهاهم عنه (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) أى انت بمنزلة السراج الذى يهتدى به الخلق. و المنير هو الذى يصدر النور من جهته إما بفعله، و إما لأنه سبب له، فالقمر منير، و السراج منير بهذا المعنى، و الله منير السموات و الأرض.

و قال الزجاج (و دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَازِّنِيهِ وَ سِرَاجًا) و بعثناك ذا سراج، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه و أراد بالسراج القرآن الذى يحتاجون الى العمل به.

ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله بأن (بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) أى زيادة على ما يستحقونه من الثواب كثيراً. ثم نهاه عن طاعة الكفار الجاحدين لله و المنكرين لنبوته فقال (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ) الذين يتظاهرون بالكفر، و لا «المنافقين» الذين يظهرن الإسلام، و يبطنون الكفر، و لا تساعدهم على ما يريدونه (وَدَعُ أَذَاهُمْ) أى اعرض عن أذاهم فانا أكفيك أمرهم إذا توكلت على، و عملت بطاعتي فان جميعهم فى سلطاني

(١) سورة ٩ التوبة آية ٧٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٠

بمنزلة ما هو فى قبضة غيرى. ثم قال (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى أسند أمرك اليه و اكتف به (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا) أى كافياً و متكفلاً ما يسنده اليه. و قوله (شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، و داعياً، و سراجاً) كل ذلك نصب على الحال.

**قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٥٠] ..... ص: ٣٥٠**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمَّكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالَكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

آيتان.

قرأ حمزة و الكسائي (تماسوهن) بألف. الباقون بلا الف. و قد مضى تفسيره فى البقرة «١».

(١) انظر ٢/ ٢٦٨-٢٧٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥١

خاطب الله نبيه بأنه إذا نكح واحد من المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل ان يمسه

بمعنى قبل ان يدخل بها بأنه لا عدة عليها منه، و يجوز لها أن تتزوج بغيره في الحال. و أمرهم أن يمتعوها و يسرحوها سراحاً جميلاً، الى بيت أهلها. و هذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهراً و إن كان سمي لها مهراً لزمه نصف المهر، و يستحب المتعة مع ذلك، و فيه خلاف. و قال ابن عباس: إن كان سمي لها صداقاً فليس لها إلا نصف المهر، و إن لم يكن سمي لها صداقاً متعها على قدر عسره او يسره و هو السراح الجميل. و هذا مثل قولنا سواء. و حكى عن ابن عباس أن هذه الآية نسخت بإيجاب المهر المذكور في البقرة (١) و مثله روى عن سعيد بن المسيب و الصحيح الأول. ثم خاطب النبي صلى الله عليه و آله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) يعنى مهورهن، لأن النكاح لا ينفك من المهر و أحللنا لك ما ملكت من الإماء أن تجمع منهن ما شئت (مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) من الغنائم و الانفال (وَبَنَاتِ عَمَّكَ) أى و أحللنا لك بنات عمك (وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ) و بنات خالاتك اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) أن تعقد عليهن و تعطيهن مهورهن.

ثم قال (وَأَمْرًاؤُا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) فالقراء كلهم على كسر (ان) على انه شرط، و قرأ الحسن بفتحها على انه بمعنى أحللنا لك لان وهبت، و المعنى واحد، لأنه بمنزلة قولك سرنى إن ملكت و سرنى أى سرنى ما ملكت (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ) و أحللنا لك المرأة إذا وهبت نفسها لك إن أردتها و رغبت فيها. فروى عن ابن عباس انه لا تحل امرأة بغير مهر و إن وهبت نفسها إلا للنبي

(١) انظر ٢/ ٢٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٢

صلى الله عليه و آله خاصة. و قال ابن عباس: لم يكن عند النبي امرأة وهبت نفسها له، و فى رواية أخرى عن ابن عباس انه كانت عنده ميمونة بنت الحارث بلا مهر و كانت وهبت نفسها للنبي. و

روى عن على بن الحسين عليه السلام أنها امرأة من بنى اسد يقال لها أم شريك.

و قال الشعبي: هى امرأة من الأنصار. و قيل زينب بنت خزيمة من الأنصار. و عندنا أن النكاح بلفظ الهبة لا يصح و إنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه و آله خاصة. و قال قوم: يصح غير انه يلزم المهر إذا دخل بها، و إنما جاز بلا مهر للنبي صلى الله عليه و آله خاصة غير انه يبين حجة ما قلناه. قوله (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين.

و قوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ) يعنى على المؤمنين (فى أزواجهم) قال قتادة: معناه أى لا نكاح الا بولى و شاهدين و صداق و ألا يتجاوز الأربع.

و قال مجاهد: ما فرضنا عليهم ألا يتزوجوا اكثر من أربع. و قال قوم (ما فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِى أَزْوَاجِهِمْ) من النفقة و القسمة و غير ذلك. و عندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد، و لا الولي إذا كانت المرأة بالغة رشيدة، لأنها ولية نفسها. و المعنى على مذهبنا إنا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهن و نفقتهن و غير ذلك و من الحقوق مع (ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (ما) فى موضع جر لأنها عطف على (فى) و تقديره: فى أزواجهم و فى ما ملكت أيمانهم (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) إذا تزوجت المرأة بغير مهر إذا وهبت لك نفسها و أردتها. ثم قال (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى ساتراً للذنب على المسيئين رحيماً بهم و منعماً عليهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٣

قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص: ٣٥٣

تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَلَا يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) - لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ

أَزْوَاجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِجَدِثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُوْذَى النَّبِيَّ فَيَسِيءَ تَحِيْبِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسِيءُ تَحِيْبِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسِئْلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٤

خمس آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (ترجى) مهموزة. الباقون بغير همز. من همز خفها و من ترك الهمز لين، و هما لغتان يقال: أرجئت و أرجيت. و قرأ ابو عمرو وحده (لا- تحل) بالتاء. الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء، فلان النساء مؤنثة. و من قرأ بالياء حمله على اللفظ لأن المعنى: لا يحل لك شيء من النساء.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه و آله يخيره في نسائه بين أن يرجى منهن من شاء أى تؤخر و تبعد. قال ابن عباس: خيره الله بين طلاقهن و إمساكهن. و قال قوم: معناه تترك نكاح من شئت و تنكح من شئت من نساء أمتك. و قال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائك فلا- تأتيها و تأتي من شئت من نسائك فلا تقسم لها، فعلى هذا يكون القسم ساقطاً عنه فكان ممن أرجى ميمونة و أم حبيبة و صفية و سودة، فكان يقسم لهن من نفسه و ماله ما شاء، و كان ممن يأوى عائشة و حفصة و أم سلمة و زينب، فكان يقسم نفسه و ماله بينهن بالسوية. و قال زيد بن اسلم: نزلت فى اللاتي وهبن انفسهن فقال الله له تزوج من شئت منهن و اترك من شئت، و هو اختيار الطبرى و هو أليق بما تقدم. فالارجاء هو التأخير و هو من تبعد وقت الشيء عن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٥

وقت غيره و منه الارجاء فى فساق أهل الصلاة، و هو تأخير حكمهم بالعقاب الى الله (وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فالايواء: ضم القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما يعقل الى غيره أو ناحيته، تقول آويت الإنسان آويه إيواء و أوى هو يأوى أويًا إذا انضم الى مأواه. و قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ) يعنى من طلبت (ممن عزلت) قال قتادة: كان نبي الله يقسم بين أزواجه فأحل الله تعالى له ترك ذلك. و قيل (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ) أصابته ممن كنت عزلت عن ذلك من نسائك. و قال الحسن (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) تذكر المرأة للترويج ثم ترجيها فلا تتزوجها (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) أى لا جناح عليك فى ابتغاء من شئت و إرجاء من عزلت و إيواء من شئت (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَ) أى اقرب إذا علمن أن الرخصة من قبل الله كان ذلك أقر لعينهن، و إنهن لا يطلقن و أشد لسروهن. و هو قول قتادة، و قيل (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ) إذا طمعت فى ردها الى فراشها بعد عزلها (وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) رفع (كلهن) على تأكيد الضمير و هو النون فى (يرضين) لا يجوز غير ذلك، لان المعنى عليه. ثم قال (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من الرضا و السخط و الميل الى بعض النساء دون بعض (وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بذلك (حليماً) عن ان يعاجل أحداً بالعقوبة.

و قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) قال ابن عباس و الحسن: بعد التسع اللاتي كن عنده و اخترنه مكافأه لهن على اختيارهن الله و رسوله. و قال أبى بن كعب لا يحل لك من بعد أى حرم عليك ما عدا اللواتى ذكرن بالتحليل فى «إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ...» الآية. و هن ست أجناس النساء اللاتي هاجرن معك و إعطاهن مهورهن و بنات عمه و بنات عماته و بنات خاله التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٦

و بنات خالاته اللاتي هاجرن معه، و من وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد، و لا يحل له غيرهن من النساء. و قال مجاهد: «لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ» من أهل الكتاب و يحل لك المسلمات.

و روى أن حكم هذه الآية نسخ، و أبيض له ما شاء من النساء أى جنس أراد، و كم أراد، فروى عن عائشة أنها قالت: لم يخرج النبي صلى الله عليه و آله من دار الدنيا حتى حلل الله له ما أراد من النساء، و هو مذهب أكثر الفقهاء. و هو المروى عن أصحابنا فى أخبارنا.

«وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» قال ابن زيد: معناه أن تعطى زوجتك لغيرك و تأخذ زوجته. لأن أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات. و قيل:

معناه تطلق واحدة و تتزوج أخرى بعدها «وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» استثناء الإماء أى اللاتي تملكهن من جملة ما حرم عليه من النساء «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا» أى عالماً حافظاً، فالرقيب الحفيظ - فى قول الحسن و قتاده - قال الشاعر:

لواحد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد «١»

ثم خاطب المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» نهاهم عن دخول دور النبي بغير اذن «إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءً» أى بلوغه، و كان يداريهم، و هو نصب على الحال، يقال فى الطعام: أنأى يأنى إذا بلغ حال النضج، قال الشاعر [الشياني].

تمخضت المنون له بيوم انى و لكل حادثه تمام «٢»

و قال الحطيئة:

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٤٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٧

و أخرج

العشاء الى سبيل او الشعرى فطال بى الإناء «١»

و قال البصريون: لا يجوز (غير ناظرين) بالجر على صفة (طعام) لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له لم يضمم الضمير، و أجاز ذلك الفراء و انشد الأعشى:

فقلت له هذه هاتها إلينا بأدماء مقتادها «٢»

و المعنى على يدى من اقتادها، و قال الكسائى: سمعت العرب تقول: يدك باسطها، أى انت. و قال الزجاج: لو جر (غير) لقال: الى طعام غير ناظرين إناء أنتم، لا يجوز إلا ذلك. و المعنى غير منتظرين بلوغ الطعام.

ثم قال «وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا» و المعنى إذا دعيتم الى طعام فادخلوا «فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» أى تفرقوا و لا تقيموا و لا تستأنسوا بطول الحديث، و إنما منعوا من الاستئناس من اجل طول الحديث لأن الجلوس يقتضى ذلك، و الاستئناس هو ضد الاستيحاش، و الانس ضد الوحشة، و بين تعالى فقال «لأن ذلك» الاستئناس بطول الجلوس «كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ» أى من الحاضرين، فيسكت على مضض و مشقة «وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ» ثم قال «وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا» يعنى إذا سألتم أزواج النبي شيئاً تحتاجون اليه «فَسئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» و ستر «ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» من الميل الى الفجور.

ثم قال «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» قال ابو عبيدة (كان) زائدة و المعنى ليس «لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» بطول الجلوس عنده، و مكالمه نساءه

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٦.



(٢) ديوانه (دار بيروت) روايته:

فقلنا له هذه هاتها بأدماء في حبل مقتادها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٨

«و لا» يحل لكم ايضاً «أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا» لأنهن صرن بمنزلة أمهاتكم في التحريم. وقال السدي: لما نزل الحجاب قال رجل من بنى تيم أن حجب من بنات عمنا إن مات عرسنا بهن، فنزل قوله «و لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ» إن فعلتموه «كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا».

ثم قال لهم «إِنْ تَيَدُوا شَيْئًا» أى إن اظهرتموه من موقعة النساء «أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» لا يخفى عليه شىء من أعمالكم لا ظاهرة ولا باطنة. ثم استثنى لآزواج النبي صلى الله عليه وآله من يجوز لها محادثتهم ومكالمتهم، فقال «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» و لم يذكر العم والخال لأنه مفهوم من الكلام، لان قرباتهم واحدة، لأنهن لا يحللن لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه، فهن محرم لهن «و لا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» قال قوم: من النساء والرجال. وقال آخرون من النساء خاصة. وهو الأصح. وقال مجاهد: رفع الجناح - هاهنا - فى وضع الجلباب للمذكورين.

وقال قتادة: فى ترك الاحتجاب، ثم أمرهن بأن يتقين الله و يتركن معاصيه فقال «و اتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيداً» أى عالمًا لا يخفى عليه شىء من ذلك. وقال الشعبي و عكرمة: و إنما لم يذكر العم والخال، لئلا ينعتهن لابنائهما. و كان سبب نزول الآية لما نزل الحجاب، قوله «فَشَيْئُلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» قال آباء النساء و ابناؤهن: و نحن ايضاً مثل ذلك، فانزل الله الآية و بين أن حكم هؤلاء بخلاف حكم الأجانب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٥٩

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص: ٣٥٩

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كُنْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ قَدْ اِحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)

خمس آيات يقول الله تعالى مخبراً انه يصلى و ملائكته على النبي صلى الله عليه وآله و صلاة الله تعالى هو ما فعله به من كراماته و تفضيله و إعلاءه درجاته و رفع منازلته و ثنائه عليه و غير ذلك من انواع إكرامه. و صلاة الملائكة عليه مسألتهم الله تعالى أن يفعل به مثل ذلك، و زعم بعضهم أن «يصلون» فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع إقراره بأن الله سبحانه يصلى على النبي لكنه يذهب فى ذلك الى انه فى افراده بالذکر تعظيماً، ذكره الجبائى. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٠

ثم امر تعالى المؤمنين المصدقين بواحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا ايضاً عليه، و هو أن يقولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم - فى قول ابن عباس.

ثم أمر المؤمنين ايضاً، ان يسلموا لأمره تعالى و أمر رسوله تسليماً، فى جميع ما يأمرهم به. و التسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم سلمك الله. و السلام عليك و رحمته الله و بركاته. و كقولك: السلام عليك يا رسول الله.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» و أذى الله يقال هو أذى أوليائه، و انما أضافه الى نفسه تعظيماً لأوليائه و مبالغة فى عظم المعصية به «لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى يستحقون اللعنة من الله، لان معنى «لعنهم الله» أى حل بهم و بال اللعن بالابعاد من رحمته الله. و قول القائل:

لعن الله فلاناً معناه الدعاء عليه بالابعاد من رحمته. وقوله «فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ» أى هم مبعدون من رحمته تعالى فى الدنيا والآخرة، و مع ذلك «أَعِيدَ لَهُمْ» فى الآخرة «عَذَاباً مُّهِيناً» أى مذلاً لهم، و الهوان الاحتقار، يقال: اهانه اهانه، و إنما وصف العذاب بأنه مهين، لأنه تعالى يهين الكافرين و الفاسقين به، حتى يظهر الذلّة فيه عند العقاب.

ثم قال «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا» يعنى يؤذونهم من غير استحقاق على شىء فعلوه يستوجبون به ذلك «فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً...».

و كان سبب نزول الآية ان قوماً من الزناة كانوا يمشون فى الطرقات فإذا رأوا امرأة غمزوها. و قال النقاش: نزلت فى قوم كانوا يؤذون علياً عليه السلام و قيل: نزلت فى من تكلم فى عائشة فى قصة الافك. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦١

و قوله «فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً» أى كذباً «وَ إِنَّمَا مُّبِيناً» أى ظاهراً. ثم خاطب النبى صلى الله عليه و آله يقوله «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» و أمره بأن يقول لأزواجه و بناته و نساء المؤمنين، و يأمرهم بأن يدين عليهم من جلايبهن، فالجلايب جمع جلباب و هو خمار المرأة و هى المقنعة تغطى جبيتها و رأسها إذا خرجت لحاجته بخلاف خروج الإماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤوس و الجباه- فى قول ابن عباس و مجاهد- و قال الحسن: الجلايب الملاحف تدينها المرأة على وجهها «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» ثم قال «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» أى ستار الذنوب على عباده «رحيماً» بهم.

ثم قال لنبىه صلى الله عليه و آله «لَيْسَ لَكَ يَنْتَهِي الْمُنَافِقُونَ» أى لئن لم يرجعوا «وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق. و قيل: شهوة الزنا «وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» فالارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به و المرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين «لَتُعْرِبَنَّكَ بِهِمْ» يا محمد، و الإغراء الدعاء الى تناول الشىء بالتحريض عليه اغراه يغريه اغراء و غرى به يغرى مثل اولع به كأنه أخذ بلزومه. و قيل: معناه لنسلطنك عليهم- فى قول ابن عباس-

و قوله «ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً» يعنى ينفون عن المدينة و لا يجاورنك يا محمد فيها.

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص: ٣٦١

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢) يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (٦٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٢

خمس آيات.

لما أخبر الله تعالى، و توعده «الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك «وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» بما يشغل قلوب المؤمنين و أنهم إن لم يتوبوا عن ذلك نفوا عنها، و صنفهم بأنهم «ملعونين» أى مبعدون «أَيْنَمَا ثُقِفُوا» و نصب (ملعونين) على الحال من الضمير فى قوله «يجاورونك» و قيل: انه نصب على الدم، و الصفة ل (قليلاً)، كأنه قال: إلا أذلاء ملعونين، (و أينما) منصوب ب (ثقفوا)، و انجزم به (ثقفوا) على طريق الجزاء. و إنما جاز ذلك، لأن الجازم فى الأصل (إن) المحذوفه، و صار (أينما) تقوم مقامها، و تغنى عنها و لا يجوز ان يعمل فيه (أخذوا) لأنه جواب الجزاء، و لا يعمل الجواب فيما قبل الشرط، لئلا يختلط احد الأمرين بالآخر.

و فى الآية دلالة على انهم انتهوا، و إلا كان يوقع الإغراء بهم و يجعلهم بالصفة التى ذكرها.

و قوله «سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» فالسنة الطريقة فى تدبير الحكيم و منه سنة رسول الله، و هى الطريقة التى أجزاها بأمر الله تعالى، فأضيفت اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٣

لأنه فعلها بأمر الله. و اصل السنة الطريقة. و من عمل الشىء مرة أو مرتين لا يقال: إن ذلك سنة، لأن السنة الطريقة الجارية، و لا تكون

جارية بما لا يعتد به من العمل القليل، و سنة الله في المتمردين في الكفر- الذين لا يقلع احد منهم و لا من نسلهم- الإهلاك في العذاب في الدنيا و الآخرة.

وقوله «وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» معناه إن السنة التي أراد الله أن يسنها في عباده لا يتهدأ لأحد تغييرها، و لا قلبها عن وجهها لأنه تعالى القادر الذي لا يتهدأ لأحد منعه مما أراد فعله.

ثم قال «يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ» يعنى عن يوم القيامة «قل» لهم «إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها أحد غيره «وَمَا يُدْرِيكَ» يا محمد «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» مجيئها.

ثم قال تعالى مخبراً «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ» يعنى أبعدهم من رحمته «وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» يعنى النار التي تستعر و تلتهب «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى مؤبدين فيها لا يخرجون منها و «لَا يَجِدُونَ وِلْيًا» ينصرهم من دون الله «وَلَا نَصِيرًا» يدفع عنهم.

و استدل قوم بذلك على النار أنها مخلوقة الآن، لان ما لا يكون مخلوقاً لا يكون معداً. و هذا ضعيف، لأنه يجوز أن يكون المراد إن الجنة و النار معدتان في الحكم كائتان لا محالة، فلا يمكن الاعتماد على ذلك.

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٦ الى ٦٩] ..... ص: ٣٦٣

يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٤

آيات أربع.

قرأ ابن عامر و يعقوب «ساداتنا» بألف بعد الدال. الباقون بغير الف على جمع التكسير، و الأول على جمع الجمع، و قرأ عاصم و ابن عامر- في رواية الداحوني عن هشام «لعناً كبيراً» بالباء. بالباقون بالثاء.

العامل في قوله «يوم ثقل وجوههم» قوله «وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ... يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ» فالتقلب تصريح الشئ في الجهات، و مثله التنقل من جهة الى جهة فهؤلاء ثقل وجوههم في النار، لأنه ابلغ في ما يصل اليهم من العذاب. و قوله «يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» حكاية ما يقول هؤلاء الكفار الذين ثقل وجوههم في النار، فإنهم يقولون متمنين: يا ليتنا كنا اطعنا الله في ما أمرنا به و نهانا عنه، و يا ليتنا اطعنا الرسول في ما دعانا اليه. و حكى ايضاً انهم يقولون يا «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا» في ما فعلنا «سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا» و السادة جمع سيد، و هو الملك المعظم الذي يملك تدبير السواد الأعظم، و يقال للجمع الأكثر السواد الأعظم يراد به السواد المنافي لشدة البياض و الضياء الأعظم «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» يعنى هؤلاء الرؤساء أضلونا عن سبيل الحق.

وقيل الآية نزلت في الاثنى عشر الذين أطعموا الكفار يوم بدر من قريش. ثم حكى انهم يقولون «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ» لضلالهم في التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٥

نفوسهم و إضلالهم إيانا. و قيل معناه عذاب الدنيا و الآخرة «وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» أى مرة بعد اخرى. و من قرأ بالباء أراد اللعن الذي هو اكبر من لعن الفاسق، لان لعنة الكافر أعظم.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى أَى لَا تَوَدُّوا نَبِيَكُمْ مِثْلَ مَا آذَى مُوسَى يَعْنَى آذَاهُ قَوْمَهُ بَعِيبٌ أَضَافُوهُ إِلَيْهِ لَمْ يَقُمْ حُجَّةً بِتَعْيِيهِ. و قيل: إن الآية نزلت في المنافقين عابوا النبي صلى الله عليه و آله باصطفائه صفيه بنت حى، فنهاهم الله عن ذلك. و اختلف المفسرون في العيب الذي اضافه قوم موسى اليه. فقال قوم: انهم آذوا موسى بأن أشاعوا أن هارون قتله موسى فأحياه الله- عز و جل- حتى أخبرهم ان موسى لم يقتله و أن الله تعالى هو الذى أماته عند انقضاء أجله، و هو معنى

قوله «فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا» وقيل: انهم قالوا: إنه أبرص. وقيل: انهم أضافوه الى انه أدر الخصيتين، فبرأه الله من ذلك، و أجاز البلخي حديث الصخرة التي ترك موسى ثيابه عليها على ان يكون ذلك معجزاً له. و قال قوم: ذلك لا يجوز لأن فيه اشتهاار النبي و إبداء سواته على رؤس الأشهاد.. و ذلك ينفر عنه، فبرأه الله من ذلك.

و قوله «وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً» أى عظيم القدر، رفيع المنزلة إذا سأل الله تعالى شيئاً أعطاه. و أثبت الألف فى قوله «الرسولاً ... و السبب» لأجل الفواصل فى رؤس الآى تشبيهاً بالقوافى.

### قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣] ..... ص : ٣٦٥

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أشفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) لِيَعْدِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٧٣)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٦

أربع آيات.

امر الله تعالى المصدقين بوحدانيته المقربين بنبوة نبيه بأن يتقوا عقابه باجتنااب معاصيه و فعل واجباته و أن يقولوا «قولا سديداً» أى صواباً بريئاً من الفساد خالصاً من شائب الكذب و التمويه و اللغو. و قوله «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» جزم بأنه جواب للأمر، و فيه معنى الجزاء. و تقديره: إن فعلتم ما أمرتكم به يصلح لكم أعمالكم. و إصلاحه أعمال العباد أن يلفظ لهم فيها حتى تستقيم على الطريقة السليمة من الفساد، و ذلك مما لا يصح إلا فى صفات الله تعالى، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء العالم الذى لا يخفى عليه شىء «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» قيل: إنما وعد الله بغفران الذنوب عند القول السديد، و لم يذكر التوبة، لأن التوبة داخله فى الأقوال السديده، كما يدخل فيه تجنّب الكذب فى كل الأمور فيدخل فيه الدعاء الى الحق و ترك الكفر و الهزل و اجتناب الكلام القبيح.

ثم قال «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى ما أمراه به و نهياه عنه و دعواه اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٧

«فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً» أى أفلح فلاحاً عظيماً، لأنه يفوز بالجنة، و الثواب الدائم. و قيل: معناه فقد ظفر بالكرامة من الله و الرضوان، و هو الفوز العظيم.

ثم اخبر تعالى بأنه عرض الأمانة على السموات و الأرض، فالأمانة هى العقد الذى يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، و قد عظم الله شأن الأمانة فى هذه الآيه و أمر بالوفاء بها، و هو الذى امر به فى أول سورة المائدة و عناه بقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، و قيل فى قوله «عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ» مع أن هذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها أقوال:

أحدها- ان المراد عرضنا على اهل السموات و اهل الأرض و اهل الجبال و ثانيها- ان المعنى فى ذلك تفخيم شأن الأمانة و تعظيم حقها، و أن من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال و السموات و الأرض مع عظمها، و كانت تعلم بأمرها لأشفقت منها، غير انه خرج مخرج الواقع لأنه ابلغ من المقدر، و قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» أى منعن ان يحملن الأمانة «وَ أشفَقْنَ مِنْهَا» أى خفن من حملها «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً» أى ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصى، جهولاً بموضع الأمانة و استحقاق العقاب على ارتكاب المعاصى و قال ابن عباس: معنى الأمانة الطاعة لله، و قيل لها أمانة لأن العبد أوتمن عليها بالتمكين منها و من تركها. و قال تعالى «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «١» فرغب فى الأحسن، و زهد فى تركه. و قيل: من الأمانة ان المرأة أوتمنت على فرجها و الرجل على فرجه ان يحفظاهما من الفاحشه. و قيل: الامانة ما خلق الله تعالى فى هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته و ظهور ذلك منها، كأنهم أظهرها

(١) سورة ١١ هود آية ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٨

والإنسان جحد ذلك و كفر به. و فائدة هذا العرض إظهار ما يجب من حفظها و عظم المعصية في تضييعها.

و قيل معنى «حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ» أى خانها، لأن من خان الأمانة فقد حملها و كذلك كل من اثم فقد حمل الإثم، كما قال تعالى «وَ لِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالَهُمْ مَعَ أَثْقَالِهِمْ» (١) و قال البلخي: يجوز ان يكون معنى العرض و الالباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام، بل انما أراد تعالى أن يخبر بعظم شأن الامانة و جلاله قدرها، و فظاعه خيانتها و ترك أدائها، و انه أوجد السموات مع عظمها لا تحملها و إن الإنسان حملها، و ليس الإنسان- هاهنا- واحداً بعينه، و لا هو المطيع المؤمن، بل هو كل من خان الأمانة و لم يرد الحق فيها، و حمل الإنسان الأمانة هو ضمانه القيام بها و أداء الحق فيها، لان ذلك طاعة منه لله، و اتباع لأمره و الله لا يعتب على طاعته و ما امر به و دعا اليه لكن معنى «حملها» انه احتملها ثم خانها و لم يؤد الحق فيها، كأنه حملها فذهب بها و احتمل وزرها، كما يقولون فلان أكل أمانته أى خان فيها، و العرب تقول: سألت الربع، و خاطبت الدار فأجابني بكذا، و قالت كذا، و ربما قالوا: فلم يجب، و امتنعت من الجواب، و ليس هناك سؤال و لا- جواب، و إنما هو اخبار عن الحال التي تدل عليه، و عبر عنه بذكر السؤال و الجواب، كما قال تعالى «أَتَيْتَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا» للسموات و الأرض «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (٢) و هو تعالى لا يخاطب من لا يفهم و لا يعقل، و قال تعالى (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) (٣) و نحن نعلم ان السموات لم تشعر بما كان من

(١) سورة ٢٩ العنكبوت آية ١٣.

(٢) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٢.

(٣) سورة ١٩ مريم آية ٩١-٩٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٦٩

الكفار و انه لا سبيل لها الى الانفطار في ذات نفسها، و يقول القائل آتيت بكذب لا تحتمله الجبال الراسيات، قال الشاعر:

فقال لى البحر إذ جثته كيف يجيز ضرير ضريرا

و قال جرير:

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع (١)

و قال آخر:

فاجهشت للتوباد حين رأيت و كبر للرحمن حين رأني

فقلت له أين الذين عهدتهم بجنيبك فى حضن و طيب زمان

فقال مضوا فاستودعوني بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدتان

و التوباد جبل، و قال آخر:

امتلاً الحوض و قال قطنى مهلاً رويداً قد ملأت بطنى (٢)

و قال بعض المحدثين:

يا قصر ويحك هل أوعيت من خبر فقال هل خير أنبا من العبر

قد كان يسكننى قوم ذو خطر بادوا على الدهر و الأيام و الغير

و قد أتانى و قرب العهد يذكرنى منصور أمتكم فى الشوك و الشجر

حتى أناخ على بابى فقلت له أما كفاك الذى نبئت من خبرى

إن لا أكن قلته نطقاً فقد كتبت به الحوادث في صخرى و في حجري  
خطاً قديماً جليلاً غير ذى عوج يقرأ بكل لسان ظاهر الأثر

(١) ديوانه ٢٧٠ و قد مر في ٣١٢/١، ٢٠٤ و ١٥٢/٧، ٢٠٩

(٢) مر في ١/٤٣١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٠

فحلنى ثم أفناه الزمان و لم يطق دفاعاً لما قد حم من قدر  
و كلهم قائل لى أنت لى و لمن خلفت من ولدى حظراً على البشر  
فما تملى بنو الآباء بعدهم و لا هم سكنوا إلا على غر

و قد قال بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، و  
العرض على وجوه يقال: عرضت المال و العمل على فلان، فهذا بالقول و الخطاب، و عرضت هذا الأمر على فكرى البارحة، و هذا أمر  
إن عرض على العقول لم تقبله، و منه قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرضت الحوض على الناقة و (الاباء) على وجوه:  
فمنه الامتناع و إن لم يكن قصد لذلك، و منه ألا- يصلح لما يريده، تقول: أردت سل سيفى فأبى على. و تقول: هذه الأرض تأبى  
الزرع و الغرس أى لا تصلح لهما، فعلى هذا يكون معنى قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» أى لا تصلح لحملها، و ليس فى طباعها حمل ذلك،  
لأنه لا يصلح لحمل الأمانة إلا من كان حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً. بل لا يلزم أن يكون سميعاً بصيراً، و إنما يكفى ان يكون حياً  
عالمياً قادراً. و قال قوم: معناه إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات و أهل الأرض و أهل الجبال، كما قال «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ  
الْأَرْضُ» (١) «أ» يعنى أهل السماء و أهل الأرض، فأبوا حملها على أن يؤدوا حق الله فيها إشفافاً من التقصير فى ذلك (وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)  
يعنى الكافر جهلاً- بحق الله و استخفافاً بعرضه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جهولاً) بما يلزمه القيام بحق الله، و إنما قال (فأبين) و لم يقل:  
فأبوا حملاً على اللفظ، و لم يردده الى معنى الآدميين، كما قال (وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لى ساجِدِينَ) (٢) و قوله

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٢٩.

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧١

(فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) (١) حملاً على المعنى دون اللفظ، و كل ذلك واضح بحمد الله.

ثم قال (لِيَعْبُدَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ) يعنى بتضييع الأمانة، و قال الحسن و قتادة: كلاهما خانا الأمانة  
(وَ يَتُوبَ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ) بحفظهما الأمانة لأنهما كليهما أديا الأمانة (وَ كَانَ اللّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى ستاراً لعيوب خلقه  
رحيماً بهم فى إسقاط عقابهم إذا تابوا و رجعوا الى الطاعة.

(١) سورة ٢٤ الشعراء آية ٤. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٢

٣٤- سورة سبأ ..... ص: ٣٧٢



مكية في قول مجاهد و قتاده: و الحسن و غيرهم ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.  
 و قيل إن آية واحدة منها مدنية، و هي قوله «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا...»  
 و هي أربع و خمسون آية عند الكل إلا الشامي فإنها عنده خمس و خمسون آية.

### [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٥] ..... ص: ٣٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ  
 مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ  
 لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصِغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ  
 عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ (٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٣

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائي «علام الغيب» بتشديد اللام و ألف بعدها و خفض الميم. و قرأه اهل المدينة و ابن عامر و رويس بألف قبل اللام  
 و تخفيف اللام و كسرهما و رفع الميم. الباقر كذلك إلا أنهم خفضوا الميم، و هم ابن كثير و أبو عمرو و عاصم و خلف و روح. و  
 قرأ ابن كثير و حفص و يعقوب (من رجز اليم) برفع الميم- هاهنا- و في الجاثية، و (معجزين) قد مضى ذكره، (١) و قرأ الكسائي  
 وحده (يعزب) بكسر الزاي. الباقر بضمها. و (الحمد) رفع بالابتداء و (لله) خبره.  
 و الحمد هو الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

و الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، و نقيضه الذم، و هو الوصف بالقيح على جهة التحقير، و لا يستحق الحمد إلا على  
 الإحسان، فلما كان احسان الله لا يوازيه احسان احد من المخلوقين، فكذلك لا يستحق الحمد احد من المخلوقين مثل ما يستحقه، و  
 كذلك يبلغ شكره الى حد العبادة و لا يستحق العبادة سوى الله تعالى، و إن استحق بعضنا على بعض الشكر و الحمد.  
 و معنى قوله (الحمد لله) أى قولوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) معناه الذى يملك التصرف فى جميع ما فى  
 السموات، و جميع ما فى الأرض، و ليس لاحد منعه منه و لا الاعتراض عليه (وَلَهُ الْحَمْدُ) فى الأولى يعنى بما أنعم عليه من فنون  
 الإحسان و (فى الآخرة) بما يفعل بهم من الثواب

(١) انظر ٧ / ٣٢٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٤

و العوض و ضروب التفضل فى الآخرة. و الآخرة و إن كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم الله تعالى، بل  
 العباد ملجأون الى فعل ذلك لمعرفةهم الضرورية بنعم الله تعالى عليهم و ما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً إحسان لما  
 للمكلفين به فى دار الدنيا من اللطاف و الزجر عن المعاصى و يفعل الله العقاب بهم لكونه مستحقاً على معاصيه فى دار الدنيا، و من  
 حمد أهل الجنة قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. و قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا.

و قيل: إنما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف على وجه السرور به (و هو الحكيم) فى جميع أفعاله، لأنها كلها واقعة موقع الحكمة  
 (الخبير) العالم بجميع المعلومات. ثم وصف نفسه بأنه (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) من سائر انواع الأشياء (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كذلك. و قال

الحسن: معناه يعلم ما يلج في الأرض من المطر، و ما يخرج منها من النبات، و الولوج الدخول، و ليج يلج ولو جأ، قال الشاعر:

رأيت القوافي يلجن موالجا تضايق عنه ان تولجه الابر (١)

و معنى (ما يُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ) قال الحسن: يعنى من الماء (وَمَا يَعْزُجُ فِيهَا) من ملك فهو يجرى جميع ذلك على تدبير عالم به و توجهه المصلحة فيه.

ثم حكى عن الكفار أنهم يقولون (لا- تَأْتِينَا السَّاعَةُ) يعنى القيامة تكذيباً للنبي صلى الله عليه و آله فى ذلك ف (قل) لهم يا محمد (بلى) تأتاكم (و) حق الله (ربى) الذى خلقنى و أخرجنى من العدم الى الوجود (لتأتينكم) الساعة (عالم الغيب) من جر (عالم) جعله صفة لقوله (و ربي) و هو فى موضع جرّ بواو القسم. و من رفعه، فعلى انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو عالم

(١) تفسير الطبرى ٣٧/٢٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٥

الغيب. و من قرأ (علام) أراد المبالغة فى وصفه بأنه عالم الغيب، و الغيب كل شىء غاب عن العباد علمه (لا يُعزَّبُ عَنْهُ) أى لا يفوته (مُثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ) بل هو عالم بجميع ذلك، يقال: عزب عنه الشىء يعزب و يعزب لغتان، فى المضارع (وَلَا أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرُ) أى و لا يعزب عنه علم ما هو أصغر من مثقال ذرة، و لا علم ما هو أكبر منه (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ الذى أثبت الله تعالى فيه جميع ما هو كائن الى يوم القيامة ليطلع عليه ملائكته، فىكون لطفاً لهم، و يكون للمكلفين أيضاً فى الاخبار عنه لطف لهم.

ثم بين أنه إنما أثبت ذلك فى الكتاب المبين (ليجزى) على ذلك (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بنعيم الجنة و هو قوله (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم و ستر لها، و لهم مع ذلك (رزق كريم) قال قتادة: الرزق الكريم الجنة. و قال غيره: هو الهنىء الذى ليس فيه تنغيص، و لا تكدير. ثم بين أن الذين يسعون فى آيات الله و حججه (معاجزين) له أى متعاونين مجاهدين فى إبطال آياته (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ) على ذلك (مَنْ رَجَزَ أَلِيمٌ) فمن جر (أليم) جعله صفة (رجز) و الرجز هو الرجس، و قال قوم: هو سىء العذاب و قال آخرون:

هو العذاب. و الرجز بضم الراء الصنم و منه قوله (وَ الرَّجَزُ فَاهْجُرْ) «١» و قال ابو عبيدة (معاجزين) بمعنى سابقين و (معجزين) معناه مثبتين- فى قول الزجاج.

**قوله تعالى: [سورة سبا (٣٤): الآيات ١٦ الى ١١] ..... ص: ٣٧٥**

وَ يَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يُهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مَمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَ الضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلَفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نُحُوسِهِمْ الْأَرْضِ أَوْ نُسْفِطُ عَلَيْهِمُ كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩) وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرُ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)

(١) سورة ٧٤ المدثر آية ٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٦

ست آيات.

قرأ حمزة والكسائي (إن يشأ يخسف بهم) بالياء كناية عن الله تعالى أنه إن شاء خسف. الباقون بالنون كناية على أنه إخبار منه تعالى عن نفسه.

يقول الله تعالى مخبراً أن الذين أتوا العلم والمعرفة بوحداية الله تعالى.

قال قتادة: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقال غيره: يجوز أن يكون المراد كل من أوتي العلم بالدين، وهو الاولي، لأنه أعم (الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ) يعني القرآن (هو الحق) ف (الذي) في موضع نصب بأنه المفعول ب (يرى) وقوله (هو) فصل، و يسميه الكوفيون عماداً، قال الشاعر: التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٧

ليت الشباب هو الرجيع الى الفتى والشيب كان هو البدء الاولي

أنشده الكسائي على أن (هو) الاولي عماد والثاني اسم. و (الحق) هو المفعول الثاني، و (يرى) في الآية بمعنى (يعلم) و موضعه يحتمل أن يكون نصباً عطفياً على (ليجزي) و يحتمل ان يكون رفعاً بالاستئناف، و إيتاء العلم إعطاؤه إما يخلق العلم او بنصب الادلة المسببة له، فهو لطف الله تعالى لهم بما أداهم الى العلم، فكان كأنه قد أتاهم (الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ) يعني القرآن و ما أنزله الله عليه من الأحكام يعلمونه حقاً صحيحاً لمعرفةهم بالله و آياته الدالة على صدق نبيه (و يهدى) يعني القرآن و يرشد إلى (صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يعني إلى دين الله القادر الذي لا يغالب، و الحميد يعني المحمود على جميع أفعاله، و هو الله تعالى.

ثم حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ وَرَدٍ مِّنَ الْجَنَّةِ) أي يخبركم (إِذَا مَرَّكُمْ كَلٌّ مَّرَقٍ) أي مزقت أعضاؤكم بعد الموت، و صرتم تراباً و رميماً (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) ابتداء بأن لم يعمل فيها (ينبئكم) لأنه لو أعمل فيها لنصبها، يعيدكم و يحييكم، و يقولون: هذا على وجه الاستبعاد له و التعجب من هذا القول. و معنى (مزقتم) بليتيم و تقطعت أجسامكم. و العامل في (إذ) يقول- في قول الزجاج- و تقديره هل ندلكم على رجل يقول لكم إنكم إذا مزقتم تبعثون، و يكون (إذا) بمعنى الجزاء تعمل فيها التي تليها، قال قيس:

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا الى أعدائنا فنضارب

و المعنى يكن وصلها، فلذلك جزم فنضارب. و قيل العامل فيه معنى الجملة كأنه قيل: يجدد خلقكم، و لا يجوز أن يعمل فيه ما بعد لام الابتداء، و لا ما التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٨

بعد ان لأنها حروف لا تتصرف في نفسها و لا في معمولها. و قوله «أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا» قال قوم: اسقط ألف الاستفهام من (أفترى) لدلالة (أم) عليه.

و قال الرماني: هذا غلط، لأن الف الاستفهام لا تحذف إلا في ضرورة و إنما القراءة بقطع الألف، فألف الاستفهام ثابتة و ألف (افتعل) سقطت، لأنها زائدة، و مثله قوله (بِيَدِي أَسْتَكْبِرُ) (١) و قوله (أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ) (٢) و قوله «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ» و نظائره كثيرة. و لم يفصل بينها بمدة لأن الثانية مكسورة ففارق حمزة «اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» (٤) و لو لم تقطع لكان خبراً بعده استفهام، و المعنى إن هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من

قول النبي صلى الله عليه وآله إن الله يعيد الخلق بعد اماتتهم خلقاً جديداً

، هل كذب على الله متعمداً «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» يعنون جنوناً فيتكلم بما لا يعلم فقال الله تعالى ليس كما يقولون: «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» أي لا يصدقون بالآخرة و بما فيها من الثواب و العقاب «فِي الْعَذَابِ وَ الضَّلَالِ الْبُعِيدِ» يعني العدول البعيد عن الحق، فلذلك يقولون ما يقولون، بل نبههم على صحته ما يقول النبي صلى الله عليه وآله من الاعداء فقال «أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلَفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» فيفكروا فيه و يعتبروا به و إن الله تعالى خلقه و اخترعه و أنه «إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحت أرجلهم «أَوْ نُشَقِّطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا» يعني قطعة من السماء ثم قال «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً» و دلالة «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» أي راجع الى الله تعالى. و وجه التنبيه بالآية أن ينظروا فيعلموا أن السماء تحيط بهم، و الأرض حامله لهم، فهم في قبضتنا «إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُشَقِّطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا» أ فما

يحذرون

(١) سورة ٣٨ ص آية ٧٥.

(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ١٥٣.

(٣) سورة ٦٣ المنافقون آية ٦.

(٤) سورة ٢٧ النمل آية ٥٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٧٩

هذا فير تدعون عن التكذيب بآيات الله. و (المنيب) المقبل التائب- في قول قتادة-

ثم اخبر تعالى فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ» يعني أعطاه «مِنَّا فَضْلًا» من عند الله. و قيل: معناه النبوة. و قيل: الزبور. و قيل: حسن الصوت. و قيل:

هو ما فسرته أى قلنا «يا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ» و معناه أنه نادى الجبال و أمرها بأن أوبى معه أى ارجعى بالتسييح معه، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات و انديء و يوم سير الى الاعداء تأويب «١»

أى رجوع بعد رجوع. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك: أمر الله الجبال أن تسبح معه إذا سبح «وَالطَّيْرُ» فى نصبه و جهان:

أحدهما و سخرنا الطير، و الثانى - بالعطف على موضع المنادى الاول كما قال الشاعر:

ألا يا زيد و الضحاك سيراً [فقد جاوزتما حد الطريق «٢»

و الاول أقوى عندهم لان الحمل على لفظه المنادى أشكل. و يكون كقولهم (أطعمتها تبنا و ماء باردا) أى و سقيتها.

و قيل معنى «أُوْبِي» سيرى معه حيث شاء، و ليس المعنى إن الله خاطب الجبال، و هى جماد بذلك، بل المراد أنه فعل فى الجبال ما لو كانت حية قادرة لكان يتأنى منها ذلك.

و قوله «وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» قال قتادة: كان الحديد فى يده مثل الشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار و لا تطريق. ثم قال و قلنا له «أَنْ

اعْمَلْ سَابِغَاتٍ» و هى الدروع التامة و السابغ التام من اللباس، و منه إسباغ النعمة إتمامها، و ثوب سابغ تام «وَقَدَّرْ فِى السَّرْدِ» معناه لا

تجعل الحلقة واسعة لا تقى صاحبها

(١-٢) تفسير الطبرى ٢٢ / ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٠

و سرد الحديد نظمه. و قيل: السرد حلق الدرع- فى قول ابن عباس و ابن زيد- قال الشاعر:

أجاد السدى سردها و أدالها «١»

و قال قتادة: السرد المسامير التى فى حلق الدرع، و هو مأخوذ من سرد الكلام سرده يسرده سرداً إذا تابع بين بعض حروفه و بعض

كالتابعة فى الحلق و المسامير، و منه السرد للطعام و غيره للاستتباع فى خروج ما ليس منه، قال الشاعر:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوايغ تبع «٢»

و يقولون: درع مسرودة أى مسمورة الحلق. و قيل: معنى «وَقَدَّرْ فِى السَّرْدِ» عدل المسمار فى الحلقة لا يدق فينكسر أو يغلظ فيفصم،

ذكره مجاهد و الحكم. «وَأَعْمَلُوا صَالِحًا» أمر لهم بأن يعملوا الاعمال الحسنه التى ليست قبيحة و ما يكون بفعله مطيعاً لله «إِنِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عالم بما تفعلونه، لا يخفى عليه شىء من أعمالكم، فالبصير العليم بالأمور بما يتبين فى تميزه بعضه من بعض و كان

الكسائى يدغم الفاء فى الباء فى قوله «إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمْ» و هذا لا يجوز عند البصريين، لان الفاء من باطن الشفة العليا، و اطرف

الثانيا العلياء، و الباء يخرج من بين الشفتين، و لان الفاء فيه نفس، فإذا ادغم في الباء بطل، و أيضا فهو من مخرج التاء، فكما لا يجوز ادغامه في التاء، فكذلك لا يجوز ادغامه في الباء، و أجاز ذلك الفراء. و أما إدغام التاء في الفاء، فلا خلاف فيه.

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤١.

(٢) مر في ١٧ / ١٩٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨١

### قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٢ إلى ١٥] ..... ص : ٣٨١

وَلَيْسَ لِيَمَانَ الرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرِغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنِّي أَنَّى أَغَبْتُمْ (١٤) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ (١٥)

خمس آيات شامى، لأنهم عدوا «عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» و أربع فى ما عداه، لأنهم لم يعدوا ذلك.

قرأ نافع «من ساته» بغير همز. الباقون «من سآته» بالهمزة. وقرأ الكسائي وحده «مسكنهم» بكسر الكاف. وقرأ حمزة بفتحها. الباقون

(مساكنهم) على الجمع. و نصب الريح فى قوله «وَلَيْسَ لِيَمَانَ الرِّيحِ» على تقدير: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٢

و سخرنا لسليمان الريح. وقرأ ابو بكر عن عاصم بضم الحاء، و المعنى فى ذلك أنه أضاف الريح اليه إضافة الملك يصرفه كيف شاء. و قوله «غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ» قال قتادة: كان مسيرها به الى انتصاف النهار مقدار مسير شهر «وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ» من انتصاف النهار الى الليل- فى مقدار مسير شهر- و قال الحس كان يغدو من الشام الى بيت المقدس، فيقبل يا صطر من ارض أصبهان و يروح منها، فيكون بكابل.

و قوله «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» قال ابن عباس و قتادة: أذنبنا له النحاس و القطر النحاس. ثم قال «وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» أى بأمر الله «وَمَن يَرِغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» معناه من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان حتى يعملوا بين يديه عما أمرهم الله به من طاعته «نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» يعنى عذاب النار تقول: زاغ يزيغ زيغاً و أزاعه إزاعه.

ثم اخبر تعالى ان الجن الذين سخرهم الله لسليمان «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ» قيل: معناه شريف البيوت. و قال قتادة: قصور و مساجد، قال المبر:

لا يسمى محراباً إلا ما يرتقى اليه بدرج، لقوله «إِذ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» (١) قال عدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحارِبِ أو كال بيض فى الروض زهره مستنير (٢)

و قال وضاح اليمن:

رَبِّهِ مِحْرَابٌ إِذَا جِئْتَهَا لَمْ أَلْقِهَا أَوْ ارْتَقَى سَلْمًا (٣)

(١) سورة ٣٨ ص آية ٢١.

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٣ و القرطبي ١٤ / ٢٧١.

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٣

و «تَمَائِيلٌ» جمع تمثال و هو صورة. فبين أنهم كانوا يعملون أى صورة أرادها سليمان. و قال قوم: كانوا يعملون له صورة الملائكة. و قال آخرون: كانوا يعملون له صورة السباع و البهائم على كرسية ليكون أهيب له، فذكر أنهم صوروا أسدين و فوق عمودى الكرسي نسرين، فكان إذا أراد صعود الكرسي بسط له الأسد ذراعه، فإذا علا فوق الكرسي نشر النسران جناحيهما، فظللا عليه لئلا يسقط عليه شئ من الشمس، و يقال: إن ذلك مما لا يعرفه أحد من الناس، فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعه فضرب ساقه ففقداه فوق مغشياً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد على ذلك الكرسي.

«وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ» واحدها جفنة و هى القصعة الكبيرة، و الجوابى جمع جابية، و هى الحوض الذى يجيئ الماء فيه، قال ابو على النحوى: إثبات الياء مع الألف و اللام أجود، و حذفها يجوز، و قال الأعشى فى جفنة: تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق (١) و قال آخر:

فصبت جابية صهاوجا كأنه جلد السماء خارجا (٢)

و قال ابن عباس: الجوابى الحياض «وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ» يعنى عاليات ثابتات لا تنزل، ثم نادى آل داود و أمرهم بالشكر على ما أنعم عليهم من هذه النعمة العجيبة التى أنعم بها عليهم، لأن نعمته على داود نعمة عليهم، فقال «اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا» ثم قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ» أى من يشكر نعمى قليل، و الأكثر يجحدون نعم الله لجهلهم به، و تركهم معرفته.

(١) تفسير القرطبي ٢٧٥ / ١٤. [.....]

(٢) تفسير الطبرى ٤٣ / ٢٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٤

ثم أخبر تعالى أنه لما قضى على سليمان الموت و قدره عليه و قبضه اليه لم يعلموا بذلك من حاله حتى دلهم على موته دابة الأرض و هى الأرضة، فأكلت عصاه فانكسرت، فوقع لأنه روى أنه قبض و هو فى الصلاة،

و كان قال للجن اعملوا ما دمتم ترونى قائماً، و اتكأ على عصاه من قيام، و قبضه الله اليه و بقى مدة فيجىء الجن فيطالعونه فيرونه قائماً فيعودون فيعملون الى أن دبت الأرضة فأكلت عصاه فوقع و خر، فعملوا حينئذ موته و تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم من موت سليمان لم يلبثوا فى العذاب الذى أهانهم و أذلهم و المنسأة العسا الكبيرة التى يسوق بها الراعى غنمه قال أبو عبيدة: معنى «تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ» أى أبانت الجن للناس «أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» و المنسأة أصلها الهمزة من نسأت الى سقت، و قد يترك الهمز، قال الشاعر:

إذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو و الغزل (١)

إلا أنه يترك همزها، كما يترك فى (البرية) و هى من برأت، و قيل: إنه كان متوكئاً على عصاه سنه لا يدرك أنه مات. و قيل: المعنى «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ» جماعه من عوام «الجن» أغواهم مردتهم أن المتمردين «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ» لأنهم كانوا يقولون لهم نحن نعلم الغيب، و فى قراءة أهل البيت «فلما خر تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين» قالوا: لان الجن كانت تعلم أنها لا تعلم الغيب قبل ذلك. و إنما تبينت الانس ذلك من حال الجن.

ثم اخبر تعالى فقال «لَقَدْ كَانَ لِسَيِّدٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ» أى دلالة و علامه



(١) تفسير الطبري ٢٢/٤٤ و القرطبي ١٤/٢٧٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٥

ف (سبأ) قيل: إنه ابو عرب اليمن كلها، فقد تسمى به القبيلة نحو هذه تميم.

فمن قرأ على التوحيد، فلأنه يدل على القليل والكثير. و من جمع أراد المساكن المختلفة. و الفرق بين فتح الكاف و بين كسرها في (مسكنهم) أن الفتح تفيد المصدر، و الكسر تفيد الموضع، و قيل: إنهما لغتان في الموضع.

و الآيتان قيل: إنهم لم يكن بينهما شيء من هوام الأرض، نحو البق و البرغوث و العقرب و غير ذلك. و كان الغريب إذا دخل بلدهم و في ثيابه قمل متن فهذه آية. و الثانية أن المرأة كانت تأخذ على رأسها مكتلا فيمتلي بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً، ثم فسر الآيتين فقال «جنتان» أي هي جنتان.

«عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ» قيل: عن يمين الوادي و شماله. «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» أي كلوا من رزق الله الذي رزقكم في هاتين الجنتين، فلفظه لفظ الأمر و المراد به الاباحة «وَ اشْكُرُوا لَهُ» هذه النعمة التي أنعم بها عليكم. ثم بين أن تلك الجنتين «بلدة طيبة» التربة. و قيل البلدة الطيبة صنعاء أرضها طيبة ليس فيها سبخة و «رب غفور».

### قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ٣٨٥

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَ يَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَ أَثْلِ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نَجَاذِي إِلَّا الْكُفُورَ (١٧) وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٦

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «ذواتي أكل خمط» مضافاً. الباقون «أكل خمط» منوناً.

و الاختيار عندهم التنوين، لأن الأكل نفس الخمط و الشيء لا يضاف إلى نفسه، و من أضاف قال (الخمط) هو جنس مخصوص من المأكولات، و الأكل أشياء مختلفة فأضيفت إلى الخمط، كما تضاف الأنواع إلى الأجناس. و الخمط ثمر الأراك و هو البربر أيضاً. واحدها بربرة و سميت به جارية عائشة. و البربر شجر السواك و (الأثل) شجر، واحدها أثله.

و قرأ اهل الكوفة إلا- أبا بكر «و هل نجازي» بالنون «إلا الكفور» نصباً أضافوا الفعل إلى الله تعالى. الباقون- بالياء- على ما لم يسم فاعله «الكفور» بالرفع، و قرأ ابو عمرو و ابن كثير «بعد بين أسفارنا» بالتشديد من التباعد. الباقون «باعد» من المباعدة على لفظ الأمر، إلا يعقوب، فانه قرأ «باعد» على لفظ الخبر، لأنهم لما سألوا أن يبعد الله بينهم، ففعل ذلك بينهم جاز حينئذ الاخبار بأنه تعالى فعل ذلك. و قرأ اهل الكوفة (و لقد صدق) بتشديد الدال. الباقون بتخفيفها.

لما اخبر الله سبحانه عن «سبأ» و هي القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٧

بالجنتين و بالبلدة الطيبة، و أمرهم بشكر نعمه «فأعرضوا» عن ذلك، فلم يشكروه و كفروه و جحدوا نعمه، و لم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائه و رسله جازاهم الله على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم، و سلبهم تلك النعمة و انزل بهم البلية، فالسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه و لا دفعه، و قيل: انه كانت تجتمع مياه و سيول في هذا الوادي فسدوه بين جبلين بالحجارة و القار و جعلوا له ابواباً يأخذون منه ما شاءوا، فلما تركوا أمر الله بعث عليهم جرذاً فنقبه فأغرق الله عليهم جنتهم و أفسد أرضهم. و قيل: العرم: ماء كثير

أرسله الله في السد فشقه وهدمه. قال الراجز:  
 اقبل سيل جاء من أمر الله يجرده حرد الجنة المغله «١»  
 وقيل: ان العرم المسناة التي تحبس الماء، واحداها عرمه و هو مأخوذ من عرامة الماء و هو ذهابه كل مذهب، قال الأعشى:  
 ففى ذاك للمؤتسى اسوء و مأرب قفى عليه العرم  
 رجام بنته لهم حمية إذا جاء مأؤهم لم ترم «٢»  
 وقيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا. وقيل: كان سببه نقب جرد نقب عليهم السكر. وقيل العرم السكر. وقيل المطر الشديد. وقيل  
 هو اسم وادى وقيل: هو الجرد الذى نقب السكر، قال كثير:  
 ايدى سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل للعنين بعدك منظر «٣»  
 وقال آخر:  
 من صادر او وارد ايدى سبا «٤»

(١) اللسان (غلل).

(٢) تفسير الطبرى ٢٢ / ٤٧.

(٣) اللسان (صبا) و روايته (منزل) بدل (منظر).

(٤) اللسان (سبا).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٨

وقال جرير:

الواردون و تتم فى ذرى سبا قد عض أعناقهم جلد الجواميس «١»

ثم قال «وَيَدْلُنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ» التى فيها أنواع الفواكه و الخيرات «جَنَّتَيْنِ» أخرابين و سماها جنتين لآزدواج الكلام، كما قال «وَمَكَّرُوا وَ  
 مَكَّرَ اللَّهُ» «٢» و «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ»

«٣» «ذَوَاتِي أُكْبَلُ خَمِطٍ» أى صاحبتي خمط فالأكل جنى الثمار الذى يؤكل، و الخمط نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن  
 أكله- فى قول الزجاج- و قال ابو عبيدة هو كل شجر ذى شوك.

وقال ابن عباس و الحسن: هو شجر الأراك، و هو معروف، و الأثل الطرفا قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له  
 ثمر مر. و الأثل ضرب من الخشب كالطرفا، إلا انه أكبر، وقيل: الأثل التمر «وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ» أى فيهما مع الخمط، و الأثل قليل  
 من السدر.

ثم قال «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا» فى نعم الله «وَهَيْلُ نُجَازِي» بهذا الجزاء «إِلَّا الْكُفُورَ» من كفر نعم الله، فمن قرأ بالنون فلقوله  
 «جَزَيْنَاهُمْ». و لا- يمكن الاستدلال بذلك على أن مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذب، لأن الله تعالى بين أنه لا يجازى بهذا  
 النوع من العذاب الذى هو الاستئصال إلا- من هو كافر، و إن جاز أن يعذب الفاسق بغير ذلك من العذاب. و قال الفراء: المجازاة  
 المكافأة، و من الثواب الجزاء، تقول: جازاه على معصيته، و جزاه على طاعته.

وقال غيره: لا فرق بينهما.

ثم بين تعالى انه جعل بين سبا، و بين القرى التى بارك فيها. قال قتادة

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٤.

(٣) سورة ٤ النساء آية ١٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٨٩

و مجاهد: هي قرى الشام، و قال ابن عباس: هي بيت المقدس «قرى ظاهرة» قال قتادة: معناه متواصلة، لأنه يظهر الثانية من الأولى لقبها منها «وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ» معناه جعل بين القرية الأولى و الثانية مسيرة يوم لراحة المسافر و نزوله فيها «سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ» لا تخافون جوعاً و لا عطشاً و لا ظلماً من أحد، كأنه قيل لهم سيروا كذا، فقالوا «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» معناه إنهم نظروا و ملوا النعمة، فقالوا لو كان جنى ثمارنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيها، كما قالت بنو إسرائيل «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِثِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا» (١) «بدلاً من المن و السلوى و ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصي «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» فضرب بهم المثل فيقال (تفرقوا أيادي سباً) أي تشتتوا أعظم التشتت قال الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، و أما الأنصار فلحقوا بيثرب، و أما خزاعة فلحقوا بتهامة، و أما الأزدي فلحقوا بعمان. و قيل: معنى «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» أي أهلكناهم و ألهمنا الناس حديثهم ليعتبروا «وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» قال ابن عباس: مزقوا بين الشام و سبأ، كل ممزق.

ثم قال تعالى «إِن» في ما ذكر «لآيات» و دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أي صبار على الشدائد شكور على النعماء.

ثم قال تعالى «وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ» صدق «ظَنَّهُ» فيهم بإجابتهم إلى معصية الله و قبولهم منه «فَاتَّبَعُوهُ» بأجمعهم «إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» العارفين بالله و بوحدانيته، فخالفوه فلم يتبعوه. فمن شدد (صدق) أسند الفعل إلى إبليس و جعل الظن المفعول به، لأن إبليس لما قال تظننا

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٠

(وَلَا مَرْنَهُمْ فَالْيَتَكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ) (١) فلما تبعه قوم على ذلك صدق ظنه. و من خفف فالمعنى مثله، لأنهما لغتان يقال: صدقت زيداً و صدقته، و كذبت و كذبتة و ينشد:

و صدقتني و كذبتني و المرء ينفعه كذابه (٢)

و قرأ ابو الهجهاج (إبليس) بالنصب (ظنه) بالرفع جعل الظن الفاعل و إبليس المفعول به، و ذلك جازع عند النحويين، لأنهم يقولون: صدقني ظني و كذبني إلا- انه شاذ لا يقرأ به، و قيل: ان إبليس لما اغوى آدم قال ذريته أولى بأن اغويهم، و قال (لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (٣) فصدق ذلك ظنه حتى تابعوه. و قال (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (٤) و كانت أجابتهم له تصديقاً لظنه.

قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٣٩٠

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْثِقَالِ ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)

(١) سورة ٤ النساء آية ١١٨.

(٢) اللسان (صدق).

(٣) سورة ١٧ الإسراء آية ٦٢.

(٤) سورة ٣٨ ص آية ٨٢. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩١

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمر و حمزة و الكسائي و خلف، و الأعشى و البرجي عن أبي بكر (أذن له) بضم الهمزة. الباقون بفتحها. وقرأ ابن عامر و يعقوب (فزع) بفتح الفاء و الزاي. الباقون (فزع) بضم الفاء و كسر الزاي. فمن فتح الهمزة من (أذن) فمعناه أذن الله له، و من ضمها جعله لما لم يسم فاعله، يقال:

أذنت للرجل في ما يفعله أي أعلمته و أذنته أيضاً، و أذن زيد إلى عمرو، إذا استمع إليه.

روى في الحديث ما أذن الله لشيء قط كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن.

و مثل ذلك القول في فزع عن قلوبهم، و معنى فزع. قال أبو عبيدة: فزع عن قلوبهم نفس عنها. و قال أبو الحسن: المعنى حكى عنها. و

قال أبو عبيدة: معناه أذهب، و قال قوم: الذين فزع عن قلوبهم الملائكة، و يقال:

فزع و فزع إذا أزيل الفزع عنها، و مثله جاء في (افعل) يقولون: أشكاه إذا أزال عنه ما يشكو منه انشد أبو زيد:

تمد بالأعناق أو تلويها و تشتكى لو أننا نشكيا «١»

و المعنى فلما ان اشكيت أزال الشكوى، كذلك فزع و فزع أزال الفزع و قال قتادة: معنى فزع عن قلوبهم خلا من قلوبهم، قال يوحى

الله تعالى الى

(١) اللسان (شكا) و روايته (تثنيها) بدل (تلويها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٢

جبرائيل فيعرف الملائكة، و يفزع عن أن يكون شيء من امر الساعة، فإذا (فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) و علموا أن ذلك ليس من امر الساعة (قالوا ما ذا قال رَبُّكُمْ قالوا الْحَقُّ) و تقديره قالوا قال الحق. فمن قرأ بفتح الفاء أسند الفعل إلى الله، و من ضمها بنى الفعل للمفعول به، و كان الجار و المجرور في موضع رفع. و قال الحسن: فزع بمعنى كشف الفزع عن قلوبهم، و فزعت منه، و المفزع على ضربين: أحدهما- من ينزل به الافزع. الثاني- من يكشف عنه الفزع.

و قوله (و فزع) له معنيان أحدهما بمعنى ذعر، و الثاني- أزال الفزع و قال اليربوعي:

حللنا الكتيب من زرود لنفزعاً

أي لنغيث. لما اخبر الله تعالى ان إبليس صدق ظنه في الكفار بإجابتهم له إلى ما دعاهم اليه من المعاصي بين انه لم يكن لإبليس عليهم سلطان. و (من) زائدة تدخل مع النفي نحو قولهم ما جاءني من احد. و السلطان الحجة، فبين بهذا ان الشيطان لم يقدر على اكثر من أن يغويهم و يوسوس اليهم و يزين لهم المعاصي، و يحرضهم عليها. و قوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) تقديره إنا لم نمكنه من اغوائهم و وسوستهم إلا لتمييز من يقبل منهم و من يمتنع و يأبى متابعتة، فنعذب من تابعه و نشب من خالفه، فعبر عن تمييزه بين الفريقين بالعلم، و هو التمييز مجرداً، لأنه لا يكون العذاب و الثواب إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك، فأما العلم، فالله تعالى عالم بأحوالهم، و ما يكون منها في ما لم يزل، و قيل: إن معناه إلا لنعلم طاعاتهم موجودة أو عصيانهم إن عصوا فنجازيهم بحسبها، لأنه تعالى لا يجازي احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع منهم ما يستحق به من ثواب او عقاب، و قيل: معناه إلا لنعامل

معامله التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٣

من كأنه لا يعلم، و انما نعمل لنعلم (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) أي من يصدق بها و يعترف ممن يشك فيها و يرتاب.

ثم قال (و ربك) يا محمد (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) أى رقيب عالم لا يفوته علم شىء من أحوالهم من إيمانهم و كفرهم او شكهم. ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله بأن يقول لهؤلاء الكفار (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أنهم آلهة و معبود، هل يستجيبون لكم؟ إلى ما تسألونهم، لأنه لا- يستحق العبادة إلا- من كان قادراً على إجابته من يدعوه. ثم اخبر تعالى عنها فقال (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكِكِ) يعنى و ما لله فى السموات و الأرض شريك (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) أى معاون، و الملك هو القدرة على ما للقدار عليه التصرف فيه، و ليس لاحد منعه منه، و ذلك- فى الحقيقة- لا يستحق الوصف به مطلقاً إلا الله، لان كل من عداه يجوز أن يمنع على وجهه.

ثم اخبر تعالى فقال (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) أى عند الله (إلا- لمن اذن) الله (له) فى الشفاعة من الملائكة و النبيين و الأئمة و المؤمنين، لأنهم كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فحكم الله تعالى ببطلان ذلك. و قوله (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال ابن عباس و قتادة: حتى إذا خلى عن قلوبهم الفزع، كقولك رغب عنه أى رفعت الرغبة عنه فلا يرغب، بخلاف رغب فيه، ففى أحد الأمرين وضع و فى الآخر رفع. و قيل: هم الملائكة يلحقهم غشى عن سماع الوحي من الله بالآية العظيمة، فإذا (فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أى خلى عنها (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)- ذكره ابن مسعود و مسروق و ابن عباس فى رواية- و قال الحسن: حتى إذا كنف عن قلوب المشركين الفزع، قالت التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٤

الملائكة (ما ذا قال ربكم) فى الدنيا (قالوا) قال (الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) أى الله تعالى المستعلى على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان (الكبير) فى أوصافه دون ذاته، لأن كبر الذات من صفات الأجسام. ثم قال له (قل) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فإنهم لا يمكنهم ان يقولوا يرزقنا آلهتنا التى نعبدها ف «قل» لهم عند ذلك الذى يرزقكم (الله) و قل (وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) و قيل: إنما قال (وإنا أو إياكم) على وجه الانصاف فى الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب، و إن كان هو عالماً بالكاذب، و على هذا قال ابو الأسود الدؤلى يمدح اهل البيت:

يقول الأردلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى علياً

أحب محمداً حبا شديداً و عباساً و حمزة و الوصيا

بنو عم النبي و أقربوه أحب الناس كلهم اليا

فان يك جبههم رشداً أصبه و لست بمخطئ ان كان غياً «١»

و لم يقل هذا مع أنه كان شاكاً فى محبتهم، و انه هدى و طاعه، و قال اكثر المفسرين: إن معناه إنا لعلى هدى و إياكم لعلى ضلال و قال ابو عبيدة (او) بمعنى الواو، كما قال الأعشى:

اتغلبه الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية و الحشاي «٢»

بمعنى أ تغلبه و رياحا.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لا تسألون) معاشر الكفار (عَمَّا أَجْرُنَا) أى عما اقترناه من المعاصى (و لا نسأل) نحن ايضاً (عما تعملون) أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله، و هو يجازى على أى فعل فعله دون غيره.

(١) تفسير الطبرى ٥٧/٢٢.

(٢) مجاز القرآن ١٤٨/٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٥

و تقدير قوله «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» ان يشفع له، فزع بسماعه أذنه حتى إذا فزع عن قلوبهم و خلى عنها و كشف الفزع عنهم قالوا ما ذا قال ربكم قالت الملائكة قال الحق و هو العلى الكبير.

## قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٣٩٥

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَ لَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

لما امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الكفار و يقول لهم ان كل إنسان يستل عما عمله دون ما عمل غيره، قال له أيضاً (قل) لهم (يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا) أى يحكم و الفتح الحكم، و الفتح الحاكم بالحق، لا بالظلم (وَ هُوَ الْفَتَّاحُ) أى الحاكم (العليم) بما يحكم به لا يخفى عليه شىء منه.

ثم قال (قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ) تعبدونهم معه و تشركون بينهم فى العبادة على وجه التويخ لهم فى ما اعتقدوه من الاشراك مع الله. كما يقول القائل لمن أفسد عملاً: ارنى ما عملته تويخاً له بما أفسده، فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام و الأوثان و يضمنونها إلى الله و يشركون بينهما فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٦

العبادة فقال تعالى (كلا) و معناه الردع و التنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول و تنبهوا عن ضلالكم (بَلْ هُوَ اللَّهُ) الذى يستحق العبادة وحده لا شريك له (العزیز) يعنى القادر الذى لا يغالب (الحكيم) فى جميع أفعاله. و قيل (العزیز) فى انتقامه ممن كفر به (الحكيم) فى تديره لخلق، فكيف يكون له شريك فى ملكه.

ثم قال لنيه صلى الله عليه و آله (و ما أرسلناك) يا محمد بالرسالة التى حملناكها (إلا- كافة) و معناه أرسلناك إلى الخلق كافة بأجمعهم. و قيل: معناه إلا مانعاً لهم و كافاً لهم من الشرك و دخلت الهاء للمبالغة (للناس بشيراً) لهم بالجنة أى مبشراً بها (و نذيراً) أى مخوفاً بالنار (وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) صدق قولك و إنك رسول اليهم، لتفريطهم فى النظر فى معجزك.

ثم حكى عن الكفار انهم يستبطنون العذاب الذى يخوفهم به النبى صلى الله عليه و آله و المؤمنون، فإنهم كانوا يحذرونهم نزول العذاب عليهم (وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) الذى تعدونا به (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى ما تقولونه معاشر المؤمنين ثم أمره ان يقول لهم فى الجواب عن ذلك (قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ) ينزل عليكم ما وعدتم به من الثواب و العقاب (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً) أى لا تؤخرون من ذلك اليوم لحظة (و لا تستقدمون) عليه، و هو يوم القيامة.

## قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٣٩٦

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَ أَسِيرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قُرَيْشٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَ أَوْلَاداً وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٧

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن الكفار أنهم يقولون لن نصدق بهذا القرآن الذى أنزل عليك و تدعيه انه من عند الله و لا بالذى بين يدي القرآن من أمر الآخرة و النشأة الثانية، فجددوا أن يكون القرآن من الله أو أن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة. و قيل:



معناه الكتب التي قبله من التوراة و الإنجيل و غيرهما.

ثم قال «وَلَوْ تَرَىٰ يَا مُحَمَّدُ إِذِ أَيِّ حِينٍ «الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْقَوْلِ» أَي يرد بعضهم على بعض «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» قيل: كانوا رؤساء الضلالة يأمرون الاتباع بعبادة الأوثان لضعفهم عن استخراج صواب الرأي عند أنفسهم، التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٨

فالاستضعاف طلب الضعف فكل من يجاهر غيره بما يقتضى ضعفه يقال قد استضعفه، و الاستكبار طلب الكبر بغير حق، و كانوا يتعظمون هؤلاء الكفار بالجهل الذى صمموا عليه و صاروا رؤساء فيه ليحققهم به «لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» لكن بسبيكم يمنع، فهؤلاء إذا أخبروا عن ظنهم، فقد صدقوا كأنهم قالوا فى ما نظن، لأنه هكذا يقتضى ظاهر خبرهم، كما إذا أخبروا عما يفعلونه فى المستقبل، فهو اخبار عن عزمهم، و لو كان كذباً لأنكر الله ذلك و اتبعه بما يدل على إنكاره، كما قال «انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» (١) ثم حكى ما أجابهم به المستكبرون فإنهم يقولون فى جوابهم «أَنْحُنُ صَيِّدُذُنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذِ جَاءَكُمْ؟! منكرين عليهم قولهم انهم منعوهم من الايمان بعد تبين الحق فيه، و ليس الأمر على ما تقولونه «بَلْ كُنْتُمْ» أنتم «مُجْرِمِينَ» ثم حكى تعالى ما يقول الذين استضعفوا فإنهم يقولون «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» معناه مكرهم فى الليل و النهار- فى قول الحسن - كما قال الشاعر:

لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم (٢)

أى بنائم فيه. و قيل: كأن الليل و النهار يكران بطول السلامة فيهما.

و (المترف) المنعم البطر بالنعمة «إِذِ تَأْمُرُونَنَا» أى حين تأمروننا «أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ» أى ان نجحد بالله «وَنَجْعَلَ لَهُ أُنْدَادًا» أى أمثالا فى العبادة «وَأَسْرِوْا نَدَامَةً» أى اخفوا الندامة بينهم «لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» نزل بهم، و لام بعضهم بعضاً. و قال الجبائى: معناه أظهروا الندامة، قال: و هذا مشترك. و هذا غلط، لان لفظه الإخفاء هى المشتركة دون لفظ الاسرار، فحمل أحدهما على الآخر قياس فى اللغة «وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» الاغلال جمع غل و الله

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٤.

(٢) مر تخريجه فى ٥ / ٦٤٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٣٩٩

تعالى يجعل الغل فى رقاب الكفار عقوبة لهم.

ثم قال موبخاً لهم «هَيْلٌ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى يجزون على قدر استحقاقهم لا يجازفون، فلفظه لفظ الاستفهام و المراد به النفسى، فكأنه قال:

لا يجزون إلا على قدر أعمالهم التى عملوها.

ثم اخبر تعالى انه ما يرسل فى قرية نذيراً أى مخوفاً بالله فى ما مضى إلا إذا سمع أهلها المتترفون منهم المنعمون «قالوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» أى جاحدون، ثم حكى بأنهم «قالوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا» منكم «وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» على ما تقولونه، لأنه لو أراد عقابنا لما أنعم علينا فى الدنيا و جعلنا أغنياء و جعلهم فقراء، فقال الله تعالى رداً عليهم «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ»

**قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص: ٣٩٩**

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعُفٌ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(٣٩) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٠

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «وهم في الغرفة آمنون» لقوله تعالى «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا» (١) و في الجنة غرفات و غرف، غير أن العرب تجتزئ بالواحد عن الجماعة إذا كان اسم جنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار و الدرهم. الباقر على الجمع «غرفات» على وزن (ظلمة، و ظلمات) و حجتهم «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ» (٢).

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: إن الله لا يعذبنا على ما تقولونه لأنه أغنانا في دار الدنيا، و لم يجعلنا فقراء، فكذلك لا يعذبنا في الآخرة، قال الله رداً عليهم «قُلْ» لهم يا محمد «إِنَّ رَبِّي» الذي خلقني «يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أي يوسع الرزق لمن يشاء على حسب ما يعلم من مصلحته و مصلحة غيره «وَيَقْدِرُ» أي يضيق. و هو مثل قوله «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ» (٣) أي يوسع و يضيق، و منه قوله «وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» (٤) أي ضيق، و على هذا: يحتمل قوله «فَطَنُّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أي لن نضيق عليه، فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية، و القدر تضيقه على قدر الكفاية. ثم قال «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ما قلناه لجهلهم بالله و بحكمته.

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٧٥.

(٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٢٠.

(٣) سورة ٢٩ العنكبوت آية ٦٢.

(٤) سورة ٦٥ الطلاق آية ٧.

(٥) سورة ٢١ الأنبياء آية ٨٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠١

ثم قال تعالى «وَمَا أَمْوَالُكُمْ» أي ليس أموالكم التي خولتموها «وَلَا أَوْلَادُكُمْ» التي رزقتموها «بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ قَالَ الْفَرَاءُ» (التي) يجوز أن يقع على الأموال و الأولاد، لأن الأولاد يعبر عنها ب (التي)، و قال غيره: جاء الخبر بلفظ أحدهما- و إن دخل فيه الآخر، و لو قال بالذي يقربكم لكان جائزاً و (زلفى) قربي، و إنما يقربكم إليه تعالى أفعالكم الجميلة و طاعاته الحسنه. ثم قال «إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً» معناه، لكن من آمن بالله و عرفه و صدق نبيه و عمل الصالحات التي أمره بها، و انتهى عن القبائح التي نهاه عنها، فان لهؤلاء «جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا» و معناه انه تعالى يجازيهم أضعاف ما عملوا، فانه يعطى بالواحد عشرة، و الضعف من الاضعاف، لأنه اسم جنس يدل على القليل و الكثير.

و يجوز في اعراب (جزاء) أربعة أوجه: الرفع و النصب بالتنوين و تركه.

و في (الضعف) ثلاثة أوجه: الجر و النصب و الرفع، إلا- أن القراءة بوجه واحد و هو رفع (جزاء) على الاضافة بلا- تنوين، و جر (الضعف) بالاضافة إليه.

ثم قال إن هؤلاء مع أن لهم جزاء الضعف على ما عملوه «هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ» جمع غرفه و هي العلية «آمنون» فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله في دار الدنيا.

ثم قال «وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» أي مسابقين: في من قرأه بألف. و مثبتين غيرهم عن أفعال الخير عند من قرأه بغير ألف «أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ» أي يحصلون في عذاب النار.

ثم قال «قُلْ» يا محمد «إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ» أي يوسع «و يقدر» أي يضيقه لمن يشاء. و إنما كرر قوله «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ

الرُّزْقُ» التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٢

لاختلاف الفائدة، لأن الاول على معنى إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر من غير أن يعلم اكثر الناس لم فعل ذلك، و الثانى - بمعنى أن ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر له على أن ما أنفقه فى أبواب البر فالله يخلفه عليه و هو قوله «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» أى يعطيكم عوضه، و ليس المراد ان يخلف فى دار الدنيا على كل حال، لان الله يفعل ذلك بحسب المصلحة، و إنما أراد انه يعوض عليه إما فى الدنيا بأن يخلف بدله او يثيب عليه «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى الله تعالى خير من يرزق غيره، لأنه يقال: رزق السلطان الجند، ثم قال (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) يعنى يوم القيامة الذى يبعث الله فيه الخلائق (ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ) الذين عبدهم جماعة من الكفار (ا هؤلاء) يعنى الكفار الذين عبدوهم (إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ) على وجه التقرير لهم و إن كان بلفظ الاستفهام، كما قال لعيسى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) «١» و قرأ حفص (و يوم يحشرهم ثم يقول) بالياء ردأً على قوله (قل ان ربي) الباقون بالنون على الجمع.

### قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص: ٤٠٢

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَآلِنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

(١) سورة ٥ المائدة آية ١١٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٣

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى انه يقول للملائكة إن هؤلاء الكفار إياكم كانوا يوجهون عبادتهم، حكى ما يجيب به الملائكة، فإنهم يقولون (سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَآلِنَا) تنزيهاً لك أن نعبد سواك، و نتخذ معك معبوداً غيرك، و يقولون: أنت يا ربنا ولىنا أى ناصرنا و أولى بنا (من دونهم) يعنى دون هؤلاء الكفار و دون كل احد و أنت الذى تقدر على ذلك من دونهم، فما كنا نرضى بعبادتهم مع علمنا بأنك ربنا و ربهم، ما أمرناهم بهذا و لا رضىنا به لهم «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» بطاعتهم إياهم فى ما يدعونهم اليه من عبادة الملائكة. و قيل: انهم صوّروا لهم صورة قوم من الجن، و قالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها، و هم و إن عبدوا الملائكة، فان الملائكة لم يرضوا بعبادتهم إياهم و لا دعوهم اليها، و الجن دعوهم إلى عبادتهم و رضوا به منهم فتوجه الدم إلى العابد و المعبود، و فى الملائكة لا يستحق الدم غير العابد، فلذلك أضرب عن ذكر الملائكة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٤

ثم حكى تعالى ما يقول للكفار يوم القيامة، فانه يقول لهم «فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا» و لا يقدر على ذلك «وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب المعاصى «ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ» أى تجحدونه، و لا- تعترفون به. ثم عاد تعالى إلى الحكاية عن حال الكفار فى الدنيا فقال «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ» أى تقرأ عليهم حججنا واضحات من القرآن الذى أنزله على نبيه «قَالُوا» عند ذلك «ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» أى يمنعكم عن عبادة ما كان يعبد آباؤكم «وَ قَالُوا» أيضاً «ما هذا» القرآن «إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ» يعنى كذب تخرصه و افتراه «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» يعنى القرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا» أى ليس هذا «إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر، و السحر حيلة خفية توهم المعجزة.

ثم قال تعالى «وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا» قال الحسن: معناه ما آتيناهم من كتب قبل هذا الكتاب، فصدقوا به و بما فيه ان هذا كما زعموا «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» و يجوز ان يكون المراد و ما أرسلنا اليهم قبلك يا محمد من نذير إلا و فعلوا به و قالوا له مثل ما قالوا لك، و حذف لدلالة الكلام عليه، و ذلك عليه بقوله «وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بما أتاهم الله من الكتب، و بما بعث اليهم من الرسل «وَمَا بَلَّغُوا» أى و ما بلغ هؤلاء (مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) أولئك الكفار، قال الحسن: معنى معشار أى عشر. و المعنى ما بلغ الذين أرسل اليهم محمد صلى الله عليه و آله من اهل مكة عشر ما اوتى الأمم قبلهم من القوة و العدة- فى قول ابن عباس و قتادة- (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) أى كذبوا بآيات الله و جحدوا رسله (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى عقوبتى و تغييرى لان الله أهلكتهم و استأصلهم و هو نكير الله تعالى فى الدنيا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٥

### قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص: ٤٠٥

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَاقِمَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من الله تعالى لنبية صلى الله عليه و آله أن يقول للكفار (إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ...)

و المعنى يكفينى منكم أن يقوم الرجل وحده أو هو و غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذباً او هل رأينا به جنه؟! ففى ذلك دلالة على بطلان ما أنتم عليه و ما ذكرتم فيه، فالوعظ الدعاء إلى ما ينبغى أن يرغب فى ما ينبغى أن يجوز منه مما يلين القلب إلى الاستجابة للحق بالنبي صلى الله عليه و آله و النبي اجل و أعظم و اكبر داع بما أعطاه الله من الحكمة.

و قوله (مِثْلَى وَفَرَادَى) معناه ان تقوموا اثنين اثنين، و واحداً واحداً ليذاكر أحدهما صاحبه، فيستعين برأيه على هذا الأمر. ثم يجول بفكرته حتى يكرره حتى يتبين له الحق من الباطل و بنى (مِثْلَى) و إن لم يكن صفة لأنه مما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٦ يصلح ان يوحده، كما قال تعالى (أُولَى أُجْنِحَةٍ مِثْلَى وَثَلَاثَ وَرَبَاعٍ) «١» و هو- هاهنا- فى موضع حال، و قال مجاهد فى قوله (أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) أى بطاعة الله تعالى و قال غيره (بواحدة) بتوحيد الله خصلة واحدة، فقولوا: لا إله إلا الله.

و قوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ) فى موضع نصب عطفاً على (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ) و تتفكروا أى و تنظروا و تعتبروا، ليس بصاحبكم يعنى محمداً صلى الله عليه و آله (من جنه) أى جنون، لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون و حاشاه من ذلك.

ثم بين انه ليس (إلا نذير) أى مخوف من معاصى الله و ترك طاعاته (بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يعنى عذاب القيامة. ثم قال لنبية صلى الله عليه و آله يا محمد (قل) لهم (ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) و ليس (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) و المعنى أنى أبلغكم الرسالة، و لا اجر إلى نفسى عرضاً من اعراض الدنيا بل ثمرة ذلك لكم، و ليس أجرى إلا على الله.

و قال ابن عباس (من أجر) أى من مودة، لان النبي صلى الله عليه و آله سأل قريشاً أن يكفوا عن أذاه حتى يبلغ رسالات ربه (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أى عالم به. ثم قال أيضاً (قل) لهم يا محمد (إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) أى يلقيه على الباطل، كما قال تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ) «٢» (علام الغيوب) إنما رفع بتقدير هو علام الغيوب، و لو نصب على انه نعت ل (ربى) لكان جائزاً، لكن هذا أجود، لأنه جاء بعد تمام الكلام كقوله (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) «٣» و المعنى انه عالم بجميع ما غاب عن جميع الخلائق علمه.

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ١.

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ١٨.

(٣) سورة ٣٨ ص آية ٦٤. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٧

ثم أمره صلى الله عليه وآله أن يقول لهم قد (جاء الحق) يعنى أمر الله بالإسلام والتوحيد (وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) لأن الحق إذا جاء اذهب الباطل فلم يبق له بقية يبدئ بها ولا يعيد. وقال قتادة: الباطل إبليس لا يبدؤ الخلق ولا يعيدهم. وقيل: إن المراد به كل معبود من دون الله بهذه الصفة. وقال الحسن: وما يبدئ الباطل لأهله خيراً ولا يعيد بخير فى الآخرة.

ثم قال (قل) لهم (إن ضللت) أى ان عدلت عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) لأن ضرره يعود علىّ، لأنى أو أخذ به دون غيرى (وإن اهتديت) إلى الحق (فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) أى يسمع دعاء من يدعوه قريب الى إجابته.

وفى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأنه قال (إن ضللت) فأضاف الضلال إلى نفسه، ولم يقل فبقضاء ربي وإرادته.

قال الزجاج: وما يبدئ الباطل أى أى شىء يبدئ الباطل؟ وأى شىء يعيد؟ ويجوز ان تكون (ما) نافية، والمعنى وليس يبدئ إبليس ولا يعيد.

#### قوله تعالى: [سورة سبأ (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤] ..... ص: ٤٠٧

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٨

قرأ حمزة والكسائي و ابو عمرو (التناوش) بالهمز. الباقون بغير همز.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله (ولو ترى) يا محمد (إذ فرغوا) من العذاب يوم القيامة (فلا قوت) أى لا مهرب ولا يفوتونه. فالقوت خروج وقت الشىء كقوت الصلاة، وفوت وقت التوبة وفوت عمل اليوم بانقضائه.

والفرع والجزع والخوف والرعب واحد. والفرع يتعاطم فى الشدة بحسب أسبابه وقوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال ابن عباس والضحاك: أخذوا من عذاب الدنيا. وقال الحسن: حين يخرجون من قبورهم. وقيل: من بطن الأرض الى ظهرها. والمعنى انهم إذا بعثوا من قبورهم، ولو ترى فرغهم يا محمد حين لا قوت ولا ملجأ. وجواب (لو) محذوف، والتقدير لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة. وقوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) أى يقولون ذلك الوقت آمنا به وصدقنا به. فقال تعالى (وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) قيل: معناه بفوتهم

تناول التوبة فى الآخرة الى الدنيا، والتناوش التناول من قولهم نشته أنوشه إذا تناولته من قريب، قال الشاعر:

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا «١»

وتناوش القوم إذا دنا بعضهم الى بعض، ولم يلتحم بينهم قتال، وقد همز بعضهم، فيجوز أن يكون من هذا، لأن الواو إذا انضمت همزت كقوله (أقتت) «٢» ويجوز أن يكون من النش وهو الإبطاء، وانتاشه أخذ به من مكان بعيد، ومثله ناشه قال الشاعر:

تمنى نيشاً أن يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الأمور امور «٣»

(١) تفسير الطبرى ٢٢ / ٦٥.

(٢) سورة ٧٧ المرسلات آية ١١.

(٣) تفسير القرطبي ٣١٧ / ١٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٠٩

و قال رؤبة:

اقحمني جار أبي الجاموش اليك نأش القدر المنوش «١»

(وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) معناه كيف تقبل توبتهم أو يردون الى الدنيا، وقد كفروا بالله و رسله من قبل ذلك، و هو قوله (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يعنى قولهم هو ساحر و هو شاعر و هو مجنون.

و قيل: هو قولهم لا- بعث و لا جنه و لا نار- ذكره قتاده- و قال البلخي: يجوز ان يكون أراد انهم يفعلون ذلك بحجة داحضة و أمر بعيد. و قال قوم:

يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد الا ان فى العقل انها لا تقبل. ثم قال (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) أى فرق بينهم و بين شهواتهم، من قبول توبتهم و إيصالهم الى ثواب الجنة أو ردهم الى دار الدنيا (كما فعل) مثل ذلك (بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) و هو جمع الجمع تقول شيعه و شيع و أشياع، و لا ين أشياعهم تمنوا أيضاً مثل ذلك فحيل بينهم و بين تمنيتهم، ثم اخبر (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) فى الدنيا (مريب) و الريب أقيح الشك الذى يرتاب به الناس.

و قال سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير

قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ) نزلت فى الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء فيبقى رجل يخبر الناس بما رآه، و رواه حذيفة عن النبى صلى الله عليه و آله

(١) مجاز القرآن ١٥١ / ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٠

### ٣٥-سورة فاطر ..... ص : ٤١٠

#### إشارة

مكية فى قول مجاهد و قتادة: لا ناسخ فيها و لا منسوخ، و به قال الحسن إلا آيتين قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» إلى قوله «الْفُضْلُ الْكَبِيرُ» و هى خمس و أربعون آية عراقى و حجازى إلا إسماعيل. و ست و أربعون فى عدد إسماعيل و الشاميين.

#### [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٤١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُوَفَّكُونَ (٣) وَ إِنِ يَكذَّبُوكَ فَقَدْ كذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١١



خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي «هل من خالق غير الله» جراً على أنه صفة ل (خالق) الباقون- بالرفع- على تقدير هل من خالق هو غير الله، و يجوز ان يكون التقدير: هل غير الله من خالق، و يجوز أن يكون رفعاً على موضع (من) و تقديره هل خالق غير الله.

يقول الله تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى الشكر له على جميع نعمه «فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالقهما و مخترعهما. و الفطر الشق عن الشىء بإظهاره للحس، و معنى فطر السموات و الأرض أى خلقهما و أظهرهما للحس بعد ان لم تكونا ظاهرتين، و روى عن ابن عباس أنه قال: ما كنت أدري ما معنى فطر السموات حتى احتكم إلى أعرابياني فى بئر، فقال أحدهما أنا فطرتهما، أى اخترعتها و ابتدأتها. و من كان خالق السموات و الأرض لا يفعل إلا ما يستحق به الشكر و الحمد، لأنه غنى حكيم، فلا يعدل عما يستحق به الحمد إلى ما لا يستحق به ذلك.

و قوله «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» أى جعل الملائكة رسلا بعضهم إلى بعض و بعضهم إلى البشر. ثم ذكر اوصافهم و هو أنهم «أُولَى أجنحةٍ» أى اصحاب أجنحة «مثنى و ثلاث و رباع ...» أى اثنين اثنين و ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة، فهذه الألفاظ معدولة عن الاثنين و الثلاث و الأربع، مع انها التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٢

صفات فلذلك ترك صرفها قال الشاعر:

و لكنما اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحدى (١)

و إنما جعلهم أولى أجنحة، ليمكنوا بها من العروج إلى السماء و من النزول إلى الأرض، قال قتادة: منهم من له جناحان، و منهم من له ثلاثة و منهم من له اربعة، ثم قال «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» قيل حسن الصوت و قيل من الأجنحة من حيث خلق للملائكة زيادة عما خلق لسائر الخلق من البشر و الأمم. فان قيل: الطائر لا يحتاج إلى اكثر من جناحين فما معنى خلق الملائكة أولى ثلاث و اربع؟ قيل: يجوز أن يكون كل جناح بعلوه باثنين، و يجوز أن يكون للزينة الزائدة، و قد يكون للسمكة أجنحة فى ظهرها. ثم بين «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى لا شىء إلا و هو تعالى قادر عليه بعينه او قادر على مثله.

ثم قال تعالى «مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» معنى (ما) الذى و تقديره الذى يفتح الله للناس من نعمة و رحمة «فَلَا تُمَسِّكُ لَهَا وَ مَا يُمَسِّكُ» من نعمة على خلقه «فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد الله «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يقهر «الحكيم» فى جميع أفعاله، إن أنعم و إن امسك، لأنه عالم بمصالح خلقه لا يفعل إلا ما لهم فيه مصلحة فى دينهم او دنياهم.

ثم خاطب المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» بأن خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أقدركم و شهاكم، و خلق لكم المنافع التى تنتفعون بها «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ» تقريراً لهم على انه لا خالق غير الله فى السموات و الأرض «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ» بالمطر و من «وَالْأَرْضِ» بالنبات «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود يستحق العبادة سواه تعالى «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى كيف تقلبون

(١) الكتاب لسيبويه ١٥ / ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٣

عن طريق الحق إلى الضلال. و انما قال «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ» و إن كان أحدنا يخلق الشىء لأن هذه الصفة لا تطلق إلا عليه تعالى، فاما غيره فإنها تقيده له. و ايضاً فقد فسر ما أراد و هو أنه هل من خالق رازق للخلق من السموات و الأرض غير الله أى لا خالق على هذه الصفة إلا هو. هذا صحيح لأنه لا احد يقدر على ان يرزق غيره من السماء و الأرض بالمطر و النبات و أنواع الثمار.

ثم قال تعالى تعزية للنبي صلى الله عليه و آله و تسليية له عن تكذيب قومه إياه «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ»، يا محمد هؤلاء الكفار «فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» أرسلهم الله فكذبوهم و لم يقبلوا منهم فلك اسوة بمن كان قبلك «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يعنى ترد الأمور الى حيث لا يملك التصرف فيها مطلقاً غير الله يوم القيامة.

ثم خاطب الخلق فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» يعنى ما وعدهم به من البعث و النشور و الجنة و النار صحيح كائن لا محالة «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» فتغترون بملادها و زينتها و تتركون ما أمركم الله به و ترتكبون ما نهاكم عنه (وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) فالغرور هو الذى عادته ان يغر غيره، و الدنيا و زينتها بهذه الصفة، لأن الخلق يغترون بها، و قال الحسن الغرور الشيطان الذى هو إبليس، و هو قول مجاهد. و الرزق يطلق على وجهين:

أحدهما- ان الله جعله يصلح للغذاء يتغذى به الحيوان و للملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لا يأكلون و لا ينتفعون إلا بما جعله الله رزقاً لهم.

و الثانى- انه ملكه الله و حكم انه له فهم يتظالمون من هذا الوجه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٤

### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٤١٤

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ (١٠)

خمس آيات حجازى و كوفى، و ست بصرى و شامى، عد البصريون و الشاميون (شديد) و لم يعده الباقون.

قرأ ابو جعفر (فلا تذهب) بضم التاء و كسر الهاء (نفسك) بنصب السين.

الباقون- بفتح التاء و الهاء، و رفع السين.

يقول الله تعالى مخبراً لخلقه من البشر (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) فيعدل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٥

بكم عن أفعال الخير و يدعوكم إلى ما فيه الهلكة، فالعداوة ضد الولاية، و لا يجوز ان يكون احد عدواً من وجه و لياً من وجه، كما لا يجوز أن يكون موجوداً من وجه معدوماً من وجه، لان الصفتين متناقضتان. ثم أمرهم بأن يتخذوا الشيطان عدواً كما هو عدو لهم، و بين تعالى أن الشيطان ليس يدعو إلا- حزبه أى أصحابه و جنده، و هم الذين يقبلون منه و يتبعونه. و بين انه إنما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير بارتكاب المعاصى و الكفر بالله تعالى، و السعير النار المستعرة.

ثم اخبر تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات الله و يكذبون رسله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) جزاء على كفرهم و تكذيبهم، و إن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا) الأفعال (الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله لدنوبهم و لهم (أجر) أى ثواب (كبير) ثم قال مقررأ لهم (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا) يعنى الكفار زينت نفوسهم لهم أعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او الشيطان يزينها لهم فيميلهم الى الشبهة و ترك النظر فى الأدلة الدالة على الحق باغوائه حتى يتشاغلوا بما فيه اللذة و طرح الكلفة.

و خبر (من) فى قوله (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) محذوف و تقديره يتحسر عليه، و قيل: إن الخبر قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) إلا أنه وقع (من يشاء) موقعه. و قيل: جواب (افمن زين) محذوف بتقدير: كمن علم الحسن من القبيح، و عمل بما علم. و قيل: كمن هداه الله.

و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه دل على انهم رأوا أعمالهم السيئة حسنة. و هذا رأى فاسد، ثم قال لنبيه صلى الله عليه و آله ناهياً له (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) يا محمد (حسرات). و من فتح التاء جعل التبيان فى تفسير القرآن،

ج ٨، ص: ٤١٦

الفعل للنفس، و الحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) من المعاصي و الطاعات فيجازيهم بحسبها. ثم قال (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَيْحَابًا) أى تنشئه و تجمعه و تجيء به و تحركه (فسقناه) أى فساقه الله (إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ) لم يمطر أى قحط و جذب فيمطر على تلك الأرض فيحيى بذلك الماء و المطر الأرض بعد موتها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع. ثم قال: كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة القحطة من إحيائها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع مثل ذلك ينشر الخلائق بعد موتهم و يحشرهم الى الموقف للجزاء من ثواب و عقاب. و قيل: إن الله تعالى إذا أراد احياء الخلق أمطر السماء أربعين يوماً فنبت بذلك الخلق نباتاً. ثم قال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ) يعنى القدرة على القهر و الغلبة (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أى له القهر على جميع الأشياء لا يقدر احد ان يمنعه مما يريد فعله به. و قيل: معناه من كان يريد علم العزة لمن هى، فهى لله. و قيل: معناه من أراد العزة فليطع الله حتى يعزه. و قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) قيل: معناه انه تعالى يقبله و يثيب عليه. و قيل: اليه يصعد اى الى حيث لا يملك الحكم فيه إلا الله، كما يقال: ارتفع أمرهم الى القاضى، و قوله (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) اى يقبله. و قيل: فى الضمير الذى فى (يرفعه) ثلاثة أوجه: أحدها- يرفع الكلم الطيب من الفعل. الثانى- يرفعه الكلم الطيب. الثالث- يرفعه الله.

ثم قال (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) اى يحتالون لفعل السيئات من الشرك و الكباير. و قيل: هم اصحاب الرياء (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ) قال قتادة: معناه مكروهم يفسد. و قيل: معنى يبور يكسد، فلا ينفذ فى ما يريدون التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٧

و قال مجاهد: هو ما عمل للرياء فانه يفسد، قال ابن الزبعرى:

يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقت إذ انا بور «١»

### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧] ..... ص: ٤١٧

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا- بِعِلْمِهِ وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاحِرَ يُتَّبَعُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَيَخِرُّ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُبْنِيكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)

(١) مر تخريجه فى ٢٩٤/٦ و ٤٧٩/٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٨

ست آيات بصرى و سبع فى ما عداه عدوا (بخلق جديد) و لم يعده البصريون.

قرأ يعقوب و لا- (ينقص من عمره) بفتح الياء و ضم القاف. الباكون على ما لم يسم فاعله. و قرأ قتيبة (و الذين تدعون) بالتاء على الخطاب. الباكون بالياء على الخبر.

هذا خطاب من الله سبحانه لجميع خلقه من البشر انه خلقهم من تراب، و يريد ان آدم الذى هو أبوهم و منه انتسلوا خلقه من تراب و منه توالدوا.

وقيل: إن المراد به جميع الخلق، لأنهم إذا خلقهم من نطفة و النطفة تستحيل من الغذاء، و الغذاء يستحيل من التراب، فكأنه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدرج. و على الأول يكون قوله «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» معناه ثم خلق أولاد آدم من نطفة ثم استثنا منه عيسى فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» «١» فقوله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أى اشكالا لان الزوج هو الذى معه آخر من شكله، و الاثنان زوجان «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» معناه ليس تحمل الأنثى من حمل يولد و لا تضعه لتمام و لغير تمام إلا و الله تعالى عالم به، لا أن علمه آله فى ذلك، و لا يدل ذلك على أن له علماً يعلم به، لأن المراد ما ذكرناه من انه لا يحصل شىء من ذلك إلا و هو عالم به.

و قوله «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ و العمر مدة الأجل للحياة و هو تفضل من

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤١٩

الله سبحانه و تعالى يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى و الفقر، و القوة و الضعف، و المعنى: و ليس يطول عمر احد و لا- ينقص من عمره بأن يذهب بعضه بمضى الليل و النهار إلا- و ذلك فى الكتاب المحفوظ أثبتة الله تعالى قبل كونه. و قال الحسن و الضحاك و ابن زيد: معنى «وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ» أى من عمر معمر آخر، و قال ابو مالك: معناه و لا ينقص من عمره ينقصى ما ينقصى منه. و قال الفراء: هو كقولك: عندى درهم و نصفه أى و مثل نصف الدرهم من غيره.

ثم قال «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» يعنى تعميم من يعمره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلك فى الكتاب سهل على الله غير متعذر.

ثم قال تعالى «وَمَا يَسْتَوِي الْبُحْرَانِ» أى لا يستويان لان «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ» أى مرىء شهى (و هذا) الآخر (ملح أجاج) فالفرات أعذب العذب و الأجاج أشد المر. و الأجاج مشتق من أجمت النار كأنه يحرق من مرارته. و (اللؤلؤ و المَرَجَانُ) «١» يخرج من الملح دون العذب. و قيل:

فى الملح عيون عذبة، و فى ما بينهما يخرج اللؤلؤ.

ثم قال (و من كل) يعنى من البحرين العذب و الأجاج (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) يعنى سمكا (وَتَشْتَبِحُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا) من اللؤلؤ و المرجان (وَتَرَى الْفُلُكَ) يعنى السفن (فِيهِ مَوَازِرٌ) أى تشق الماء فى جريانها شقاً. و قيل: معناه إنها تذهب و تجىء، بلغة قريش و هذيل. و قال الحسن: يعنى مواير كقوله (الْفُلُكِ الْمَسْحُونِ) «٢» (لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) معناه إنه تعالى خلق ذلك لخلق

(١) سورة ٥٥ الرحمان آية ٢٢.

(٢) سورة ٢٦ الشعراء آية ١١٩.

و سورة ٣٦ يس آية ٤١ و سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٠

ليتمسوا من فضل الله بركوب البحر للتجارة و المسير فيها طلباً للمنافع و ما يخرجون منها من انواع الأشياء لكى يشكروا الله على نعمه و يحمده على فضله ثم قال (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ و يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) معناه انه ينقص من الليل فى النهار عند منقلب الصيف، و من النهار فى الليل عند منقلب الشتاء.

و قيل: معناه انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه و يتعقبه (وَسَيَخْرُ السَّمْسُ و الْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَيِّمِي) قدره الله لهما بحسب ما علم من مصالح خلقه إلى الوقت الذى يفنيهما الله فيه. فتسخير الشمس نزولها فى بروج مخصوصة فى أوقات مخصوصة كل فصل منها لنوع آخر من المنافع لا يختلف الحال فيه، و تسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة، فيستدل به على السنين و الشهور، و ذلك

يدل على أن مدبره عالم حكيم.

ثم قال (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ) الذى يقدر على تسخير الشمس والقمر، وإيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وخلق البحرين العذب والمالح، ومنع أحدهما أن يختلط بالآخر لا يقدر عليه غيره (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) وتوجهون عبادتكم اليهم من الأصنام والأوثان (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) وهو قشر النواة- فى قول ابن عباس ومجاهد وقادة وعطية- فدل على أن من لا يملك هذا القدر لا يستحق العبادة ولا يكون إلهاً.

ثم قال (إن تدعوهم) يعنى الأصنام (لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) لأنها جمادات يستحيل ذلك عليها، ولا يقدر على ضرر ولا نفع (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) قيل: إن الله تعالى يحيى الأصنام يوم القيامة لينكروا على المشركين، ويوبخوهم على عبادتهم إياهم. وقال البلخى: يجوز أن يكون المراد به الملائكة وعيسى. وقوله (لَا يَسْمَعُوا التَّبْيَانَ) فى تفسير القرآن، ج ٨، ص:

٤٢١

دُعَاءَكُمْ

أى هم بحيث لا يسمعونهم أو هم مشغولون عنهم لا يلتفتون اليهم ولا يصغون ويجوز أن يكون المراد بها الأصنام ويكون ما يظهره من بطلان ما ظنوه كفراً بشركهم وجرماً له كما حصل ما فى الجماد من الدلالة على الله مسبحاً له وهو كقولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً (ولا ينبئك) يا محمد بالشىء على حقيقته (مثل خير) عالم بما اخبر، والله تعالى هو العالم بالأشياء على حقائقها.

ثم قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) أى محتاجون اليه (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن جميع المخلوقات لا تجوز عليه الحاجة، لأنه ليس بجسم فالحاجة من صفة الأجسام (الحميد) يعنى المحمود المستحق للحمد على جميع أفعاله، والله تعالى لا يفعل إلا ما يستحق به حمداً.

ثم اخبر تعالى عن قدرته فقال (إِنْ يَشَأْ يُدْهِبِكُمْ) معاشر الخلق ويفنيكم (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ آخَرَ) (جديد) وهو ما كان قريب عهد بانقطاع العمل عنه، وأصله القطع من جده يجده إذا قطعه. والجد أبو الأب لا نقطاعه عن الولادة بالأب والجد المضى فيه بقطعه أولاً أو من غير تفتير (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) أى بممتنع فالعزيز المنيع بوجه من الوجوه الذى يتعذر معها الفعل.

**قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ١٨ الى ٢٣] ..... ص: ٤٢١**

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٢

ست آيات حجازى وكوفى وخمس آيات شامى واربع آيات بصرى عد الحجازيون والكوفى والشامى «البصير» و«النور» ولم يعده البصرى وعد الحجازيون والعراقيون «القبور» ولم يعده الشامى.

يقول الله تعالى مخبراً حسب ما تقتضيه حكمته و عدله أنه «لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ معناه أنه لا تحمل حامله حمل أخرى من الذنب، والوزر الثقل، ومنه الوزير لتحمله ثقل الملك بما يتحمله من تدبير المملكة، وتقديره أنه لا يؤاخذ احد بذنب غيره، وإنما يؤاخذ كل مكلف بما يقترفه من الإثم.

وقوله «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ معناه وإن تدع مثقلة بالآثام غيرها لتحمل عنها بعض الإثم لا

يحمل عنها شيئاً من آثامها، وإن كان أقرب الناس إليها، لما في ذلك من مشقة حمل الآثام و لو تحملته لم يقبل تحملها، لما فيه من مجانية العدل و منافاته له، فكل نفس بما كسبت رهينة، لا يؤخذ أحد بذنب غيره، و لا يؤخذ إلا بجنايته.

وقوله «إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» معناه ليس ينتفع بتخويفك يا محمد إلا الذين يخافون ربهم في غيبتهم و خلواتهم فيجتنبون معاصيه في سرهم و يصدقون بالآخرة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٣

وقوله «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» قال ابو عبيدة في مجازة: اي و يقيمون، فوقع الماضي مقام المستقبل، و المعنى يديمون فعلها و يقومون بشرائها. و إنما عطف الماضي على المستقبل إشعاراً باختلاف المعنى، لان الحسنه لازمه في كل وقت و الصلاة لها اوقات مخصوصه، و أضاف الانذار إلى الذين يخشون ربهم من حيث كانوا هم المنتفعون بها، و إن كان النبي صلى الله عليه و آله ينذر كل مكلف.

ثم قال «وَمَنْ تَزَكَّى» أى فعل الطاعات و قام بما يجب عليه من الزكاه و غيرها من الواجبات فإنما يتزكى لنفسه، لان ثواب ذلك و نفعه عائد عليه.

وقوله «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» معناه يرجع الخلق كلهم الى حيث لا- يملك الأمر و النهى إلا الله، فيجازى كل مكلف على قدر عمله. و قوله «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْأَبْصِرُ» معناه لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق و العادل عنها، و البصير الذى يهتدى إليها قط، لأن الأول يستحق العقاب، و الثانى يستحق الثواب «وَلَا الظُّلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ» يعنى و كذلك لا يستوى المؤمن و الكافر و المطيع و العاصى فشبّه الايمان بالنور و الكفر بالظلمات، و كذلك لا يستوى «الظُّلُّ وَ لَا الْحُرُّورُ» فالظل هو الستر عن موقع الشمس و منه الظله، و هى السترة عن موقع الشمس، و منه قولهم: ظل يفعل كذا إذا فعل نهاراً فى الوقت الذى يكون للشمس ظل، و الحرور السموم و هو الريح الحارة فى الشمس، و قال الفراء:

الحرور يكون بالليل و النهار و السموم لا يكون إلا بالنهار. و قيل: الظل الجنة و الحرور النار «وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ» أى هما ايضاً لا يتساويان و لا يتماثلان، فالاسواء حصول أحد الشئيين على مقدار الآخر، و منه الاستواء فى العود و الطريق خلاف الاعوجاج، لممره على مقدار أوله من غير انعدال.

و هذه الأمثال أمثال ضربها الله لعباده الله و عبادة الأوثان، و بين أنه كما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٤  
لا تتماثل هذه الأشياء، و لا تتشاكل و لا تتساوى، فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة الأصنام.

ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ» و معناه أن الله ينفع باسماع ذلك من يشاء ممن يعلم أن له لطفاً يفعل به دون غيره «وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» أى لأنك لا تقدر على نفع الكفار باسماعك إياهم إذا لم يقبلوا، كما لا تسمع من فى القبور من الأموات «إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» أى لست إلا نذيراً مخوفاً بالله.

شبه الكفار فى تركهم قبول ما يسمعون و ذهابهم عن تفهمه و تدبره بالموتى، كما شبههم بالصم و العمى، يقال: أصمهم و أعمى أبصارهم ليس أنهم كانوا لا يسمعون و لا يفهمون أو كان النبي صلى الله عليه و آله لا ينذرهم لكن على ما بيناه من التشبيه.

و قيل فى (لا) قولان: أحدهما- أنها زائده مؤكدة للنفى. الثانى- انها باقية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل. فمن قال: إنها زائده قال فى مثل قولهم لا يستوى زيد و لا عمرو فى هذا المعنى، فلا تكون هنا إلا زائده، و من قال: ليست زائده، قال تقديره لا يستوى الأعمى و البصير و لا يساوى البصير الأعمى.

#### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٤ الى ٢٦] ..... ص: ٤٢٤

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ إِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَ إِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)



ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٥

لما قال الله تعالى لنبية إن أنت إلا نذير، و معناه لست إلا مخوفاً من عقاب الله و معاصيه قال له «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «بِالْحَقِّ» أى بالدين الصحيح «بَشِيرًا» أى مبشراً بالجنة و ثواب الله لمن أطاعه «و نَذِيرًا» أى مخوفاً من عقابه لمن عصاه «و إِنْ مِنْ أُمَّةٍ» أى ليس من أمة فى ما مضى إلا مضى فيها مخوف من معاصى الله. و قال قوم: المعنى «إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» منهم و قال آخرون: نذير من غيرهم، و هو رسول اليهم، كما أرسل نبينا صلى الله عليه و آله الى العرب و العجم. و قال الجبائي: فى ذلك دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا و قد بعث الله اليهم رسولا، و أنه أقام الحجّة على جميع الأمم.

ثم قال على وجه التسليّة له و التعزية عن تكذيب قومه إياه «و إِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد و لم يصدقوك فى انك نبى من قبل الله «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار أنبياء أرسلوا اليهم «جاءتْهُمْ رُسُلُهُمْ» من الله «بِالْبَيِّنَاتِ» أى الحجج الواضحات «و بِالزُّبُرِ» يعنى بالكتب «و بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» الموضح بمنزلة ما فيه من نور يستضاء به. و الزبر هى الكتب، و انما كرر ذكر الكتاب، و عطف عليه، لاختلاف الصنفين، لان الزبر الكتابة الثابتة كالنقر فى الحجر، ثم بين تعالى ان الكفار لما كذبوا رسل الله الذين جاءوهم بالبينات و لم يعترفوا بنبوتهم انه أخذهم بالعذاب و بالعقوبة العاجلة و اهلكهم و دمر عليهم.

### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠] ..... ص: ٤٢٥

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٦

أربع آيات بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبية و المراد به جميع المكلفين منبهاً لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته و اختصاصه من الصفات بما لا يختص به سواه بأن قال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد و معناه أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» اخبار منه تعالى عن نفسه انه أخرج بذلك الماء «ثَمَرَاتٍ» جمع ثمرة، و هى ما يجتنى من الشجر «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» لان فيها الأحمر و الأبيض و الأصفر و الأخضر و غير ذلك. و لم يذكر اختلاف طوعمها و روائحها لدلالة الكلام عليه. و الاختلاف هو امتناع الشىء من ان يسد مسد صاحبه فى ما يرجع إلى ذاته ألا ترى أن السواد لا يسد مسد البياض، و ذلك لا يقدر عليه سواه تعالى من جميع المخلوقين «و مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ» واحده جده نحو مده و مدد و اما جمع جديد فجدد- بضم الدال- مثل سرير و سرر. و الجدد الطرائق (بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ) واحده الغرابيب غريب و هو الذى لونه كلون الغراب من شدة سواده، و لذلك قال (سود) لأنه دل عليه

من هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٧

الوجه، ثم بين بالافصاح أنها سود، قال امرؤ القيس:

كأن سراته و جدّة متنه كئان يحرى فوقهن دليص «١»

يعنى بالجدة الخطّة السوداء تكون فى متن الحمار، و الكئان جمع كئانه، و الدليص الذى يبرق من الذهب و الفضة و ما أشبهها، فالجدد هى الوان الطرق.

ثم قال (و مِنَ النَّاسِ) أيضاً (و مِنَ الدَّوَابِّ) التى تدب على وجه الأرض (و الانعام) كالإبل و البقر و الغنم (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) ايضاً مثل ذلك مما فى الجبال و الثمار (كذلك) أى مثل ما قدمنا ذكره.

ثم قال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ومعناه ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفاً من عقابه إلا العلماء الذين يعرفون حقيقة ذلك فأما الجهال ومن لا يعرف الله فلا يخافونه مثل ذلك، وكذلك ينظر العلماء في حجج الله وبياناته ويفكرون في ما يفضى بهم إلى معرفته من جميع ما تقدم ذكره ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) في انتقامه من أعدائه (غفور) لأوليائه و التائبين من خلقه الراجعين إلى طاعته.

ثم قال (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يعنى يقرءون القرآن و يعملون بما فيه (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا) فى طاعته الله (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أى مما رزقهم الله و ملكهم التصرف فيه (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) أى فى حال سرهم، و فى حال علانيتهم (يرجون) فى موضع الحال أى راجين بذلك (تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ) أى لا تكسد. و قيل: لا تفسد، يقال بارت السوق إذا كسدت و بار الطعام، و بار الشيء إذا فسد، قال الشاعر:

(١) ديوانه (شرح السندوسى) ١٢٤ و روايته (ظهره) بدل (متنه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٨

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «١»

ثم بين انهم يقصدون بذلك أن يوفيهم الله أجور ما عملوا من الطاعات بالثواب و يزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم، لأنه وعد بأن يعطى الواحد عشرة (إنه غفور) لعباده سائر لذنوبهم (شكور) معناه إنه يعامل بالإحسان معاملة الشاكر. و قال الجبائى: وصفه بأنه شكور مجاز، لان معناه انه يجازى على الطاعات.

#### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص: ٤٢٨

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

خمس آيات بلا خلاف.

(١) قد مر فى ٢٩٤ / ٦ و ٤٧٩ / ٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٢٩

قرأ أبو عمرو (يدخلونها) بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله تعالى (يحلون). الباقون بفتح الياء، لأنهم إذا أدخلوها فقد دخلوها، والمعنيان متقاربان.

يقول الله تعالى لنبى محمد صلى الله عليه و آله (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد و أنزلناه عليك (من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق) معناه هو الصحيح الذى معتقده على ما هو به. و ضده الباطل، و هو ما كان معتقده لا على ما هو به.

و العقل يدعو إلى الحق و يصرف عن الباطل، و قوله (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) معناه مصدقاً لما قبله من الكتب بأنه جاء موافقاً لما بشرت به تلك الكتب من حاله و حال من أتى به. ثم قال (إِنَّ اللَّهَ) تعالى بعباده (لخبير) أى عالم بهم (بصير) بأحوالهم لا يخفى عليه شىء منها فيجازيهم على استعمال الحق بالثواب و على استعمال الباطل بالنار. ثم قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) يعنى القرآن أورشناه من اصطفيناه من عبادنا. و معنى الإبرث انتهاء الحكم اليه و مصيره لهم، كما قال تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) «١» و قيل المراد أورشناهم الايمان بالكتب السالفة و كان الميراث انتقال الشىء من قوم إلى قوم.

و الأول أصح. و الاصطفاء الاختيار بإخراج الصفوة من العباد، فاصطفى الله المؤمن يحمل على ثلاث طبقات مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغيرة، و مقتصد بالطاعات فى المرتبة الوسطى، و سابق بالخيرات فى الدرجة العليا، و هم الذين لم يرتكبوا شيئاً من المعاصى، و كل وعد الله الحسنى، و الذين اصطفاهم الله و أورثهم الكتاب قيل: هم الأنبياء فمنهم ظالم لنفسه يعنى أصحاب الصغائر. و قيل: هم اصحاب النار، هذا من قول من أجاز على الأنبياء الصغائر دون الكبائر، فأما

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٠

من لا يجوز عليهم شيئاً من المعاصى أصلاً لا صغيرة و لا كبيرة يقول: معنى الآية إن الله تعالى أورث علم الكتاب الذى هو القرآن الذين اصطفاهم و اجتباهم و اختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، و الأئمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطأ و لا فعل القبيح لا- صغيراً و لا- كبيراً، و يكون قوله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) راجعاً إلى (عباده) و تقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه، و من عبادنا مقتصد، و من عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا و قوله «بالخيرات» يعنى يعلم من اقتصد او ظلم نفسه أو سبق بالخيرات.

ثم قال (ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) يعنى السبق بالخيرات هو الفضل العظيم الذى لا شىء فوقه. و قال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمه محمد، و رثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، و مقتصدهم يحاسبهم حساباً يسيراً و سابقهم يدخلون الجنة بغير حساب. و قال ابن مسعود- بذلك- و كعب الأحبار. و قال الثلاث فرق- المذكورة فى هذه الآية- كلهم فى الجنة. و قال عكرمة عن ابن عباس: إن المصطفين من هذه الأمة الأنبياء، و الظالم لنفسه هو المنافق و المقتصد و السابق بالخيرات فى الجنة، و المنافق فى النار. و قال الحسن و مجاهد: السابق بالخيرات من جميع الناس، و الظالم لنفسه أصحاب المشئمة، و المقتصد اصحاب الميمنة من الناس كلهم. و هذا مثل ما قلناه من ان الكناية راجعة إلى العباد دون المصطفين، و قال البلخى: الاصطفاء- هاهنا- التكليف دون الثواب، فعلى هذا يجوز أن ترجع الكناية الى المصطفين.

ثم قال «جَنَاتٌ عِدْنٍ» فرجع جنات على تفسير الفوز، كأنه قيل: ما ذلك الفوز؟ فقال هى جنات أى جزاء جنات أو دخول جنات، و يجوز أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣١

بدلاً من الفوز، كأنه قال ذلك جنات أى دخول جنات، و الجنات هى البساتين التى يجننها الشجر، و العدن الإقامة «يَدْخُلُونَهَا» يعنى من تقدم ذكره من الذين سبقوا بالخيرات و المقتصدين «يُحَلَّلُونَ فِيهَا» بمعنى يلبسون فيها الحلوى «مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» و أساور جمع أسوار، و من قال سوار جمعه على أسورة «مِنْ ذَهَبٍ وَ لَوْلُؤًا» فىمن جر، و من نصب «لؤلؤاً» و هو نافع و عاصم فعلى تقدير و يحلون فيها لؤلؤاً «وَلِيَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ» معناه إن ما يلبسه أهل الجنة من اللباس إبريسم محض.

ثم اخبر تعالى عن حال من يدخل الجنة أنهم إذا دخلوها «قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى اعترافاً بنعمة الله و شكراً له على نعمه، و هو الاعتراف منهم على وجه الإلجاء، لهم فى ذلك سرور لا على وجه التكليف «الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ» و معناه أذهب الغم عنا بخلاف ما كنا عليه فى دار الدنيا، و قيل: الحزن الذى أصابهم قبل دخول الجنة، فإنهم يخافون من دخول النار إذا كانوا مستحقين لها، فإذا تفضل الله عليهم بأن يسقط عقابهم و يدخلهم الجنة حمدوا الله على ذلك.

و قيل: ما كان ينالهم فى دار الدنيا من أنواع الأحزان و الاهتمام بأمر المعاش و الخوف من الموت و غير ذلك «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» لذنوب عباده إذا تابوا مجاز لهم على شكرهم لنعمه. و قيل: إن مكافاته لهم على الشكر لنعمه و القيام بطاعته جرى مجرى أن يشكره لهم و إن كان حقيقة لا- يجوز عليه تعالى من حيث كان اعترافاً بالنعمه، و لا يصح عليه تعالى أن يكون منعماً عليه، ثم وصفوا الله تعالى بأن قالوا «الَّذِي أَحَلَّنَا» أى أنزلنا دار المقامة يعنى دار الإقامة و إذا فتحت الميم كان المراد موضع القيام قال الشاعر: التبيان فى

تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٢

يومان يوم مقامات و اندية و يوم سير إلى الاعداء تأويب (١)

و «مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ» يعنى تعب. و قال قتادة: معناه وجع «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» يعنى اعياء. و قيل: اللغوب العناء. و منه قوله تعالى «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» (٢).

### قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص: ٤٣٢

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يِعُدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)

(١) اللسان (أوب).

(٢) سورة ٥٠ ق آية ٣٨. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٣

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده «يجزى» بضم الياء على ما لم يسم فاعله. الباقون بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه. وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و حفص «على بينة» بالتوحيد لقوله «فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» (١) الباقون «بينات» على الجمع، لأنها مكتوبة في المصحف بالألف و التاء، و البينة و بينات القرآن، و في قوله «حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» (٢) و هو محمد صلى الله عليه و آله. و يقال: بان الشيء و أبان إذا تبين، فهو باين و مبين، و أبنته أنا و بينته لا غير. و البينة و زنها (فيعلة) فاجتمع ياءان فأدغم إحداهما في الأخرى. لما اخبر الله تعالى عن أحوال اهل الآخرة و ما أعدده لأهل الجنة من أنواع الثواب أخبر - هاهنا - عن حال الكفار و ما أعدده لهم من أليم العقاب فقال «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانية الله و جحدوا نبوة نبيه «لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ» عقوبة لهم على كفرهم يعذبون فيها «لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» أى لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا، يقال قضى فلان إذا مات «وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» معناه و لا ييسر عليهم عذاب النار و لا يسهل عليهم و مثل هذا العذاب و نظيره «كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ» جاحد لوحدانيته تعالى و مكذب لأنبيائه. ثم اخبر تعالى عن حال من هو فى النار فقال «وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا» أى

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٥٧.

(٢) سورة ٩٨ البينة آية ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٤

يتصايحون بالاستغاثه، فالاصطراخ الصياح و النداء بالاستغاثه، و هو افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنه قبلها، و إنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف و وسط بين حرفين يوافق الصاد بالاستعلاء و الاطباق و يوافق التاء بالمرحج. و يقولون «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا» من عذاب النار «نَعْمَلْ صَالِحًا» يعنى نعمل بالطاعات و الاعمال الصالحات التى أمرنا بها «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من المعاصى، فيقول الله

لهم - في جوابه تبيكتنا لهم و إنكاراً عليهم «أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ» في دار الدنيا. و قال ابن عباس، و مسروق: العمر الذي ذكره الله أربعون سنة، و في رواية أخرى ستون سنة، و هو قول علي عليه السلام «مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» أي عمرناكم مقدار ما يمكن أن يتذكر و يعتبر و ينظر و يفكر من يريد أن يتفكر و يتذكر «وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ» يعني المخوف من معاصي الله ، قال ابن زيد: يعني به محمداً صلى الله عليه و آله و قال غيره: أراد الشيب. و قيل: الحمى «فَذُوقُوا» معاشر الكفار عقاب كفرهم و معاصيكم «فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» أي ليس لمن ظلم - و بخس نفسه حقها بارتكاب المعاصي - ناصر يدفع عنه العذاب. ثم اخبر تعالى بأنه «عَالِمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لا يخفى عليه شيء مما غاب عن جميع الخلائق علمه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»

و معناه اتقوا و احذروا أن تضمروا في أنفسكم ما يكرهه الله تعالى، فانه عليم بما في الصدور لا يخفى عليه شيء منها. و قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» معناه جعلكم معاشر الكفار أمه بعد أمه و قرناً بعد قرن. و هو قول قتادة «فَمَنْ كَفَرَ» أي جحد و حدانيته و أنكر نبوة نبيه صلى الله عليه و آله «فَعَلَيْهِ» عقاب «كُفْرُهُ» دون غيره «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا» أي لا يزيدهم كفرهم بالله عند الله التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٥

إلا أشد البغض لان المقت أشد البغض «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ» أيضاً «كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا» لأنهم يخسرون الجنة و يحصل لهم النار بدلا منها «وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» ثم قال موبخاً لهم «قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قيل: معناه ادعوا شركاءكم في الأموال التي جعلتم لها قسطاً من السائبة و الوصيلة و الانعام و الحرث، و هي الأوثان. و قيل: شركاءكم الذين اشركتموهم في العبادة مع الله «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» معناه أي شيء اخترعوه و أنشئوه فيدخل عليكم بذلك شبهة «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ؟» أي لهم شركة في خلق السموات؟ على وجه المعاونة لله؟ «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا؟» أي أعطيناهم كتاباً أمرناهم فيه بما يفعلونه (فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) أي من ذلك الكتاب، فان جميع ذلك محال لا- يمكنهم ادعاء شيء من ذلك، و لا إقامة حجة و لا شبهة عليه (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) و معناه ليس شيء من ذلك لكم، ليس يعد الظالمون أنفسهم بعضهم بعضاً إلا غروراً يغترون به و زوراً يتعدون به، يقال: غره يغره غروراً إذا أطعمه في ما لا يطعم فيه.

فان قيل: الآية تدل أن الله سبحانه ينفرد بالخلق دون العباد، لأنه بين أن من تهيأ له الخلق فهو إله. قلنا: هذا كقوله (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا) «١» فكما لا- يدل على ان من كان له يد أو رجل يكون إلهاً، فكذلك لا يجب ان يكون من يخلق يكون إلهاً على انه بين المراد بالخلق، فقال (ماذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) لا يقدر على خلق الأرض و لا على شيء منه إلا الله تعالى على أنا

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٩٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٦

لانطلق اسم خالق إلا على الله، و نقيده في الواحد منا.

**قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٤١ إلى ٤٥] ..... ص: ٤٣٦**

إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا- بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوْ لَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

خمس آيات كوفى و مكى و مدنى الأول. و ست شامى، و فى عدد إسماعيل. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٧

و سبع بصرى. عد البصرى و الشامى و إسماعيل (تبديلا) و عد البصرى قبله (تزولا) و لم يعد ذلك الباقون.

لما بين الله تعالى أن الأصنام لا تقدر على شىء و أن ليس لها شرك فى السموات و الأرض، أخبر عن عظيم قدرته و سعة سلطانه فقال (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ) بأن يسكنها حالا بعد حال، و لا يقدر على تسكينها غيره تعالى حال بعد حال، لأنه يسكنها بغير عمد، فالارضون ساكنة بلا عمد و السموات ساكنة باسكانه. و هى غير الأفلاك التى تجرى فيها النجوم، قال عبد الله بن مسعود ان السموات لا تدور، و لو كانت تدور لكانت قد زالت. و منعهما بهذا التسكين من أن تزولا عن مواضعها او تهوى او تسقط، و معنى (أن تزولا) كراهة أن تزولا. و قال الكوفيون: معناه ألا تزولا عن مراكزهما، فحذف (لا).

ثم قال (و لئن زالتا) معنى (لئن) (لو) و يوضع كل واحد منهما مكان الآخر، لأنهما يجابان بجواب واحد. و مثله (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) «١» و معناه و (لو) و معنى (وَلَئِنْ زَالَتَا) يعنى عن مقرهما (إِنْ أَمْسَكَكُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أى ليس يسكنها احد و لا يقدر عليه احد بعد الله تعالى (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا) يعنى القادر الذى لا يعاجل واحداً بالعقوبة، و لا يحلم إلا قادر، لأن من ليس بقادر، لا يصح ان يعاقب، فلا يحلم و إنما حلمه أنه بمن استحق العقوبة (غفوراً) أى ستاراً لذنوبهم إذا تابوا لا يفضحهم بها على رؤس الأشهاد، و (الغفور) الكثير الغفران لذنوب عباده بالتوبة و بالتفضل لمن يشاء منهم.

ثم حكى عن الكفار أنهم (أَقْسَمُوا بِاللَّهِ) يعنى حلفوا به (جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)

(١) سورة ٣٠ الروم آية ٥١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٨

أى غاية وسعهم و طاقتهم (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى مخوف من جهه الله يخوفهم من معاصيه (لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ إِلَىٰ اتِّبَاعِهِ وَ الْقَبُولِ مِنْهُ) (مِنْ) إِحْدَى الْأُمَمِ) الماضيه و أسبق إلى اتباعه (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى محمد صلى الله عليه و آله جاءهم يخوفهم بالله «ما زادهم» مجيئه «إلا نفورا» أى ازدادوا عند مجيئه نفورا عن الحق و هرباً منه لا- أن مجيئه زادهم ذلك. ثم بين تعالى أنهم ينفرون عند مجىء النبى «استكباراً» أى طلباً للكبر و التجبر على غيرهم «فى الأرض» من أن يقرروا بالحق «و مكر السىء» أى و حيلة الأفعال القبيحة و المعاصى لأنهم قصدوا بذلك الفرار من اتباع محمد و الايمان به، و السىء الشرك- فى قول قتاده- و أضيف اليه كما قال «لحق اليقين» «١» و فى قراءة عبد الله بن مسعود «و مكرأ سيئاً» و قد سكن حمزة وحده الهمة. الباقون جروها بالاضافة. و التسكين لحن عندهم اعنى البصريين، لا يجوز ان يقرأ به. و قيل الوجه فى تسكين حمزة كثرة الحركات فى الكلام، كما قال الشاعر:

إذا عوججن قلت صاحب قوم

فسكن الباء لكثرة الحركات، و الصحيح الأول، لأن مثل هذا إنما يجوز فى ضرورة الشعر، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون أجراه فى الوصل مجرى الوقف، و تقديره و مكرراً المكر السىء، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر، و تقديره و مكرروا المكر السىء بدلالة قوله «و لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» و معناه لا ينزل بأحد جزاء المكر السىء إلا بمن فعله «فهل ينظرون» أى فهل ينتظرون «إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ» من نزول العقاب بهم و حلول النعمة عليهم جزاء على كفرهم، فان كانوا ينتظرون ذلك «فلن تجد» يا محمد و المراد به

(١) سورة ٦٩ الحاقة ٥١.



التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٣٩

الكفار «لَسَيِّئَاتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى لا يغير الله عاداته من عقوبته من جحد ربوبيته «وَلَنْ تَجِدَ لِسَيِّئَاتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» ولا يبدلها بغيرها، فالتبديل تصير الشيء مكان غيره، والتحويل تصير الشيء فى غير المكان الذى كان فيه، والتغيير تصير الشيء على خلاف ما كان. ثم قال «أَوْ لَمْ يَسْتَيْزِرُوا فِي الْأَرْضِ» يعنى هؤلاء الكفار الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية، أما ساروا فى الأرض «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَاثُرًا» أولئك «أشد منهم» من هؤلاء «قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ» إذ لم يكن يفوته شيء «فى السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا» عالمًا بجميع الأشياء (قديراً) قادراً على ما لا نهاية له، و يقدر على أجناس لا يقدرون عليها. ثم اخبر تعالى ممننا على الناس بتأخير عقابهم بان قال (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) أى جزاء على معاصيهم عاجلاً (ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا) ظهر الأرض (من دابة) تدب على رجليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ) يعنى إلى الوقت المعلوم الذى قدره لتعذيبهم (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ) يعنى الوقت المقدر المعلوم (فان الله) تعالى (كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا) أى عالمًا بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازى كل انسان على قدر فعله من طاعة او معصية، و الضمير فى قوله (على ظهرها) عائد إلى الأرض و إن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام عليه، لأنه معلوم أنهم على ظهر الأرض دون غيرها، على أنه قد تقدم قوله (أَوْ لَمْ يَسْتَيْزِرُوا فِي الْأَرْضِ) و فى قوله (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ) فيجوز أن يرد الكناية إليها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٠

### ٣٦-سورة يس ..... ص: ٤٤٠

#### إشارة

فى قول مجاهد و قتادة و الحسن: ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال ابن عباس: آية منها مديئة و هى قوله (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) و هى ثلاث و ثمانون آية كوفى. و اثنان و ثمانون آية فى ما عداه.

#### [سورة يس (٣٦): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص: ٤٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)  
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي  
أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)  
وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

عشر آيات كوفى و تسع فى ما عداه عد الكوفى (يس) و لم يعده الباقون. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤١

قرأ الكسائى باماله الألف من (ياسين) و كذلك حمزة إلا انه أقل إمالة الباقون بغير اماله. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و ابو بكر عن عاصم (تنزيل العزيز الرحيم) بالرفع الباقون بالنصب. فمن رفع، فعلى تقدير (ذلك) تنزيل العزيز، و من نصب، فعلى تقدير (نزل) تنزيل العزيز الرحيم.

و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (سداً) بفتح السين فى الموضعين. الباقون بضمها، و هما لغتان. و قال ابو عمرو: و ما كان من فعل الله، فهو بالفتح.

و عد اهل الكوفة (يس) آية و لم يعدوا (طس) لأن (طاسين) أشبه قابيل و هابيل فى الوزن، و الحروف الصحاح، و لم يشبهها (ياسين)

لأن أوله حرف من حروف العلة و ليس مثل ذلك في الأسماء المفردة، فأشبهه الجملة و الكلام التام و شاكل ما بعده من رؤس الآي. و قد مضى في ما تقدم أن افتتاح أوائل السور بأمثال هذه الحروف الأقوى فيها أنها أسماء للسور. و قيل: إنها أسماء القرآن، و قيل إنها حروف إذا جمعت انبأت عن اسم الله الأعظم، و غير ذلك من الأقاويل لا تطول بذكره. و قال الحسن: معناه يا رجل. و قال محمد بن الحنفية (يس) معناه يا إنسان يا محمد، و

روى عن علي عليه السلام أنه قال سمي الله تعالى النبي صلى الله عليه و آله في القرآن بسبعة أسماء: محمد، و أحمد، و طه، و يس، و المزمّل، و المدثر، و عبد الله،

و قيل: معناه بالسريانية يا إنسان. و قيل: معناه يا سيد الأولين و الآخرين. و أخفى النون من (ياسين) الكسائي و ابو بكر عن عاصم. الباقون بيان النون، و هو الأجود لأن حروف الهجاء ينوي بها السكت و الانقطاع عما بعدها. و من قال بالأول قال لان النون و التنوين إنما يظهران عند حروف الحلق التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٢

و ليس هاهنا شيء منها.

و قوله (وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) قسم من الله تعالى بهذا القرآن وصفه بأنه حكيم من حيث أن فيه الحكمة، فصار ذلك بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الذي يعمل به. و الحكمة قد تكون المعرفة، و قد تكون ما يدعو إلى المعرفة، و أصله المنع من الخلل و الفساد، فالمعرفة تدعو إلى ما أدى إلى الحق من برهان أو بيان قال الشاعر:

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن اغضبا (١)

أى امنعواهم. و قال قوم: إنما أقسم الله بالقرآن الحكيم لعظم شأنه و موضع العبرة به و الفائدة فيه، و المقسم عليه قوله (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) أقسم تعالى أن النبي صلى الله عليه و آله ممن أرسله الله بالنبوة و الرسالة، و أنه (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) و هو طريق الحق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) من رفع فعلى تقدير ذلك تنزيل، و من نصب فعلى تقدير نزل تنزيل. و موضع (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يجوز ان يكون رفعا على انه خبر، كأنه قال إنك على صراط مستقيم، و يجوز أن يكون نصبا على الحال للارسال، كأنه قال: أرسلوا مستقيماً طريقتهم.

و قوله (لِتُنذِرَ قَوْمًا) معناه إنه أنزل القرآن لتخوف به من معاصى الله قوماً (مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ) من قبل أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد، و قيل:

في معناه قولان:

أحدهما- قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الذي أنذر آبائهم.

الثاني- قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آبائهم قبلهم- يعنى في

(١) مر في ١/١٤٢ و ٢/١٨٨ و ٤/٤٩٦ و ٥/٥١٢ و ٦/٤٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٣

زمان الفترة بين عيسى و محمد عليهما السلام (فَهُمْ غَافِلُونَ) عما تضمنه القرآن و عما أنذر الله من نزول العذاب. و مثل الغفلة السهو، و هو ذهاب المعنى عن النفس و مثله النسيان و هو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها.

ثم اخبر تعالى مقسما انه (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ) اى وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لذلك، و قد سبق في علم الله. ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) أى جعل الغل في أعناقهم و هو جمع عنق (فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ) و الأذقان جمع ذقن و هو مجمع اللحين. و قيل بأيمانهم إلى أذقانهم، فكنى عنها، لأنها معلومة. و قيل:

التقدير بالاغلال بالايان إلى الأذقان فهو محذوف، قال الشاعر:

و ما أدري إذا يمت أرضاً أريد الخير أيهما يليني

أ الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتيني «١»

(فَهُمْ مُقَمَّمُونَ) فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه، وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى تصير في صدره ثم يرفع. والقمح من هذا وهو رفع الشيء إلى الفم، والبعر القامح الذي إذا أوردته الماء في الشتاء رفع رأسه و شال به نصباً لشدة البرد، قال الشاعر:  
ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح «٢»

وقيل: قد رفعوا رؤسهم و شخصوا بأبصارهم - ذكره مجاهد - ثم قال (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) ومعناه سداً عن الحق - في قول مجاهد و قتادة - أي على جهة الذم لهم، وصفهم بذلك لا - أنهم منعوا منه و كذلك ذكر الاغلال كما قال الأفوه الازدي:

(١) مر في ١١٣/٢ و ٥٢٩/٥ و ٣٩١/٦.

(٢) اللسان (قمح).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٤

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرشاد أغلال و اقياد  
و في تأويل الآيات قولان:

أحدهما - انه جعل جهلهم و ذهابهم عن معرفة الحق غلا و سداً إذا كان المغلول الممنوع من التصرف امامه و وراءه ذاهب عما قد منع منه و حيل بينه و بين الدليل عليه إن الله تعالى لم يجعل الكافر مغلولاً في الحقيقة و لا مسدوداً بين يديه و من خلفه و لا في عينه غشاوة، كقوله تعالى (وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) «١» شبهه بمن في أذنيه وقر، فعلنا بهذا التشبيه أنه إنما يريد بوصف الكفار بالوقر و الكن و الغل و السد التشبيه الذي عناه - هاهنا - و لو كان في إذن الكافر وقر على الحقيقة لم يجر تشبيهه بمن في أذنيه وقر، و هو كقولهم للجاهل: حمار و ثور، و إنما يريدون المبالغة في وصفه بالجهل. و معنى (جعلنا) يحتمل وجهين أحدهما - انه كما شبههم بمن جعله مغلولاً مقيداً أجرى عليه صفة الجعل بأنه مشبه للمجعول مغلولاً مقيداً. و الثاني - انه أراد البيان عن الحالة التي شبه بها المغلول المقيد، كما يقول القائل: جعلني فلان حماراً و جعلني ميتاً إذا وصفه بالحمارية و الموت و شبهه بالحمار و الميت و هذا واضح.

و الوجه الثاني - في تأويل الآيات انه أراد وصف حالهم في الآخرة، لأنه تعالى يوثقهم في الاغلال و السلاسل، كما قال تعالى (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ) «٢» و قال (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) «٣» و قال في السد الذي جعله لهم: فلا يبصرون كما قال

(١) سورة ٣١ لقمان آية ٧.

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٣٠ - ٣١.

(٣) سورة ٤٠ المؤمن آية ٧١ - ٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٥

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) «١» و قال (وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ) «٢» فلما كانت هذه حال الكفار في الآخرة، وصف حالهم في الدنيا.

و قوله (فَهُمْ مُّكْمَحُونَ) فقد فسرناه في آية أخرى و هي قوله (مُهْطِعِينَ مُّقْنِعِي رُؤُسِهِمْ) «٣» و الاقناع هو رفع الرأس و اشخاصه فقد صح بما بيناه كلا الوجهين في الآية و زالت الشبهة بحمد الله. و قال السدي: إن ناساً من قريش ائتمروا على قتل النبي صلى الله عليه و آله فلما جاءوه جعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا ان يمسطوا اليه يداً. و قال قوم: حال الله بينهم و بين ما أرادوا فعبّر عن ذلك بأنه غلت أيديهم. و قال البلخي: يجوز ان يكون المراد (جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) من الآيات و البيئات (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) منها (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) بها (فهم) مع ذلك (لا يبصرون) بدليل قوله (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) «٤» و قرأ ابن مسعود و ابن عباس (انا جعلنا في ايمانهم أغلالا) لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد، و لا في اليد دون العنق، و المعنى إنا جعلنا في أعناقهم و في أيمانهم أغلالا و قوله (فهى) كناية عن الايدي لا عن الاعناق، لأن الغل يجعل اليد تلى الذقن، و العنق و العنق هو مقارب الذقن، لان الغل يجعل العنق إلى الذقن.

(١) سورة ٥٧ الحديد آية ١٣.

(٢) سورة ١٧ الإسراء آية ٩٧.

(٣) سورة ١٤ ابراهيم آية ٤٣. [.....]

(٤) سورة ٣٤ سبأ آية ٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٦

و قرأ الحسن (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) بالعين المهملة، و هو ما يلحق من ضعف البصر و قيل: الآية نزلت في أبى جهل، لأنه هم بقتل النبي صلى الله عليه و آله فكان إذا خرج بالليل لا يراه، و يحول الله بينه و بينه. و قيل: السد فعل الإنسان، و السد بالضم خلقه تعالى (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) أى حكمنا عليهم بأنهم كمن غشى بصره فهم لا يبصرون لذلك. و قيل: أغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى. و قيل: بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه و آله. ثم قال (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) و تخوفهم بالعقاب (فهم لا يؤمنون) للعناد و ترك الالتفات و الفكر فى ما يخوفهم منه، فاستوى علمه تعالى فى تركهم الايمان و عدولهم عنه إلى الكفر بسوء اختيارهم.

**قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص: ٤٤٦**

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٧

قرأ أبو بكر عن عاصم (فعرزنا) مخففاً بمعنى فقهرنا من قولهم: من عزيز الباقون بالتشديد يعنى قوينا الاثنتين بثالث معيناً، لما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله إن هؤلاء الكفار لا يؤمنون أبداً و أخبره بأنه سواء عليهم الانذار و ترك الانذار بين هاهنا حال من ينتفع بالانذار فقال (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ) و معناه إنما ينتفع بانذارك و تخويفك من اتبع الذكر، لان نفس الانذار قد حصل للجميع و أضافه- هاهنا- إلى من اتبع الذكر لما كانوا المنتفعين به، كما قال (هدى للمتقين). و الذكر المذكور- هاهنا- القرآن- فى قول قتادة- (وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و خشى الرحمن و خاف ارتكاب معاصيه فى غيبه عن الناس.

و الثانى- و خشى الرحمن فى ما غاب عنه من الآخرة و أمرها.

ثم قال لنبية من هذه صفته (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) من الله لذنوبه (و اجر) أى ثواب (كريم) و هو ما يفعله الله على وجه الإجلال و الإكرام. و قيل: الأجر الكريم الجنة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَحْيِي الْمَوْتَىٰ بَعْدَ أَنْ أَمِينَاهُمْ (و نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) من طاعاتهم و معاصيهم فى دار الدنيا، و هو قول مجاهد و قتادة (و آثارهم) قال مجاهد: يعنى خطاهم إلى المساجد، لان بنى سلمة من الأنصار شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد منازلهم من المسجد و الصلاة مع رسول الله، فنزلت فيهم الآية. و قيل: معناه و آثارهم التى تبقى بعدهم و يقتدى بهم فيها.

ثم قال (و كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) و معناه أحصيناه فى كتاب ظاهر، و هو اللوح المحفوظ. و الوجه فى احصاء ذلك فى إمام مبين اعتبار التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٨

الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، و كان فيه دليل على معلومات الله على التفصيل.

ثم قال لنبية صلى الله عليه و آله (وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا) معنان اذكر لهم مثلاً. و قيل:

معناه مثل لهم مثلاً من قولهم: هؤلاء اضرب أى أمثال. و قوله (اصحاب القرية) قال عكرمة و الفراء: هى انطاكية (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) أى حيث بعث الله اليهم بالرسول (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) يعنى رسولين، و قال قوم:

كانا رسولى عيسى من حواريه. و قال آخرون: كانا رسولين من رسل الله و هو الظاهر (فكذبوهما) أى جحدوا نبوتهما (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أى فعززهما الله بثالث فيمن قرأ بالتشديد و شد ظهرهما به- فى قول مجاهد و ابن زيد- و من خفف أراد فغلب الله بثالث أرسله اليهم (فقالوا) لهم يا اهل القرية (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) أرسلنا الله إليكم (قالوا) لهم (ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) أى ليس أنتم إلا بشر أمثالنا، فدخلت عليهم الشبهة فاعتقدوا أنه من حيث أنهم أمثالهم فى البشرية لا يصلح ان يكونوا رسلاً كما لا يصلحون هم لذلك (وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) مما تذكرونه و تدعوننا اليه (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) أى ليس أنتم إلا كاذبون على الله و متخرون عليه فى ادعائكم الرسالة، و ذهب عنهم معنى (اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) «١» و أنه تعالى علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة و تحملهم لآعبائها و لم يعلم ذلك من حالهم بل على خلاف ذلك.

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٤٩

### قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ٤٤٩

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أِِنْ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشْعُرُ قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

خمس آيات لما حكى الله تعالى عن اهل القرية أنهم قالوا للرسول (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) فى ادعائكم الرسالة على الله حكى ما أجابهم به الرسول فإنهم (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) و وجه الاحتجاج بذلك انه يلزمهم بقولهم الحذر من مخالفتهم و النظر فى معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله، ففى ذلك تحذير شديد. ثم قال الرسول لهم أيضاً (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) أى ليس يلزمنا أكثر من البلاغ المبين، و المعنى انه لو جاءكم رسول غيرنا هل كان عليه إلا البلاغ؟ على حد ما بلغنا. و البلاغ مجيء الشىء إلى حد يقف عنده، بلغ الشىء يبلغ بلوغاً و بلاغاً، فهو بالغ. و منه البلاغ، و مثل الإبلاغ الافهام و الإيصال. و المبين صفة للبلاغ، و هو الظاهر الذى لا شبهة فيه، فقالوا لهم فى الجواب عن ذلك حين عجزوا عن إيراد شبهتهم، و عدلوا عن النظر فى معجزهم (إِنَّا تَطَيَّرْنَا

بِكُمْ) أى تشاء منا بكم، و التطير التثاؤم. ثم هددوهم فقالوا (لَيْسَ لَمْ تَتَّهَوَا) عن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٠  
 ما تدعون من النبوة و الرسالة (لنرجمنكم) بالحجارة- فى قول قتادة- و قال مجاهد: معناه لنشتمنكم: فالرجم الرمى بالحجارة، يقال:  
 رجم يرمج رجماً، و رجم بالغيب ترجيماً (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) عند ذلك، فقال لهم الرسل (طائركم معكم) أى الشؤم كله  
 معكم بإقامتكم على الكفر بالله. و قال الفراء:

معنى (طائركم معكم) أى أعمالكم فى رقابكم تجاوزون عليها. و قال المبرد:

معنى (طائركم) حظكم و نصيبكم من الخير و الشر. و هو قول أبى عبيدة. و الطيرة الشؤم. و منه  
 قوله صلى الله عليه و آله (لا عدوى و لا هامة و لا صقر و لا غول).

و فلان لا يطير غرابه، و هو ساكن الطائر، إذا كان ساكناً وقوراً، و فلان لا يطور بنا أى لا يقربنا، و ما فى الدار طورى و لا طورانى أى  
 لا أحد. و عدا فلان طوره إذا جاوز قدره.

و قوله (ائن ذكرتم) قرأه ابن كثير و نافع و ابو عمرو و المفضل عن عاصم- بهمزة بعدها ياء- و هى همزة بين بين. و الباقون بهمزتين  
 مخففتين: إحداهما همزة الاستفهام، و الاخرى- همزة (إن) و جواب (ائن ذكرتم) محذوف و تقديره أئن ذكرتم هذا القول. و قال  
 قوم: معناه أئن ذكرتم طائركم معكم و قال قوم: جعله جزء قدم خبره عليه لما كان غير مجزوم اللفظ. و قيل: أئن ذكرتم تطيركم قلمت  
 ما قلمت، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) على نفوسكم، لأنكم تجاوزتم حد العصيان حين كفرتم بالله و بوحدانيته. و قيل: كان اسم صاحب  
 (يس) الذى قتله قومه حبيب بن مرى.

حكى الله تعالى انه (جاء من أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشِيعُ أى رجل من أبعد المدينة جاء يعدوا و يشتد (ف قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)  
 الذين أرسلهم الله إليكم و أقروا بنبوتهم و برسالتهم. و قرأ ابو جعفر (أئن) بفتح الهمزة الثانية. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥١  
 و به قال زوين بن حبيش. و معناه لان ذكرتم. الباقون بكسرهما. و قرأ ابو جعفر (ذكرتم) بالتخفيف. الباقون بتشديدها.

### قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٢١ الى ٣٠] ..... ص : ٤٥١

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْئُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُّهِتَدُونَ (٢١) وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ  
 الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)  
 قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ  
 مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَشْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
 يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)

عشر آيات.

قرأ ابو جعفر (ان كانت إلا صيحة) بالرفع فى الموضوعين جعلها اسم (كان). الباقون بالنصب على انها خبر كان.

لما حكى الله تعالى ما قال لهؤلاء الكفار الرجل الذى جاءهم من أقصى المدينة و أمرهم بأن يتبعوا الرسل قال لهم ايضاً (اتبعوا) معاشر  
 الكفار (مَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٢

لَا يَسْتَلْئُكُمْ أَجْرًا)

أى لا يطلب الأجر و الجزاء و المكافأة على ما يدعوكم اليه و يحثكم عليه، و إنما يدعوكم نصيحة لكم (و هم) مع ذلك (مهتدون)  
 إلى طريق الحق سالكون سبيله. ثم قال لهم الذى وعظهم و حثهم على طاعة الله و اتباع رسله (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) و معناه و  
 لم لا أعبد الله و اتباع رسله، و ما لى لا أعبد الذى فطرني، و معناه و لم لا أعبد الله الذى خلقنى و ابتدانى و هدانى (وَالِإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)  
 أى الذى تردون اليه يوم القيامة حيث لا- يملك الأمر و النهى غيره. ثم قال لهم منكراً على قومه عبادتهم غير الله (أَأَتَّخِذُ) أنا على



قولكم (مَنْ دُونَ اللَّهِ) الذى فطرني و أنعم على (آلهة) أعبدتهم؟! فهذه همزة الاستفهام و المراد بها الإنكار، لأنه لا جواب لها على أصلهم إلا ما هو منكر فى العقول ثم قال (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) معناه ان أراد الله إهلاكى و الإضرار بى لا ينفعنى شفاعته هذه الآلهة شيئاً، و لا يقدرّون على انقاذى من ذلك الضرر.

و لا- يغنون عنى شيئاً فى هذا الباب. و إذا كانوا بهذه الصفة كيف يستحقون العبادة؟! ثم قال (إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أى إذا لو فعلت ما تفعلونه و تدعون اليه من عبادة غير الله أكن فى عدول عن الحق. و الوجه فى هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا من أنعم بأصول النعم و يفعل من التفضل ما لا يوازيه نعم نعم، فإذا كانت هذه الأصنام لا يصح فيها ذلك كيف تستحق العبادة؟! ثم قال مخبراً عن نفسه مخاطباً لقومه (إني آمنت) أى صدقت (بربكم) الذى خلقكم و أخرجكم من العدم إلى الوجود (فاسمعون) منى هذا القول.

و قيل: انه خاطب الرسل بهذا القول ليشهدوا له بذلك عند الله. و قال ابن مسعود: إن قومه لما سمعوا منه هذا القول و طؤه بأرجلهم حتى مات. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٣

قتادة: رجموه حتى قتلوه. و قال الحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله اليه فهو فى الجنة، و لا- يموت إلا- بفناء السماء و هلاك الجنة. قال مجاهد: مثل ذلك. و قال- الجنة التى دخلها يجوز هلاكها. و قال قوم: إنهم قتلوه إلا أن الله أحياه و ادخله الجنة و قال الحسن (من بعده) يعنى من بعد رفعه. و قال غيره: من بعد قتله.

ثم حكى الله تعالى ما يقول الملائكة لهذا الداعى من البشارة له بعد موته فإنهم يقولون له (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) مثاباً مستحقاً للثواب الجزيل على إيمانك بالله فيقول حينئذ (يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) من الذنوب (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) عنده. فهذا المؤمن تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى فيرغبوا فيه و يؤمنوا به لينالوا مثله. و الإكرام هو إعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التعظيم و التبجيل. و قد فاز من أكرمه الله بالرضوان، كما قال تعالى (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) «١» لأنه سبب يؤدي إلى الجنة.

ثم حكى ما قال و انزل بهؤلاء الكفار من العذاب و الاستئصال، فقال (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ) أى كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر: صيحة واحدة حتى صاروا خامدين ذكره ابن مسعود و معنى «خامدين» هالكين بتلف أنفسهم، و المعنى إنا لم نستعن على إهلاكهم بانزال الجند من السماء «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» لهم ليهلكوهم، و ما كان إهلاكهم «إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» عظيمة فحين سمعوها هلكوا من عظمتها، و ماتوا من فزعها.

و قوله «يا حسرة على العباد» قيل: هو قول الذى جاء من أقصى المدينة

(١) سورة ٩ التوبة آية ٧٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٤

- ذكره البلخي - و قال غيره: معناه يحتمل شيئين:

أحدهما- يا حسرة من العباد على أنفسهم- ذكره قتادة و مجاهد-

الثانى- انهم قد حلوا محل من يتحسر عليه، و قال ابن عباس: معناه يا ويلا للعباد «ما يأتيتهم من رسول» أى ليس يأتيتهم من رسول من عند الله «إلّا كانوا به يشدهنّهزؤن» أى يسخرون منه و يهزءون به، و الذى حكى الله تعالى عنه مخاطباً قومه هو ما قدمناه ذكره: حبيب بن مرى- فى اقوال المفسرين.

قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص: ٤٥٤

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كَلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَزْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة «لما» بتشديد الميم، الباقون بتخفيفها.

و قرأ اهل المدينة «الميتة» بالتشديد، لأنه يقال: لما كان حياً و مات ميت بالتشديد، و لما لم يكن حياً بالتخفيف - ذكره الفراء - و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «و ما عملت» بغير هاء. الباقون بالهاء. من قرأ (لما) بالتخفيف فانه يكون (ما) في قوله (لما) صلة مؤكدة، و تكون (ان) هي المخففة من الثقيلة التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٥

و تقديره، و إن كل لجميع لدينا محضرون، و من قرأ بالتشديد يحتمل شيئين:

أحدهما- ان يكون بمعنى (إلا) و تقديره و ان كل إلا لجميع لدينا محضرون و تكون (إن) بمعنى الجحد، و كأنه جحد دخل على جحد، فخرج الى معنى الإثبات. و مثله في الاستعمال سألتك لما فعلت، بمعنى الا فعلت.

و الوجه الثاني- أن يكون معنى (لما) بمعنى (لمن ما) فحذفت احدى الميمات، لأجل التضعيف كما قال الشاعر:

غداة طفت علماء بكر بن وائل و عجنا صدور الخيل نحو تميم

أراد على الماء، فحذف لالتقاء المضاعف، و أما (ما) في قوله «و ما عملته أيديهم» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يكون بمعنى الجحد، و تقديره لياكلوا من ثمره، و لم تعمله أيديهم، و يقوى ذلك قوله «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» (١).

و الثاني- ان يكون بمعنى الذى.

و الثالث- أن يكون مع ما بعده بمعنى المصدر، فعلى هذا يكون فى موضع جر، و تقديره لياكلوا من ثمره و من الذى عملته او من عمل أيديهم من انواع الطعوم الذى أنبتوه، و الذى غرسوه، و من الذى يطحنونه و يخبزونه، فمن أثبت الهاء او حذفها تبع المصاحف، لان المصاحف مختلفة. و الهاء عائدة على (ما) و (عملت) صلتها. و من حذف اختصر، لأنها للمفعول به، و كل مفعول يجوز حذفه، كقوله «ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلَى (٢)» يريد و ما قلاك

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٦٣-٦٤.

(٢) سورة ٩٣ الضحى آية ٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٦

و مثله «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ» (١) يريد كلمه الله، و كقوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» (٢) يريد بعثه الله.

يقول الله تعالى منبهاً للكفار على وجه الاستدلال على وحدانيته بأن يقول «أَلَمْ يَرَوْا» و معناه أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» فمعنى (كم) هاهنا للتكثير، و يفسرها (من القرون) و تقديره أ لم يروا كم قرناً أهلكتنا قبلهم من القرون، و موضع (كم) نصب ب (يروا)- فى قول الكوفيين، و عند البصريين ب (أهلكتنا) على تقدير القرون أهلكتنا او اكثر «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» و نصب (انهم) لأنه مفعول (لم يروا) و كسره الحسن على وجه الاستئناف، و وجه الاحتجاج بذلك هو انه قيل لهم: انظروا لم لا- يرجعون فإنكم تجدون ذلك فى قبضة مالكهم يردهم فى الآخرة إذا شاء ردهم، لأنه لا يخلو إهلاكهم اما بالاتفاق من غير اضافة او بالطبيعة او بحى قادر، و لو كان بالاتفاق او بالطبيعة لم يتمتع ان يرجعوا الى الدنيا، فإذا بطل ذلك، ثبت أن إهلاكهم بحى قادر إذا شاء ردهم و إذا شاء لم يردهم. و وجه التذکر بكثرة المهلكين أى انكم ستصيرون الى مثل حالهم، فانظروا لأنفسكم و احذروا أن يأتیکم

الإهلاك، وأنتم في غفلة عما يراد بكم.

والقرون جمع (قرن) وأهل كل عصر يسمى قرناً، لاقترانهم في الوجود والقرن - بكسر القاف - هو المقاوم في الحرب، ومنه قرن الشاة لمقارنته القرن الآخر، وكذلك كل ذى قرنين. وقال قتادة «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» عاد و تمود، وقرون بين ذلك كثيرة. ثم قال وهؤلاء الذين لا يرجعون كلهم «لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ» يوم القيامة يحضرهم الله و يعثهم ليجازيهم على أعمالهم.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٣.

(٢) سورة ٢ الفرقان آية ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٧

وقوله (وَ آيَةٌ لَهُمْ) على ذلك أى دلالة و حجة قاطعة (الأرض) يعنى هى الأرض (الميتة) القحطة المجدبة و هى التى لا- تنبت (أحسينها) بالنبات (وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) من انواع ما يأكلون (و جعلنا فيها) أى و خلقنا فى الأرض (جنات) يعنى بساتين (من نخيل) جمع نخل (و أعناب) جمع عنب (وَ فَجَّرْنَا فِيهَا) فى تلك الجنات (من العيون) و هى عيون الماء تنبع فيها و تجرى ثم بين انه إنما خلق ذلك (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) أى غرضنا نفعهم بذلك و انتفاعهم بأكل ثمار تلك الجنات (وَ مَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ) أى و لم تعمل تلك الثمار أيديهم إذا (ما) كانت بمعنى النفسى، و إذا كانت معناها معنى الذى يكون تقديره، و الذى عملته أيديهم من انواع الأشياء المتخذة من النخل و العنب و كثرة منافعه. و قوله (من ثمره) رد الكناية إلى أحدهما كما قال (وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (١) كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف (٢)

و قوله (ا فلا تشكرون) معناه هلا تشكرونه على هذه النعم التى عدتها.

**قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص: ٤٥٧**

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ آيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرًّا لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥.

(٢) مر فى ١/ ١١٧، ٢٣٠، ٢٤٣ و ٥/ ٢٤٦، ٢٨٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٨

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و روح «و القمر قدرناه» رفعا على الاستئناف لأن الفعل مشغول بالضمير العائد إلى القمر. و قال ابو على: الأجود أن يكون رفعا على تقدير و آية لهم القمر قدرناه، لأنه أشبه بالجمل قبلها. و من رفعه بالابتداء جعل (لهم) صفة للنكرة و الخبر مضمرة، و تقديره «و آية لهم» فى المشاهدة او الوجود، و يكون قوله «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» تفسير للآية. الباكون بالنصب بتقدير فعل مضمرة، ما بعده تفسيره، و تقديره: و قدرنا القمر قدرناه.

يقول الله تعالى منزهاً نفسه و معظماً لها و دالاً بأنه هو الذى يستحق الحمد بما نبه بقوله «سُبْحَانَ الَّذِي» أى تنزيهاً للذى «خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» أى تعظيماً و تبيحاً له بجميع ما خلق من الأزواج، و هى الاشكال، و الحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى، و كذلك النخل و

الحبوب اشكال، و التين و الكرم و نحوه اشكال، فلذلك قال «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» يعنى من سائر النبات «وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ» من الذكر و الأنتى «وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» مما لم يشاهده و لم يصل خبره اليهم.

ثم قال «و آية لهم» يعنى دلالة و حجة على صحة ذلك «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» أى نخرج منه النهار «فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ» أى داخلون فى الظلمة لا ضياء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٥٩

لهم فيه بالشمس، فالسليخ إخراج الشىء من لباسه، و منه إخراج الحيوان من جلده، يقال سليخ يسليخ سليخاً فهو ساليخ، و منه قوله (فَأَنْسَلَخُ مِنْهَا) «١» أى فخرج منها شىء مما لابس، ثم قال (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) آية اخرى. و قيل فى معنى المستقر ثلاثة اقوال:

أحدها- لانتهاه أمرها عند انتقضاء الدنيا.

الثانى - قال قتادة: لوقت واحد لها لا تعدوه و لا تختلف.

الثالث- إلى ابعدها منازلها فى الغروب. و قال المبرد معنى (لمستقر لها) أى إلى. و من قال الشمس لا تستقر بل تتحرك أبداً قال معنى (لمستقر لها) أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت فى الرجوع و إذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ثم قال (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) أى من قدر الشمس على ذلك إلا القادر الذى لا يضام، العالم بما يفعله؟، ثم قال (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا) فمن رفع عطف على قوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي) و من نصب قدر له فعلا يفسره و قوله (قَدَرْنَا مَنَازِلَ) كل يوم ينزل منزلاً غير المنزل الأول لا يختلف حاله إلى ان يقطع الفلك (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) فالعرجون العذق الذى فيه الشماريخ، فإذا تقادم عهده يبس و تقوس، فشببه به. و قال الفراء: العرجون ما بين الشماريخ إلى المنابت فى النخلة من العذق، و القديم الذى اشرف على حول، و قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) حتى يكون نقصان ضوءها كنقصان القمر، و قال ابو صالح: معناه لا- يدرك أحدهما ضوء الآخر، و قيل معناه: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فى سرعته سيره (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) أى و لا يسبق الليل النهار. و قيل: إن أحدهما لا يذهب إلى معنى

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٧٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٠

الآخر و كل له مقادير قدرها الله عليه. ثم قال (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعنى الشمس و القمر و الكواكب يسبحون فى الفلك. و إنما جمعها بالواو و النون لما أضاف إليها أفعال الآدميين. و قيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الذى يجرى فيه. و معنى يسبحون يسرون فيه بانسباط، و كل ما انبسط فى شىء فقد سبح فيه، و منه السباحة فى الماء.

**قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص: ٤٦٠**

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَ إِن نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَيْرِيحَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْقَدُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (ذرياتهم) على الجمع. الباقون (ذريتهم) على التوحيد.

يقول الله تعالى ممتناً على خلقه بضرور نعمه، و دالا لهم على وحدانيته بأن حمل ذريتهم فى الفلك المشحون. و قيل: معنى (حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) أى قويناهم و هديناهم، كما يقول القائل: حملنى فلان إذا أعطاه ما يحمل عليه او هداه إلى ما يحمل عليه. و من جمع (ذرياتهم) فلأن كل واحد له ذرية. و من وحد فلأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير، فالحمل منع الشىء أن يذهب إلى التبيان فى

تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦١

جهة السفلى، يقال: حملة حملاً، فهو حامل والشئ محمول. و (الذرية) فعليه من الذر. وقيل: هو مشتق من (الذرة) الذى هو الخلق. و قد بيناه فى ما مضى «١» و الفلك السفن، لأنها تدور فى الماء، و منه الفلكة لأنها تدور بالمغزل و الفلك لأنه يدور بالنجوم، و فلك ثدى المرأة إذا استدار و (المشحون) المملو يقال: شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحناً إذا ملأته، و منه الشحنة، لأنه يملأ بهم البلد، و إنما خص الذرية- و هم الصبيان و النساء- باللفظ، لأنهم لا قوة لهم على السفر كما يقوى الرجال، فسخر الله لهم السفن بما جعلها على الماء و عدل الريح ليتمكن الحمل فى البحر، و جعل الإبل فى البر. و قال قتادة و الضحاك: المعنى بقوله «حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ» سفينة نوح.

و «حَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ» قال ابن عباس، و هو قول مجاهد: ان المراد به الإبل و هى سفن البر.

و قوله «وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ» معناه إنا لو شئنا إذا حملناهم فى السفن أن نغرقهم فعلنا «فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ» أى لا مغيث لهم و لا صارخ بالاستغاثة قال الشاعر:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الطنابيب

أى لا شئ اعانته إلا الجد فى نصرته، و الطنوب عظم الساق. و قيل:

معنى الصريخ المعين عند الصراخ بالاستغاثة، و كأنه قال: لا معين لهم يعينهم عند ذلك «وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ» أى و لا يخلصون أيضاً من الغرق إذا أردناه.

و قوله «إِلَّا رَحِمَهُ مَنَّا» معناه إلا أن نرحمهم رحمة منا و نمتعهم «مَتَاعًا» و يحتمل إلا لرحمة منا، فيكون مفعولاً له، و «إِلَى حِينٍ» أى إلى وقت ما قدرناه

(١) انظر ٢/ ٤٤١ و ٣/ ١٢٤٣ و ٤/ ٣٠٣ و ٥/ ٣٢، ٤٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٢

لا هلاكهم و تقضى آجالهم، و نخلصهم فى الحال من احوال البحر.

و قوله «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» قال قتادة: معناه ما بين أيديكم من عذاب الله لمن خلا قبلكم اتقوا مثله باجتنباب معاصيه «وَمَا خَلَقَكُمْ» من أمر الساعة «لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ» لكى ترحموا عند ذلك و حذف الجواب، كأنه إذا قيل: لهم هذا اعرضوا. و قال مجاهد: معنى «مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» هو ما يأتى من الذنوب اجتنبوه فى المستقبل «وَمَا خَلَقَكُمْ» يعنى ما مضى من ذنوبكم تلافوه بالتوبة لترحموا.

**قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص: ٤٦٢**

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أُنْطِعُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

خمس آيات بلا خلاف قرأ ابن كثير و ابو عمرو «يخصمون» بفتح الخاء و تشديد الصاد إلا أن أبا عمرو يختلس حركة الخاء. و قرأ نافع- بفتح الياء و تسكين الخاء مشدد الصاد- يجمع بين ساكنين. و قرأ ابن عامر و عاصم و الكسائى- بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد- و قرأ حمزة- بفتح الياء و تسكين الخاء و تخفيف الصاد- التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٣

فمعنى هذه القراءة: و هم يخصمون عند أنفسهم فى دفع النشأة الثانية و القراءة الأولى بتان معنى يخصمون، فأدغمت الياء فى الصاد بعد أن أسكنت. فمن أسكن الخاء، فلأنها فى الأصل ساكنة، و من فتحها نقل حركة الياء إليها.

و من كسر الخاء اتبع كسرتها كسرة الصاد. و في القراء من كسر الياء اتباعاً لكسرة الخاء، كما قالوا يهدى، و هو يجيء عن أبي بكر. يقول: الله تعالى مخبراً عن عناد هؤلاء الكفار و شدة جهلهم بأنه (ما تأتيهم من آية) أى دلالة و حجة من حجج الله و (من) تتراد في النفي إذا أريد بها الاستغراق، كقولهم: ما جاءني من احد و معناه ما جاءني احد. و (من) الثانية للتبعيض، لأنه ليس كل آيات الله جاءتهم، غير انه تعالى قال ليس تأتيهم من آية أى أى آية كانت (من آيات ربهم إلا كانوا) هؤلاء الكفار (عنها معرضين) أى ذاهبين عنها و تاركين لها و معرضين عن النظر فيها، و كل من اعرض عن الداعى الى كتاب الله و آياته التي نصبها لعباده ليعرفوه بها فقد ضل عن الهدى و خسر الدنيا و الآخرة.

ثم اخبر تعالى انه إذا قيل لهم: ايضاً (أنفقوا مما رزقكم الله) في طاعته و اخرجوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم - من الزكوات و غيرها وضعوها في مواضعها (قال الذين كفروا) بوحداية الله و جحدوا ربوبيته و كذبوا بنبوة نبيه (أنظعم من لو يشاء الله أطعمه) احتجاجاً منهم في منع الحقوق، بأن يقولوا كيف نطعم من الله قادر على إطعامه؟! و لو شاء إطعامه أطعمه، فإذا لم يطعمه دل على انه لم يشأ إطعامه فنحن إذاً أحق بذلك. و ذهب عليهم أن الله تعبدهم بذلك، لما فيه من المصلحة و اللطف في فعل الواجبات و ترك المقبحات، فلذلك كلفهم إطعام غيرهم. و (الرزق) هو ما خلق الله لخلقه لينتفعوا به على وجه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٤ لا يكون لاحد منعه منه فعلى هذا الوجه لا يكون الحرام رزقاً، فان الله تعالى قد منع منه بالنهي و قد سمي رزقاً ما يصلح للانتفاع به مجازاً، فعلى هذا ليس كل ما رزقه الله العبد جعل له الإنفاق منه و التصرف فيه، و على الأول - و هو الأصح - جعل له ذلك. ثم قال لنبى صلى الله عليه و آله قل لهم يا محمد (إن أنتم إلا في ضلال مبين) أى ليس لكم هداية و ما أنتم إلا في ذهاب عن الحق و عدول عنه بين، فعلى هذا قول من قال: هو من قول الله تعالى صحيح، و قال قوم:

هو من قول المشركين كأنهم لما قالوا: أنظعم من لو يشاء الله أطعمه؟ قالوا لرسله ليس أنتم إلا في ضلال مبين في ما تدعوننا اليه. ثم اخبر تعالى عن الكفار انهم (يقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا استهزاء بخبره صلى الله عليه و آله و خبر المؤمنين و تجرّ يا على الله (إن كنتم صادقين) في ما تدعوننا اليه و تخوفونا منه. فقال الله تعالى في جوابهم (ما ينظرون) أى لا ينتظرون (إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) في هل ينزل العذاب بهم أم لا؟ و إنما جعلهم منتظرين لما قالوا: متى هذا الوعد، لأن من يلتمس الوعد يكون منتظراً لما وعد به (تأخذهم) في حال خصامهم (فلا يشئ تطيعون توصية) أى لا يقدر بعضهم على ان يوصى إلى بعض (ولا إلى أهلهم يرجعون) أى لا يردون الى أهلهم فيوصون اليهم.

و الصيحة التي تأخذهم هي الصيحة الأولى في الدنيا عند قيام الساعة (تأتيهم بعنة) و الرجل يسقى أبله و آخر يبيع سلعته على عادتهم في تصرفاتهم، فإذا اخذتهم و نزلت بهم لم يستطيعوا توصية و لم يرجعوا الى أهلهم للمعاجلة، و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال (هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، و نفخة الصعق، و نفخة القيام لرب العالمين)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٥

### قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ص: ٤٦٥

و نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ (٥٥)

هُم و أزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥٦) لهم فيها فاكهة و لهم ما يدعون (٥٧) سلام قولاً من رب رحيم (٥٨) و امتازوا اليوم أيها المجرمون (٥٩) ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠)

عشر آيات بلا- خلاص قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو «في شغل» خفيفة. الباقون بضم الغين مثقله، و هما لغتان. و قرأ أبو جعفر



«فكهون» بغير ألف حيث وقع، وافقه حفص و الداحوني عن ابن ذكوان في (المطففين). و قرأ اهل الكوفة إلا عاصما «في ظلل» على انه جمع ظلّة مثل ظلمة و ظلم و تحفة و تحف، الباقون «في ظلال» مثل برمة و برام، و قلة و قلال. و قيل: هو جمع ظل و ظلال، و هو الكن، كما التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٦

قال (يتفيؤ ظله) «١» و قال ابو عبيدة: هو جمع الظل أظلال.

يقول الله تعالى مخبراً (وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ) و قيل: إن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل فيخرج من جوفه صوت عظيم يميل العباد اليه، لأنه كالداعي لهم إلى نفسه. و قال أبو عبيدة: الصور جمع صورة مثل بسرة و بسر، و لو جعلوه مثل (ظلمة، و ظلم) لقالوا: صور بفتح الواو، و هو مشتق من الميل، صاره يصوره صوراً إذا أماله و منه قوله (فَصُورُ هُنَّ إِلِيكَ) «٢» أى أملهن اليك و منه الصورة، لأنها تميل إلى مثلها بالمشاكله. و قوله (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَخْيَادِ) و هو جمع جدث، و هو القبر، فلغة اهل العالية بالثناء، و لغة اهل السافلة بالفاء يقولون: جدف إلى ربهم ينسلون أى يسرعون و النسول الاسراع في الخروج كما قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى قارباً برد الليل عليه فنسل «٣»

يقال: نسل ينسل و ينسل نسولاً، قال امرؤ القيس:

و إن تك قد ساءت تك منى خليقة فسلى ثيابي من ثيابك تنسل «٤»

و قال قتادة: الموتة بين النفختين. ثم حكى ما يقول الخلائق إذا حشروا، فإنهم (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) أى من حشرنا من منامنا الذى كنا فيه نياماً، ثم يقولون (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) فى ما أخبرونا عن هذا المقام و عن هذا البعث. فان قيل: هذا ينافى قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذب فى قبره، لأنه لو كان معذباً لما كان فى المنام!.

قيل: يحتمل ان يكون العذاب فى القبر و لا يتصل إلى يوم البعث، فتكون النومة

(١) سورة ١٦ النحل آية ٤٨.

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٦٠.

(٣، ٤) مر فى ٧ / ٢٧٩. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٧

بين الحالين. و يحتمل لو كان متصلاً أن يكون ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه و يحضرون فيه يوم القيامة، فكأنهم كانوا قبل ذلك فى مرقد، و إن كانوا فى عذاب لما كان قليلاً بالاضافة الى الحاضر. و قال قتادة: قوله (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ) حكاية قول المؤمن. و قال ابن زيد و الجبائى: هو قول الكفار، و هو أشبه بالظاهر، لأنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون: يا ويلنا، و المؤمن لا يدعو بالويل لعلمه بما له من نعيم الجنة. و قال الفراء: هو من قول الملائكة.

و قال تعالى مخبراً عن سرعة بعثهم و سرعة اجتماعهم (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) و المعنى ليست المدة إلا مدة صيحة واحدة (فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) ثم حكى تعالى ما يقوله- عز و جل- يومئذ للخلائق فانه يقول لهم (فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئاً) أى لا ينقص من له حق من حقه شيئاً من ثواب او عوض او غير ذلك، و لا- يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على العدل (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) و معناه لا- يجازى الإنسان إلا على قدر عمله، إن كان عاملاً بالطاعة جوزى بالثواب، و إن كان عاصياً جوزى بالعقاب على قدر عمله من غير زيادة عليه و لا نقصان، إلا أن يتفضل الله بإسقاط عقابه.

ثم قال تعالى (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ) يعنى يشغلهم النعيم الذى يغمرهم بسرورهم به عن غيره. و قال ابن مسعود و ابن عباس:

الشغل كناية عن افتضااض الأبقار. و قيل استماع الألحان (فاكهون) قال ابن عباس: معناه فرحون. و قال مجاهد: عجبون، و قيل: ذو

فاكهة، كما يقال لاحم شاحم أى ذو لحم و شحم، و عاسل ذو عسل، قال الحطيئة: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٨

و عززتنى و زعمت انك لابن فى الصيف تامر «١»

أى ذو لبن و تمر. و قيل: فاكه و فكه مثل حاذر و حذر. و الفكه الذى يتمرى بالشىء.

ثم اخبر عن حال أهل الجنة فقال (هُمْ وَ أَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ) فالازواج جمع زوجة و هى حره الرجل الذى يحل له وطؤها. و يقال للمرأة زوج ايضاً بغير هاء فى الموضع الذى لا يلتبس بالذكر، و الظلال الستار عن وهج الشمس و سموها، فأهل الجنة فى مثل ذلك الحال فى الطيبه من الظلال الذى لا حر فيه و لا برد. و قيل: الظل الكن و جمعه ظلال. و قيل هو جمع ظله و ظلال، مثل قله و قلال، و من قرأ ظلل، فعلى وزن ظلمة و ظلم، و قله و قلل. و الأرائك جمع أريكه و هى الوساده، و جمعها وسائد، و يجمع ايضاً أرك كقولهم سفينه و سفن و سفائن، و هذه جلسه الملوك العظماء من الناس. و قيل الأرائك الفرش، قال ذو الرمة:

خدوداً جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك «٢»

و قال عكرمه و قتاده: الأرائك الحجال على السرر (متكئون) فمتكى مفتعل من توأمت، إلا أن الواو أبدلت تاء. ثم قال (لهم فيها) فى الجنة (فاكهة، و لهم ما يدعون) أى ما يتمنون، و قال ابو عبيدة: يقول العرب:

ادع على ما شئت أى تمن ما شئت، و قيل: معناه إن من ادعى شيئاً فهو له بحكم الله تعالى، لأنه قد هذبت طباعهم، فلا يدعون إلا ما يحسن منهم.

و قوله (سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) معناه و لهم سلام قولاً من رب رحيم

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٤.

(٢) مجاز القرآن ١ / ٤٠١ و ٢ / ١٦٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٦٩

يسمعونه من الله تعالى و يؤذنه بدوام الأمن و السلامة و دوامهما مع سبوغ النعمة و الكرامة. ثم يقول للعصاة (امتازوا اليوم أيها المجرمون) و معناه انفصلوا معاشر العصاة و امتازوا، الذين اجتمروا و ارتكبوا من المعاصى من جمله المؤمنين، و قال قتاده: معناه اعترلوا معاشر العصاة عن كل خير، يقال تميز الشىء تميزاً و ميزته تمييزاً، و انماز انمازاً.

ثم حكى ما يقول تعالى لهم فانه يقول لهم (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ) يعنى على لسان أنبيائه (أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فجعل عبادتهم للأوثان بأمر الشيطان عبادة له (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أى، و قلت لكم أن الشيطان لكم عدو مبين أى ظاهرة عداوته لكم.

**قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص: ٤٦٩**

وَ أَنْ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اضْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف و رويس (جبالاً) بضم الجيم و الباء خفيفة اللام. و قرأ نافع و ابو جعفر و عاصم بكسر الجيم و الباء مشددة.

و قرأ ابو عمرو و ابن عامر بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة. هذه كلها لغات التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٠

و المعنى واحد. قال النورى يقال: جُبلاً و جبلاً و جبلاً و جبلاً. و حكى غيره التشديد.

لما حكى الله تعالى ما يقوله الكفار يوم القيامة و يواقفهم عليه من انه عهد اليهم أن لا تعبدوا الشيطان و انه عدوهم، حكى انه كان

أمرهم أيضاً بأن يعبدوا الله و أن عبادته صراط مستقيم، فوصف عبادته تعالى بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقاً مستقيماً إلى الجنة، و انه لا تخليط فيه و لا تعريج. ثم قال (وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ) يعني أضل عن الدين الشيطان منكم (جِبِلًّا كَثِيرًا) أى خلقاً كثيراً و إضلاله إياهم هو إغواؤه لهم، كما أضل السامري قوم موسى لما دعاهم إلى عبادة العجل، فكان الإضلال على هذا الوجه قبيحاً، فأما إضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة إلى طريق النار او إضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال، فهو حسن. و أمر الشيطان بالضلال الذى يقع معه القبول إضلال كما يسمى الأمر بالاهتداء الذى يقع عنده القبول هدى.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى إرادة الله اضلالهم، لان ذلك أضمر عليهم من إرادة الشيطان و أشد عليهم فى إيجاد العداوة قبل أن يكفروا. و (الجبل) الجمع الذين جبلوا على خليقة، و جبلوا أى طبعوا.

و أصل الجبل الطبع و منه جبلت التراب بالماء إذا صيرته طيناً يصلح أن يطبع فيه، و منه الجبل لأنه مطبوع على الثبات (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) أنه يغويكم و يصدكم عن دين الحق فتنتبهون عليه، فهو بصورة الاستفهام و معناه الإنكار عليهم و التبكيت لهم.

ثم يقول الله لهم (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها فى دار التكليف حاضرة تشاهدونها (اضلوهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) معناه الزموا العذاب التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧١

بها، و أصل الصلوا للزوم فمنه المصلى الذى يجىء فى أثر السابق للزومه أثره و الصلوان مكتنفا ذنب الفرس للزومها و موضعها. و قولهم: صلى على عاداتها للزومه الدعاء، و سميت الصلاة صلاة للزوم الدعاء فيها. و قوله (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أى جزاء على كفركم بالله و جحدكم لوحداثيته و تكذيبكم أنبياءه.

ثم اخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدر على الكلام و النطق «وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» قيل:

فى معنى شهادة الأيدي قولان:

أحدهما- إن الله تعالى يخلقها خلقه يمكنها أن تتكلم و تنطق و تعترف بذنوبها و الثانى- انه يجعل الله فيها كلاماً و نسيه اليها لما ظهر من جهتها، و قال قوم: انه يظهر فيها من الامارات ما تدل على ان أصحابها عصوا و جنوا بها أفبح الجنايات فسمى ذلك شهادة، كما يقال: عيناك تشهد لسهرك، و قال الشاعر:

امتلاً الحوض و قال قطنى مهلاً رويداً قد ملأت بطنى «١»

و غير ذلك مما قد بيناه فى ما تقدم، و كل ذلك جائز، و قال آخر:

و قالت له العينان سمعاً و طاعة و حذرتا كالدرا لما يثقب «٢»

### قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص: ٤٧١

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَ لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مَوْجِئًا وَ لَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ أَ فَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨) وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِ لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

(١) مر فى ١ / ٤٣١.

(٢) مر فى ١ / ٤٣١ و ٦ / ٤٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٢

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم (مكاناتهم) على الجمع. الباقون على التوحيد، لأنه يدل على القليل والكثير. وقرأ عاصم وحمزة (نكسه) بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف. الباقون بفتح النون الأولى وتخفيف الثانية وتخفيف الكاف، وهما لغتان تقول: نكست و نكست مثل رددت ورددت غير ان التشديد للتكثير، والتخفيف يحتمل القليل والكثير، وقال أبو عمرو بالتشديد إن ترك الرجل من دأبه، و بالتخفيف ان يرده إلى أزدل العمر، ففرق بينهما. وقرأ نافع وأبو جعفر والداحوني عن هشام والنقار ويعقوب (أ فلا تعقلون) بالتاء. الباقون بالياء، والأول على الخطاب، والثاني على الخبر عن الغائب. وقرأ أهل المدينة وابن عامر «لتنذر» بالتاء. الباقون بالياء.

يقول الله تعالى مخبراً عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته و عبدوا سواه و جحدوا رسله إنا (لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) قال ابن عباس: معناه إنا لو شئنا أعميناهم عن الهدى. وقال الحسن و قتادة:

معناه لتركناهم عمياً يترددون و الطمس محو الشيء حتى يذهب أثره، فالطمس على العين كالطمس على الكتاب، و مثله الطمس على المال: إذهابه حتى لا يقع على إدراكه (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) و معناه طلبوا النجاة. و السبق إليها و لا بصر التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٣

لهم (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) و قيل: معناه فاستبقوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها. و قال ابن عباس: معناه طلبوا طريق الحق و قد عموا عنها.

و الطمس على العين إذهاب الشق الذي بين الجفنتين، كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس، و طمس أى عمى (فاستبقوا) معناه فابتدروا، و هذا بيان من الله أنهم فى قبضته، و هو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا تنكيه بهم. ثم قال زيادة فى التحذير و الإرهاب (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ) و المسخ قلب الصورة إلى خلقه مشوهة كما مسخ قوماً قرده و خنازير، و المسخ نهاية التنكيل. و قال الحسن و قتادة: معناه لمسحناهم على مقعدهم على أرجلهم و المكانة و المكان واحد، و لو فعلنا بهم ذلك (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا) أى لما قدروا أن يذهبوا أصلاً و لا أن يجيئوا ثم قال (وَمَنْ نَعْمُرُهُ تَنَكُّسُهُ فِي الْخَلْقِ) معناه إن من طولنا عمره نصيره بعد القوة إلى الضعف و بعد زيادة الجسم إلى النقصان و بعد الجدة و الطراوة إلى البلى و الخلاقه. و قيل معناه: نصيره و نرده إلى حال الهرم التى تشبه حال الصبى و غروب العلم و ضعف القوى ذكره قتادة.

و قوله (أ فلا تعقلون) يعنى ما ذكرناه بأن تفكروا فيه فتعرفوا صحه ما قلناه.

ثم اخبر تعالى عن نبيه صلى الله عليه و آله فقال (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) و معناه ما علمناه الشعر لأننا لو علمناه ذلك لدخلت به الشبهه على قوم فى ما اتى به من القرآن و أنه قدر على ذلك لما فى طبعه من الفطنه للشعر. و قيل:

لما لم يعط الله نبيه العلم بالشعر و إنشائه لم يكن قد علمه الشعر، لأنه الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٤

يعطى فطنه ذلك من يشاء من عباده. ثم قال (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) يعنى ليس الذى أنزلناه عليه شعراً بل ليس إلا ذكر من الله (وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ لِيُنذِرَ مَنْ) يعنى واضح، و فعلنا ذلك و غرضنا أن تنذر به أى تخوف به من معاصى الله (مَنْ كَانَ حَيًّا) قيل: معناه من كان مؤمناً، لأن الكافر شبيهه و مثله بالأموات فى قوله (أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ) «١» و يقويه قوله (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) و يجوز أن يكون أراد من كان حياً عاقلاً دون من كان جماداً لا يعقل، و يحق القول على الكافرين إذا لم يقبلوه و خالفوا فيه. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى النبى صلى الله عليه و آله لأنه الذى يخوف.

و من قرأ بالياء معناه إن الله الذى يخوفهم و يرههم بالقرآن، لأنه الذى أنشأه، و يجوز أن يكون القرآن هو الذى ينذر من حيث تضمن الانذار.

قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص: ٤٧٤

أ و لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَ دَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَ لَهُمْ فِيهَا

مَنَافِعَ وَمَشَارِبٍ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَتِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ (٧٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى منبهاً لخلقه على الاستدلال على معرفته (او لم يروا)

(١) سورة ١٦ النحل آية ٢١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٥

و معناه او لم يعلموا (أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا) و معناه إنا عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا، فهو بمنزلة ما يعملها العباد بأيديهم في انهم تولوا فعله و لم يكلوه إلى غيرهم، و تقديره انا تولينا خلق الانعام لهم بأنفسنا، و الأنعام جمع النعم، و هي الإبل و البقر و الغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) معناه لو لم يخلق ذلك لما صح ملكهم لها، و كذلك سائر أملاك العباد بهذه الصفة فهو المنعم على عباده بكل ما ملكوه، و بحسب ما ينتفعون به يكون حاله حال المنعم. و اليد في اللغة على أربعة أقسام: أحدهما- الجارحة. و الثاني- النعمة، و الثالث- القوة. و الرابع- بمعنى تحقيق الاضافة. تقول: له عندي يد بيضاء أى نعمة، و تلقى قولى باليدين أى بالقوة و التقبل، و قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسوراً فلبى فلبى يدى مسور

فهذا بمعنى تحقيق الاضافة. و تقول هذا ما جنت يدك، و ما كسبت يدك أى ما كسبت أنت.

و قوله (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) فتذليل الانعام تسخيرها بالانقياد و رفع النفور لان الوحشى من الحيوان نفور، و الانسى مدلل بما جعله الله فيه من الانس و السكون، و رفع عنه من الاستيحاش و النفور. و قوله (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) قسمة الانعام، فان الله تعالى جعل منها ما يركب و منها ما يذبح و ينتفع بلحمه و يؤكل، فالركوب- بفتح الراء- صفة، يقال: دابة ركوب أى تصلح للركوب، و الركوب- بضم الراء- مصدر ركبت. و قرأت عائشة (فمنها ركوبتهم) مثل الحلوبة. و قوله (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ) فمن منافعها لبس اصوافها و شرب ألبانها و أكل لحومها و ركوب ظهورها إلى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها. ثم قال (أَفَلَا تَشْكُرُونَ) الله على هذه النعم المختلفة المتقنة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٦

ثم اخبر عن حال الكفار فقال (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) يعبدونها لكى ينصروهم. ثم قال تعالى (لَا يَسْتَتِيعُونَ نصرَهُمْ) يعنى هذه الآلهة التى اتخذوها و عبدوها لا تقدر على نصرهم و الدفع عنهم ما ينزل بهم من عذاب الله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ) و معناه إن هذه الآلهة معهم فى النار محضرون، لأن كل حزب مع ما عبد من الأوثان فى النار، كما قال (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ) إلا من استثناه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) «١» فاما الأصنام فان الله تعالى يجعلها مع من عبدها فى النار، فلا الجند يدفعون عنها الإحراق بالنار و لا هم يدفع عنهم العذاب. و قال قتادة: يعنى و هم لهم جند محضرون أى و هم يغضبون للأوثان فى الدنيا.

قوله تعالى: [سورة يس (٣٦): الآيات ٧٦ الى ٨٣] ..... ص: ٤٧٦

فَلَا يَخْرُجُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٦) أَوْ لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَ صَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠)

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٨-١٠١-١٠٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٧

ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ رويس (يقدر) بالياء وجعله فعلاً مستقبلاً. وقرأ الكسائي وابن عباس (فيكون) نصباً عطفاً على (أن نقول ... فيكون) الباقون بالرفع بتقدير، فهو يكون.

هذا خطاب من الله تعالى لنبية صلى الله عليه وآله على وجه التسلية له عن تكذيب قومه إياه، فقال (فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ) وضم الياء نافع، و حزن و أحزن لغتان. و الحزن ألم القلب بما يرد عليه مما ينافي الطبع، و مثله الغم، و ضده السرور و الفرح و المعنى فى صرف الحزن عن النبى صلى الله عليه وآله فى كفر قومه هو أن ضرر كفرهم عائد عليهم، لأنهم يعاقبون به دون غيرهم. ثم قال (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْتَرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ) أى ما يظهره و ما يبطنونه فنجازى كل ما منهم على قدره لا- يخفى علينا شىء منها. ثم قال منبهاً لخلقها على الاستدلال على صحة الاعداء و النشأة الثانية، فقال (أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) و معناه أو لم يعلم (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) و معناه إنا نقلناه من النطفة إلى العلقه و من العلقه إلى المضغ و من المضغ إلى العظم و من العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً و جعلنا فيه الروح و أخرجناه من بطن أمه و لا ييناها و نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله و صار متكلماً خصيماً عليمًا، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٨

فمن قدر على جميع ذلك كيف لا يقدر على الاعداء، و هى أسهل من جميع ذلك؟! و لا يجوز أن يكون خلق الإنسان و لا خالق له، و لا- أن يكون واقعاً بالطبيعة، لأنها فى حكم الموات فى أنها ليست حية قادرة، و من كان كذلك لا يصح منه الفعل و لا أن يكون كذلك بالاتفاق لان المحدث لا بد له من محدث قادر و إذا كان محكماً فلا بد من كونه عالمًا.

و فى الآية دلالة على صحة استعمال النظر، لان الله تعالى أقام الحجج على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، و أنه يلزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانية.

ثم حكى تعالى عن بعض الكفار انه (ضرب لنا) أى ضرب لله (مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ) كيف كان فى الابتداء (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) فقال قتادة، و مجاهد: كان القائل أبى بن خلف. و قال سعيد بن جبير:

هو العاص بن وابل السهمى. و قال ابن عباس: هو عبد الله بن أبى ابن سلول. و

قال الحسن: جاء أمية إلى النبى صلى الله عليه وآله بعظم بال قد بلى، فقال يا محمد أترجم ان الله يبعث هذا بعد ما بلى! قال: نعم، فنزلت الآية.

و الرميم هو البالى، فقال الله تعالى فى الرد عليه (قل) يا محمد لهذا المتعجب من الاعداء (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) لأن من قدر على الاختراع لما يبقى من غير تغيير عن صفه القادر، فهو على إعادته قادر لا محاله (وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) أى عالم بكل جنس من أجناس الخلق. ثم وصف نفسه فقال (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) فبين أن من قدر على ان يجعل فى الشجر الأخضر الذى هو فى غاية الرطوبة ناراً حاميه مع تضاد النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكك بعضه ببعض و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٧٩

المزح و العفار و غير ذلك من انواع الشجر فيخرج منه النار و ينقدح، فمن قدر على ذلك لا يقدر الاعداء؟! ثم نبههم على دليل آخر فقال (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) و معناه من قدر على اختراع السموات و الأرض كيف لا



يقدر على أمثاله؟! وقد ثبت أن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على جنس مثله و جنس ضده. و دخول الباء في خبر (ليس) لتأكيد النفي.

ثم قال تعالى مجيباً عن هذا النفي فقال (بلى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) أى هو خالق لذلك عالم بكيفية الاعادة. ثم قال تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) والمعنى بذلك الاخبار عن سهولة الفعل عليه و انه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال، و هو مثل قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعا و طاعة و حدرتا كالدر لما يثقب «١»  
و إنما اخبر عن سرعة دمه دون ان يكون قبولا على الحقيقة. (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) و معناه تنزيهاً له عن نفى القدرة على الاعادة و غير ذلك مما لا يليق به الذى يقدر على الملك، و فيه مبالغة (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يوم القيامة الذى لا يملك فيه الأمر و النهى سواه، فيجازيكم على قدر أعمالكم من الطاعات و المعاصى بالثواب و العقاب.

(١) مر في ١ / ٤٣١ و ٦ / ٤٥ و ٨ / ٤٧١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٠

### ٣٧-سورة الصافات ..... ص : ٤٨٠

#### إشارة

مكية في قول مجاهد و قتادة و الحسن و هى مائة و اثنان و ثمانون آية في المدنين و إحدى و ثمانون في البصرى و ليس فيها ناسخ و منسوخ.

#### [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١ الى ١٠] ..... ص : ٤٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)  
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُخُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩)  
إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)  
عشر آيات بلا خلاف.

ادغم ابو عمرو- إذا أدرج- التاء في الصاد، و التاء في الزاى، و التاء في الذال في قوله (وَ الصَّافَّاتِ صِفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) لقرب التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨١

مخرجهما إذا كانا من كلمتين، وافقه حمزة في جميع ذلك. الباقون بالإظهار لأن قبل التاء حرفاً ساكناً، و هو الالف، لأن مخارجها متغايرة. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و ابن عامر (بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) و لذلك كان يجوز أن يقرأ برفع الكواكب غير أنه لم يقرأ به أحد، و لو قرئ به لجاز. و قرأ ابو بكر عن عاصم (بِزِينَةٍ) منوناً (الكواكب) نصباً على معنى تزييننا الكواكب. الباقون (بِزِينَةٍ) منوناً (الكواكب) خفضاً على البدل، و هو بدل الشيء من غيره، و هو بعينه، لأن الزينة هى الكواكب، و هو بدل المعرفة من النكرة، و مثله قوله (لَتَشْفَعَنَّ النَّاصِيَةَ النَّاصِيَةَ) «١» فأبدل النكرة من المعرفة. و قرأ الكسائي و حمزة و خلف و حفص عن عاصم (لا يسمعون) بالتشديد،

وأصله لا يتسمعون، فأدغم التاء في السين. الباقون بالتخفيف لان معنى سمعت إلى فلان و تسمعت إلى فلان واحد. وإنما يقولون تسمعت فلاناً بمعنى أدركت كلامه بغير (إلى). و من شدد كزر، لثلا يشتهبه. قال ابن عباس: كانوا لا يتسمعون ولا يسمعون. هذه اقسام من الله تعالى بالأشياء التي ذكرها، وقد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لخلقه أن يحلفوا إلا بالله. وقيل إنما جاز أن يقسم تعالى بهذه الأشياء، لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها. وقال قوم: التقدير: و رب الصفات، و حذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم لله. و جواب القسم قوله (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) و قال مسروق و قتادة و السدي: إن الصفات هم الملائكة مصطفون في السماء

(١) سورة ٩٦ العلق آية ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٢

يسبحون الله. وقيل: صفوف الملائكة في صلاتهم عند ربهم - ذكره الحسن - وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله بما يريد، كما قال (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) «١» و قال ابو عبيدة: كل شيء من السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف، و منه قوله (وَ الطَّيْرُ صَافَاتٍ) «٢» إذا نشرت أجنحتها، و الصفات جمع الجمع، لأنه جمع صافه. و قوله (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال السدي و مجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، وقيل: إنها تزجر السحاب في سوقها. و قال قتادة: (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) آيات القرآن تزجر عن معاصي الله تعالى، و الزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم و العقاب، و قد يكون الصرف عن الشيء بالذم فقط على معنى انه من فعله استحق الذم.

و قوله (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قيل فيه ثلاثة اقوال:

أحدها - قال مجاهد و السدي: هم الملائكة تقرأ كتب الله.

و قال قتادة: هو ما يتلى في القرآن. و قال قوم: يجوز أن يكون جماعة الذين يتلون القرآن. و إنما قال (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) و لم يقل تلوا، كما قال (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) لأن التالي قد يكون بمعنى التابع تقول:

تلوت فلاناً إذا تبعته بمعنى جئت بعده، و منه قوله (وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) «٣» فلما كان مشتركاً، بينه بما يزيل الإبهام، و كل هذه اقسام على أن الآله الذي يستحق العبادة واحد لا شريك له. و قوله

(١) آية ١٦٥ من هذا السورة.

(٢) سورة ٢٤ النور آية ٤١.

(٣) سورة ٩١ الشمس آية ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٣

(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ) معناه إن إلهكم الذي يستحق العبادة واحد و هو الذي خلق السموات و الأرض و ما بينهما من سائر الأجناس من الحيوان و النبات و الجماد (وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ) و معناه و يملك التصرف فيها، و المشارق هي مشارق الشمس، و هي مطالعها بعدد ايام السنة ثلاثمائة و ستون مشرقاً و ثلاثمائة و ستون مغرباً، ذكره السدي.

ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال (إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) و التزيين التحسين للشيء و جعله صورة تميل اليها النفس، فالله تعالى زين السماء الدنيا على وجه يمتع الرائي لها، و في ذلك النعمة على العباد مع ما لهم فيها من المنفعة بالفكر فيها و الاستدلال على صانعها. و الكواكب هي النجوم كالقدر و السماء بها زينة قال النابغة:

بأنك شمس و الملوک کواکب إذا طلعت لم يبق منهن كوكب  
و قوله (وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) معناه و حفظناها حفظاً.

و الحفظ المنع من ذهاب الشيء، و منه حفظ القرآن بالدرس المانع من ذهابه.

و المارد الخارج إلى الفساد العظيم، و هو وصف للشياطين و هم المردة، و أصله الاتجراد، و منه الأمرد، و المارد المتجرد من الخير، و قوله (لا يسمعون) من شدد أراد لا يسمعون و أدغم التاء في السين، و من خفف أراد أيضاً لا يسمعون في المعنى (إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) يعنى الملائكة الذين هم في السماء و قوله (وَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) معناه يرمون بالشهب من كل جانب إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع (دحوراً) أى دفعاً لهم بعنف، يقال:

دحرتة دحراً و دحوراً، و انما جاز أن يريدوا استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون، و انهم يحرقون بالشهب، لأنهم تارة يسلمون إذا لم يكن من التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٤

الملائكة هناك شيء لا يجوز أن يقفوا عليه، و تارة يهلكون كراكب البحر في وقت يطمع في السلامة.

و قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: معناه إن لهم مع ذلك أيضاً عذاباً دائماً يوم القيامة، و منه قوله تعالى (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً) «١» أى دائماً قال ابو الأسود:

لا ابتغى الحمد القليل بقاؤه يوماً بدم الدهر اجمع واصباً «٢»

أى دائماً. و قوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) لما اخبر الله تعالى أن الشياطين لا يسمعون الى الملاء الأعلى و لا يصغون اليهم أخبر انهم متى راموا رموا من كل جانب دفعاً لهم على أشد الوجوه. ثم قال (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أى استلب السماع استلاباً، و الخطفة الاستلاب بسرعة، فمتى فعل أحدهم ذلك (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) قال قتادة: و الشهاب كالعمود من نار، و ثاقب مضى كأنه يثقب بضوئه يقال أثقب نارك و استثقت النار إذا استوقدت و أضاءت، و منه قولهم: حسب ثاقب أى مضى شريف، قال ابو الأسود:

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب «٣»

أى بحيث يضىء و يعلو.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص: ٤٨٤

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥)

أ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أ وَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)

(١) سورة ١٦ النحل آية ٥٢.

(٢) مر في ٣٩٠ / ٦.

(٣) مجاز القرآن ١ / ١٣٣ و ٢ / ١٦٧. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٥

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (بل عجبت) بضم التاء. الباقون بفتحها.

قال ابو على: من فتح التاء أراد: بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث او من نزول الوحي على قلبك و هم يسخرون، و من ضم قال:

معناه إن إنكار البعث مع بيان القدرة على الابتداء و ظهور ذلك من غير استدلال عجيب عندك. و قال قوم: إن ذلك اخبار من الله عن نفسه بأنه عجب، و ذلك كما قال (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) «١». و هذا غير صحيح، لان الله تعالى عالم بالأشياء كلها على تفاصيلها، و إنما يعجب من خفى عليه اسباب الأشياء، و قوله (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) معناه عندكم. و قرأ ابن عامر (إذا) على الخبر. الباقون على الاستفهام على أصولهم فى التحقيق و التخفيف و الفصل و قرأ (إنا) على الخبر اهل المدينة و الكسائي و يعقوب. و قرأ الباقون بهمزتين على أصولهم فى التحقيق و التليين و الفصل. و قرأ اهل المدينة و ابن

(١) سورة ١٣ الرعد آية ٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٦

عامر (او آباؤنا) بسكون الواو- هنا و فى الواقعة- إلا أن ورشاً على أصله فى إلقاء حركة الهمزة على الواو. الباقون بفتح الواو. و هذا خطاب من الله تعالى لنبيه يأمره بأن يستفتى هؤلاء الكفار و هو أن يسألهم أن يحكموا بما تقتضيه عقولهم، و يعدلوا عن الهوى و اتباعه، فالاستفتاء طلب الحكم (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) يعنى من قبلهم من الأمم الماضية و القرون الخالية، فانه تعالى قد أهلك الأمم الماضية الذين هم أشد خلقاً منهم لكفرهم، و لهم مثل ذلك إن أقاموا على الكفر. و قيل: المعنى أهم أشد خلقاً منهم بكفرهم، و هم مثل ذلك أم من خلقنا من الملائكة و السموات و الأرضين، فقال: أم من خلقنا، لأن الملائكة تعقل، فغلب ذلك على ما لا يعقل من السموات، و الشدة قوة الفتل و هو بخلاف القدرة و القوة. و كل شدة قوة، و ليس كل قوة شدة، و أشد خلقاً ما كان فيه قوة يمنع بها فتله إلى المراد به.

ثم اخبر تعالى انه خلقهم من طين لازب. و المراد انه خلق آدم من طين، و إن هؤلاء نسله و ذريته، فكأنهم خلقوا من طين، و معنى (لازب) لازم فأبدلت الميم باء، لأنه من مخرجها، يقولون: طين لازب و طين لازم قال النابغة: و لا يحسبون الخير لا شر بعده و لا يحسبون الشر ضربة لازب «١» و بعض بنى عقيل يبدلون من الزاى تاء، فيقولون: لاتب، و يقولون: لزب، و لتب، و يقال: لزب يلزب لزوباً. و قال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد. و قال قتادة: هو الذى يلزق باليد. و قال مجاهد: معناه لازق. و قيل:

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٦٧ القرطبي ١٥ / ٦٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٧

معناه من طين علك خلق آدم منه و نسب ولده اليه. و قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) فمن ضم التاء أراد أن النبى صلى الله عليه و آله أمره الله أن يخبر عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين أعطيه، و سخر منه أهل الضلالة. قال المبرد: و تقديره قل بل عجب. و من فتح التاء أراد ان الله تعالى خاطبه بذلك.

و العجب تغير النفس بما خفى فيه السبب فى ما لم تجر به العادة، يقال: عجب يعجب عجباً و تعجب تعجباً. و المعنى فى الضم على ما روى عن على عليه السلام و ابن مسعود ليس على انه بعجب كما يعجب، لأن الله تعالى عالم بالأشياء على حقائقها، و إنما المعنى انه يجازى على العجب كما قال (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)

«١» (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ) «٢» و يجوز أن يكون المعنى قد حلوا محل من يعجب منهم. و الفتح على عجب النبى صلى الله عليه و آله (و يسخرون) معناه يهزون بدعائك إياهم إلى الله. و النظر فى دلائله و آياته. (وَ إِذَا ذُكِّرُوا) بآيات الله و حججه و خوفوا بها (لَا يَذْكُرُونَ) أى لا يتفكرون، و لا ينتفعون بها (وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً) من آيات الله تعالى (يَسْتَسْخِرُونَ) أى يسخرون و هما لغتان. و قيل: معناه يطلب بعضهم من بعض أن يسخروا و يهزوا بآيات الله، فيقولون ليس هذا الذى تدعونا اليه من القرآن و تدعيه أنه من عند الله (إِلَّا

سِحْرٌ مُّبِينٌ) أى ظاهر بين.

و حكى انهم يقولون ايضاً (أ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) بعد ذلك و محشورون و مجازون؟! (أ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) الذين تقدمونا بهذه الصفة، و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد بذلك التهزى و الاستبعاد لأن يكون

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٠.

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٨

هذا حقيقة و صحيحاً. فمن فتح الواو فلائها و او العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال الله تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله (قل) لهم (نعم) الامر على ذلك، فإنكم تحشرون و تسألون و تجازون على أعمالكم من الطاعات بالجنة و الثواب، و على المعاصى بالنار و العقاب فيها (وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ) أى صاغرون أذلاء- و هو قول الحسن و قتادة و السدى- و قيل: الداخر الصاغر الذليل أشد الصغر و الصاغر الذليل لصغر قدره.

ثم قال ايضاً و قل لهم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) فقال الحسن: يعنى النفخة الثانية. و الزجرة الصرفة عن الشىء بالمخافة، فكأنهم زجروا عن الحال التى هم عليها إلى المصير إلى الموقف للجزاء و الحساب (فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) أى يشاهدون ذلك و يرونه. و قيل: معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله و عقابه، و يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى يوم الجزاء و الحساب. و (الويل) كلمة يقولها القائل إذا وقع فى الهلكة، و مثله يا ويلتى، و يا حسرتى، و يا عجباً.

و قال الزجاج: و المعنى فى جميع ذلك ان هذه الأشياء حسن نداؤها على وجه التنبية و التعظيم على عظم الحال، و المعنى يا عجب اقبل و يا حسرة اقبلى فانه من أوانك و أوقاتك، و مثله قوله (يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) «١» و قوله (يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) «٢».

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٢١ الى ٣٠] ..... ص: ٤٨٨

هذا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَدِّبُونَ (٢١) احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَرْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَ قُفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَ أَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)

(١) سورة ١١ هود آية ٧٢.

(٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٥٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٨٩

عشر آيات فى الكوفى و المدنيين عدوا قوله (وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) رأس آية. و البصريون لم يعدوها، فهى عندهم تسع آيات. لما اخبر الله تعالى عن الكفار انهم إذا حشروا و شاهدوا القيامة و قالوا (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) يعنى الجزاء حكى ما يقول الله لهم فانه تعالى يقول لهم (هذا يَوْمُ الْفَضْلِ) بين الخلائق و الحكم و تميز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه، و انه تعالى يدخل المطيعين الجنة على وجه الإكرام و الإعظام، و يدخل العصاة النار على وجه الاهانة و الاذلال (هذا يَوْمُ الْفَضْلِ) و هو اليوم (الذى كنتم) معاشر الكفار (به تكذبون) تجحدونه و تقابلون من اخبر عنه بالتكذيب و تنسبونه إلى ضد الصدق.

ثم حكى ما يقول الله للملائكة المتولين لسوق الكفار إلى النار، فانه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٠

يقول لهم «اخشروا الذين ظلموا» أنفسهم بارتكاب المعاصى بمعنى اجمعوهم من كل جهة، فالكفار يحشرون من قبورهم إلى أرض الموقف للجزاء والحساب، ثم يساق الظالمون مع ما كانوا يعبدون من الأوثان والطواغيت إلى النار وكذلك أزواجهم الذين كانوا على مثل حالهم من الكفر والضلال وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: معنى «و أزواجهم» أشباههم، وهو من قوله «و كُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» (١) أى اشكالا و أشباها. وقال قتادة:

معناه و أشياعهم من الكفار. وقيل: من الاتباع. وقال الحسن: يعنى «و أزواجهم» المشركات. وقيل: اتباعهم على الكفر من نسائهم. وقوله «فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ» إنما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة، كما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (٢) لهذه العلة من حيث ان البشارة بالعذاب الأليم وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم، يقال: هديته الطريق أى دللته عليها و أهديت الهدية.

ثم حكى الله تعالى ما يقوله للملائكة الموكلين بهم فانه يقول لهم «وقفوه» أى قفوا هؤلاء الكفار أى احبسوهم «إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» عما كلفهم الله فى الدنيا من عمل الطاعات واجتناب المعاصى هل فعلوا ما أمروا به أم لا؟ على وجه التقرير لهم والتبكييت دون الاستعلام، يقال: وقفت انا و وقفت الدابة بغير الف. و بعض بنى تميم يقولون: أوقفت الدابة و الدار. و زعم الكسائى انه سمع ما أوقفك هاهنا، و انشد الفراء:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن اومأنا إلى الناس أوقفوا  
بالف. و يقال لهم ايضا على وجه التبكييت «ما لَكُمْ» معاشر الكفار

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٧.

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٢١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩١

«لَا تَنَاصَرُونَ» بمعنى لا تتناصرون، و لذلك شدد بعضهم التاء، و من لم يشدد حذف إحداهما، و المعنى لم لا يدفع بعضكم عن بعض ان قدرتم عليه.

ثم قال تعالى انهم لا يقدرون على التناصر و التدافع لكن «هُمُ الْيَوْمَ مُشْتَرِكُونَ» و معنا مسترسلون مستحدثون يقال: استسلم استسلاماً إذالقى بيده غير منازع فى ما يراد منه. وقيل: معناه مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعاً و لا منه امتناعاً.

وقوله «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» اخبار منه تعالى إن كل واحد من الكفار يقبل على صاحبه الذى أغواه على وجه التائب و التضعيف له يسأله لم غررتنى؟ و يقول ذاك لم قبلت منى.

وقوله «قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ» حكاية ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم إنكم: كنتم تأتوننا من جهة النصيحة و اليمن و البركة، فلذلك اغتررنا بكم و العرب تيمين بما جاء من جهة اليمن. و قال الفراء: معناه إنكم كنتم تأتوننا من قبل اليمن، فتخدعوننا من أقوى الوجوه. و اليمن القوة و منه قوله «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ» (١) أى بالقوة ثم حكى ما يقول أولئك لهم فى جواب ذلك: ليس الأمر على ما قلتم بل لم تكونوا مصدقين بالله و لم يكن لنا عليكم فى ترك الحق من سلطان و لا قدرة فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فانه لازم لكم و لاحق بكم. و قال قتادة: أقبل الأنس على الجن يتساءلون بأن كنتم أنتم معاشر الكفار قوماً باغين أى باغين، تجاوزتم الحد إلى افحش الظلم، و أصله تجاوز الحد فى العظم و منه قوله «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» (٢) و طغيانهم كفرهم بالله، لأنهم تجاوزوا فى ذلك الحد



(١) آية ٩٣ من هذه السورة.

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٢

إلى أعظم المعاصي، و قال الزجاج: معنى لا تناصرون ما لكم غير متناصرين فهو نصب بأنه حال.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٣١ إلى ٤٠] ..... ص: ٤٩٢

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَبِإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ  
بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)  
وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَ مَا تُجْزَوْنَ  
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)  
عشر آيات.

هذا تمام ما حكى الله عن المغاوين للكفار يوم القيامة بأنهم إذا قالوا لهم لم يكن لنا عليكم من سلطان، و إنما أنتم كنتم قوماً طاغين،  
أخبروا أيضاً و قالوا «فَحَقَّ عَلَيْنَا» أى و جب علينا «قَوْلُ رَبِّنَا» بأننا لا نؤمن، و نموت على الكفر او و جب علينا قول ربنا بالعذاب الذى  
يستحق على الكفر و الإغواء «إِنَّا لَذَائِقُونَ» العذاب يعنى إنا ندرکه كما ندرک المطعوم بالذوق، ثم يعترفون على أنفسهم بأنهم كانوا  
غاوين، أى دعوناكم إلى الغي و قيل: معناه خيناكم طرق الرشاد فغويونا نحن أيضاً و خينا، فالإغواء الدعاء التبيان في تفسير القرآن،  
ج ٨، ص: ٤٩٣

إلى الغي، و الغي نقيض الرشد، و أصله الخيبة من قول الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائماً «١»

و يكون (أغوى) بمعنى خيب، و منه قوله «رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي» «٢» أى خيبتنى.

ثم اخبر تعالى انهم فى ذلك اليوم مشتركون فى العذاب، و معنى اشتراكهم اجتماعهم فى العذاب الذى هو يجمعهم.

ثم اخبر تعالى فقال إن مثل فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين، و بين أنه إنما فعل بهم ذلك، لأنهم «كانوا إذا قيلَ لَهُمْ) لا إِلَهَ) معبود  
يستحق العبادة إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» عن قبول ذلك، و طلبوا التكبر، و هذه لفظه ذم من حيث استكبروا عن قول الحق. و حكى ما كانوا  
يقولون إذا دعوا إلى عبادة الله وحده فإنهم كانوا «يَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا» و معنى ذلك إنا نترك عبادة آلِهَتِنَا «لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ»  
يدعونا إلى خلافه، يعنون بذلك النبى صلى الله عليه و آله يرمونه بالجنون تارة و بالشعر أخرى- و هو قول الحسن و قتادة- لفرط  
جهلهم حتى قالوا هذا القول الفاحش الذى يفضح قائله، لأن المعلوم انه صلى الله عليه و آله كان بخلاف هذا الوصف، و الجنون آفة  
تغطى على العقل حتى يظهر التخليط فى فعله، و أصله تغطية الشيء: جن عليه الليل إذا غطاه، و منه المجن لأنه يستر صاحبه، و منه  
الجنان الروح، لأنها مستورة بالبدن، و منه الجنة لأنها تحت الشجر.

ثم اخبر تعالى تكديماً لهم بأن قال ليس الأمر على ما قالوه «بل»

(١) مر فى ٣١٢ / ٢ و ٣٩١ / ٤ و ٥٤٨ / ٥ و ٣٣٦ / ٦ و ١٣٦ / ٧ و ٢١٨ و ٣٦ / ٨.

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٤

النبى صلى الله عليه و آله «جاءَ بِالْحَقِّ» من عند الله و هو ما يجب العمل به «وَصَدَّقَ» مع ذلك «الْمُرْسَلِينَ» جميع من أرسله الله قبله.

ثم خاطب الكفار، فقال «إِنَّكُمْ لَمَذَانِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ» يعنى المؤلم المومج جزاء على تكذيبكم بآياتنا و ليس «تُجْزَوْنَ إِلَّا» على قدر «ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى ثم استثنى من جملة المخاطبين «عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» و هم الذين أخلصوا العبادة لله و أطاعوه فى كل ما أمرهم به، فإنهم لا يدوقون العذاب و إنما ينالون الثواب الجزيل.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠] ..... ص: ٤٩٤

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهٌ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥)

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) - لا- فِيهَا غَوْلٌ وَ لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) عشر آيات.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «ينزفون» بكسر الزاى على اسناد الفعل اليهم. الباقون بفتح الزاى- على ما لم يسم فاعله- و من فتح فانه مأخوذ من نزع الرجل، فهو منزوف و نزيف، إذا ذهب عقله بالسكر، و انزف فهو منزف به إذا فنت خمره. و يقال أنزف أيضاً إذا سكر.

لما استثنى الله تعالى من جملة من يعاقبهم من الكفار المخلصين الذين التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٥ أخلصوا عبادتهم لله وحده، بين ما اعد لهم من انواع الثواب، فقال «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ» يعنى عطاء جعل لهم التصرف فيه و حكم لهم به فى الأوقات المستأنفة فى كل وقت شيئاً معلوماً مقدراً. ثم فسر ذلك الرزق، فقال ذلك الرزق «فواكه» و هى جمع فاكهة و هى تكون رطباً و يابساً يتفكهون بها و ينتفعون بالتصرف فيها «وَ هُمْ» مع ذلك «مُكْرَمُونَ» أى معظمون مبعجلون، و ضد الإكرام الاهانة و هى الانتقام و هم مع ذلك «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أى بساتين فيها انواع النعيم التى يتنعمون بها «عَلَى سُرُرٍ» و هو جمع سرير «مُتَقَابِلِينَ» يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» أى بكأس من خمر جارية فى أنهار ظاهرة للعيون- فى قول الحسن و قتادة و الضحاك و السدى- و الكأس إناء فيه شراب.

وقيل: لا يسمى كأساً إلا إذا كان فيه شراب و إلا فهو إناء، و قوله «معين» يحتمل ان يكون (فعيلاً) من العين، و هو الماء الشديد الجرى من أمعن فى الأمر إذا اشتد دخوله فيه. و يحتمل ان يكون وزنه (مفعولاً) من عين الماء لأنه يجرى ظاهراً للعين. ثم وصف الخمر الذى فى الكأس، فقال «بيضاء» و وصفها بالبياض لأنها تجرى فى انهار كاشرف الشراب، و هى خمر فيها اللذة و الامتاع فترى بيضاء صافية فى نهاية الرقة و اللطافة مع النورية التى لها و الشفافة، لأنها على احسن منظر و مخبر. و قال قوم: بيضاء صفة للكأس، و هى مؤنثة. و اللذة نيل المشتهى بوجود ما يكون به صاحبه ملتذاً. و الشراب مأخوذ من الشرب.

و قوله «- لا- فيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فى ذلك الشراب غول أى فساد يلحق العقل خفياً، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره، و منه الغيلة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٦

و هى القتل سراً. و قال ابن عباس «لا فيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فيها صداع و لا أذى، كما يكون فى خمر الدنيا، و قال الشاعر:

و ما زالت الكأس تغتالنا و نذهب بالأول الاول «١»

هذا من الغيلة أى نصرع واحد بعد واحد «وَ لا- هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ» أى لا- يسكرون و النزيف السكران، لأنه ينزف عقله، قال الأبرد الرياحى:

لعمري لئن انزفتم أو ضحوتم لبئس التدانى كنتم آل ابجرا «٢»

فالبيت يدل على ان أنزف لغة فى نزع إذا سكر، لأنه جعله فى مقابلة الصحو. و من قرأ بالسكر فعلى معنى: إنهم لا ينزفون خمرهم أى

لا يفنى عندهم.

وقوله «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ» معنى قاصرات الطرف تقصر طرفهن على أزواجهن- فى قول الحسن وغيره- وقال بعضهم: معنى قاصرات راضيات من قولهم: اقتصرت على كذا، ومعنى «عين» الشديدة كيباض العين الشديدة سوادها- فى قول الحسن- والعين النجل و هى الواسعة العين.

وقوله «كَانَتْهُنَّ يَبِيضٌ مَكُونٌ» شبههن ببيض النعام يكن بالريش من الريح والغبار- فى قول الحسن وابن زيد- وقال سعيد بن جبير والسدى:

شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وقبل أن تمسه الأيدي، والمكون المصون يقال: كنت الشيء إذا صنته، وأكنته إذا سترته من كل شيء قال الشاعر:

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغ واص ميزت من جوهر مكنون (٣)

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩.

(٢) اللسان (نزف) و تفسير القرطبي ١٥/ ٧٩ والطبرى ٢٣/ ٣١ و مجاز القرآن ٢/ ١٦٩. [...]

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٧٠ و تفسير القرطبي ١٥/ ٨١ والطبرى ٢٣/ ٣٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٧

ثم قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» يعنى ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم و ما تفضل الله عليهم من انواع الكرامات

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ص : ٤٩٧

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)  
قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ لِتُزْدِنِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ (٥٧) أ فَمَا نَحْنُ بِمَمِّيَّيْنَ (٥٨) إِلَّا- مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠)

عشر آيات لما حكى الله تعالى أن اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن اخبارهم و أحوالهم، ذكر أن قائلًا منهم يقول «إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» فى دار الدنيا أى صاحب يختص بى إما من الانس- على ما قال ابن عباس- او من الجن- على ما قال مجاهد- يقول» لى على وجه الإنكار على و التهجين لفعلى «أ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» بيوم الدين بان الله يبعث الخلق بعد أن يصيروا تراباً و عظاماً و انهم يحشرون بعد ذلك و يحاسبون و يجازون إن هذا لبعيد، فألف الاستفهام دخلت- هاهنا- على وجه الإنكار، و إنما دخلت ألف الاستفهام للإنكار من حيث أنه لا جواب لقائله إلا ما يفتضح به، و هؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٨

الكفار غلطوا فى هذه الإنكار و توهموا أن من يقول فى جواب ذلك نعم يأتى بقبيح من القول، و قوله «أ إِنَّا لَمَدِينُونَ» معناه لمجزئون مشتق من قولهم: كما تدين تدان.

أى كما تجزى تجزى، و الدين الجزاء، و الدين الحساب، و منه الدين، لأن جزاء القضاء، و قال ابن عباس: القرين الذى كان له شريكاً من الناس.

و قال مجاهد: كان شيطاناً.

ثم حكى انه يقال لهذا القائل على وجه العرض عليه «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» أى يؤمرون أن يروا مكان هذا القرين فى النار، فيقول: نعم،

فيقال له: اطلع في النار، فيطلع في الجحيم فيراه في سوائه أى وسطه- في قول ابن عباس والحسن و قتادة- وإنما قيل للوسط: سواء لاستوائه في مكانه بأن صار بدلاً منه، وقد كثر حتى صار بمعنى غير، و روى حسين عن أبي عمرو «مطلعونى فاطلع» بكسر النون و قطع الألف، و هو شاذ، لان الاسم إذا أضيف حذفت منه النون، كقولك: مطلعى، و إنما يجوز في الفعل على حذف احدى النونين، و قد انشد الفراء على شذوذه قول الشاعر:

و ما أدرى و ظنى كل ظن أسلمنى إلى قوم شراح «١»

يريد شراح، و أنشده المبرد (أ أسلمنى) و انشد الزجاج:

هم القائلون الخير و الأمر دونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً «٢»

و قيل: ان لأهل الجنة فى توبيخ أهل النار لذة و سروراً. و قال الحسن:

الجنة فى السماء و النار فى الأرض، فلذلك صح منهم، الاطلاع.

ثم حكى تعالى ما يقوله المؤمن إذا اطلع عليه و رآه فى وسط الجحيم

(١) تفسير الطبرى ٢٣ / ٣٦.

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ٨٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٤٩٩

فانه يقول «تَاللَّهِ إِن كِدْتَ تَتْرَدِينَ» و معنى (تالله) القسم على وجه التعجب و إنما كان كذلك، لان التاء بدل من الواو فى القسم على وجه النادر، و لذلك اختصت باسم الله ليدل على المعنى النادر.

و قوله «إِن كِدْتَ تَتْرَدِينَ» و هى التى فى قوله «إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» «١» إلا أنها دخلت فى هذا على (فعل) و معنى «لتردين» لتهلكنى كهلا-ك المتردى من شاهق، و منه قوله «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» «٢» فى النار، و تقول ردى يردى إذا هلك و أرداه غيره إرداء إذا أهلكه ثم يقول «وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي عَلَى وَرَحْمَتِهِ لِي بِأَنْ لَطَفَ لِي فِي تَرْكِ مَتَابَعَتِكَ وَ الْقَبُولِ مِنْكَ «لَكُنْتُ» أَنَا أَيْضاً مِنْ الْمُخْضَرِّينَ» معك فى النار فالاحضار الإتيان بالشىء إلى حضرة غيره، و قال الشاعر:

أ فى الطوف خفت على الردى و كم من رد أهله و لم يرم «٣»

أى من هالك، و قوله «أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمَعْدِيَّينَ» هذا تقرير لهم و توبيخ، لأن هذا الكافر كان يقول كثيراً ذلك فى دار الدنيا، و مثله قول الشاعر:

قالت له و يضيق ضنك لا تكثرى لومى اخلى عنك

و معناه إنها كانت تلومه على الإنفاق، فكان يقول لا تكثرى لومى فأطلقك فلما أنفق غيرته بذلك و وبخته و حكت ما كان يقول عند توبيخها و عدلها.

و قال الجبائى: هذا يقوله المؤمن على وجه الاخبار بأنه لا يموت بعد هذا النعيم لكن الموتة الأولى قد مضت، فتلخيص معنى الآية قولان:

(١) سورة ٨٦ الطارق آية ٤.

(٢) سورة ٩٢ الليل آية ١١.

(٣) الطبرى ٢٣ / ٣٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٠

أحدهما- انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعم الله في أنه لا يموت و لا يعذب.

الثاني- أن المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينه بما كان ينكره.

وقوله «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» إخبار منه تعالى بأن هذا الثواب الذى حصل له لهو الفلاح العظيم.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ص: ٥٠٠

لِمَثَلٍ هَذَا فَلَئِمَّ الْعَامِلُونَ (٦١) أ ذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا- أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَمِائِنُهُمْ لَمَّا كَلُّوا مِنْهَا فَمَا لَوْزُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَّهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَمِائِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) عشر آيات.

يقول الله تعالى في تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر «لِمَثَلٍ هَذَا» يعنى لمثل ثواب الجنة و نعيمها «فَلَئِمَّ الْعَامِلُونَ» فى دار التكليف، و يحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذى تدعو اليه الحكمة من وجوب او ندب، قال الرماني: ألا- ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو اليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الإحباط. و هذا الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠١

ذكره غير صحيح، لأن القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه و إن عرض فى القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فانه لا يعتد بها، فان علمنا فى ما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق فيه الثواب، علمنا أنه خرج من كونه قبيحاً. و مثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الإكراه عليها او الإنكار لكون نبي بحضرته لمن يطلبه ليقنته فان هذا و إن كان كذباً فى الظاهر فلا بد أن يورى المظهر بما يخرج عن كونه كاذباً، و متى لم يحسن التورية منع الله من إكراهه عليه. و فى الناس من يقول: يجب عليه الصبر على القتل، و لا يحسن منه الكذب، و متى كان من يحسن التورية، و لم يور كان القول منه كذباً و قبيحاً و لا يستحق به الثواب، فاما الإكراه على أخذ مال الغير و إدخال ضرر عليه دون القتل، متى كان قد علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الإكراه أو حسنه علمنا انه خرج بذلك عن كونه قبيحاً و إن الله تعالى ضمن من العوض عليه ما يخرج عن كونه قبيحاً، كما تقول:

فى ذبح البهائم، و متى لم يعلم بالشرع ذلك، فانه يقبح إدخال الضرر على الغير و أخذ ماله، فأما إدخال الضرر على الغير و نفسه ببذل مال او تحمل خراج ليدفع بذلك عن نفسه ضرراً أعظم منه، فانه يحسن، لأنه وجه يقع على الإثم فيصير حسناً، و هذا باب أحكامه فى كتاب الأصول. لا يحتمل هذا الموضوع أكثر من هذا.

وقوله «أ ذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ» إنما جاز ذلك مع انه لا خير فى شجرة الزقوم لامرين:

أحدهما- على الحذف بتقدير أ سبب هذا الذى أدى اليه خير أم سبب أدى إلى النار، كأنهم قالوا هو فيه خير، لما عملوا ما أدى اليه. و النزل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٢

الفضل طعام له نزل، و نزل أى فضل و ريع. و قيل: معناه خير نزل من الانزال التى تقيم الأبدان و تبقى عليها الأرواح و (الزقوم) قيل: هو ثمر شجرة منكروه جداً من قولهم يرقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره و مشقة شديدة. و قيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة.

وقوله «إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» معناه إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة لشدة التعبد، و قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: النار تحرق الشجرة، و كيف تنبت هذه فى النار، فكان ذلك تغليظاً للمحنة، لأنه يحتاج إلى الاستدلال على انه قادر لا يمتنع عليه أن يمنع النار من إحراقها حتى تنبت الشجرة فيها. و قيل: معناه إنها عذاب للظالمين من قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «١» أى يعذبون، و قيل:

هو قول أبي جهل في التمر والزبد انه يتزقمه. روى أنه لما سمع هذه الآية دعا الكفار واحضر التمر والزبد وقال تعالوا نتزقم هذا بخلاف ما يهددنا به محمد. ثم قال تعالى «إِنَّهَا شَجَرَةٌ» يعنى الزقوم «تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» أى تنبت فى قعر جهنم «طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ» قيل: فى تشبيه ذلك براءوس الشياطين مع أن رؤس الشياطين لم ترقط ثلاثة أقوال:

أحدها- ان قبح صورة الشياطين متصور فى النفس و لذلك يقولون لشيء يستقبحونه جداً كأنه شيطان. و قال امرؤ القيس:  
أ يقتلنى و المشرفى مضاجعى و مسنونة زرق كأنياب اغوال «٢»

فشبه النصول بأنياب الأغوال، و هى لم تر، و يقولون: كأنه رأس شيطان و انقلب على كانه شيطان.

(١) سورة ٥١ الذاريات آية ١٣.

(٢) ديوانه ١٦٢ و تفسير القرطبي ٨٦/١٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٣

الثانى - أنه شبه برأس حية يسميها العرب شيطاناً، قال الراجز:

منجرد يحلف حين أحلف كمثل شيطان الحمام أعرف «١»

الثالث- انه شبه بنبت معروف براءوس الشياطين. و قيل: قد دل الله أنه يشوه خلق الشياطين فى النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش، فذلك يشبه براءوسهم.

ثم أخبر تعالى أن اهل النار لياً كلون من تلك الشجرة و يملئون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع، و الملاء الطرح فى الوعاء ما لا يحتمل الزيادة عليه، فهؤلاء حشيت بطونهم من الزقوم بما لا يحتمل زيادة عليه.

ثم قال «إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا» يعنى الزيادة على شجرة الزقوم «لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ» فالشوب خلط الشيء بما ليس منه مما هو شر منه، و يقال هذا الطعام مشوب، و قد شابه شيء من الفساد، و الحميم إذا شاب الزقوم اجتمعت المكاره فيه من المرارة و الخسونة و نتن الرائحة، و الحرارة المحرقة- نعوذ بالله منها- و الحميم الحار الذى له من الإحراق المهلك أدناه قال الشاعر:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «٢»

أى أدناه و حمم ريش الفرخ إذا نبت، حتى يدنو من الطيران و المحموم المقرب من حال الإحراق. و قال ابن عباس: يشربون الحميم المشروب من الزقوم أى قد شيب مع حرارته بما يشتد تكرهه. و الحميم الصديق القريب أى الدانى من القلب.

و قوله «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلِأَلِيِّ الْجَحِيمِ» معناه أنهم يردون بعد ذلك إلى النار الموقدة. و فى ذلك دلالة على أنهم فى وقت ما يطعمون الزقوم

(١) تفسير القرطبي ٨٧/١٥.

(٢) اللسان (حمم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٤

بمعزل عنها، كما قال «يُطَوَّفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمِ آن» «١» ثم حكى تعالى ان هؤلاء الكفار «الْفُؤَا» يعنى صادفوا «آباءهم ضالين» عن الطريق المستقيم الذى هو طريق الحق «فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ» فى الضلال أى يقلدونهم و يتبعونهم، قال ابو عبيدة: معنى يهرعون يستحثون من خلفهم. و قيل: معناه يزعجون إلى الاسراع، هرع و أهرع لغتان

قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٥٠٤



وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَئِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) عشر آيات.

اقسم الله تعالى انه «لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ» قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الحق و اتباع الهدى «أَكْثَرُ الْأُولَئِينَ» من كان قبلهم لان اللام في (لقد) هي لام القسم و تدخل على الجواب لقولك: و الله لقد كان كذا، و قد تدخل للتأكيد. و الضلال الذهاب عن الحق إلى طريق الباطل، تقول: ضل عن الحق يضل ضلالا. و الإضلال قد يكون

(١) سورة الرحمن آية ٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٥

بمعنى الظم بالضلال و الحكم عليه به، و قد يكون بمعنى الأمر به و الإغراء كقوله «وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» (١). و الأ-كثر هو الأعظم في العدد، و الأول الكائن قبل غيره. و أول كل شيء هو الله تعالى، لأن كل ما سواه فهو موجود بعده. ثم أقسم انه أرسل فيهم منذرين من الأنبياء و الرسل يخوفونهم بالله و يحذرونهم معاصيه. ثم قال «فَانظُرْ» يا محمد «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ» و التقدير ان الأنبياء المرسلين لما خوفوا قومهم فعصوهم و لم يقبلوا منهم أهلكتهم و أنزل عليهم العذاب، فانظر كيف كان عاقبتهم.

ثم استثنى من المنذرين في الإهلاك عباده المخلصين الذين قبلوا من الأنبياء، و أخلصوا عبادتهم لله تعالى، فان الله تعالى خلصهم من ذلك العذاب و وعدهم بالثواب.

ثم أخبر ان نوحاً نادى الله و دعاه و استنصره على قومه، و أنه تعالى أجابه، و انه- جل و عز- نعم المجيب لمن دعاه و تقديره فلنعم المجيبون نحن له و لما أجابه نجاه و خلصه و أهله من الكرب العظيم، فالنجاهة هي الرفع من الهلاك و أصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان و منه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا.

و الاستنجاه رفع الحدث. و الكرب الحزن الثقيل على القلب، قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب (٢)

و الكرب تحرير الأرض بإصلاحها للزراعة. و الكرب هو الذي يحمى قلب النخلة باحاطته بها و صيانته لها. و العظيم الذي يصغر مقدار غيره عنه. و قد

(١) سورة ٢٠ طه آية ٨٥.

(٢) مر في ٢٨٣/٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٦

يكون التعظيم في الخير و العظم في الشر و العظم في النفس. و قال السدي: معناه نجيناه و أهله من الغرق. و قال غيره: بل نجاهم من الأذى و المكروه الذي كان ينزل بهم من قومه، لأنه بذلك دعا ربه فأجابه. و قيل: الذين نجوا مع نوح شيعته.

وقوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال ابن عباس و قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح بعد نوح. و قال قوم: العجم و العرب أولاد سام بن نوح و الترك و الصقالبة و الخزر أولاد يافث بن نوح، و السودان أولاد حام ابن نوح.

وقوله (وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قيل في معناه قولان:

قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: (وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يعنى ذكراً جميلاً، و أثبتنا عليه في أمه محمد. و معنى (تركنا) أبقينا، فحذف، فيكون (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) من قول الله على غير جهة الحكاية.

الثانى - قال الفراء: تركنا عليه قولاً هو أن يقال في آخر الأمم: سلام على نوح في العالمين.

ثم قال (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) كما فعلنا بنوح من الثناء الجميل، مثل ذلك نجزي من احسن أفعاله و تجنب المعاصي.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٨١ الى ٩٠] ..... ص: ٥٠٦

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٨٢) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥)

أَفِئْكَ آلِهَتُهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٧

عشر آيات.

هذا رجوع من الله تعالى إلى ذكر وصف نوح بأنه كان (مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصدقون بتوحيد الله و وعده و وعيده و جميع أخباره. و العباد جمع عبد، و هو الدليل لملكه بالعبودية. و الخلق كلهم عباد الله فمنهم عابد له و منهم عابد لغيره تضييعاً منهم لحق نعمه و جهلاً بما يجب له عليهم. و المؤمن هو المصدق بجميع ما أوجب الله عليه او ندبه اليه. و قال قوم: هو العامل بجميع ما أوجب الله عليه العامل بما يؤمنه من العقاب.

ثم اخبر تعالى انه أعرق الباقين من قوم نوح بعد إخلاصه نوحاً و أهله المؤمنين. ثم قال (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) فالشيعه الجماعة التابعة لرئيس لهم، و صاروا بالعرف عبارة عن شيعه على عليه السلام الذين معه على أعدائه.

وقيل من شيعه نوح إبراهيم يعنى إنه على منهاجه و سنته فى التوحيد و العدل و اتباع الحق. و قال الفراء: معناه و إن من شيعه محمد صلى الله عليه و آله لإبراهيم، كما قال (أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) «١» أى ذرية من هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم و قد سبقوهم، و قال الحسن: معناه على دينه و شريعته و منهاجه، قال الرماني:

هذا لا يجوز، لأنه لم يجر لمحمد ذكر، فهو ترك الظاهر. و

قد روى عن اهل

(١) سورة ٣٦ يس آية ٤١. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٨

البيت عليهم السلام إن من شيعته على لإبراهيم.

و هذا جائز إن صح الخبر المروى فى هذا الباب، لأن الكناية عن من لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلك دليل، كما قال (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) «١» و لم يجر للشمس ذكر و يكون المعنى انه على منهاجه و طريقته فى اتباع الحق و العدول عن الباطل، و كان إبراهيم و على عليهما السلام بهذه المنزلة.

وقوله (إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) معناه حين جاء إلى الموضع الذي أمره الله بالرجوع إليه بقلب سليم عن الشرك برىء من المعاصى فى الوقت الذى قال لأبيه وقومه حين رأهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعلمهم والتفريع لهم (ما ذا تعبدون) أى أى شىء تعبدون من هذه الأصنام التى لا تنفع ولا تضر، وقال لهم (أَفِئْكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) فالافك هو اشنع الكذب وأفظعه، والافك قلب الشىء عن جهته التى هى له، فلذلك كان الافك كذباً. وإنما جمع الآلهة مع أنه لا إله إلا إله واحد. على اعتقادهم فى الالهية. وإن كان توهمهم فاسداً، لما اعتقدوا أنها تستحق العبادة، وكان المشركون قد اوغروا باتخاذ الآلهة إلى ان جاء دين الإسلام و بين الحق فيه وعظم الزجر.

وقوله (دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) معناه إنكم أ تريدون عبادة آلهة دون عبادة الله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما قال (وَ سَأَلِ الْقَوْمَ) «٢» أى أهلها، لان الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه. وهذه الأجسام ليست مما يحدث، فلا يصح إرادتها. وقوله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قيل: معناه أى شىء ظنكم به أسوء

(١) سورة ٣٨ ص آية ٣٢.

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٨٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٠٩

ظن؟! وقيل معنى (فَنظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ) أى انه استدلل بها على وقت حمى كانت تعتاده (فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) ومن أشرف على شىء جاز أن يقال انه فيه، كما قال تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) «١» ولم يكن نظره فى النجوم على حسب المنجمين طلباً للاحكام، لان ذلك فاسد، ومثله قول الشاعر:

اسهرى ما سهرت أم حكيم واقعدى مرة لذلك وقومى

وافتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

وقال الزجاج نظره فى النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهموا هم أنه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلك (إنى سقيم) فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه. وقال ابو مسلم: معناه إنه نظر فيها نظر مفكر فاستدل بها على أنها ليست آلهة له، كما قال تعالى فى سورة الأنعام (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى ...) تمام الآيات «٢» وكان هذا منه فى زمان مهلة النظر. وهذا الذى ذكره يمنع منه سياق الآية، لان الله تعالى حكى عن ابراهيم أنه (جاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يعنى سليم من الشرك، وذلك لا يليق بزمان مهلة النظر. ثم أنه قال لقومه على وجه التقيح لفعلمهم (ما ذا تَعْبُدُونَ أَفِئْكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وهذا كلام عارف بالله مستبصر، وكيف يحمل على زمان مهلة النظر. وقيل: فى معنى قوله (إنى سقيم) إنى سقيم القلب مما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم عن عبادته مع وضوح الأدلة الدالة على توحيده واستحقاقه للعبادة منفرداً بها. وقيل: إنه كان عرضت له

(١) سورة ٣٩ المزمّل آية ٣٠.

(٢) سورة ٦ الانعام آية ٧٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٠

عله فى الحال، وكان صادقاً فى ذلك. وقيل: معناه إن عاقبتى الموت، ومن كان عاقبته الموت جاز أن يعبر عن حال حياته بأنه مريض. وقيل: معناه إنى سأسقم فى المستقبل، وقيل: إنه أراد بقوله: سقيم مطعون، فلذلك تركوه خوفاً من أن يتعدى اليهم الطاعون. فأما من قال: إنه لم يكن سقيماً وإنما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم إلى عيدهم لتكسير أصنامهم وانه يجوز الكذب فى المكيدة

والتقية، فقله باطل، لان الكذب قبيح لا يحسن على وجه.

فأما ما يروونه من

أن النبي صلى الله عليه وآله قال (ما كذب أبى إبراهيم الا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه: قوله إنى سقيم ولم يكن كذلك، و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وقوله فى سارة انها اختى و كانت زوجته).

فأول ما فيه أنه خبروا احد لا يعول عليه. و النبي صلى الله عليه وآله أعرف بما يجوز على الأنبياء و ما لا يجوز من كل واحد، و قد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فى ما يؤدونه عن الله من حيث أنه كان يؤدى إلى ان لا يوثق بشيء من اخبارهم و إلى أن لا ينزاح علة المكلفين، و لا فى غير ما يؤدونه عن الله من حيث أن تجوز ذلك ينفر عن قبول قولهم، فإذا يجب ان يقطع على ان الخبر لا أصل له. و لو سلم لجاز أن يكون المعنى مع ظاهره مظاهر للكذب، و إن لم يكن فى الحقيقة كذلك، لان قوله (إنى سقيم) قد بينا الوجه فيه. و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) بيناه فى موضعه. و قوله فى سارة إنها اختى معناها إنها اختى فى الدين، و قد قال الله تعالى إنما المؤمنون أخوة، و إن لم يكونوا بنى أب واحد.

و قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) اخبار منه تعالى أنه حين قال لهم إنى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١١ سقيم أعرضوا عنه و تركوه و خرجوا إلى عيدهم و هو متخلف عنهم.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ٩١ إلى ١٠١] ..... ص : ٥١٠

فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥)

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشِّرْ نَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) احدى عشر آية.

قرأ حمزة و المفضل عن عاصم (يزفون) بضم الياء. الباقون بفتحها، و هما لغتان. و زفت اكثر. و يجوز أن يكون المراد زف الرجل فى نفسه و أرف غيره، و التقدير فأقبلوا اليه يزفون أنفسهم.

قوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ) معناه مال إليها بحدته، تقول: راغ يروغ روعاً و روغاناً مثل حاد يحيد حيداً و حيداناً، و الزواغ الحيداد، قال عدى ابن زيد:

حين لا ينفع الرواغ و لا ينفع إلا الصادق النحرير «١»

(١) تفسير الطبرى ٢٣ / ٤١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٢

و إنما مال إليها بحدته غضباً على عابديها، و قوله (إلى آلتهم) معناه إلى ما يدعون أنها آلتهم أى إلى ما اتخذوها آلهة لهم، كما تقول. للمبطل: هات حجتك مع علمك انه لا حجة له.

و قوله (فَقَالَ أَلَا- تَأْكُلُونَ) إنما جاز ان يخاطب الجماد بذلك تهجيناً لعابديها و تنبيها على أن من لا يتكلم و لا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها، فاجراها مجرى من يفهم الكلام و يحسن ذكر الجواب استظهاراً فى الحجة و إيضاحاً للبرهان، لكل من سمع ذلك و يبلغه. و قوله (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) معناه تهجيناً لعابديها كأنهم حاضرون بها. و قوله (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) قيل فى معناه

قولان:

أحدهما- انه مال عليهم بيده اليمنى، لأنها أقوى على العمل من الشمال.

الثاني - بالقسم ليكسرنها، لأنه كان قال (وَ تَالَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) «١» وقال الفراء: اليمين القوة، و منه قول الشاعر:

[إذ ما رايه رفعت لمجد] تلقاها عرابه باليمين «٢»

أى بالقوة. وقوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال ابن زيد: معناه يسرعون.

وقال السدي: يمشون. وقيل: يتسللون بحال بين المشى و العدو، و منه زفت النعامه، و ذلك أول عدوها، و هو بين العدو و المشى، و قال الفرزدق:

و جاء فزيع الشول قبل أوانها تزف و جاءت خلفه و هي زفف «٣»

و منه زفت العروس إلى زوجها، و معنى يزفون يمشون على مهل، قال الفراء: لم أسمع إلا زففت، قال و لعل من قرأ بالضم أراد من قولهم طردت الرجل إذا أحسأته

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٥٧.

(٢) تفسير القرطبي ٧٥ / ١٥.

(٣) تفسير الطبري ٤٢ / ٢٣ و القرطبي ٩٥ / ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٣

و اطرده جعلته طريداً. و قرأ بعضهم (يزفون) يفتح الياء و تخفيف الفاء من (وزف، يزف) قال الكسائي و الفراء: لا اعرف هذه إلا أن يكون أحدهم سمعها. فلما رآهم ابراهيم صلى الله عليه و آله اقبلوا عليه قال لهم على وجه الإنكار عليهم و التبكيت لهم بفعلهم (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) فالالف ألف الاستفهام و معناها الإنكار و وجه التوبيخ انه كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده!، فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله مضافاً إلى كونها جماداً! ثم نبههم فقال (وَ اللَّهُ) تعالى هو الذي (خَلَقَكُمْ) و خلق الذي (تعملون) فيه من الأصنام، لأنها أجسام و الله تعالى هو المحدث لها، و ليس للمجبرة أن تتعلق بقوله (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ) و مَا تَعْمَلُونَ) فتقول: ذلك يدل على ان الله خالق لأفعالنا، لأمر:

أحدها- ان موضوع كلام ابراهيم لهم بنى على التقرير لهم لعبادتهم الأصنام، و لو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب، بل كان لهم ان يقولوا: لم توبخنا على عبادتنا للأصنام و الله الفاعل لذلك، فكانت تكون الحجج لهم لا عليهم.

الثاني - انه قال لهم (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) و نحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم، و إنما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام و هي فعل الله بلا شك. فقال لهم (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ) و خلق هذه الأجسام.

و مثله قوله (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) «١» و مثله قوله (وَ أَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا) «٢» و عصا موسى لم تكن تلقف إفكهم، و إنما

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١١٦.

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٦٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٤

كانت تلقف الأجسام التي هي العصا و الحبال.

و منها ان (ما) في قوله (و ما تعملون) لا يخلو من ان تكون بمعنى (الذى) او تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذى)

ف (تعملون) صلتها، ولا بد لها من عائد يعود اليها، فليس لهم أن يقدروا فيها ضميراً لها ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميراً فيه فيصح ما نقوله، ويكون التقدير: و ما يعملون فيه، و الذى يعملون فيه هى الأجسام و إن كانت مصدرية فانه يكون تقديره: و الله خلقكم و عملكم، و نفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا- يفهم فى العرف إلا- ذلك، يقال فلان يعمل الخوص، و فلان يعمل السروج، و هذا الباب من عمل النجار، و الخاتم من عمل الصانع، و يريدون بذلك كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان عملاً لهم بما يحدثون فيها من النحت و النجر، على أنه تعالى أضاف العمل اليهم بقوله (وَ مَا تَعْمَلُونَ) فكيف يكون ما هو مضاف اليهم مضافاً إلى الله تعالى و هل يكون ذلك إلا متناقضاً.

و منها أن الخلق فى أصل اللغة هو التقدير للشيء و ترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أن نقول: إن الله خالق أفعالنا بمعنى أنه قدرها للثواب و العقاب، فلا تعلق للقوم على حال.

ثم حكى تعالى ما قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض فإنهم (قَالُوا ابْتُلُوا لَهُ بُنْيَانًا) قيل: انهم بنوا له شبه الحظيرة. و قيل مثل التنور و أججوا ناراً ليلقوه فيها. و البناء وضع الشيء على غيره على وجه مخصوص، و يقال لمن رد الفرع إلى الأصل بناء عليه (فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ) بمعنى اطرحوه فى النار التى اججوها له. و الجحيم عند العرب النار التى تجتمع بعضها على بعض. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٥

ثم اخبر تعالى ان كفار قوم ابراهيم انهم (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) و حيلة و هو ما أرادوا من إحراقه بالنار (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَشْقِيَيْنِ) بأن اهلكهم الله و نجا ابراهيم و قيل منع الله- عز و جل- النار منه بل صرفها فى خلاف جهته، فلما أشرفوا على ذلك علموا انهم لا طاقة لهم به.

ثم حكى ما قال ابراهيم حين أرادوا كيده، فانه قال (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) و معناه إلى مرضات الله ربي بالمصير إلى المكان الذى أمرنى ربي بالذهاب اليه. و قيل: إلى الأرض المقدسة و قيل إلى ارض الشام. و قال قتادة: معناه (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) أى بعملى و نيتى، و معنى (سيهدين) يعنى يهدينى فى ما بعد الى الطريق الذى أمرنى بالمصير اليه أو الى الجنة بطاعتي إياه.

ثم دعا ابراهيم ربه فقال (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) يعنى ولدًا صالحًا من الصالحين، كما تقول: أكلت من الطعام، و حذف لدلالة الكلام عليه، فأجابه الله تعالى إلى ذلك و بشره بغلام حليم اى حليماً لا يعجل فى الأمور قبل وقتها، و فى ذلك بشارة له على بقاء الغلام حتى يصير حليماً.

و قال قوم: المبشر به إسحاق و قال آخرون إسماعيل، و نذكر خلافهم فى ذلك فى ما بعد.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٠٢ الى ١١١] ..... ص: ٥١٥

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَيَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)

وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٦

عشر آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (ما ذا ترى) بضم التاء و كسر الراء.

الباقون بفتح التاء. من ضم التاء أراد ما ذا تشير، و قال الفراء: يجوز ان يكون المراد ما ذا ترى من صبرك و جلدك، لأنه لا يستشيره فى أمر الله.



و أصله ترثي فنقلوا كسرة الهمزة إلى الراء، و حذف الهمزة لسكونها و سكون الياء. و من فتح جعله من الرأى و الرؤية، لا- من المشورة.

لما اخبر الله تعالى انه أجاب دعوة إبراهيم فى طلب الولد و بشره بولد حليم اخبر ان من وعده به ولد له و كبر و ترعرع، فلما بلغ مع أبيه السعى يعنى فى طاعة الله، قال الحسن سعى للعمل الذى تقوم به الحجّة. و قال مجاهد:

بلغ معه السعى. معناه أطاق ان يسعى معه و يعينه على أمور، و هو قول الفراء قال: و كان له ثلاث عشرة سنة، و قال ابن زيد: السعى فى العبادة (قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ما ذا ترى) و كان الله تعالى أوحى إلى ابراهيم فى حال اليقظة، و تعبه ان يمضى ما يأمره فى حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة، و لو لم يأمره التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٧

به فى اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب ان يعلم حال ابنه فى صبره على أمر الله و عزيمته على طاعته. فلذلك قال له ما ذا ترى، و إلا فلا يجوز أن يؤامر فى المضى فى امر الله ابنه، لأنه واجب على كل حال.

و لا يمتنع ايضاً أن يكون فعل ذلك بأمر الله ايضاً، فوجده عند ذلك صابراً مسلماً لأمر الله. (و قال يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) اى ما أمرت به (سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ممن يصبر على الشدائد فى حب الله و يسلم أمره اليه (فلما أسلما) يعنى ابراهيم و ابنه اى استسلما لأمر الله و رضيا به أخذ ابنه (و تله للجبين) معنى تله صرعه. و الجبين ما عن يمين الجبهة او شمالها و للوجه جبينان الجبهة بينهما. و قال الحسن: معنى و تله أضجعه للجبين. و منه التل من التراب و جمعه تلول. و التليل العنق، لأنه يتل له، (و ناديناها أن يا إبراهيم) و (ناديناها) هو جواب (فلما) قال الفراء: العرب تدخل الواو فى جواب (فلما) و (حتى) و (إذا) كما قال (حَتَّى إِذَا جَاءُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا) «١» و فى موضع آخر (و فتحت) «٢» و فى قراءة عبد الله (فلما جهزهم بجهازهم و جعل السقاية) «٣» و فى المصاحف (جعل) بلا واو و موضع ان نصب بوقوع النداء عليه و تقديره و ناديناها بأن يا ابراهيم أى هذا الضرب من القول فلما حذف الباء نصب. و عند الخليل انه فى موضع الجر (فَمَدَّ يَدَيْهُ الرُّؤْيَا) و معناه فعلت ما أمرت به فى الرؤيا و اختلفوا فى الذبيح. فقال ابن عباس و عبد الله بن عمر و محمد بن كعب القرطبي و سعيد ابن المسيب و الحسن فى احدى الروايتين عنه و الشعبي:

انه كان إسماعيل و هو الظاهر فى روايات أصحابنا.

و يقويه قوله بعد هذه القصّة و تمامها

(١، ٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٧١، ٧٣.

(٣) سورة ١٢ يوسف آية ٧٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٨

(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) فدل على ان الذبيح كان إسماعيل.

و من قال: إنه بشر بنوّه إسحاق دون مولده، فقد ترك الظاهر لان الظاهر يقتضى البشارة بإسحاق دون نبوته، و يدل ايضاً عليه قوله (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) و لم يذكر إسماعيل، فدل على انه كان مولوداً قبله و ايضاً فانه بشره بإسحاق و انه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك. و أجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق. و قالوا ايضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب، و الاول هو الأقوى على ما بيناه. و

قد روى عن النبي صلى الله عليه و آله انه قال: انا ابن الذبيحين

، و لا خلاف انه كان من ولد إسماعيل و الذبيح الآخر عبد الله أبوه. و روى عن ابن عباس و على و ابن مسعود و كعب الأخبار انه كان إسحاق. و روى ذلك ايضاً فى اخبارنا.

وفي الناس من استدلل بهذه الآية على جواز النسخ قبل وقت فعله من حيث ان الله تعالى كان قد أمره بذبح ولده ثم نسخ عنه قبل ان يفعله، ولا يمكننا ان نقول ان الوقت كان قد مضى، لأنه لو أخره عن الوقت الذي أمره به فيه لكان عاصياً، ولا خلاف أن ابراهيم لم يعص بذلك، فدل على انه نسخ عنه قبل وقت فعله.

و من لم يجز النسخ قبل وقت فعله أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة:

أحدها- ان الله تعالى أمر ابراهيم ان يقعد منه مقعد الذابح ويشد يديه ورجليه و يأخذ المديء و يتركها على حلقه و ينتظر الأمر بإمضاء الذبح على ما رأى في منامه و كل ذلك فعله، و لم يكن أمره بالذبح، و إنما سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه و غلبه الظن انه سيؤمر بذلك على ضرب من المجاز. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥١٩

الثاني- أنه إنما أمره بالذبح و ذبح، و كل ما فرى جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتى انتهى إلى آخره فاتصل به، وصله الله تعالى، فقد فعل ما أمر به و لم يبين الرأس و لا انتفى الروح.

الثالث- انه امر بالذبح بشرط التخليء و التمكين، فكان كما

روى انه كلما أعمد بالشفرة انقلبت و جعل على حلقه صفحة من نحاس

، و هذا الوجه ضعيف، لان الله تعالى لا يجوز ان يأمر بشرط، لأنه عالم بالعواقب، و إنما يأمر الواحد منا بشرط ذلك لأنه لا يعلم العواقب، و لان فيه انه أمر بما منع منه و هذا عيب فاما قول من قال: انه فداه بذبح، فدل ذلك على انه كان مأموراً بالذبح على الحقيقة، اعتراضاً على الوجه الأول، لان من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدى، فليس بشيء، لأنه لا يلزم ذلك الا ترى ان من حلق رأسه و هو محرم يلزمه ذلك، و كذلك إذا لبس ثوباً مخيطاً او شم طيباً او جامع. و إن لم يكن جميع ذلك من جنس المفدى.

و قوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) معناه إنا جازينا ابراهيم على فعله بأحسن الجزاء. و مثل ذلك نجزي كل من فعل طاعه، فانا نجازيه على فعله بأحسن الجزاء.

ثم اخبر تعالى بأن هذا الذي تعبد به ابراهيم هو البلاء المبين أى الاختبار الظاهر و قيل: هو النعمة البينة الظاهرة، و تسمى النعمة بلاء و النعمة ايضاً بلاء من حيث انها سميت بسببها المؤدى اليها، كما يقال لأسباب الموت هو الموت بعينه (و المبين) هو البين في نفسه الظاهر، و يكون بمعنى الظاهر، و يكون بمعنى المظهر ما في الأمر من خير او شر.

ثم قال تعالى (و فديناه) يعنى ولد ابراهيم (بذبح عظيم) فالفداء جعل التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٠

الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، و منه فداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الأشد عنهم، فكذلك فداء الله ولد ابراهيم بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه.

و العظيم هو الكبير. و قيل: لان الكبش الذى فدى به يصغر مقدار غيره من الكباش عنه بالاضافة اليه. و قال ابن عباس: فدى بكبش من الغنم. و هو قول مجاهد و الضحاك و سعيد بن جبير. و قال الحسن: فدى بوعل أهبط به عليه جبرائيل. و قيل: إنه لا خلاف انه لم يكن من الماشية التى كانت لإبراهيم او غيره فى الدنيا. و قيل: إنه رعى فى الجنة أربعين خريفاً. و قال مجاهد:

وصفه بأنه عظيم، لأنه متقبل. و الذبح بكسر الذال المهياً، لان يذبح. و بفتح الذال المصدر.

و قوله (وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يعنى على ابراهيم فى الآخريين يعنى أثبتنا عليه الثناء الحسن فى أمه محمد لأنهم آخر الأمم بأن قلنا (سَيَلِّمُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) و قد بينا ما فى ذلك ثم قال مثل ذلك نجزي كل محسن، فاعل لما أمر الله به كما جازينا ابراهيم صلى الله عليه و آله.

ثم أخبر تعالى ان ابراهيم كان من جملة عباده الذين يصدقون بتوحيد الله و بجميع ما أوجه عليهم، و من جملة المصدقين بوعد الله و وعيده و البعث و النشور و الجنة و النار. و انما قال (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) مع انه أفضل المؤمنين ترغيباً فى الايمان بأن مدح مثله فى جلالته بأنه من المؤمنين، كما يقال هو من الكرماء و كذلك قوله (وَ نَبِّئْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ) «١» و إذا مدح بأنه يصلح وحده فلائنه لا يقوم

غيره مقامه و يستغنى به عنه.

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢١

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١٢ الى ١٢٢] ..... ص: ٥٢١

وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ (١١٤) وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَ نَصَرْنَا هُمَا فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)

احدى عشرة آية.

يقول الله تعالى بعد ان ذكر قصة ابراهيم و ولده الذى اخبر الله بذبحه على ما فسرناه، بشره بإسحاق ولد له آخر، نعمة عليه مجددة لما فعل من المسارعة إلى ما أمره الله به و صبره على احتمال المشقة فيه، و بين انه نبياً من الصالحين، و أنه بارك عليه يعنى على يعقوب و على إسحاق و خلق من ذريتهما الخلق الكثير، فمنهم محسن بفعل الطاعات و منهم ظالم لنفسه بارتكاب المعاصى بسوء اختياره، مبين أى بين ظاهر.

ثم اقسام تعالى بأنه من على موسى و هارون أى أنعم عليهما نعمة قطعت عنهما التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٢ كل أذية، فأصل المَن القطع من قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) «١» أى غير مقطوع، و جبل منين متقطع و المنية الموت، لأنها قاطعة عن تصرف الحى و البركة ثبوت الخير النامى على مرور الأوقات فبركته على إبراهيم و إسحاق باللفظ فى دعائهما إلى الحق، و بالخبر عن أحوال جليله فى التمسك بطاعة الله (وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا) و معناه إنا خلصنا موسى و هارون، و من كان آمن بهما (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الأذى الذى كان يؤذونهم بأن أهلك الله فرعون و قومه و غرقهم (وَ نَصَرْنَا هُمَا) يعنى موسى و هارون و قومهما، (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) لاعدائهم بالحجج الظاهرة و بالقهر، من حيث أن الله غرق اعداءهم (وَ آتَيْنَاهُمَا) يعنى موسى و هارون (الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) يعنى التوراة الداعى إلى ما فيه من البيان بالمحاسن التى تظهر منه فى الاستماع، فكل كتاب لله بهذه الصنفه من ظهور الحكمة فيه (وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) يعنى أرسلنا موسى و هارون و دللناهما على الطريق المؤدى إلى الحق الموصل إلى الجنة بإخلاص الطاعة لله تعالى. و قال قتادة: الطريق المستقيم الإسلام (وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) أى الثناء الجميل. بأن قلنا (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ) كما قلنا (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) «٢».

ثم اخبر تعالى ان مثل ما فعل لهما يفعل بالمحسنين المطيعين و يجزيهم بمثل ذلك على طاعاتهم، و دل ذلك على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب على الطاعات لموسى و هارون و من تقدم ذكره، لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك. ثم اخبر ان موسى من جملة عباده المصدقين بجميع ما أوجه الله عليهم العالمين بذلك.

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦. [.....]

(٢) آية ٧٩ من هذه السورة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٣

## قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٣٢] ..... ص: ٥٢٣

وَ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧)  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

عشر آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (الله ربكم و رب آبائكم) نصباً. الباقون بالرفع. من نصب جعله بدلا من قوله (أحسن الخالقين) و من رفع استأنف الكلام، وقرأ نافع و ابن عامر و يعقوب (سلام على آل ياسين) على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقون (على إيلياسين) موصولة. من أضاف أراد به على آل محمد صلى الله عليه و آله لأن (يس) اسم من أسماء محمد على ما حكيناه. و قال بعضهم: أراد آل الياس عليه السلام. و قال الجبائي أراد أهل القرآن، و من لم يضيف أراد الياس. و قال: الياسين، لان العرب تغير الأسماء العجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل و ميكائين، و ميكال و ميكاثل، و في أسماء عيل اسماعيل قال الشاعر:

يقول أهل السوق لما جينا هذا و رب البيت اسرائينا «١»

(١) تفسير الطبري ٥٥ / ٢٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٤

و في قراءة عبد الله (و إن إدريس لمن المرسلين سلام على إدرايين) و قيل أيضاً إنه جمع، لأنه أراد الياس و من آمن معه من قومه، و قال الشاعر:

قدنى من نصر الخبيبين قدى «١»

فجعل ابن الزبير أبا خبيباً و من كان على رأيه عدداً و لم يضيفهم بالياء فيقول: خبيين، فخفف في الشعر مثل الأشعرين، و كما قالوا: سيرة العمرين و خير الزهدمين، و إنما أحدهما زهدم و الآخر كردم. و قال قوم: تقديره على (آل ياسين) فخفف، لأنه أراد الياساً و قومه، كما قالوا: الأشعرون و المهليون. قال الشاعر:

انا ابن سعد أكرم السعدينا

و كلهم قرأ (و إن الياس) بقطع الهمزة إلا- ان أبا عامر، فانه فصل الهمزة و أسقطها في الدرج، فإذا ابتداء فتحها، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون حذف الهمزة حذفاً، كما حذفها ابو جعفر في قوله (إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبْرِ) «٢» و يحتمل أن تكون الهمزة التي تصحب لام التعريف، و هي تسقط في الدرج، و أصله (ياس).

أخبر الله تعالى أن الياس من جملة من أرسله الله إلى خلقه نبياً داعياً إلى توحيد و طاعته حين (قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ) الله بترك معاصيه و فعل طاعته، فاللفظ لفظ الاستفهام و المراد به الإنكار، كما يقول القائل ألا تتقى الله يا فلان في أن تظلم أو تزنى، و ما أشبه ذلك، و إنما يريد بذلك الإنكار. ثم قال لهم (أ تَدْعُونَ بَعْلًا) قال الحسن و الضحاك و ابن زيد:

المراد بالبعل - هاهنا - صنم كانوا يعبدونه، و البعل في لغة أهل اليمن هو

(١) تفسير القرطبي ١١٨ / ١٥.

(٢) سورة ٧٤ المدثر آية ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٥

الرب، يقولون من بعل هذا الثوب أى من ربه- و هو قول عكرمة و مجاهد و قتادة و السدى- و يقولون: هو بعل هذه الدابة أى ربها، كما يقولون:

رب الدار و رب الفرس، و زوج المرأة بعلها، و النخل و الزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل، و هو العدى، خلاف السقى. و الأصل فى الرب المالك فالزوج رب البضع، لأنه مالكة.

و معنى الآية أ تدعون بالالهية صنماً عادلين عن أحسن الخالقين، و هذا إنكار عليهم أن غير الله إله او يقولون لغيره يا إلهى. و قال قتادة: الياس و هو إدريس، و قال ابن إسحاق: هو من ولد هارون، و هو اسم نبي و هو أعجمى، فلذلك لم ينصرف، و لو جعل (افعالاً) من الاليس و هو الشجاع الجرىء لجاز.

ثم بين لهم الذى هو أحسن الخالقين، فقال (اللَّهُ رَبُّكُمْ الذى خلقكم وَ رَبَّ آبَائِكُمْ) أى الذى دبركم و خلقكم، و خلق آباءكم (الأولين) يعنى من مضى من آبائكم و أجدادكم.

ثم حكى ان قومه كذبوه و لم يصدقوه، و أن الله أهلكتهم و أنهم لمحضرون عذاب النار. ثم استثنى من جملتهم عباده الذين أخلصوا عبادتهم لله و بين انه أثنى عليهم فى آخر الأمم بأن قال (سلام على آل ياسين) و آل محمد صلى الله عليه و آله هم كل من آل اليه بحسب او بقرابة، و قال قوم: آل محمد كل من كان على دينه، و لا- خلاف بين النحويين أن اصل (آل) اهل فغلبوا الهاء همزة و جعلوها مدة لثلا يجتمع ساكنان، ألا ترى أنك إذا صغرت قلت أهيل و لا يجوز أويل، لأنه رد الى الأصل لا إلى اللفظ.

و قوله (ا فلا تعقلون) معناه تتدبرون و تتفكرون فى ما نزل بهؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٦

القوم و تعتبرون به لتجنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال. و فى قوله (لمحضرون) حذف، لان تقديره فإنهم لمحضرون العقاب و اليم العذاب لتكذيبهم و الجزاء بما تقتضيه الحكمة فيهم. و هذا الإبهام تغليظ فى الوعيد بالعذاب، لأنه لعظمه معلوم لا يخفى أمره، و وجه الحجج عليهم فى قوله (وَ رَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) انه إذا كان الرب واحداً و جب اخلاص العبادة لواحد، لأنه الذى يملك الضرر و النفع فى جميع الأمور، و ذلك يبطل عبادة الأوثان.

ثم قال كما جازينا هؤلاء بهذا الجزاء و هو ان أثينا عليهم فى آخر الأمم مثل ذلك نجزي من فعل الطاعات و اجتنب المعاصى.

ثم اخبر ان الياس كان من جملة عباده المصدقين بجميع ما اخبر الله به من وعد و وعيد و غير ذلك، العاملين بما أوجب الله عليهم.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨] ..... ص: ٥٢٦

وَ إِنَّ لَوْطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذِ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا- عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ (١٣٦) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧)

وَ بِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذِ ابْتِئَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

فَلَوْ لا- أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَتَبَيَّنَّا لَهُ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ سَيِّئِمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)

فَأْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ (١٤٨)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٧

ست عشرة آية.

أخبر الله تعالى أن لوطاً كان من جملة من أرسله الله نبياً إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعة الله و منهاً لهم على وجه وحدانيته، و إن قومه

كذبوه و جحدوا نبوته فأهلكهم الله و نجا لوطاً و أهله أجمعين، و استثنى من جملة أهله الناجين (عجوزاً) أهلكتها الله، لكونها على مثل ما كان قومه عليه (في الغابرين) أى فى الباقين الذين اهلكوا، فالغابر الباقى قليلاً بعد ما مضى، و منه الغبار، لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلاً. و التغيير التلحين لأنه يبقى الصوت فيه بالترديد قليلاً، و منه قول الشاعر:

به غبر من دأبه و هو صالح

ثم انه لما نجى لوطاً و أهله و خلصهم، دمر الآخرين من قومه.

و التدمير الإهلاك على وجه التنكيل دمر عليهم إذا غير حالهم إلى حال التشويه، فالله تعالى أهلكت قوم لوط بما أرسل عليهم من الحجارة، و بما فعل بهم من انقلاب قراهم.

و قوله (وَإِنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

تويخ من الله للكفار الذين عاصروا النبى صلى الله عليه و آله و تعنيف لهم على ترك اعتبارهم و إيقاظهم بمواضع هؤلاء الذين أهلكتهم الله و دمر عليهم مع كثرة مرورهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٨

عليها صباحاً و مساء و ليلاً و نهاراً. و فى كل وقت. و من كثر مرورهم بمواضع العبرة فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلك منه.

و قوله (أفلا- تعقلون) معناه أفلا- تتدبرون فتفكرون فى ما نزل بهؤلاء القوم من الكفر و الضلال. و قيل: وجه القصص و تكريرها، كشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و صرف الناس عن مساوى الأخلاق و قبائح الأفعال قال الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ثم قال تعالى مخبراً عن يونس عليه السلام انه كان من جملة من أرسله الله الى خلقه و جعله نبياً يدعو الى توحيده و خلع الأنداد دونه. و قوله (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

معناه حين هرب إلى السفن المملوءة، فالإباق الفرار، فالأبق الفار إلى حيث لا يهتدى اليه طالبه يقال:

أبق العبد بأبق أبقاً فهو أبق إذا فرّ من مولاه. و الأبق و الهارب و الفار واحد. قال الحسن: فر من قومه (إلى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

أى المحمل الموقر. و قوله (فساهم) قال ابن عباس معناه قارع. و هو قول السدى (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)

قال مجاهد: يعنى من المسهومين، و المساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فالقى فى البحر، فالتقمه الحوت، فكان من المدحضين، قال الحسن كان من المقروعين. و قيل:

معناه فكان من الملقين فى البحر، و الدحض الزلق لأنه يسقط عنه المار فيه.

و منه قوله (حُجِّبَتْهُمْ دَاحِضَةٌ) «١» أى ساقطه، و دحض يدحض دحضاً فهو داحض، و أدحضته ادحاضاً، و قيل: كان يونس عليه السلام قد توعدهم بالعذاب

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٢٩

ان أقاموا على ما هم عليه، فلما رأوا مخايل العذاب و أماراته دعوا الله أن يكشف عنهم و تابوا اليه، فكشفه. و كان يونس قد خرج قبل ان يأمره الله - عز و جل - بالخروج من بين قومه استظهاراً، فلما كشف الله عنهم لام نفسه على الخروج و مضى على وجهه إلى ان ركب البحر. و قيل: إنما تساهموا لأنهم أشرفوا على الغرق فرأوا ان طرح واحد أيسر من غرق الجميع. و قيل:

لا- بل لما رأوا الحوت قد تعرضت لهم، قالوا فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به فى البحر فالتقمه الحوت. و معناه ابتلعه يقال التقمه التقاماً و لقم يلقم لقمماً و تلقم تلقماً.

و قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) معناه أتى بما يلام عليه، و إن وقع مكفراً عند من قال بتجويز الصغائر على الأنبياء، و عندنا قد يلام على ترك



الندب، يقال ألام الرجل إلامه فهو مليم، وقال مجاهد وابن زيد: المليم المذنب قال لبيد:

سفها عدلت و لمت غير مليم و هداك قبل اليوم غير حكيم «١»

ثم قال (فَلَوْ لَا - أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال قتادة: كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله من البلاء. وقال سعيد بن جبیر: كان يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، والتسبيح التنزيه عما لا يليق ولا يجوز في صفته، ويقال: سبح الله يسبح تسبيحاً إذا قال: سبحان الله معظماً له بما هو عليه من صفات التعظيم نافيةً عنه ما لا يليق به ولا يجوز عليه من صفات المخلوقين والمحتاجين.

(١) مجاز القرآن ١٧٤ / ٢ و اللسان (لوم).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٠

وقوله (لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) إخبار منه تعالى انه لو لا تسبيح يونس لتركه اليه أي كان يبقى في بطنه إلى يوم القيامة الذي يحشر الله فيه الخلائق، وقوله (فَتَبَيَّنَّا أَنَّهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) إخبار منه تعالى انه لما أراد تخليصه طرحه بالعراء وهو الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره. قال الشاعر:

فرفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابي «١»

وقال السدي: لبث في بطن الحوت أربعين يوماً (وَهُوَ سَقِيمٌ) أي هو مريض حين ألقاه الحوت.

ثم اخبر تعالى انه أنبت عليه شجرة من يقطين تكنه من حر الشمس.

واليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، فهي يقطين وقال ابن عباس و قتادة: هو القرع. وقال مجاهد و سعيد بن جبیر كل شجر لا- يقوم على ساق كالبطيخ و الدبا و القرع فهو يقطين. و هو تفعيل من قطن بالمكان إذا اقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل و الزيتون و نحوه و القطاني من الحبوب التي تقيم في البيت، قال أمية بن أبي الصلت.

فانبت يقطيناً عليه برحمه من الله لو لا الله القى ضاحياً «٢»

و روى عن ابن عباس ان اليقطين كل شجرة لها ورق عريض. وقوله (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قيل: أرسل الله يونس الى أهل نينوى من أرض الموصل - في قول قتادة- وقال ابن عباس: كانت رسالته بعد ما نبذ الحوت، فيجوز على هذا انه أرسل إلى قوم بعد قوم و يجوز أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها. وقيل: إن قوم يونس لما رأوا أمارات العذاب و لم يكونوا قد بلغوا حد الإجماع و اليأس من البقاء

(١) مجاز القرآن ١٧٥ / ٢ و اللسان (عمرأ).

(٢) تفسير الطبري ٥٩ / ٢٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣١

آمنوا، و قبل الله إيمانهم، لأنهم لو كانوا حصلوا في العذاب لكانوا ملجئين و لما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب.

وقوله (او يزيدون) قيل في معنى (او) ثلاثة اقوال:

أحدها- ان تكون بمعنى الواو، و تقديره الى مائة الف و زيادة عليهم.

الثاني- ان تكون بمعنى (بل) على ما قال ابن عباس.

الثالث- ان تكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنه قال أرسلناه الى احدى العديتين. ثم حكى تعالى عنهم أنهم آمنوا بالله و أقروا له بالوحدانية و راجعوا التوبة، و كشف الله عنهم العذاب و متعمهم إلى وقت فناء آجالهم، فالتمتع و الامتاع هو التعريض للمنافع الحاصلة كالامتاع بالبساتين و الرياض و شهى الطعام و الشراب.

## قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠] ..... ص : ٥٣١

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ بُنَاتٌ وَلَهُمُ الْبُنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)  
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)  
 سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٢

اثنتا عشرة آية.

كلهم قرأ (أصطفى) بفتح الهمزة إلا- ورشاً وإسماعيل عن نافع، فإنهما وصلاه على الخبر، و به قرأ ابو جعفر قال ابو على الفارسي: يجوز أن يكون على تقدير لكاذبون في قولهم قالوا: اصطفى، و يجوز ان يكون اصطفى البنات على ما يقولونه، و الوجه قطع الهمزة، لأنه على وجه التقرير، و يقويه قوله (أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) قال قتادة و السدي: ان قريشاً كانت تقول: الملائكة بنات الله تعالى، فأمر الله نبيه صلى الله عليه و آله أن يستفتهم بمعنى ان يطلب الحكم منهم في هذه القضية على وجه التقرير لهم و التوبيخ على قولهم بأن يقول لهم أَلرَّبِّكُمْ الْبَنَاتِ؟! يعنى كيف يقولوا لربك البنات يا محمد و لهم البنون؟ و من أين علموا ان الملائكة إناثاً ا شاهدوا خلق الله لهم؟! فأروهم اناثاً؟ فإنهم لا يمكنهم ادعاء ذلك.

ثم اخبر تعالى فقال (أَلَا- إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) أى من كذبهم- فى قول قتادة و السدي- هذا القول، و هو ان يقولوا (وَلَدَّ اللَّهُ. وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى هذا القول. ثم قال (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) من قطع الهمزة أراد الإنكار بلفظ الاستفهام، و المعنى كيف يكون هذا، و كيف يختار البنات على البنين. و من وصل الهمزة أراد الاخبار بذلك، فالاصطفاء إخراج الصفوة من الشيء، و هى خالصه. و إنما يصطفى الله تعالى أفضل الأشياء، و من اصطفى الأذن على الأفضل مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً. و الله تعالى لا يلقى بصفات النقص فى اصطفاء البنات على البنين مع استحالة اتخاذ الولد عليه، لما فى ذلك من معنى التشبيه، لأنه إنما يتخذ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٣

الولد من يجوز أن يكون مثل ذلك ولداً له، و لذلك لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخاً ولداً، و لا أن يتخذ الإنسان بعض البهائم ولداً، لما لم يكن ذلك ممكناً، فإذا استحال الولد عليه تعالى، فما هو مشبه به أولى بأن يستحيل عليه.

و أصل (اصطفى) (اصتفى) فقلبت التاء طاء لتعدل الحروف فى الاطباق و الاستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، و الصاد بالاستعلاء و الاطباق.

قوله (ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تهجين لهم بوضعهم الشيء فى غير موضعه لأنهم وضعوه موضع الحكمة، و ليس الأمر كذلك إذ أنتم على فاحش الخطأ الذى يدعو اليه الجهل. و قوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) معناه هل لكم حجة ظاهرة و برهان بين فى ما تدعون و تحكمون به. و سمي البرهان سلطاناً، لأنه يتسلط به على الإنكار لمخالفة الحق و الصواب. و البيان إظهار المعنى للنفس.

ثم قال على وجه الإنكار عليهم (فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ)

إن كان معكم حجة من كتاب أنزله الله إليكم فهاتوه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)

فى هذا القول، فإنهم لا يقدرّون على ذلك ابداً.

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم (جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا) قال الحسن: أشركوا الشيطان فى عبادة الله، فهو النسب الذى جعلوه.

وقال قوم: بل لأنهم قالوا: إنه تعالى تزوج من الجن - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقيل: سميت الملائكة جنه لاستتارهم عن العيون. ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار جعلهم الملائكة بنات الله جعلوا بينه وبينهم نسباً، وهو قول مجاهد و قتادة. ثم قال تعالى على وجه الرد عليهم (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٤ وقال مجاهد و قتادة: قال ذلك لأنهم علموا أنهم يحضرون الحساب. وقال السدي: علموا أن قائل هذا القول يحضر الحساب و العذاب. ثم نزه تعالى نفسه عن قولهم وصفتهم، فقال (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) استثنى عباده الذين أخلصوا نفوسهم فوجهوا العبادة اليه تعالى و وصفوه بما يليق به من جملة الكفار القائلين بما لا يليق به.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ إلى ١٧٠] ..... ص: ٥٣٤

فَإِنِّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا - مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠) عشر آيات.

قرأ الحسن (صائل الجحيم) بالرفع و هي تحتل شيئين: أحدهما.

الجمع. و الثاني - القلب، كقولهم: شاك، و شائك في السلاح، و هار و هائر.

الباقون (صال) بكسر اللام على وزن (فاعل).

هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام بأن قال لهم (فَإِنِّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) فموضع (ما) نصب عطفاً على الكاف و الميم، و هو في موضع نصب ب (أن) و التقدير إنكم يا معشر الكفار و الذين تعبدونه التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٥ (ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) و قال الفراء: تقديره، و إنكم و آلهتكم ما أنتم عليه بفاتنين أى بمفتنين و (ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى و ما أنتم على ذلك الدين بمصلين عليه و به و له سواء في المعنى. و أهل نجد يقولون: أفتنت، و أهل الحجاز فتنت أى لستم عليه بفاتنين، و الفاتن الداعي إلى الضلالة بتزيينه له، فكل من دعا إلى عبادة غير الله بالإغواء و التزيين فاتن، لأنه يخرج إلى الهلاك، و أصل الفتنة من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخرجته إلى حال الخلاص (وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا) «١» أى أخرجناك بالأمر الحق إلى حال الخلاص.

و قوله (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) أى لستم تفتنون إلا من يصلى الجحيم، و معناه إلا من يلزم النار و يحترق بها، و منه المصطلى، و هو المستدفع بالنار، و منه الصلاة للزوم الدعاء فيها، و المصلى الذى يجيء بعد السابق للزومه أثره. و المعنى ان من يقبل من هذا الفاتن و ينقاد له، فهو يصلى الجحيم و قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) معناه ما منا ملك إلا له مقام، فحذف و معناه لا يتجاوز ما أمر به و رتب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حد له، فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة، و هو عبد مريب و وصف المقام بأنه معلوم، لأنه معلوم لله على ما تقتضيه الحكمة، و هو محدود لا يتجاوز ما علم منه و لا يخرج منه.

و قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قيل: صافون حول العرش ينتظرون الأمر و النهى من الله تعالى، و قيل: الصافون في الصلاة: و قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) معناه المصلون من قولهم: فرغت من سبحتى أى من

(١) سورة ٢٠ طه آية ٤٠.

و (المسبحون) القائلون سبحان الله على وجه التعظيم له تعظيم العبادة، و قوله (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ) ف (إن) هذه المخففة من الثقلية بدلالة دخول اللام في خبرها، كما قال (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) «١» و يلزمها هذه اللام ليفرق بين (إن) الثقلية و الخفيفة التي للجدد في مثل قوله (إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) «٢» و المعنى إن هؤلاء الكفار كانوا يقولون (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) أى كتاباً فيه ذكر من كتب الأولين الذى أنزله على أنبيائه. و قيل:

يعنى علماً يسمى العلم ذكراً، لان الذكر من أسبابه، فسمى باسمه (من الأولين) الذين تقدمونا و ما فعل الله بهم (لكنا) نحن أيضاً من (عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) الذين أخلصوا العبادة له، فجعلوا العذر فى امتناعهم من الايمان أنهم لا يعرفون اخبار من تقدمهم، و هل حصلوا فى جنه او نار، فقال الله تعالى (فكفروا به) يعنى بالذکر، لأنهم طلبوا كتاباً كما للأولين التوراه دالا على توحيد الله، فلما جاءهم القرآن كفروا به، و بمن جاء بالقرآن- فى قول ابن عباس و السدى- فهدهم الله على هذا، الكفر فقال (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) فى ما بعد إذا عاقبناهم بعقاب النيران.

### قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢] ..... ص: ٥٣٦

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفِعْبَدَانَا يَشْتَعِجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)

(١) سورة ١٦ النحل آية ١٢٤.

(٢) سورة ٦٧ الملك آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٧

اثنتا عشرة آية بلا خلاف.

اقسم الله تعالى، لأن هذه اللام لام القسم بأنه (سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الذين بعثهم الله إلى خلقه (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) سينصرون بنصرهم على أقوامهم بالحجج و إنما قدم الله تعالى الكلمة للمرسلين بأنهم سينصرون، لما فى ذلك من اللطائف للملائكة و السامعين لها، و سميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه بعض حتى صار يلحقه صفة التوحيد كخبر واحد و قضية واحدة. و قال السدى: النصر للمرسلين بالحجة لأن منهم من قتل. و قال الحسن: ما غلب نبى فى حرب، و لا قتل قط.

ثم اخبر تعالى أن جنود الله للكفار لغالبون أى يقهرونهم تارة بالحجة و اخرى بالقتل. ثم قال لنبى صلى الله عليه و آله (فتول عنهم) يعنى أعرض عن هؤلاء الكفار (حتى حين) إلى أن أمرك بقتالهم، يعنى يوم بدر- فى قول السدى- و قال قتادة: الى الموت. و قال قوم: الى يوم القيامة. و قال قوم: الى انقضاء مدة الامهال. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٨

و قوله (وَ أَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) معناه انظرهم فسوف يرون العذاب- فى قول ابن زيد- و قال غيره أبصر حالهم بقليل. و قيل: ابصرهم فى وقت البصر، و فى الآية دلالة على المعجز، لأنه تعالى وعد نبىه بالنصر، فكان الأمر على ما قال.

و قوله (أَفِعْبَدَانَا يَشْتَعِجِلُونَ) معناه الإنكار عليهم بأنهم يطلبون العذاب عاجلا قبل وقته. ثم قال (فإذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) أى بفنائهم فساء صباح المنذرين أى بشس الصباح صباح من خوف و حذر، فلم يحذر، و لم يخف، فالساحة ناحية الدار، و هو فناؤها، و هو الفناء الواسع فلذلك وصف بأنه نازل به العذاب لعظمه و لا يسعه إلا الساحة ذات الفناء الواسع. و قال السدى: نزل بساحتهم أى

بدارهم و ساء إذا كانت بمعنى بش لا تتصرف مثل هذه. و مثل قوله (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) «١» و لو كان بمعنى الاخبار المحض لجاز أن يقال: ساءه يسوءه سوءاً أى أوقع به ما يسوءه.

ثم قال لنبىه صلى الله عليه و آله (وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) أى اعرض عنهم الى حين و قد فسرناه. و (أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) و قد مضى معنا، و إنما كرر لأنهما عذابان عذاب الدنيا و عذاب الآخرة، فكأنه قال و ابصرهم فى عذاب الآخرة و ابصرهم فى عذاب الدنيا.

ثم قال «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى التنزيه لربك عما لا يليق به من الصفات، ربك الذى خلقك و يملك التصرف فيك رب العزة يعنى العزة التى يعز الله بها الأنبياء و المرسلين، و هى صفة القادر الذى

(١) سورة الاعراف آية ١٧٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٣٩

لا يضام و لا يرام، فالعزة لله - جل عز- و هو ربها، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء منها، و لا من غيرها جل و علا «عَمَّا يَصِفُونَ» يعنى ما يصفه به الكفار من اتخاذ الأولاد و اتخاذ الشريك «و سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» الذين أرسلهم الله إلى عباده «و الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى و الشكر و الحمد لله الذى خلق جميع العالم و ملك التصرف فيهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٠

### ٣٨-سورة ص ..... ص : ٥٤٠

#### إشارة

هى مكية فى قول مجاهد و قتادة و الحسن ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و هى ثمان و ثمانون آية فى الكوفى و خمس و ثمانون فى البصرى و ست فى المدنى.

[سورة ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٥٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَ لَاتِ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤)  
أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥)  
خمس آيات.

قرأ الحسن (صاد) بكسر الدال. و قال عيسى بن عمر بفتحها. الباقون بالوقف، و هو الصحيح، لأن حروف الهجاء يوقف عليها. و من كسر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤١

فلاجتمع الساكنين. و قيل: إنه جعل من المصاداة و هى المعارضة. و من فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة، و لم يعدوا (صاد) آية، لأنه يشبه الاسم المفرد فى انه على ثلاثة أحرف فى هجاء حروف المعجم، نحو (باب، و ذات، و ناب) و إنما يعد آية ما يشبه الجملة و شاكل آخره رؤس الآى التى بعده بالردف و مخرج الحروف. و ليس - هاهنا- شىء من ذلك.

و اختلفوا فى معنى (صاد) فقال قوم: هو اسم السورة على ما أخبرناه فى ما مضى. و قال ابن عباس: هو اسم من اسماء الله أقسم به. و

قال السدي: هو من حروف المعجم. و قال الضحاك: معناه صدق، و قال قتادة:

هو اسم من اسماء القرآن اقسام الله تعالى به. و قال الحسن: هو من المصاداة و هو (صاد) بالكسر أمر للنبي صلى الله عليه وآله أى عارض القرآن بعملك (و القرآن) قسم، فلذلك جر «ذِي الذِّكْرِ» قال ابن عباس: ذى الشرف، و قال الضحاك و قتادة: ذى التذكر. و قيل: معناه ذى الذكر للبيان و البرهان، المؤدى إلى الحق الهادى إلى الرشيد الرادع عن الغي، و فيه ذكر الأدلة التى من تمسك بها سعد. و من عدل عنها شقى. و من عمل بها نجا. و من ترك العمل بها هلك.

و اختلفوا فى جواب القسم، فقال قوم: هو محذوف و تقديره لجاء الحق و ظهر، لان حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ، لان الذكر يقصر المعنى على وجه. و الحذف يصرف إلى كل وجه فيعم. و قال قوم: جوابه ما دل عليه قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» كأنه قال: و القرآن ذى الذكر ما الأمر على ما قالوا- ذكر ذلك قتادة- و قال الفراء و الزجاج: الجواب (كم) و تقديره لكم أهلكننا، فلما طال الكلام حذفت اللام و صارت (كم) جواباً للقسم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٢

و اليمين. و مثله قوله «وَنَفْسٍ وَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا» «١» فصارت «قد أفلح» تابعة لقوله «فألهمها» و كفى عن جواب القسم، و كأنه قال: و الشمس و ضحاها. لقد أفلح، و قال قوم: الجواب قوله «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» إلا انه قد بعد عن أول الكلام. و قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ» اخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار قد مكنهم و أعطاهم القوة ليقوموا بها على الطاعات، فتقوا- بسوء اختيارهم- بها على المعاصى و على دفع الحق الذى أتاهم و صاروا فى شق غير شق رسولهم الذى من قبل ربهم. ثم اخبر تعالى انه أهلك أمما كثيرة قبل هؤلاء الكفار حين عصاه الذين كفروا، فلما نزل بهم العذاب نادوا و استغاثوا «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ» معناه لات حين فرار من العذاب. و قيل: المناص المنجاة يقال: ناص ينوص نوصاً إذا تأخر و باص يبوص بوصاً إذا تقدم قال امرؤ القيس:

أمن ذكر ليلي إن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة و تبوص «٢»

و نصب (لات حين) لأنها مشبه ب (ليس) من جهة أنها نفى و لا تعمل إلا فى (الحين) خاصة لضعف الشبه عن منزلة (ما) إذ كانت (ما) تشبه (ليس) من جهة النفى و الحال قال الشاعر:

تذكر حب ليلي لات حيناً و اضحى الشيب قد قطع القرينا «٣»

و الوقف على (لا-ت) بالثناء على قياس نظيرها من (ثمت، و ربت) لان ما قبلها ساكن- و هو قول الفراء- و الكسائى يقف بالهاء (لاه) يجعل الالف

(١) سورة ٩١ الشمس آية ٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٦. [...]

(٣) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٣

فى نية الحركة. و من زعم انه (لات حين) موصولة، فقد غلط، لأنها فى المصحف و تأويل العلماء مفصولة. و قيل: ان (مناص) جرب (لات) و انشدوا لأبى زيد.

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء «١»

و قال الزجاج: أنشده ابو العباس بالرفع، و قد روى بالكسر. و قال الزجاج: من كسر رأى ان يجعله مبنياً بمنزلة نداء ذلك الأقسام و بناه، فحذف المضاف اليه و كسر دون ان يضم، لأنه نونه، فأجراه على نظائره من المنون المبنى و أراد و لات أواناً.

ثم اخبر تعالى ان الكفار «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ» أى مخوف من جهة الله يحذرهم معاصيه و يدعوهم إلى طاعته، و قالوا: هذا شىء عجاب، و عجيب و عجاب و عجاب بمعنى واحد، مثل كريم و كرام، فعجب هؤلاء الكفار من أن الله بعث نبيهم و هو منهم، و قالوا:



كيف خص بذلك، وليس بأشرفنا ولا أغنانا. و قيل: إن أبا جهل و جماعة من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب و شكوا إليه النبي صلى الله عليه و آله و قالوا له: قد سفه أحلامنا و شتم الآلهة، فدعاه أبو طالب و قال له: ما لأهلك يشكونك، فقال النبي صلى الله عليه و آله أدعوهم إلى كلمتين حقيقتين يسودون على العرب بها، و يؤدي الخراج اليهم بها العجم، فقال أبو جهل و غيره: ما هما فقال صلى الله عليه و آله: تشهدون أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله. فقال أبو جهل: أ تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! فانزل الله الآية.

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٤

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠] ..... ص: ٥٤٤

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَن امشُوا وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ (٧) أ أنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا يَبْتَئِهْمَا فَلْيُبْتَئُوا فِي الْآسَابِ (١٠)

خمس آيات في الكوفي و اربع في الباقي.

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم انهم انطلقوا اى ذهبوا فالانطلاق ذهاب بسهولة، و منه طلاقة الوجه و هى سهولة و بشر خلاف العبوس و قوله «أن امشوا» قال الزجاج: أى بهذا القول، و تقديره بأن امشوا و قال قوم: معنى (أن) أى التنى للتفسير لأنه صار انطلاقهم لدلالته على هذا المعنى بمنزلة الناطق به، كما يقولون: قام يصلى أى أنا رجل صالح.

و قال بعضهم: معناه الدعاء لهم بأن يكثر ماشيتكم، و هذا باطل لفظاً و معنى فاللفظ لأنه لو كان كما قالوه لكانت الهمزة من (أن امشوا) إذا أمر منها مفتوحة، لأنه من امشى يمشى إذا كثرت ماشيته و الامر منه امشوا بقطع الهمزة، و القراءة بكسرها، قال الشاعر:

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٥

و كل فتى و إن أثرى و امشى ستسلخه من الدنيا المنون (١)

و اما المعنى، فلانه لا يشاكل ما قبله و لا ما بعده.

و قوله «وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ» أمر منهم بعضهم لبعض أن يصبروا على عبادة آلهتهم و تحمل المشاق لأجلها. و قال مجاهد: القائل لذلك عقبه بن أبى معيط فالصبر محمود إذا كان فى حبس النفس عن المحارم، فهؤلاء الجهال اعتقدوا أن الحق فى الصبر على آلهتهم، و لم يعلموا ان ذلك كفر. و فى ذلك دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، قال الحسن: إن هذا يكون فى آخر الزمان.

و قوله «إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ» معناه هذا الذى يدعيه محمد و يدعوهم إليه لشيء يراد به أمر ما من الاستعلاء علينا و الرياسة فينا و القهر لنا.

ثم حكى ما قالوه فإنهم قالوا «ما سمعنا بهذا» يعنون ما يدعوهم إليه النبي صلى الله عليه و آله من التوحيد و خلع الأنداد من دون الله «فِي الْمَلَأِ الْآخِرَةِ» قال ابن عباس يعنون فى النصرانية، لأنها آخر الملل. و قال مجاهد: يعنون فى مكة و قريش. ثم قالوا «إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ» قال ابن عباس و مجاهد:

معناه ليس هذا إلا تخرص و كذب. ثم تعجبوا فقالوا «أ أنزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا» يعنون كيف خص محمد بانزال القرآن دوننا؟! فقال الله تعالى «يَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» معناه ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك فى الذكر الذى أنزلت على رسولى «بَلْ لَمَّا

يَذُوقُوا عَذَابٍ» ثم قال «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ؟» قال الفراء: الاستفهام إذا توسط الكلام

(١) قائله النابغة الذبياني. اللسان (مشى).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٦

ابتدى بألف و ب (أم)، و إذا لم يسبق كلام لم يكن إلا بألف او ب (هل).

و وجه اتصال هذا القول بما تقدم هو اتصال الإنكار لما قالوا فيه، أى ذلك ليس اليهم، وإنما هو إلى من يملك هذه الأمور. و «خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» معناه مقدراته التى يقدر بها على أن ينعم بها عليهم. و قوله «الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يغالب و لا يقهر «الْوَهَّابِ» لضروب النعم «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» فان كان لهم ذلك «فَلْيَرْتُقُوا فِي الْأَشْيَابِ» و هى جمع سبب و كل ما يتوصل به إلى المطلوب- من جبل أو سلم أو وسيلة أو رحم أو قرابة أو طريق أو جهة- فهو سبب، و منه قيل: تسببت بكذا إلى كذا أى توصلت به اليه.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص: ٥٤٦

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَ مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥) خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائي «فواق» بضم الفاء. الباقون بفتحها. فالفواق بفتح الفاء معناه ما لها من راحة، و إذا ضمنت الفاء، فالمعنى ما لها من فواق ناقة و هو قدر ما بين الحلبتين. و قيل: هو ما بين الرضعتين. و قيل: هما لغتان التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٧  
مثل قصاص الشعر و قصاصه، و حمام الماء و حمامه، و هو الآفة، و هو الابانة بعد الفترة و (ما) فى قوله «جند ما» صلة، و تقديره: جند هنالك، و (هنالك) للمكان البعيد و (هناك) للمتوسط بين القرب و البعد و (هنا) للقريب و نظيره (ذا) و (ذاك) و (ذلك) و مثل (ما) فى كونها صلة قولهم: لأمر ما جدع قصير أنفه. و عندى طعام ما، قال الأعشى:

فاذهبي ما اليك أدركنى الح لم عدانى عن ذكركم اشغالى «١»

و قيل: إنها تقوية للنكرة المبتدأه فى (ما) و الجند جمع معد للحرب جمعه أجناد و جنود، و جند الأجناد أى جيش الجيوش. و منه قوله صلى الله عليه و آله (الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف)

، و قوله «مهزوم» يعنى مغلوب عن أن يصعدوا إلى السماء، و المهزوم من وقعت بهم الهزيمة، و هى الفرار من الحرب، و لو فرّ انسان من ضرب لم يكن ذلك هزيمة، و كذلك من فرّ من الحبس. و قوله «من الأحزاب» معناه من حزب إبليس و أتباعه. ثم اخبر تعالى انه كذب مثل هؤلاء الكفار، فأنت لأنه أراد العشيرة «قوم نوح» فأغرقهم الله، و قوم «عاد» فاهلكهم الله «و فرعون» و قوم فرعون «ذو الأوتاد» و قيل: فى معناه أقوال:

منها- انه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها، و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال السدى و الربيع بن أنس: انه كانت له أوتاد يعذب الناس بها. و قال الضحاك: معناه ذو البنيان، و البنيان أوتاد.

ثم قال «وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» أيضاً هم الأحزاب يعنى

(١) ديوانه ١٦٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٨

احزاب إبليس: و (الايكة) الغيضة. و قال ابو عمرو بن العلاء: هي الملتفت من النبع و السدر. و قال السدى: هي الحرجة، قال الشاعر:

افمن بكاء حمامة في أيكه يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعنى محمل السيف. و قوله «إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ» معناه ليس كلهم إلا كذبوا أنبياء الله و جحدوا نبوتهم فاستحقوا عقابي، ثم قال «وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاجِدَةً» أى ليس ينظر هؤلاء إلا- صيحة عذاب لا- يكون لتلك الصيحة «مِنْ فَوَاقٍ» أى ما لها من افاقه بالرجوع إلى الدنيا و هو قول قتادة، و السدى و قال ابن زيد «ما لها من فواقٍ» أى من فتور كما يفيق المريض.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص: ٥٤٨

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلْنَا الْخُطَابَ (٢٠) خمس آيات.

يقول الله مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب الله يا «رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قَطْنَا» أى قدم لنا نصيبنا من العذاب، قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: طلبوا حظهم من العذاب تهزأً التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٤٩

بخبر الله و شكاه فيه. و قال السدى: إنما سألو أن يريهم حظهم من النعيم فى الجنة حتى يؤمنوا. و قيل: إنما سألو أن يعجل كتبهم التى يقرءونها فى الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد. و القط الكتاب قال الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بأتمته يعطى القطوط و يأفق «١»

أى كتب الجوائز، لأنها قطع نصيب لكل واحد بما كتب. و التعجيل فعل الشىء قبل وقته الذى ينبغى أن يفعل فيه. و القط النصيب و أصله القطع من قولك قطه يقطه قطعاً مثل قده يقده قداً، و منه قولهم: ما رأيت قط أى قطع الدهر الذى مضى «قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» أى قبل اليوم الذى يحاسب فيه الخلق و يجازون فيه على أعمالهم على ما يقولونه فقال الله تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله «اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» أى احبس نفسك على اذاهم و صبرها على أقوالهم «وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ» ترغيباً له فى الصبر المأمور به و إن لك يا محمد فيه من إحسان الله اليك على نحو إحسانه إلى داود قبلك، و أنه لو شاء لأعطاك فى الدنيا مثل ما أعطى داود و لكنه دبر لك ما هو أعود لك.

و قوله «ذَا الْأَيْدِ» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه ذا القوة، و منه قوله «وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» «٢» أى بقوة، و قوله «إِنَّهُ أَوَّابٌ» قال ابن زيد: معناه تواب و به قال مجاهد، و هو من آب يؤب أى رجع إلى الله فلذلك مدحه.

ثم اخبر تعالى عن نعمه التى أنعم بها على داود، فقال «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ» و معناه إنها كانت تسير بأمر الله معه حيث سار بالغداء و العشى فسمى الله ذلك تسبيحاً لما فى ذلك من

(١) ديوانه: ١١٧ (دار بيروت).

(٢) سورة ٥١ الذاريات آية ٤٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٠

دلالته على قدرته و غناء من خلقه و صفاته التى لا يشاركه فيها غيره، و الاشراق وقت طلوع الشمس يقال: شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت إذا أضاءت «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً» و تقديره و سخرننا الطير محشورة أى مجموعته من كل ناحية اليه يعنى الطير و الجبال «لَهُ أَوَّابٌ» أى رجاع إلى ما يريد. و قيل: مسخرة- ذكره قتادة- و قال الجبائى لا يمتنع أن يكون الله خلق فى الطيور من المعارف ما تفهم به مراده و أمره من نهيه فتطيعه فى ما يريده منها. و إن لم تكن كاملة العقل، و لا مكلفة.

ثم قال «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ» يعنى قويننا ملكه بالجنود و الهيبه «وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ» أى علمناه الحكمة «وَفَضَّلَ الْخُطَابِ» و مثله قول البيئه على المدعى و اليمين على المدعى عليه أى إصابه الحكم بالحق. و قال البلخي: يجوز أن يكون المراد بتسييح الجبال معه هو ما أعطى الله تعالى داود من حسن الصوت بقراءة الزبور، فكان إذا قرأ الزبور أو ذكر ما هو تسييح لله و رفع صوته بين الجبال ردّ الجبال عليه مثله كما يرد الصدى، فسمى الله ذلك تسييحاً لما تضمنه من الدلاله و الأول أحسن.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص: ٥٥٠

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِنِّي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥١

خمس آيات.

هذا خطاب من الله تعالى لنبهه و صورته صورة الاستفهام و المراد اخباره بما كان من قصة داود من الحكم بين الخصمين و تنبيهه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغي أن يفعله فقال «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ» يعنى خبره فالنبا الخبر بما يعظم حاله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» يعنى حين سعدوا اليه.

و الخضم هو المدعى على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه، و يعبر به عن الواحد و الاثنين و الجماعة بلفظ واحد، لان أصله المصدر، فتقول: رجل خصم، و رجلان خصم، و رجال خصم، و لذلك قال «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» لأنه أراد المدعى و المدعى عليه و من أتبعهما، فلا- يمكن أن يتعلق به فى أن أقل الجمع اثنان، لما قال «خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» لأنه أراد بذلك الفريقين، و الخصم من خصمته اخصمه خصماً. و التسور الإتيان من جهة السور، يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، و كانوا أتوه من على المحراب، فلذلك فزع منهم. و المحراب مجلس الاشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه، و منه سمي المصلى محراباً و موضع القبلة ايضاً محراب و قوله «إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» معناه إن هؤلاء حين دخلوا على داود من غير الجهة التى اعتاد التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٢

الدخول عليه منها فزع منهم، لأنه ظنهم أعداء يريدون به سوء فقالوا له (خصمان) و لم يقولوا: نحن خصمان يعنى فريقان لأنهما كانا ملكين و لم يكونا خصمين و لا بغى أحدهما على الآخر، و إنما هو على المثل «فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ» معناه و لا تجاوز الحق و لا- تجر و لا تسرف فى حكمك بالميل مع أحدهما- على الآخر، يقال أشط فى حكمه إذا جار يشط فهو مشط و شططت على فى السوم تشط شططاً قال الشاعر:

ألا يا لقومى قد اشطت عوادلى و يزعمن أن اودى بحقى باطلى «١»

و قال آخر:

يشط غداً دار جيراننا و للدار بعد غد بعد

و قوله «وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» معناه أرشدنا إلى قصد الطريق الذى هو طريق الحق و وسطه، كما قال «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَبِيمِ» «٢» ثم حكى تعالى ما مكان أحد الخصمين لصاحبه، فقال «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِنِّي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ» قال وهب بن منية: يعنى أخى فى دينى و قال اكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع و تسعين امرأة كانت له و إن الآخر له نعجة واحدة يعنى

امرأة واحدة، وقال الحسن: لم يكن له تسع و تسعون امرأة و إنما هو على وجه المثل. و قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: أراد النعاج بأعيانها، و هو الظاهر غير انه خالف أقوال المفسرين. و قال هما من ولد آدم، و لم يكونا ملكين و إنما فزع منهما لأنهما دخلا عليه في غير الوقت المعتاد، و هو الظاهر غير انه خلاف أقوال المفسرين على ما قلناه. و قوله «فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا» معناه اجعلني كفيلا بها أي ضامناً لأمرها.

(١) مر في ١٥ / ٧.

(٢) سورة ٣٧ الصفات آية ٥٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٣

و منه قوله «وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» (١) و قال ابو عبيدة معناه ضمها اليها، و قال ابن عباس و ابن مسعود معني أكفلنيها انزل لي عنها «وَ عَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ» أي غلبنى في المخاطبة من قولهم: من عز بز أي من غلب سلب. و قال ابن زيد: معناه قهرني. و قال ابو عبيدة: معناه صار أعزمني، فقال له داود «لقد ظلمك بسؤال نعتكك إلى نعاجه. و إن كثيراً من الخلقاء ليغني بعضهم على بعض» و معناه إن كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعتكك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به و هي النعجة و إن أضيف اليها. ثم اخبر ان كثيراً من الشركاء و الخلقاء ليغني بعضهم على بعض فيظلمه.

و قال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أنه قال للخصم لقد ظلمك من غير ان يسأل خصمه عن دعواه و في آداب القضاء ألا يحكم بشيء و لا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به. و هذا ترك الندب في ذلك، و في ذلك قول آخر، و هو إن في الناس من قال: إن ذلك كان صغيرة منه وقعت مكفرة، و الشرط الذي ذكرناه لا بد فيه، لأنه لا يجوز ان يخبر النبي ان الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع، و إنما يجوز مع تقرير الشرط الذي ذكرناه. ثم استثنى من جملة الخلقاء الذين بعضهم يغني على بعض الذين آمنوا بالله و عملوا بما يوجب عليهم، فإنهم لا يفعلون ذلك. ثم قال و قليل الذين كذلك، فروى أن الملكين غابا من بين يديه فظن عند ذلك أن الله اختبره بهذه الحكومة و ابتلاه.

و قرئ (فتناه) بالتخفيف بمعنى أن الملكين فتناه بها. و قال قوم الظن العلم كأنه قال: و علم داود ذلك

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٣٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٤

و قال آخرون: إنما ظن ظناً قوياً و هو الظاهر. و قوله «فاستغفر ربه» معناه سأل الله المغفرة و الستر عليه «وَ خَرَّ رَاكِعاً وَ أَنَابَ» أي رجع اليه بالتوبة.

ثم اخبر تعالى أنه أجاب دعوته و غفر له ذلك، و أخبر ان له مع المغفرة عند الله لزلفي، و الزلفي القربة من رحمة الله، و ثوابه في جنته «وَ حَسَنَ مَأَبٍ» فالمآب و المرجع و المصير و المآل واحد. و من قال ان ذلك كان صغيرة وقعت مكفرة يقول: معني قوله «فَعَفَرْنَا لَهُ» بعد الانابة، و إن كانت الخطيئة غفرت في الدنيا. و قيل: انه خطب امرأة كان أوريا ابن حيان قد خطبها فدخل في سومه، فاختاروه عليه فعاتبه الله على ذلك، لاین الأنبياء يتنزهون عن ذلك، و إن كان مباحاً لأنه مما ينفر على بعض الوجوه. و قيل: بل انفذ به إلى غزوة، و كان يحب ان يستشهد ليتزوج امرأته لأنها كانا تحكما اليه فوقع امرأته في قلبه و اشتهاها شهوة الطباع من غير أن يحدث أمراً قبيحاً. و أولى الوجوه ما قدمناه انه ترك الندب في ما يتعلق بأدب القضاء، لأن باقى الوجوه ينبغي ان ينزه الأنبياء عنها لأنها تنفر في العادة عن قبول أقوالهم، فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأة أوريا، و أنه أمره بأن يخرج إلى الغزو، و أن يتقدم امام التابوت و كان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب او يقتل، فخير باطل موضوع، و هو مع ذلك خبر واحد

لا- أصل له ولا يجوز أن تقبل اخبار الآحاد في ما يتضمن في الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس، فان الله نزههم عن هذه المنزلة و على قدرهم عنها. وقد قال الله تعالى «اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٨، ص: ٥٥٥  
الْمَلَائِكَةُ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ»

«١» وقال «وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» «٢» فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه و يعرضهم للقتل من غير استحقاق ولا يجوز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم ولا يعتقد منزلتهم التي خصهم الله فيها نعوذ بالله من سوء التوفيق.

و قد روى عن علي عليه السلام انه قال: لا أوتى برجل يقول إن داود ارتكب فاحشة إلا ضربته حدين أحدهما للكذب و الآخر لأجل النبوة.

و قرأ ابن مسعود «تسع و تسعون نعيه» أنثى، قال النحويون: هذا تأكيد، كما قال النبي: ابن لبون ذكر.

و كما قال «طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ» و قال ابن جرير:

معناه تسع و تسعون نعيه أنثى أى حسناء، قال ابن خالويه هذا حسن جداً.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩] ..... ص : ٥٥٥

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥.

(٢) سورة ٤٤ الدخان آية ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٦

أربع آيات.

قرأ يحيى عن أبى بكر «لتدبروا» بالياء و تقديره لتدبروا من التدبر فحذف تاء الفعل و بقى تاء المضارعة، و تقديره: لتدبر أنت يا محمد و المسلمون و من قرأ بالياء، فعلى ليتدبر المسلمون فيتقرر عندهم صحتها و تسكن أنفسهم إلى العلم بها.

لما اخبر الله تعالى عن داود انه رجع اليه و تاب و استغفر ربه عن التقصير الذى وقع منه فى الحكم، و انه تعالى غفر له ذلك و أجاب دعوته، و وعده بالزلفى عنده و القربة من ثوابه ناداه ايضاً فقال له «يا داودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» و الخليفة هو المدبر للأمر من قبل غيره بدلا من تدبيره، فداود لما جعل الله اليه تدبير الخلق فكان بذلك خليفة، و لذلك يقال: فلان خليفة الله فى أرضه إذا جعل اليه تدبير عبادته بأمره. و قيل:

معناه جعلناك خليفة لمن كان قبلك من رسلنا. ثم أمره فقال «فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ» و معناه افصل بين المختلفين من الناس و المتنازعين «بِالْحَقِّ» بوضع الأشياء مواضعها على ما أمرك الله «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى أَى مَا يَمِيلُ طَبْعَكَ إِلَيْهِ وَ يَدْعُوكَ هَوَاكَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ مُخَالَفًا لِلْحَقِّ، فَلَا تَمَلْ إِلَيْهِ «فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه انك متى اتبعت الهوى فى ذلك عدل بك الهوى عن سبيل الله الذى هو سبيل الحق.



ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَصْتَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى يعدلون عن العمل بما أمرهم الله به «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» يعنى شديد ألمه «بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٧  
وقيل في معناه قولان:

أحدهما- لهم عذاب شديد يوم الحساب بما تركوا طاعاته في الدنيا، فعلى هذا يكون يوم الحساب متعلقاً ب (عذاب شديد) و هو قول  
عكرمة و السدى:

الثانى- قال الحسن «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» أى بما عرضوا عنه، صاروا بمنزلة الناسى، فيكون على هذا العامل فى  
(يوم) قوله «نسوا».

ثم اخبر تعالى انه لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا، بل خلقهما و ما بينهما بالحق لغرض حكيمى، و هو ما فى ذلك من  
إظهار الحكمة و تعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة و تعريض العقلاء لمنافع الثواب، و ذلك يفسد قول المجبره الذين قالوا: إن كل  
باطل و ضلال من فعل الله. و قوله «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه إن خلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ظن من يكفر بالله و  
يجحد وحدانيته و حكمته. ثم توعد من هذه صفة فقال «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ثم قال على وجه التوبيخ و التفرغ للكفار بلفظ  
الاستفهام «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا...» معناه هل نجعل الذين صدقوا بالله و أقروا برسله و عملوا الصالحات مثل الذين أفسدوا فى الأرض  
و عملوا بالمعاصى؟! ام هل نجعل الذين اتقوا معاصى الله خوفاً من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه و تركوا طاعته؟! فهذا لا  
يكون ابداً. و كيف يكون كذلك و هؤلاء يستحقون الثواب بطاعتهم و أولئك يستحقون العقاب بمعاصيهم. و قال ابو عبيدة: ليس لها  
جواب استفهام فخرجت مخرج الوعيد. و قال الزجاج:

تقديره، أ نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، فهو استفهام بمعنى التقرير. التبيان  
فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٨

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله فقال «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ» أى هذا كتاب أنزلناه، يعنى القرآن الذى أنزله الله عليه، و  
وصفه بأنه مبارك، لان به يستديم الناس ما أنعم الله عليهم به، و بين أن غرضه تعالى بانزال هذا القرآن «لِيَذَّبَ آيَاتِهِ» بأن يتفكروا  
فى أدلته «وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ» يعنى أولو العقول.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبره فى خلق القبائح من حيث بين الله انه يعاقبهم جزاء بما نسوا طاعاته فى الدنيا.  
و قوله «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يدل على فساد قول من يقول:  
ان المعارف ضرورية، لأنهم لو كانوا عارفين ضرورية لما كانوا ظانين.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠] ..... ص: ٥٥٨

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي  
حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ  
(٣٤)

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مَلَكاً لَا يُتَّبِعُنِي لِأَجْدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ  
(٣٦) وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَ غَوَاصٍ (٣٧) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)  
وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ (٤٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٥٩

احدى عشرة آية.

قرأ ابن كثير وحده «بالسوق» مهموزة. و قال ابن مجاهد: الرواية الصحيحة عنه «بالسوق» على فعول، و لما ضمنت الواو همزها. مثل وفيت و أفيت، فهذه رواية قبل. و قرأ البزى «بالسوق» مثل أبى عمرو، جمع ساق مثل باح و بوح. و الباحة و الصرح و العرصة و الفناء واحد. و مثله قارة و قور للخيل الصغير. و من همز سوق فعلى لغة من قال: (أحب المؤقدين إلى موسى)، فهمز أنشده ابو الحسن لابي حبة النميري، و لأنه لما لم يكن بينها و بين الضمة حاجز صار كأن الضمة عليه فهمز.

اخبر الله تعالى انه وهب لداود سليمان. فقال «نعم العبد» كان سليمان «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أى رجاع الى طاعة الله و طلب ثوابه. و قوله «إذ عرض» يجوز أن يتعلق بقوله «نعم العبد» أى نعم العبد حين عرض عليه، و يجوز ان يكون العامل فيه و اذكر يا محمد إذ عرض على سليمان «بِالْعَشِيِّ» يعنى آخر النهار (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) و الصافنات جمع صافنة، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة. يكون طرف الحافر على الأرض و قال مجاهد: صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر صفت الخيل تصفن صفوناً إذا وقفت كذلك قال الشاعر:

الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا (١)

(١) مر فى ٣١٩ / ٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٠

و قال الزجاج و الفراء و غيرهما: كل قائم على ثلاث صافن. و الجياد السراع من الخيل فرس جواد كأنه وجود بالركض، كأنه جمع جود، كما يقال: مطر جود إذا كان مدراراً و نظيره سوط و سياط. و العرض إظهار الشيء بحيث يرى ليميز من غيره، و منه قوله عَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا

و أصله الاظهار قال عمرو بن كلثوم:

و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا (١)

أى ظهرت و أعرض عنى معناه أظهر جفوة بتوليئه عنى، و عرض الشيء إذا صار عريضاً.

و قوله تعالى (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) قال قتادة و السدى المراد بالخير- هاهنا- الخيل و العرب تسمى الخيل الخير، و بذلك سمي (زيد الخيل) أى زيد الخير. و قيل فى ذلك وجهان:

أحدهما- انه أراد أحببت الخير، ثم أضاف الحب إلى الخير.

و الثانى- انه أراد أحببت اتخاذ الخير، لأن ذوات الخير لا تراد و لا تحب فلا بدّ من شىء يتعلق بها، و المعنى آثرت حب الخيل على ذكر ربي و يوضع الاستحباب موضع الإيثار. كما قال تعالى (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) (٢) أى يؤثرون، و قوله (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) معناه إن هذا الخيل شغلنى عن صلاة العصر حتى فات وقتها، و هو قول على عليه السلام و قتادة و السدى، و روى أصحابنا انه فاته الوقت الأول، و قال الجبائى:

انه لم يفته الفرض، و إنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار ففاته لاشتغاله بالخيل.

و قوله (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) معناه توارت الشمس بالحجاب يعنى بالغيوبة

(١) مر فى ٩٦ / ٧.

(٢) سورة ١٤ ابراهيم آية ٣. [...]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦١

و جاز الإضمار قبل الذكر، لأنه معلوم قال لييد:

حتى إذا القت يداً في كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «١»

و قال ابو مسلم محمد بن بحر وغيره: و ذكر الرماني أن الكناية عن الخيل و تقديره حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى أنها شغلت فكره إلى تلك الحال.

ثم قال لأصحابه (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) يعنى الخيل فلما ردت عليه (فَطَفِقَ مَسِيحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ) و قيل: ان الخيل هذه حربها من غنيمه جيش فتشاغل باعتراضها حتى غابت الشمس و فاتته العصر، قال الحسن: كشف عراقيها و ضرب أعناقها، و قال لا تشغلنى عن عبادة ربي مرة اخرى. و قيل:

انه إنما فعل ذلك على وجه القربة إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها لا لعقوبتها بذلك. و إنما فعل ذلك لأنها كانت أعز ماله فأراد بذلك ما قال الله تعالى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) «٢» و قال ابو عبيدة:

يقولون: مسح علاوته أى ضربها. و قال ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل و عراقبيها حباً لها. و قال ابو مسلم محمد بن بحر: غسل أعرافها و عراقبيها إكراماً لها، قال: لان المسح يعبر به عن الغسل من قولهم: تمسحت للصلاة، ثم قال تعالى على وجه القسم (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) و معناه اختبارناه و ابتليناه و شددنا المحنة عليه (وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال ابن عباس:

اللقى شيطاناً اسمه صخر على كرسية. و قال مجاهد: كان اسمه أصف. و قال السدى: كان اسمه خنفيق و كان ملكه فى خاتمه يخدمه الجن و الشياطين ما دام فى يده، فلما أذنب سليمان نزع الله منه الخاتم، و جعل مع الجنى فاجتمعت

(١) اللسان (كفر).

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٩٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٢

عليه الجن و الشياطين. و قيل: انه كان ذنبه انه وطئ فى ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصاً على كثرة الولد. و قيل: كان ذنبه انه وطئ امرأته فى الحيض.

و قوله (ثم أناب) يعنى تاب إلى الله من خطيئته، فرد الله عليه الملك لان الجنى لما أخذ خاتمه رمى به فى البحر فرده عليه من بطن سمكة- ذكر ما قلناه المفسرون- و الذى قاله المفسرون من أهل الحق و من نزه الأنبياء عن القبائح و نزه الله تعالى عن مثل ذلك هو انه لا- يجوز أن يمكن الله تعالى جنياً ليتمثل فى صورة نبي لما فى ذلك من الاستبعاد. و إن النبوة لا تكون فى الخاتم و انه تعالى لا يسلب النبى نبوته، و ليس فى الآية شىء من ذلك، و إنما قال فيها انه ألقى على كرسية جسداً. و قيل فى معنى ذلك الجسد اقوال:

منها- إن سليمان قال يوماً فى مجلسه و فيه جمع كثير لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل الله، و كان له فى ما يروى عدد كثير من السرارى، فاخرج الكلام على سبيل المحبة لهذا الحال، فنزهه الله عما ظاهره الحرص على الدنيا، لئلا يقتدى به فى ذلك، فلم يحمل من نسائه إلا امرأة واحدة ولداً ميتاً، فحمل حتى وضع على كرسية جسداً بلا روح، تنبها له على انه ما كان يجب ان يظهر منه ما ظهر، فاستغفر الله و فزع إلى الصلاة و الدعاء على وجه الانقطاع، لا على أن ذلك كان صغيرة، و من قال من حيث انه لم يستثن مشيئة الله فى ذلك، فقوله فاسد، لأنه و إن لم يذكر مشيئة الله لفظاً فلا بد من تقديرها فى المعنى و إلا لم يأمن أن يكون خبره كذباً، و ذلك لا- يجوز على الأنبياء عند من جوز الصغائر عليهم. قال الحسن و غيره لا يجوز على الأنبياء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٣

و منها- انه

روى ان الجن لما ولد لسليمان ولد قالوا: لتلقين منه ما لقينا من سليمان، فلما ولد له ولد اشفق منهم، فاسترضعه فى المزن، فلم يشعر إلا

وقد وضع على كرسية ميتاً تنبهاً على ان الحذر لا ينفع مع القدر.

و منها- انه ذكر انه ولد لسليمان ولد ابتلاه بصبره في إمامته ولده على كرسية. وقيل: انه أماته في حجره، و هو على كرسية، فوضعه من حجره.

و منها- ما ذكره ابو مسلم فأنه قال: يجوز ان يكون الجسد جسد سليمان و أن يكون ذلك لمرض امتحنه الله به، و تقديره و ألقينا منه على كرسية جسداً لشدة المرض، كما يقولون: فلان لحم على و ضم إذا كان ضعيفاً، و جسد بلا روح تغليظاً للعلّة، و قوة الضعف. ثم حكى ما قاله سليمان حين أناب إلى الله، فانه سأل الله تعالى و قال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أي لا تسلبه كما سلبته في الدفعة الأولى، و قال ابو عبيدة معنى (لا ينبغي) لا يكون، و انشد لابن احمر:

ما ام غفر على دعجاء ذى علق تنفى القراميد عنها الأعصم الوقل

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة لا ينبغي دونها سهل و لا جبل (١)

و قال ابو عبيدة: أي لا يكون فوقها سهل و لا جبل أحسن منها.

فان قيل: أليس ظاهر هذه الآية يقتضى الشح و الضن لأنه لم يرض بأن سأل الملك، حتى أضاف إلى ذلك ألا يكون لأحد بعده مثله؟! قلنا قد ثبت أن الأنبياء لا يجوز أن يسألوا بحضرة قومهم ما لم يأذن الله لهم في ذلك، فعلى هذا لم لا يجوز ان يكون الله تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكاً لا يكون

(١) مر في ١٥٣/٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٤

لغيره كان لطفاً له في الدين، و أعلمه أن غيره لو سأل ذلك لم يجب اليه، لأنه يكون مفسدة لغيره و لا صلاح له فيه، و لو أن أحدنا صرح بمسأله بهذا الشرط بأن يقول: اللهم اجعلني أيسر اهل زمانى و ارزقني ما لا يساوينى فيه احد إذا كانت المصلحة لي في ذلك لكان هذا جائزاً حسناً، و لم يكن منسوباً إلى بخل، فلا يمتنع أن يسأل النبي ايضاً مثل ذلك.

وقيل: انه لا يمتنع أن يسأل النبي مثل هذه المسألة من غير إذن إذا لم يكن بمحضر من قومه بعد ان يكون الشرط فيه مقدرًا. و قيل فيه وجه آخر، و هو

انه عليه السلام إنما سأل ان يكون ملكه معجزة لنبوته يبين بها من غيره ممن ليس بنبي.

و قوله (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) معناه لا ينبغي لاحد غيرى ممن أنا مبعوث اليه، و لم يرد من بعدى إلى يوم القيامة من النبيين.

وقيل: انه لا- يمتنع ان يكون المراد انه سأل ملك الآخرة و ثواب الجنة الذى لا يناله المستحق إلا بعد انقطاع التكليف. و معنى (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) لا يستحقه بعد وصولى اليه أحد من حيث لا يصح أن يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف.

ثم بين بعد ذلك انه أعطاه ما سأله فقال (فَسَيَحْزَنُ لَه الرِّيحُ) أى ذلناها له، و التسخير التذليل (تجرى بأمره) يعنى الريح تتوجه إلى حيث شاء (رخاء) قال قتادة معناه طيبة سريعة، و قال ابن زيد: لينه. و قال ابن عباس: طيبة، و به قال الضحاك و السدى و الرخاء الريح: اللينة و هو رخاوة المرور سهولته و وصفت باللين، لأنها إذا عصفت لم يتمكن منها، و إذا لانت أمكنت. التبيان في تفسير

القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٥

و قوله (حيث أصاب) قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك و السدى:

معناه حيث أراد، يقول القائل: أصاب الله بك الرشاد أى أراد الله، و المعنى انها تنطاع له كيف أراد، و قال الحسن: كان يغدو من أبله، و يقيل بقروين و يبيت بكابل. و الاصابة لحاق البغية، يقال أصاب الهدف بالسهم يصيبه إصابه، و منه الصواب إدراك الحق بالميل اليه، و قوله (و الشياطين) نصبه بالعطف على مفعول (فسخرنا) و تقديره و سخرنا له الشياطين كل بناء و غواص و نصب (كل)

على البدل من الشياطين و هو بعضه فالغواص هو الذى يغوص فى الماء أى ينزل فيه تقول: غاص يغوص غوصاً فهو غائص و غوصه تغويصاً و كل الشياطين يغوصون له فى البحار و غيرها من الأنهار بحسب ما يريد منهم و يبنون له الأبنية العجيبة التى يعجز الناس عن مثلها. و قال قتادة: كانوا يغوصون فى البحار يستخرجون له الحلوى منها، و غير ذلك (وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) الأصفاد واحدها صفاد، و هو الغل و جمعه أغلال. و قال السدى: السلاسل تجمع اليدين إلى العنق و الصفد الغل. و الصفد العطاء، و بعضهم يقول: اصفدنى قال الأعشى:

[تصيفته يوماً فقرب مقعدى و اصفدنى على الزمانه قائداً «١»]

و ذلك انه ارتبط من شكره بمثل الغل، و (مقرنين) هم الذين قرن بعضهم إلى بعض بالسلاسل.

ثم قال تعالى (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال الحسن:

معناه هذا الملك الذى أعطيناك، فأعط ما شئت و امنع ما شئت. و قال قتادة و الضحاك: معناه لا تحاسب على ما تعطى و تمنع منه يوم القيامة ليكون أهناً لك

(١) ديوانه ٤٤ و قد مر فى ٦ / ٣١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٦

و معناه ليس عليك تبعه. و قيل: معناه بغير مقدار يجب عليك إخراجه من يدك، و يكون بغير حساب، فامنن او أمسك و قال الزجاج: المعنى سخرنا لك الشياطين عطاء لك منا فأطلق منهم من شئت و احبس من شئت فلا حساب عليك منه. ثم قال تعالى (وَ إِنْ لَهُ) يعنى سليمان (عِنْدَنَا لُزُفَى أَى لِقَرَبَى زِيَادَةٌ عَلَى مَا أَعْطَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا (وَ حَسَنَ مَا ب) أَى وَ حَسَنَ مَا لَ فِى الْعَاقِبَةِ).

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٤١ إلى ٤٤] ..... ص: ٥٦٦

وَ أَذْكَرَ عَيْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ (٤٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٤٣) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضَمًّا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تُحْنِتْ إِنَّا وَجَدْنَا صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر (بنصب) بضم النون و الصاد. و قراءة يعقوب بفتحهما.

الباقون بضم النون و إسكان الصاد، و هى لغات أربع. و قراءة هبيرة بفتح النون و إسكان الصاد.

يقول الله تعالى لنبى محمد صلى الله عليه و آله (وَ اذْكَر) يا محمد (عَيْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ) فقال يا رب، لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان و متى قال اللهم افعل بى و ارزقنى و عافنى كان داعياً و لا يكون منادياً (أَنِّى مَسَّنِى الشَّيْطَانُ) فى تفسير القرآن، ج ٨، ص:

٥٦٧

الشَّيْطَانُ)

(انى) فى موضع نصب لان تقديره انه نادى بهذا القول، و تقديره بأنى مسنى فلما حذف الياء نصب (أنى) و (مسنى الشيطان) أى وسوسنى و ذكرنى ما كنت فبه من نعم الله فى الأهل و الولد و المال، و كيف زال ذلك كله و ما حصل فيه من البلية طمعاً فيه ليزله بذلك و يجد طريقاً إلى إضلاله و تضجره و تبرمه، فوجده صابراً عند ذلك مسلماً لأمر الله تعالى. و قيل:

انه كان وسوس إلى قومه أن يستقذروه و يخرجوه من بيتهم و لا يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم، لان فيه برصاً و جذاماً

ربما عدا اليهم و كان أيوب ينادى بذلك و يألم به. و النصب و الوصب و التعب نظائر، و فيه لغات اربع على ما حكيناها نصب و نصب مثل حزن و حزن و رشد و رشد و عدم و عدم، ثم تسكن الصاد مع فتح النون تخفيفاً و تضم النون و الصاد اتباعاً لما قبله. و نقيض النصب الراحة و أصله الإنصاب يقال انصبني أى عذبني، و برح بي، و منهم من يقول: نصبني قال بشر بن أبي حازم: تعناك نصب من أئمة منصب و قال النابغة:

كلىني لهم يا أئمة ناصب و ليل أقاسيه بطيء الكواكب (١)

و (عذاب) أراد به ما كا يدخل عليه من ألم الوسوسة، فأجاب الله تعالى دعاه و قال (ازكض برجلك) أى ادفع برجلك الأرض، فالركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع، و منه ركض الفرس لاسراعه إذا دفعه برجله. يقال: ركضت الدابة و ركضتها أنا مثل جبر العظم و جبرته أنا، و حزن و حزنه أنا، و فى الكلام حذف و تقديره فركض برجله و ظهر عين ماء، فقال الله

(١) مر فى ٣٤٨ / ٥ و ٩٥ / ٦، ٣٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٨

له (هذا مغتسل) أى ماء مغتسل (بارد و شراب) و قال الحسن و قتادة: نبتت له عينان، فاغتسل من إحداهما و شرب من الأخرى، فالمغتسل موضع الاغتسال. و قيل: كل ماء يغتسل فيه فهو مغتسل و غسول - ذكره ابو عبيدة - و فى الكلام حذف، و تقديره إن أيوب اغتسل من تلك العين، فأزال الله تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض. ثم اخبر بما من عليه زيادة على صلاح جسمه، و زوال ألمه فقال (و وهبنا له أهله) لأنه لما رد عليه أهله كان ذلك هبة منه مجددة (و مئتهم معهم) و تقديره و وهبنا له مثل أهله دفعه أخرى. و قد ذكرنا اختلاف المفسرين فى ذلك - فى سورة الأنبياء - و أن فيهم من قال أعطاه بكل امرأة امرأتين و بكل ولد ولدين فى دار الدنيا. و منهم من قال ذلك اخبار عما يهبه الله له فى الآخرة. و قيل: إن الله تعالى أمطر عليه جرداً من ذهب و قوله (رحمة منا) معناه فعلنا ذلك لرحمتنا إياه، فهو نصب على انه مفعول له، و يجوز ان يكون نصباً على المصدر (و ذكرى لأولى الألباب) أى و ليتذكر به و يعتبر ذوا العقول فيصبروا كما صبر. ثم حكى ما قال له فانه قال له (خُذْ يَدَكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنُثْ) فالضغث ملء الكف من الحشيش او الشماريخ و ما أشبه ذلك قال عوف بن الجزع:

و أسفل منى فهدة قد ربطنها و ألقيت ضغثاً من حلا متطيب

أى تطيبت لها. و قيل إنه كان حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائة، فقيل له (خُذْ يَدَكَ ضِعْفًا) بعدد ما حلفت، فاضرب به دفعة واحدة، فإنك إذا فعلت ذلك، فقد بررت قسمك، و لم تحنث، و هو قول قتادة و الضحاك. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٦٩

و قوله (و لا تحنث) نهى له عن الحنث.

ثم اخبر تعالى عن حال أيوب و عظم منزلته، فقال (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) لبلاتنا مسلماً لأمرنا. ثم أثنى عليه فقال (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى الله منقطع اليه، و عندنا ان من حلف ان يضرب غيره مائة فضربه بشمراخ فيه مائة طاقه، فقد بر فى يمينه، و فيه خلاف بين الفقهاء.

قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٤٥ الى ٥٤] ..... ص: ٥٦٩



وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَ اِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ اُولَى الْاَيْدِي وَ الْاَبْصَارِ (٤٥) اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَ اِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ (٤٧) وَ اذْكُرْ اِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكُفْلِ وَ كُلٌّ مِّنَ الْاَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَ اِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَّآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْاَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ (٥١) وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اُتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) اِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) عشر آيات.

قرأ ابن كثير (و اذكر عبدنا ابراهيم) على التوحيد. و الباقون على الجمع. و قرأ نافع (بخالصة ذكري الدار) مضافاً. الباقون بالتنوين. من التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٠

نون جعل (ذكري) بدلا من (خالصة) و موضعه جر، و يجوز أن يكون نصباً يا ضمرا (اعنى) او يكون معمول خالصة- في قول ابي عبيدة- و يجوز أن يكون رفعاً يا ضمرا هي ذكري، كما قال (قُلْ اَفَأَنْتُمْ كَبَشْرٌ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ) «١» اى هي النار، قال ابو على: (الدار) يحتمل ان يكون الدنيا و يحتمل أن يكون الآخرة اى باخلاصهم ذكري في الدنيا، فإذا حملت على دار الآخرة، فعلى تقدير إخلاصهم ذكري الدار. و يكون ذكروها لها و جل قلوبهم منها و من حسابها، كما قال (وَ هُمْ مِّنَ السَّاعِيَةِ مُشْفِقُونَ) «٢» فالدار عندهم على هذا مفعول به، و ليست كالوجه المتقدم. فأما من أضاف فانه يكون قد أضاف إلى المفعول، كأنهم باخلاصهم ذكري الدار و الخوف منها أخلصوا ذكروها و الخوف منها لله تعالى، و يكون على اضافة المصدر إلى الفاعل و تقديره بأن خلصت لهم ذكري الدار. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً (و الليسع) بلامين. الباقون بلام واحدة من قرأ بلامين ادخل على اللام الالف و اللام، ثم ادغم إحداهما في الأخرى كما قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله «٣»

لأنه قدره تقدير النكرة، و قرأ (هذا ما يوعدون) بالياء ابن كثير و ابو عمرو، و في سورة ق ابن كثير وحده. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فللغيبه، و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، و من قرأ (عبدنا) على التوحيد يجوز ان يكون خص به ابراهيم بكونه عبداً له كما خصه بالخله، و يجوز أن يكون

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٧٢.

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ٤٩.

(٣) مر في ٢٠٨ / ٤ و ٣٥ / ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧١

لان لفظه يدل على القليل و الكثير. و من جمع فلانه ذكر جماعة.

يقول الله تعالى مخاطباً لنيبه (و اذكر) يا محمد (عبادنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب) فمن قرأ بالجمع فلأنه ذكر جماعة. و من قرأ بالتوحيد فلان لفظه (عبد) لفظ جنس يقع على القليل و الكثير، ثم وصفهم فقال (اولى الايدي) يعنى اولى القوة على العبادة (و الأبصار) الفقه في الدين- في قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قيل: (اولى الايدي) معناه اولى الاعمال الصالحة، و قيل معناه اولى النعم في الدين، قال الشاعر:

فاعمل لما يعلو فما لك بال ذى لا تستطيع من الأمور تدان

ثم اخبر تعالى عن حال هؤلاء الذين وصفهم، فقال (اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ) فالاخلاص إخراج كل شائب من الشىء ليس من شكله، فهؤلاء الأبرار قد أخلصهم الله لنعيم الجنان بلطفه فى ما لازموا من الإحسان، و قوله (بخالصة ذكري الدار) معناه إنا أخلصنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب بخله خلصت لهم. ثم قال (ذكري الدار) بدلا من (خالصة) اى يذكرون بدار الآخرة و يزهدون فى الدنيا، و يجوز ان يكون

المعنى إنهم يكثرون ذكر الآخرة و الرجوع إلى الله، و معنى (أخلصناهم) اصفيناهم، قال الطبرى: معناه أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة، هذا على قول من أضاف، و هو قول ابن زيد. و من نون فالمعنى الخالصة التى أخلصناهم بها هى ذكرى الدار للعمل لها فناهيك بها من خالصة أدت إليها و هى الجنة.

ثم قال (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضِطِّفِينَ الْأَخْيَارِ) و الاضطفاء إخراج الصفوة من كل شىء فهم صفوة و غيرهم كدر، فالله تعالى اصطفى هؤلاء الأنبياء بأن اختارهم لنبوته بحسب ما سبق فى علمه انه يكون منهم من القيام بأعباء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٢ النبوة و المسارعة إلى الخير و التبرز فى الفضل. و الذكر الذى يحتاج اليه على وجهين: ذكر ما يحب بالرغبة فيه و الدعاء اليه و ذكر ما يتقى بالرهبة منه و التحذير منه. و فى ذلك تمام الداعى و الصارف للذين تقتضيهما الحكمة.

و (الأخيار) جمع خير على وزن (أموات) جمع (ميت) و هو من يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة. و قيل هو جمع (خير) و مثله (الأبرار) جمع (بر) و صفوا بالمصدر، و قال مجاهد و قتادة: (ذكرى الدار) دار الآخرة و قال ابن زيد: هى دار الجنة. كما قال تعالى (وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) «١» قيل: إنهم كانوا يذكرونها للعمل لها و دعاء الناس إليها. و قيل: ذكرى الدار بالثناء الذى ليس لغيرهم من اجل قيامهم بالنبوة. و قيل: الاضطفاء الاختصاص بمدحهم بأنهم هم الصفوة. و قيل: إنما خاطب الله النبى صلى الله عليه و آله أن يذكروهم بصبرهم و فضلهم ليسلك طريقهم ثم قال له صلى الله عليه و آله (و اذكر) أيضاً (إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكُفْلِ) بمثل ذلك. ثم اخبر عنهم بأنهم كلهم من الأخيار. و قيل ذو الكفل ذو الضعف من الثواب. و قيل كان اسمه ذلك. و قيل: سمى بذلك لأنه تكفل بأمر أنبياء خلصهم الله من القتل به. و قيل تكفل بعمل صالح فسمى به.

ثم قال تعالى (هذا ذِكْرٌ) و معناه إن ما أخبرنا عنهم ذكر أى شرف لهم و ذكر جميل و ثناء حسن يذكرون به فى الدنيا (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يعنى حسن المرجع فى الآخرة، لأنهم يرجعون إلى الجنة. ثم بين ذلك المآب، فقال (جنات عدن) و هو فى موضع جر على البدل من (مآب) و الجنات جمع جنة و هى البستان التى يجنها الشجر (عدن) يعنى موضع إقامة و خلود (مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) قيل تنفتح من غير كلفه، قال الحسن تكلم: انفتحى

(١) سورة ١٦ النحل آية ٣٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٣

انغلقى، و رفعت (الأبواب) لان تقديره مفتحة لهم أبوابها، فدخلت الألف و اللام بدلا من الاضافة، كما يقولون: مررت برجل حسنة عينه قبيح أنفه يريدون قبيح الانف- ذكره الفراء- و قال الزجاج: تقديره مفتحة لهم الأبواب منها، و لو نصب (الأبواب) لجاز، كقول الشاعر:

فما قومي بتغلبه بن سعد و لا بفزاره الشعث الرقبا

هذا على شبه المفعول. ثم وصف تعالى الذين يحصلون فى الجنة فقال (مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) فالإتكاء الاستناد الى المساند، و منه الوكاء لأنه يستمسك به ما فى الوعاء (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ) أى يستدعون الفواكه للأكل و الشراب للشرب (وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٌ) يعنى قصرن على أزواجهن فما لهن فى غيرهم بغيه، فالقاصر نقيض الماد، يقال هو قاصر طرفه عن فلان و ماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لأثرا «١»

و الاتراب الأقران على سن واحد ليس فيهن هرمه و لا عجوز. قال الفراء: لا يقال الاتراب إلا فى الإناث، و لا يقال فى الذكران قال ابن أبى ربيعة:

ابرزوها مثل المهأة تهادى بين عشر كواعب أتراب «٢»

و الترب اللذة و هو مأخوذ من اللعب بالتراب. و قيل: أتراب على مقدار سن الأزواج من غير زيادة و لا نقصان. ثم قال تعالى (هذا ما تُوعَدُونَ) فمن قرأ بالتاء فعلى انه يقال لهم و يخاطبون بهذا القول. و من قرأ بالياء فعلى الخبر عن حالهم (ليوم الحساب) يعنى يوم الجزاء. ثم قال تعالى (إن

(١) ديوانه ٩١ (شرح السندوسى)

(٢) ديوانه ٥٩ (دار بيروت).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٤

هذا) يعنى الذى وصفته من الجنة و ما فيها من انواع اللذات (لَرِزْقًا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) يعنى من انقطاع لأنه على سبيل الدوام، و هو قول قتادة.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦٠] ..... ص : ٥٧٤

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنِسَّ الْمِهَادُ (٥٦) هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ عَسَاقٌ (٥٧) وَ آخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَنِسَّ الْقَرَارُ (٦٠) ست آيات بلا خلاف.

لما وصف الله تعالى اهل الجنة و ما أعدّه لهم من انواع النعيم فيها وصف ما أعدّه لأهل النار و العصاة من انواع العقاب، فقال (هذا) يعنى هذا ما ذكرنا لأهل الجنة. ثم ابتدأ فقال (وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ) و هم الذين طغوا فى معاصى الله (لشر مأب) يعنى شر مرجع. ثم بين ذلك المرجع فقال (جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنِسَّ الْمِهَادُ) و إنما وصف جهنم بأنها مهاد لما كانت عوضاً لهم عن المهاد، فسميت باسمه، كما قال (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) «١» و قال قوم: هو على تقدير نبس موضع المهاد، و المهاد الفراش الموطأة تقول: مهدت له تمهيداً كقولك وطأت له توطئه، و منه مهد الصبى، لأنه يوطأ له. ثم قال (هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ عَسَاقٌ) و تقديره هذا عذاب جهنم

(١) سورة آل عمران آية ٢١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٥

فليذوقوه حميم و غسان. و يجوز أن تجعله مستأنفاً كأنك قلت هذا فليذوقوه.

ثم قلت منه حميم و غساق.

أمرهم الله بذواق الحميم، لان الذواق ابتداء إدراك الطعم على طلبه بالفم، و لذلك يقال: ذقته فلم أجد له طعماً لما فيه من طلب ادراك الطعم بالفم.

و من طلب إدراك الشىء كان أشد احساساً به. و الحميم الحار الشديد الحرارة، و منه الحمى لشدة حرارتها و حم الشىء إذا دنا و أحمه لهذا أى أدناه قال الشاعر:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «١»

و الغساق ما يسيل من صديد أهل النار. و قال ابن عمر: هو القيح الذى يسيل منهم فيجمع فيسقونه، و قال كعب الأخبار: الغساق عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمه من عقرب و حية. و قيل: هو قيح شديد النتن، يقال: غسقت القرحة تغسق غسوقاً. و التشديد و

التخفيف لغتان. وقيل:

الغساق الزمهير- في قول ابن مسعود- فليرده يحرق كما تحرق النار.

ثم قال (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) معناه أنواع آخر من شكل العذاب أزواج أى أمثال. وقال الحسن: ذكر السلاسل والاعلال ونحوه، ثم قال (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ) مما لم ير فى الدنيا. والشكل - بفتح الشين - الضرب المشابه. والشكل - بكسر الشين - النظير فى الحسن، و من قرأ (و آخر) أراد الواحد. و من قرأ (و آخر) أراد الجمع (ازواج) معناه اشكال. ثم قال (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) قال الحسن يعنى به بنى إبليس، و الآخر بنو آدم يقتحمون معكم النار و عذابها (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) أى لا اتسعت لهم أماكنهم (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) أى لازموها. قال الفراء:

(١) اللسان (حمم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٦

هى الأمة بعد الأمة تدخل النار. وقوله (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) من قول أهل النار، كما قال (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُمَّةً أُخْتَهَا) «١» وقيل هم اتباع الرؤساء فى الضلالة قيل لهم لا مرحباً بهم، و هو نصب على المصدر (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) حكاية ما يردون عليهم من الجواب فإنهم يقولون: بل أنتم لا اتسعت عليكم أماكنكم قدمتموه لنا فبئس القرار الذى استقرنا عليه، و هو مثل قوله «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَصَلُّوْنَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» «٢» و قرأ حمزة و الكسائى و خلف (غساق) - بالتشديد - الباقون بالتخفيف و هما لغتان. و قرأ ابو عمرو و ابن كثير (و اخر) مضمومة الالف على الجمع. الباقون (و آخر) بفتح الالف ممدودة على التوحيد. و من قرأ على الجمع، فلقوله (ازواج) و هما لا ينصرفان، لان (آخر) وزنه افعال و اما آخر فلائنه معدول عن الألف و اللام، لأنه لا يستعمل فى الجارية الكبرى و المرأة الأخرى إلا بالألف و اللام، فلما عدلوه و عرفوه تركوا صرفه مثل (سحر) إذا أردت سحر يوم بعينه تركت صرفه لأنه معدول عن الألف و اللام فى السحر.

**قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦١ الى ٦٥] ..... ص: ٥٧٦**

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعِدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَا هُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٣٧. [.....]

(٢) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٦٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٧

خمس آيات.

قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى اتخذناهم موصوله على وجه الاخبار. الباقون بقطع الهمزة على الاستفهام. و قرأ نافع و حمزة و الكسائى (سحرياً) بضم السين.

الباقون بكسرها.

حكى الله تعالى عن الكفار الذين اتبعوا غيرهم فى الضلال و انقادوا لرؤسائهم فيه انهم يقولون يوم القيامة إذا حصلوا فى عذاب جهنم يا (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) أى من سبب لنا هذا العذاب و دعانا إلى ما قد استوجبنا به ذلك «فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا» أى مثلاً مضاعفاً إلى مثل ما يستحقه «فى النار» احد الضعفين لكفرهم بالله تعالى و الضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر.

ثم حكى عنهم ايضاً انهم يقولون «ما لنا لا نرى رجالاً كنا نَعِدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ» قال مجاهد نزلت في أبي جهل و الوليد بن المغيرة و ذويهما انهم يقولون مع قرنائهم: ما لنا لا نرى عماراً و خباباً و صهيباً و بلالا الذين كنا نعدهم في الدنيا من جملة الأشرار الذين يفعلون الشر و القبيح و لا- يفعلون الخير. و في تفسير اهل البيت إن هذا حكاية عما يقوله اعداء أهل الحق، فإنهم لا يرون أهل الحق يوم القيامة لكونهم في الجنة و كون أعدائهم في النار و كانوا يعدونهم في الدنيا من الأشرار.

ثم حكى انهم يقولون ايضاً «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» فمن قطع الهمزة أراد التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٨ الاستفهام الذي معناه التعجب و التوبيخ، و من وصل أراد الاخبار، يعنون الذين كنا نعدهم من الأشرار «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» فمن كسر السين جعله من الهزء أى كنا نسخر منهم في الدنيا، و من ضم السين جعله من السخرة أى كنا نسخرهم و نستذلهم «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» و من قطع الهمزة جعل (أم) معادلة و من وصلها جعل (أم) بمعنى بل، قال مجاهد و الضحاك «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» أى أبصارنا، فلا ندرى اين هم. و قال الحسن:

كل ذلك قد مثلوا بهم اتخذوها سخرياً و زاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم.

ثم اقسام تعالى ان الذى حكاه من تخاصم اهل النار و مجادلته بعضهم لبعض «لحق» أى كائن لا محالة.

ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ» أى مخوف من معاصى الله و محذر من عقابه «وَمَا مِنْ إِلَهٍ» أى و ليس من يحق له العبادة «إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ» الفرد «الْقَهَّارُ» لجميع خلقه المستعلى عليهم بسعة مقدوره لا- يقدر احد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه، و من اختار وصل الهمزة في قوله «أَتَّخَذْنَا هُمْ» قال لأنهم علموا انهم اتخذوهم سخرياً في دار الدنيا و إنما اعترفوا بذلك يوم القيامة، يقولون اتخذناهم سخرياً بل زاغت عنهم أبصارنا محقرة لهم. و من قطع الهمزة قال: هذا على وجه التوبيخ لنفوسهم و التبكيت لها. ثم قال ذلك أى ثم يقولون بل زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص: ٥٧٨

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٧٩

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر «إنما انا نذير مبين» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

لما وصف الله تعالى نفسه بأنه الواحد القهار وصفها ايضاً بأنه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مالكهما و مدبرهما و مدبر ما بينهما «العزیز» الذى لا يغالب لسعة مقدوراته «الغفار» لذنوب عباده إذا تابوا.

ثم قال قل لهم يا محمد «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» قال مجاهد و السدى يعنى القرآن «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أى الخبر العظيم و قال الحسن: هو يوم القيامة. ثم خاطب الكفار فقال «أَنْتُمْ» معاشر الكفار «عَنْهُ مُعْرِضُونَ» عن هذا النبأ العظيم لا تعلمون بما يوجب مثله من اجتناب المعاصى و فعل الطاعات.

ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله ان يقول ايضاً «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ» يعنى بالملأ الأعلى الملائكة اختصموا في آدم حين قيل: لهم «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» في قول ابن عباس و قتادة و السدى، فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى. و قيل: كان اختصام الملائكة في ما كان طريقه الاجتهاد. و قيل: بل طريقه استخراج الفائدة، و لا يجوز ان يختصموا في دفع الحق.

و قوله «إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- ليس يوحى إلى إلا لأنى انا نذير مبين أى مخوف من المعاصى مظهر للحق.

الثانى- ليس يوحى إلى إلا الانذار البين الواضح.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٠

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص: ٥٨٠

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ أَسَدْتَكْبُرُتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)

خمس آيات.

يقول الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وآله قل يا محمد «ما كان لى من علم بالملأ الأعلى من الملائكة «إِذْ يَخْتَصِمُونَ ... إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ» يعنى آدم عليه السلام، لأن الله تعالى خلقه من طين، فالخلق فعل الشىء على تقدير و ترتيب و كان جعل آدم على مقدار ما تقتضيه الحكمة و اصل الخلق التقدير. و البشر مأخوذ من البشرية، و هى الجلدة الظاهرة، و الإنسان مأخوذ من الانس، لأنه يأنس بمثله فى ما يؤنس به، فجرى عليه الاسم، لأن هذا من شأنه «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» أى سويت خلق هذا البشر و تمت أعضاه و صورته «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» أى اسجدوا له. و قد بينا فى ما مضى أن السجود كان لله تعالى و عبادة له و فيه تفضيلاً لآدم على الملائكة و قوله «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فالروح جسم رقيق هوائى بها يتم كون الحى حياً لتخرقه فى مخارق الإنسان و هو مشتق من الريح، و منه الراحة و الاستراحة من الكد للخرة على النفس كالريح، و منه الأريحة، و الراحة كف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨١

الإنسان لما يتراوح الناس إليها فى العمل، و منه الرواح إلى المنزل للاستراحة و معنى «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» أى توليت خلقها من غير سبب كالولادة التى تؤدى إليها، لان الله تعالى شرف آدم بهذه الحال و كرمه. و فى الكلام حذف و تقديره إن الله خلق آدم الذى وعدهم بخلقه ثم إن الملائكة سجدت بأجمعها له إلا إبليس الذى أمتنع، و قد بينا اختلاف الناس فى أن إبليس هل كان من جملة الملائكة، و من قبلهم او كان فى جملتهم يتناول الأمر له بالسجود فلا- نطول باعاداته فمن قال لم يكن منهم، قال (إلا) بمعنى (لكن) و تقديره:

لكن إبليس استكبر و تجبر و امتنع من السجود له، و كان بذلك الاباء و المخالفة من جملة الكافرين.

ثم حكى ما خاطب الله تعالى إبليس به حين امتنع من السجود لآدم «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ» على وجه التبريع له و التهجين لفعله، و إنما قال «بإيدى» على وجه تحقيق الاضافة لخلق الله تعالى، لانه أمر به او كان على سبب أدى اليه تعالى، و التثنية أشد مبالغة، كما قال الشاعر:

دعوت لما نابنى مسوراً فلبى قلبى يدي مسور (١)

لتحقيق اضافة المبالغة الى مسور، و مثله قولهم: هذا ما كسبت يداك أى ما كسبته أنت قال الشاعر:

ايها المبتغى فناء قريش بيد الله عمرها و الفناء

فوحده لتحقيق الاضافة. ثم قال له بلفظ الاستفهام و المراد به الإنكار «أَسَدْتَكْبُرُتْ» يا إبليس أى طلبت التكبر بامتناعك من السجود له «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» الذين يعلنون على الخلق تجبراً و تكبراً. و قرئ فى الشواذ «بيدى أستكبرت»



التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٢

على وصل الهمزة. و روى ذلك عن مجاهد عن شبل ابن كثير اجتزأ ب (أم) عن الف الاستفهام. و يحتمل أن يكون على اليمين، كأنه اقسام فقال بنعمتى الدينية و الدنياوية تكبرت بل كنت من العالين بهذا الفعل فتكون على هذا (أم) منقطعة و على الأول و هو المعروف تكون معادلة لهمزة الاستفهام.

### قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٧٦ الى ٨٨] ..... ص: ٥٨٢

قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنَّهُ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ثلاث عشرة آية في الكوفي و اثنتا عشرة آية في ما عداه عد الكوفي «فالحق أقول» و لم يعده الباقون. التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٣

قرأ عاصم إلا هبيرة و خلف و حمزة «قال فالحق» بالرفع «و الحق» بالنصب.

الباقون بالنصب فيهما، من رفع تقديره فأنا الحق، و يجوز على تقدير فالحق لأملأن كما تقول: عزيمه صادقاً لآتينك، و يجوز على تقدير حذف الخبر، و تقديره:

فالحق منى لأملأن. و من نصب فعلى فالحق لأملأن على القسم، كما تقول: و الله لأفعلن، و يجوز فى مثله حقاً لأملأن، و يكون (وَ الْحَقُّ أَقُولُ) اعتراضاً بين الكلامين، و يجوز أن يكون النصب على تقدير اتبعوا الحق، او أقول الحق. و قال ابو على: من نصب (الحق) الأول فعلى إضمار (فعل) نحو ما ظهر فى قوله «لِيُحِقَّ الْحَقَّ» (١) و فى قوله «وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ» (٢).

لما حكى تعالى ما قال لإبليس على وجه الإنكار عليه «أَسَدِيَّتْ كَبُرَتْ أَمْ كُنْتِ مِنَ الْعَالِينَ» حكى ما أجاب به إبليس، فانه قال «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و قيل إن الله تعالى خلق الملائكة من الريح فسموا بذلك روحانيين، و خلق آدم من الطين و خلق إبليس من النار، فظن إبليس إن النار أشرف من الطين لما فيها من النور، و لما يكون بها من الانضاح لأكثر ما يحتاج اليه و من الإحراق الذى يقع به الزجر من العقاب فدخلت عليه الشبهة بهذا، و ظن أنه أفضل منه من حيث كان أصله أفضل من اصل آدم، و كيف يجوز أن يفضل آدم عليه السلام عليه. و هذا يدل على ان السجود لآدم كان على وجه التفضيل له على جميع من أمر بالسجود له، و إلا لم يكن يتمتع من ذلك، و لم يعلم إبليس أن الله تعالى إنما أمرهم بالسجود لآدم عبادة له. و إن كان تفضيلاً لآدم و إن لهم فى ذلك لطفاً فى تكليفهم فلذلك أمرهم الله بالسجود له، و لو أنعم النظر فى ذلك لزالته شبهته. فقال

(١) سورة ٨ الانفال آية ٨.

(٢) سورة ١٠ يونس آية ٨٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٤

الله تعالى له «فأخرج منها» قال الحسن: يعنى من السماء. و قال غيره:

من الجنة «فإنك رجيم» أى مرجوم إن رجعت اليها بمثل الشهب التى ترحم به الشياطين. و أصل الرجيم المرجوم، و هو المرمى بالحجر «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي» يا إبليس ابعادى لك من رحمتى «إلى يَوْمِ الدِّينِ» يعنى يوم القيامة الذى هو يوم الجزاء. فقال إبليس عند

ذلك يا «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي» أى اخرنى «إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» أى يوم يحشرون للحساب، و هو يوم القيامة فقال الله تعالى له «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ» أى من المؤخرين «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» أى اليوم الذى قدر الله فيه اماتتك، فعلى هذا لا يلزم أن يكون إبليس مغرى بالقبايح لعلمه بأنه يبقى، لأنه لا وقت إلا و هو يجوز أن يخترم فيه، و لا يقدر على التوبة فالزجر حاصل له. و من قال إنه اجابه إلى يوم القيامة يقول: كما أعلمه انه يبقيه إلى يوم يعثون، اعلمه أيضاً انه من أهل النار لا محالة، و انه لا يتوب و صح مع ذلك تكليفه، لأنه يلزمه بحكم العقل أن لا يفعل القبيح من حيث انه متى فعله زاد عقابه، و يضاعف على ما يستحق له. و تخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل، كما يجب إسقاط العقاب جملة.

ثم حكى تعالى ما قال إبليس فانه اقسام و قال «فَبِعِزَّتِكَ» يا الهى «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» فالعزة القدرة التى يقهر بها غيره من القادرين، و (الإغواء) التخبيب، و إبليس يغوى الخلق بأن يزين لهم القبيح و يرغبهم فيه. و الغى خلاف الرشد، و هو الخيبة، يقال: أغواه يغويه إغواء، فهو مغوى إذا دعاه إلى ما فيه الخيبة.

ثم استثنى من جملة من يغويهم «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ» مع حرصه على إغواء الجميع من حيث أنه يئس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٥

ينقادون لاغوائه، و انه ليس له عليهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلك عنه ليأسه منه. و من فتح اللام من «المخلصين» أراد إن الله تعالى أخلصهم بما فعل لهم من اللطف الذى امتنعوا عنده من القبايح، و من كسر اللام أراد انهم أخلصوا عبادتهم لله، لم يشركوا معه غيره.

ثم حكى تعالى ما أجاب به - عز و جل - لإبليس، فانه قال له «فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ» فمن رفع الأول أراد، فأنا الحق او فالحق لأملأن و أقول الحق. و من نصب فعلى تقدير. فالحق لأملأن، كما تقول حقاً لأملأن، و يكون «وَالْحَقُّ أَقُولُ» اعتراض بين الكلامين و يكون العامل فى (الحق) الثانى قوله «أَقُولُ» «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ» يا إبليس «وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» أى من تابعك على دعائك إلى المعاصى.

ثم خاطب النبى صلى الله عليه و آله فقال «قُلْ» يا محمد «مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أى ليس اسألكم أجراً على دعائكم إلى الله «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» أى و لست ممن يتعسف فى طلب الأمر الذى لا يقتضيه العقل، و صفه (متكلف) صفه تجرى مجرى الدم، فلذلك قال «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»، لأنه لا يدعو إلا الى الأمر الجميل الذى يقتضيه الحق.

ثم قال «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أى ليس هذا القرآن إلا - شرف للعالمين «وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» قال الفراء: معناه و لتعلمن خبر القرآن و انه حق او خبر محمد أنه صادق بعد حين، قال الحسن: عند الموت يأتيك الخبر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٨، ص: ٥٨٦ القين. و قال ابن زيد: يوم القيامة، و الحين الوقت، و قال عكرمة: هو كقوله «تُؤْتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» (١) و ذلك حين تصرم النخلة إلى حين تطلع سته أشهر و هو مثل ما رواه أصحابنا سواء.

(١) سورة ١٤ ابراهيم ٢٥ آية.

تم المجلد الثامن من التبيان و يليه المجلد التاسع و أوله أول سورة الزمر طبع فى مطابع النعمان فى النجف الأشرف فى شعبان سنة ١٣٨٢ هـ و فى كانون الثانى سنة ١٩٦٣ م

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رحِمَ اللهُ عبداً أحيا أمرنا... يتعلم علومتنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن

كَلَامِنَا لِاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهايزة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدة جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعته ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - يباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني / بناية "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ان يوفق الكل توفيقاً متزائداً ليعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - ايانا في هذا الامر العظيم؛ ان شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

